

جامعة القاهرة  
كلية دار العلوم  
قسم الشريعة الإسلامية

# الشَّقِيظُ وَمَنْهَجُهُ فِي التَّفْسِيرِ

في كتابه : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن

## رسالة ماجستير

أعدّها

أحمد سيد حسنين إسماعيل الشيمي

المعيد بالقسم

إشراف

الأستاذ الدكتور

أحمد يوسف سليمان

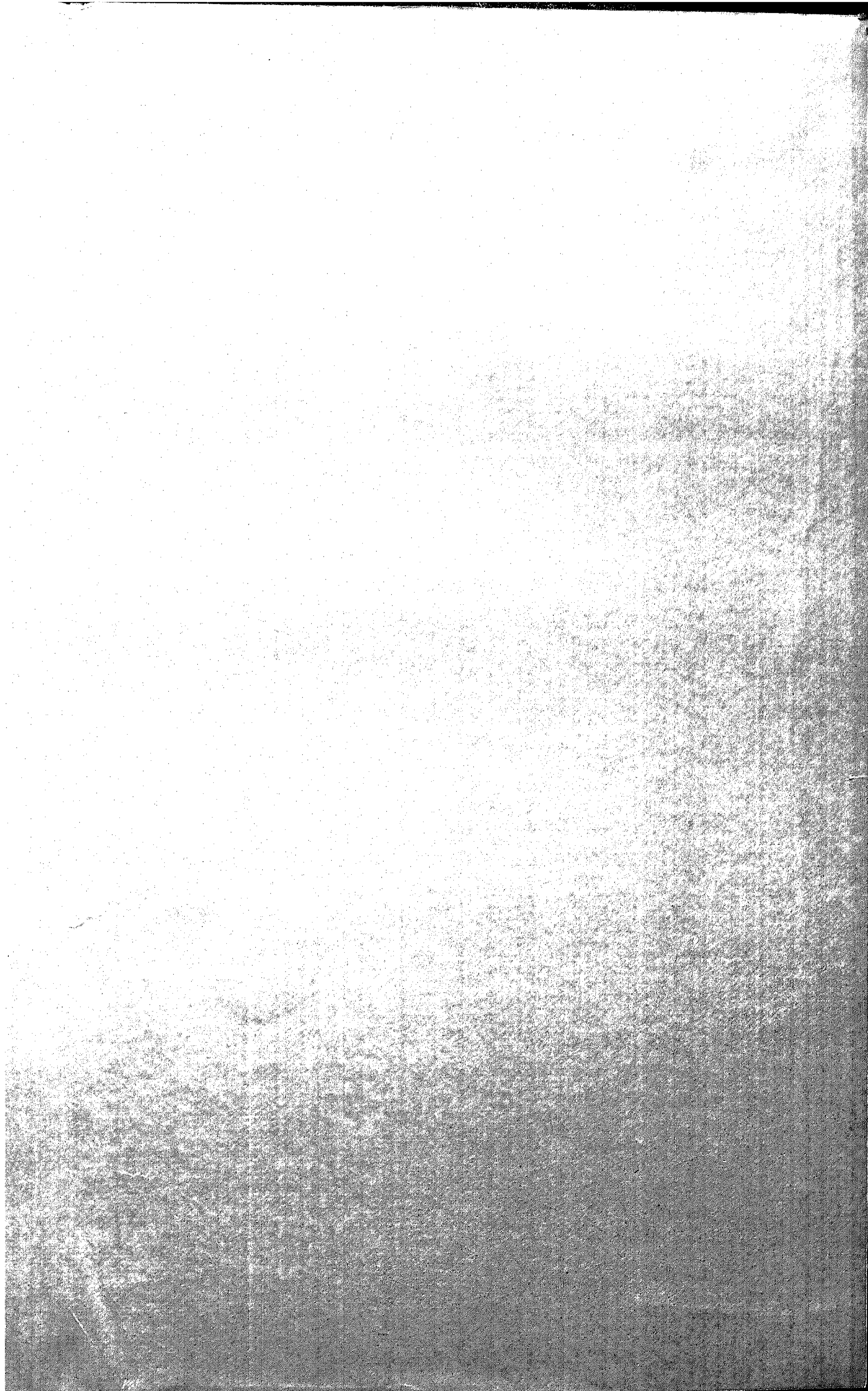
أستاذ الشريعة بالقسم

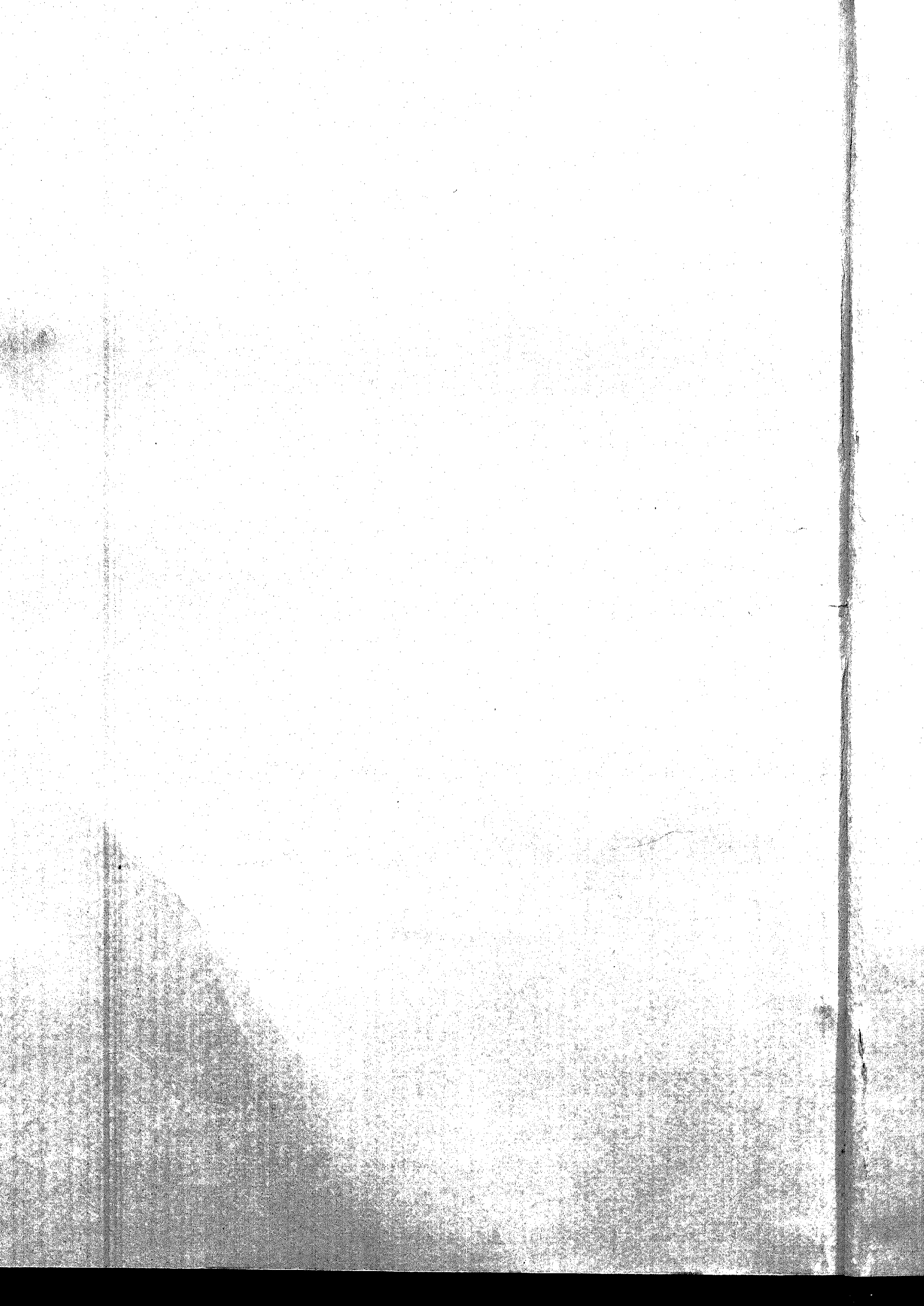
الجزء الأول

القاهرة

١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م









T-2606

جامعة القاهرة  
كلية دار العلوم  
قسم الشريعة الإسلامية

# الشَّقِيطُ وَ مِنْهَجُهُ فِي التَّفْسِيرِ

في كتابه : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن

رسالة ماجستير

أعدّها

أحمد سيد حسنين إسماعيل الشيمي  
المعيد بالقسم

إشراف

الأستاذ الدكتور

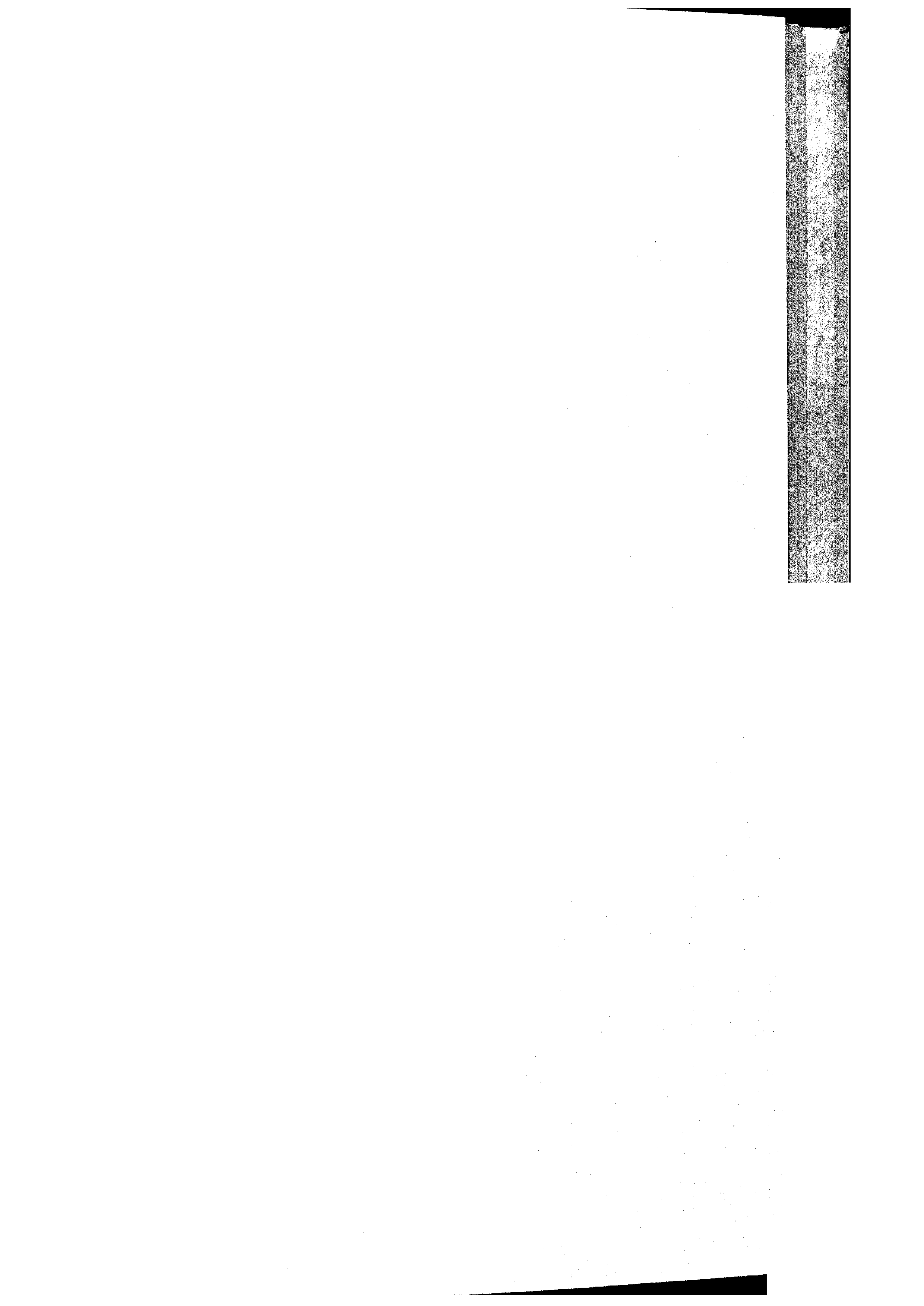
أحمد يوسف سليمان  
أستاذ الشريعة بالقسم

الجزء الأول

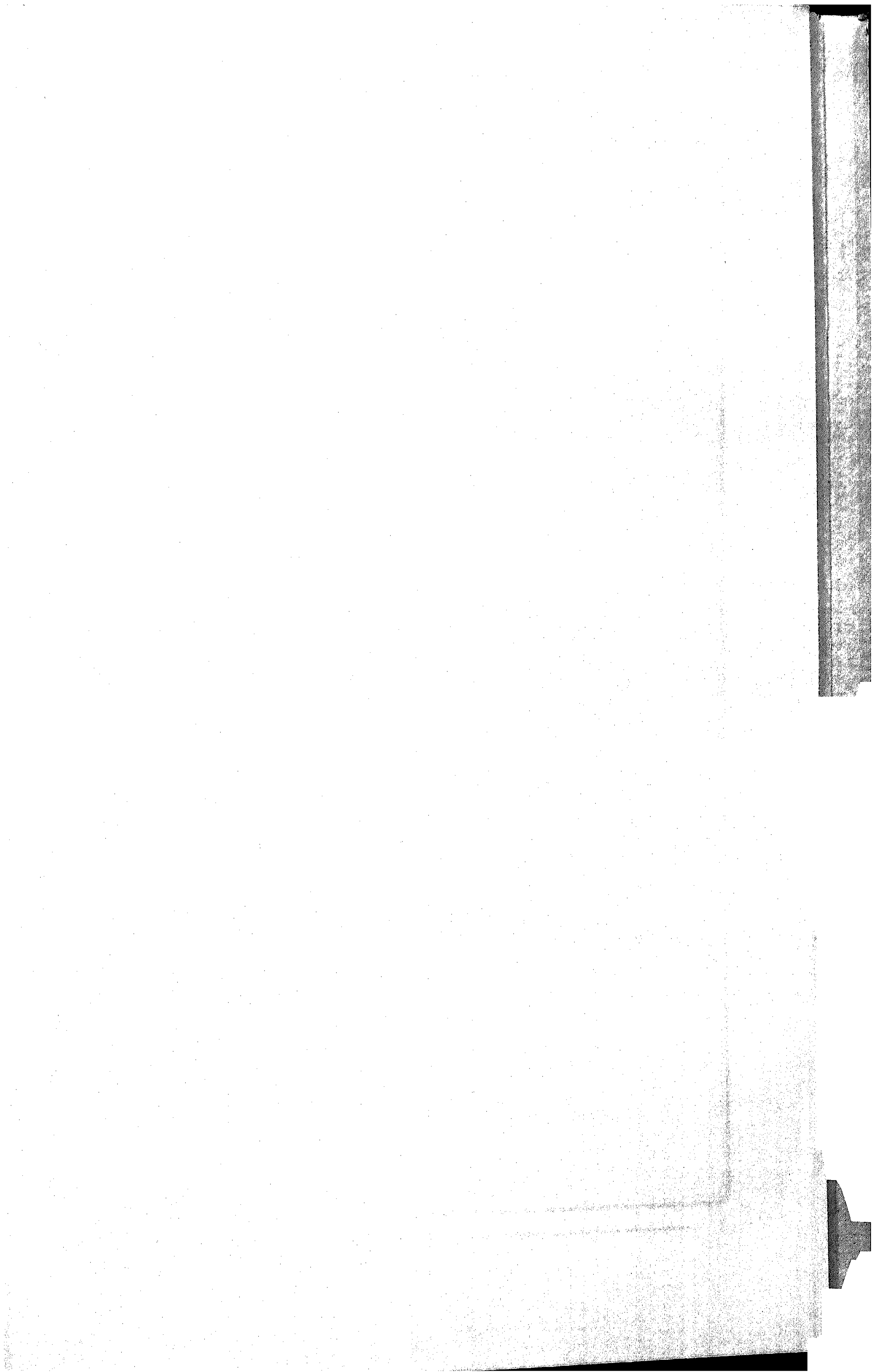
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA  
مكتبة الإسكندرية

القاهرة

١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





# الافتتاحية



## أساتذتي العلماء الأجلاء

## أهلى وضيوفى الاعزاء الفضلاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

بحمد الله وحوله وقوته نستفتح ، وبالصلاة والسلام على رسوله نستدفع ونستشفع  
 ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ الآية (١) ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ  
 وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ الآية (٢) ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ (٢٦) وَأَحْلِلْ  
 عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ﴾ (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ الآيات (٣) .

أما بعد : فيقول ربُّ العزة والجلال فى محكم التنزيل : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ  
 لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية (٤) ويقول تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ  
 وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ الآية (٥) ويقول تعالى :  
 ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الآية (٦) .

كما يقول رسول الله ﷺ فى الحديث النبوى : « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه » أى  
 السنة المطهرة - الحديث (٧) ويقول ﷺ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما :  
 كتاب الله ، وسنة نبيه » الحديث (٨) .

- (١) الممتحنة : ٤ . (٢) الأعراف : ٨٩ . (٣) طه : ٢٥ - ٢٨ (أربع آيات) .  
 (٤) النحل : ٤٤ . (٥) الأنعام : ٣٨ . (٦) الحجر : ٩ .  
 (٧) أخرجه أبو داود فى سننه (كتاب) السنة (باب) فى لزوم السنة - (طبع بيروت) - كما أخرجه أحمد  
 فى مسنده (مسند الشاميين) - حديث رقم (١٦٧٢٢) - (طبع بيروت) .  
 (٨) أخرجه مالك ضمن بلاغاته من رواية عمرو بن عوف - انظر الموطأ (كتاب) الجامع (باب) النهى عن  
 القول بالقدر - (طبع بيروت) - كما أخرجه ابن عبد البر من رواية أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله  
 ﷺ قال : « إني قد خلفت فيكم اثنتين لن تضلوا بعدهما أبداً : كتاب الله وسنتي » - ثم أورد  
 رواية مالك المذكورة معقباً عليها بقوله : وهذا الحديث محفوظ مشهور عن رسول الله ﷺ شهرة  
 يكاد يستغنى بها عن الإسناد - انظر (التمهيد) : لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر -  
 ٣٣١/٢٤ - تحقيق : (مصطفى بن أحمد العلوى) مع (محمد عبد الكبير البكرى) - وزارة عموم  
 الأوقاف والشئون الإسلامية - الرباط - المملكة المغربية - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .  
 وأخرجه مسلم ضمن حديث طويل عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال : « وقد  
 تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله » - انظر صحيح مسلم (كتاب) الحج (باب)  
 حجة النبي ﷺ - (طبع بيروت) .



= وأجتزأ الترمذى حديث جابر المذكور بما يناسب موضوع الباب قائلاً : عن جابر قال : رأيت رسول الله ﷺ فى حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب ، فسمتعه يقول : «يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتى أهل بيتي» قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه - انظر سنن الترمذى (كتاب المناقب) (باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ) - (طبع بيروت) .

وفى رواية أخرى عن أبى سعيد الخدرى وزيد بن أرقم رضي الله عنهما قالوا : قال رسول الله ﷺ : «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتى أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض ؛ فانظروا كيف تخلفوني فيهما» قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب - انظر سنن الترمذى (كتاب المناقب) (باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ) - (طبع بيروت) - وقد أخرج أحمد نفس الحديث من رواية أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه - انظر مسند أحمد (باقي مسند المكثرين) - حديث رقم (١١١٦٧) - (طبع بيروت) .

كما أخرج السيوطى ما رواه ابن أبى شيبة فى (مُسْنَدَهُ وَمُصَنَّفَهُ) وما رواه ابن جرير الطبرى فى (تفسيره) عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض» - انظر (جامع الأحاديث) : السيوطى - ٥٦/٥ - حديث رقم (١٥٦٣٩) - جمع وترتيب ومراجعة مجموعة من العلماء بإشراف : د. حسن عباس زكى - تقديم : د. عبد الحلیم محمود شيخ الأزهر - الطبعة ١ - مطبعة خطّاب - القاهرة - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .



شكْرٌ وَاَجِبٌ





وطلباً لمزيد فضل الله تعالى الذى وعد به عباده الشاكرين من حيث قوله : ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ الآية<sup>(١)</sup> وتخلقاً بأدب رسولنا الكريم ﷺ من حيث قوله : «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ» الحديث<sup>(٢)</sup> .

فإننى أرى لزماً علىّ أن أزجى جزيل شكرى ، وعظيم تقديرى ، للعالم الجليل ، والداعية الإسلامى الكبير ، أستاذى الدكتور عبد الله شحاته على ما أولانى به من الرعاية والعناية والتوجيه منذ أن كان هذا البحث فى مراحل الأولى بالأمس البعيد ، وها هو فضيلته يشرفنى اليوم بقبول مناقشتى رغم ضيق وقته ، وكثرة مشاغله ؛ فجزاه الله تعالى عنى خير الجزاء .

كما أتقدم بخالص شكرى ، وعظيم تقديرى ، لأستاذى الدكتور إبراهيم عبد الرحيم لتفضله بقبول مناقشتى ، مشيداً بما عهدته فيه من قربه ووده ، وطيب نفسه ، وكريم طبعه ، فضلاً عن دماثة خلقه ، ورحابة صدره ؛ فجزاه الله تعالى عنى خير الجزاء .

كما أتقدم بخالص شكرى ، وعظيم تقديرى ، للعالم الكبير ، أستاذى الدكتور محمد بلتاغى ، وكذا أستاذى الدكتور محمد نبيل غنايم ، وأستاذى الدكتور محمد إبراهيم شريف ، وأستاذى الدكتور رفعت فوزى عبد المطلب ، ثم المرحوم أستاذى الدكتور إسماعيل سالم ، على ما قدموه لى من العون ، وذللوه لى من الصعاب ، أثناء مراحل البحث المختلفة ؛ فجزاهم الله تعالى عنى خير الجزاء .

أما الشكر كُلى الشكر ، والتقدير جُلُّ التقدير ، فلأستاذى الجليل ، وصاحب الفضل الكبير ، أستاذى الدكتور أحمد يوسف سليمان ، الذى رعانى ووجهنى ، ثم أكرمنى وشرفنى ، بقبوله الإشراف علىّ ، وقد علم الله تعالى أنى كنت أطرق بابه ليلاً ونهاراً ؛ فلا أجد منه إلا خيراً وترحاباً ، فضلاً عن احتفائه بى ، وكرمه لى ، مع حسن قوله ، وجميل فعله ، وهذا ما يؤكد تواضعه الجَمِّ ، وخلقته الكريم ، الذى يعرفه عنه ، ويلمسه فيه ، كل مَنْ تَقَرَّبَ مِنْهُ ، أو تعامل معه .

ولو ذهبت لأعدّد مكرماته ، وأعرّف بصفاته ؛ فلن أوفيه حقه ، ولن أقدره قدره ،

(١) إبراهيم : ٧ .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه من حديث أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (كتاب البر والصلة (باب) ما جاء فى الشكر لمن أحسن إليك - (طبع بيروت) - وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح - كما أخرجه أبو داود فى سننه (كتاب) الأدب (باب) فى شكر المعروف - (طبع بيروت) - وكذا أخرجه أحمد فى مسنده (باقى مسند المكثرين) - حديث رقم (٧٨٧٩) - (طبع بيروت) .



ولكن يكفينى والحال هذه أن أدعو الله تعالى أن يطيل فى عمره ، وأن يحسن فى عمله ، وأن يجزيه عنى وعن طلاب العلم خير ما جزى به أستاذاً عن طلابه ، وعالمأً عن دينه .

كما لا يفوتنى أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى ، وعظيم امتنانى وعرفانى ، لوالدىّ الكريمين ، ولجميع أهلى وإخوانى ، وسائر أساتذتى وزملائى وطلابى ، كما أخص بالشكر والتقدير كل من قدم لى عوناً ، أو أسدى لى نصحاً ، سائلاً الله تعالى أن يجزى عنى الجميع خير الجزاء ، وأن يجعله فى ميزان حسناتهم يوم اللقاء .



إهداء



إلى أساتذتي من العلماء الأجلاء ، وأصحاب الفضل علىّ من  
الكرماء النبلاء ، الذين أضاءوا لي الطريق ، وكانوا لي على درب  
العلم خير معين و صديق .

إلى طلاب العلم المخلصين ، وباحثيه المثابرين الراضين ، الذين  
عرفوا قدره ومقداره العظيم ؛ فوصلوا نهارهم بليلهم ، ويقظتهم  
بمنامهم ، باذلين في سبيله النفس والنفيس ، والغالي والرخيص ؛  
حتى كانوا به وله .

إلى شهداء الحق في كل بقعة على ظهر هذه البسيطة في شتى  
أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ، الذين لتلبية نداء ربهم سبقونا ،  
وإلى اللحاق بهم أرادونا ؛ لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين  
كفروا السفلى .

إلى والديّ الكريمين ، ثم إلى رفقاء دربي ، وشركاء عمري ، أعنى  
زوجتي وأولادي ، الصابرين الأحباء ، المضحين الأوفياء .

### إليهم جميعاً :

أهدى هذا العمل المتواضع عرفاناً وتقديراً ، وإجلالاً وتعظيماً ،  
وما هو إلا غيض من فيض ، وقليل من كثير ، عساه يرد إليهم ،  
بعض ما لهم ، وعسانا وإياهم لرضا ربنا نحوز ، وبجنته نفوز ، إنه  
على ما يشاء قدير ، وبإجابة الدعاء جدير .





# المقدمة



المحمود هو الله جل جلاله ، والمُصَلَّى عليه هو محمد وآله ، إنَّ ما قَلَّ وكفى خيراً مما كثر وألهى ، و ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الآية (١) ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ الآية (٢) ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ الآية (٣) ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الآية (٤) .

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خَلَقَ الإنسانَ علَّمه البيان (٥) وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، وصفيّه من خلقه وحبّيه ، آخرُ مَنْ تلقى هَدَى السَّماءِ إلى الأرض ، ولسانُ الصدق الذي بلغ عن الحق مراده إلى الخلق ؛ فكان تاج النبيين وإمامهم ، وسيد المرسلين وخاتمهم ، أرسلوا إلى أقوامهم خاصة ، وأرسله ربه إلى الناس عامة ، قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ الآية (٦) .

أيده ربه بالمعجزة الكبرى ، وأسبغ عليه النعمة العظمى ، فأوحى إليه قرآنه العظيم ، وأودع قلبه ذكره الحكيم ؛ فكان أول شارح ومفسّر ، وأعظم مبين ومعلّم ، قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية (٧) وقال رسوله ﷺ : «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» الحديث (٨) أي سنّته المطهّرة ، مفسّرة القرآن وشارحته ، ومبيّنة مراده وموضّحته .

لم تلبث الجنّة أن انتهت إلى هذا القرآن حتى آمنت به وصدّقت به ، واهتدت بهديّه واتبعته ، قال تعالى : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ الآيتان (٩) .

كما لم يلبث أئمة الكفر أن استمعوه حتى اعترفوا به رغم إنكارهم ، وحكموا بصدقه رغم تكذيبهم ؛ فأقروا وهم لا يقصدون ، وشهدوا وهم لا يشعرون ، وها هو الوليد بن المغيرة يصف هذا القرآن العظيم قائلاً : (إنّ له لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر

(١) الأنعام : ١٣٤ .

(٢) البقرة : ٣٢ .

(٣) يوسف : ٧٦ .

(٤) الإسراء : ٨٥ .

(٥) هذا اقتباس من قوله الله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن : ١ - ٤ (أربع آيات) .

(٦) النحل : ٤٤ .

(٧) سبأ : ٢٨ .

(٨) الجن : ١ - ٢ (آيتان) .

(٩) سبق تخريج الحديث ص ٥ من هذا البحث .



أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يُعلَى ، وإنه ليحطم ما تحته<sup>(١)</sup> .

ومن ثم ؛ فقد تحدى به الحقُّ جميعَ الخلقِ ، إنسهم وجنهم ، كبيرهم وصغيرهم ، شاعرهم وفصيحهم ، قال تعالى : ﴿قُلْ لئن اجتمعتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ الآية<sup>(٢)</sup> بل وأقل من ذلك حينما يتحداهم بقوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاَدْعُوا مِنِ اسْتِطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> وأخيراً ومبالغة أيضاً بما هو أقل من ذلك حينما يتحداهم بقوله تعالى : ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَاَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> .

وهو الأمر الذي تحقق به عجزهم وافتقارهم ، وتحدّد معه مآلهم ومصيرهم ، قال تعالى : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ الآية<sup>(٥)</sup> وذلك فضلاً عن ظهور عداوتهم وأحقادهم ، ووضوح جحودهم

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة قَبَّحَهُ اللهُ قد جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل لعنه الله فأتاه ، فقال : يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا ، قال : لِمَ؟ قال : لِيُعْطُوكَهُ ؛ فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبَّله ، قال : قد عَلِمْتُ قريش أنى من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له ، أو أنك كاره له ، قال : وماذا أقول؟! فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منى ، ولا أعلم برجزٍ ولا بقصيدة منى ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذى يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يُعلَى ، وإنه ليحطم ما تحته ! قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقسول فيه ، قال : فدعني حتى أفكر ؛ فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر ، يآثره من غيره ؛ فنزل قول الله تعالى : ﴿ذُرِّيٌّ وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ المدثر : ١١ .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخارى ولم يخرجاه - انظر المستدرک على الصحيحين : لمحمد بن عبد المعروف بالحاكم النيسابورى - ٥٥٠ / ٢ - تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م .

وقد أورد هذا الخبر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ت (٣١٠ هـ - ٩٢٣ م) فى تفسيره (جامع البيان عن تأويل القرآن) : ١٢٧ / ٢٩ - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

كما أورده أيضاً أبو عبد الله القرطبى ت (٦٧١ هـ = ١٢٧٣ م) فى تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) : ٧٤ / ١٩ أحمد عبد العليم البردوني - الطبعة ٢ - دار الشعب - القاهرة - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .

(٣) هود : ١٣ .

(٢) الإسراء : ٨٨ .

(٥) البقرة : ٢٤ .

(٤) البقرة : ٢٣ .



واستكبارهم ، وهو ما أثبتته الله لهم ، وسجّله عليهم ، من حيث قوله تعالى : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الآية (١) .

ولما كان القرآن الكريم كتاب هداية وتقويم ، يقوم سلوك البشرية ، ويهديها إلى سواء السبيل ، كما ينطق بذلك قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية (٢) لذا فقد جاء شاملاً شمول الدنيا والآخرة ، تماماً تماماً ، لم يدع من شئونها صغيراً كان أو كبيراً ، إلا ذكره وأشار إليه ، أو بيّنه ودلّ عليه ، قال تعالى : ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية (٣) وقال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية (٤) وكما يصفه رسول الله ﷺ : بذلك في وصفه الجامع المانع قائلاً : «كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قيمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم» الحديث (٥) .

ودستور بهذا الخلود ، وقانون بهذا الثبات ؛ لا بد وأن يكون بمنأى عن أن تنال منه يد الباطل ، وصراطاً يستحيل أن يردّ عليه أي شتات ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ الآيتان (٦) بل إن الحق سبحانه قد تكفل بحفظه إلى أن يرث الأرض ومن عليها كما يشهد بذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية (٧) .

ومن هنا كانت الأمة مأمورة بالتزامه ، ومطالبة بتطبيقه ؛ حتى تعصم من الزلل ، ولا تفرّق بها السبل ، وهو ما يوصيها به ربها في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الآية (٨) كما يحذرها من الإعراض عنه في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾ الآيات (٩) .

(١) الأنعام : ٣٣ . (٢) الإسراء : ٩ .

(٣) الأنعام : ٣٨ . (٤) النحل : ٨٩ .

(٥) وسيأتي هذا الحديث بتمامه مع شرحه وتخريجه ص من هذا البحث .

(٦) فصلت : ٤١ - ٤٢ (آيتان) . (٧) الحجر : ٩ . (٨) الأنعام : ١٥٣ .

(٩) طه : ١٢٤ - ١٢٦ (ثلاث آيات) .





غير أنه لن يتأتى للأمة هذا دون معرفتها بأوامره ونواهيه ، وعلمها بتعاليمه وتكاليفه ، وذلك من خلال شرحه وتفسيره ، على مستوى مفرداته وتراكيبه ؛ لذا كانت حاجتها إلى التفسير حاجة ماسةً متجددةً بتجدد الحياة ذاتها ، وإزاء هذا فقد انبرى كثير من العلماء الأعلام ، وقفوا حياتهم ، وأفنوا أعمارهم ، فى سبيل تفسير هذا القرآن العظيم ؛ لتتواصل بذلك جهودهم بجهود السابقين قبلهم ، ولتتصل فى ذات الوقت بجهود اللاحقين بعدهم .

وذلك على امتداد مسيرة التفسير التى تتوزع بين حقتين أساسيتين ، تبدأ أولاهما بنزول الوحي وتنتهى بنهاية الاستشهاد بأقوال التابعين فى أواخر القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) وتشمل تفسير النبى ﷺ ثم تفسير الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين .

فى حين تبدأ ثانيتهما بعصر تابعى التابعين فى أوائل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) وتستمر حتى عصرنا الحاضر ، بل وستظل إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، وقد أفرزت هذه الحقبة مختلف أنواع التفاسير التى صَنَّفَهَا أصحابها فى شتى الأعصار والامصار وفقاً لتمكنهم واقتدارهم فى هذا الفن أو ذاك ؛ الأمر الذى يمكننا معه أن نحصرها فى عشرة أنواع توزعت بين تفاسير كل من : (المحدثين - القراء - الفقهاء - المتكلمين - الفرق - المؤرخين - اللغويين - العلميين - الاجتماعيين - المثقفين) .

وعلى الرغم من تنوع هذه التفسير وكثرتها ، واختلاف مشارب أصحابها وتباينها ؛ إلا أن التفسير على امتداد مسيرته ، واختلاف مراحلها ، قد ظل مفتقراً حتى يومنا هذا إلى صياغة (نظرية عامة) تعد بمثابة (القانون العام) الذى يحكم (المنهج التفسيري) لهذا المفسر أو ذاك ؛ بما يرسم حدوده ، ويوضح معالمه .

ولأن (تحديد المنهج يحقق الهدف من التفسير) والذى يتمثل فى (إحداث عملية الفهم الشامل للنص القرآنى على مستوييه الإفرادى والتركيبى) وبما يتأدى عنه النجاة فى الدنيا ، والفوز برضا الله تعالى فى الآخرة ، وهو الهدف الأسمى ، والغاية العظمى ؛ لذا فقد استهدف هذا البحث التعريف بواحد من أعلام المفسرين فى العصر الحديث ، وبيان منهجه فى التفسير ؛ ومن ثم فقد جاء موسوماً بعنوان : (الشنقيطى ومنهجه فى التفسير ، فى كتابه : أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن) .

وفيما يلى أوجز التعريف بهذا الموضوع ، مع ذكر أهم الأسباب التى دعتنى إلى اختياره ، ثم بعض الصعوبات التى واجهتنى ، وأخيراً منهج البحث وخطته ، وذلك على النحو التالى :



## أولاً: التعريف بالموضوع :

ويشمل التعريف بالشنقيطى ، ثم التعريف بمنهجه التفسيري :

### ١- التعريف بالشنقيطى :

وهو محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى ، ولد بمسقط رأسه (شنقيط) أو ما يعرف الآن بـ (جمهورية موريتانيا الإسلامية) عام (١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م) ثم رحل إلى بلاد الحجاز فى أول خروج له من بلاده لاداء حجة الإسلام عام (١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م) .

وكان خروجه آنذاك على نية رجوعه إلى بلاده بعد فراغه من أداء مناسك الحج ، غير أن الله تعالى قدر له المقام بمدينة رسول الله ﷺ حيث اشتغل هناك بالتدريس فى كل من الحرم النبوى الشريف ، ثم بالجامعة الإسلامية منذ افتتاحها عام (١٣٨١هـ = ١٩٦١م) كما تنقل بين كل من الرياض العاصمة مدرساً بكلياتها ومعاهدها العلمية المختلفة ، وكذا مكة المكرمة حيث كان عضواً مؤسساً برابطة العالم الإسلامى ، وداعية بارزاً فى مؤتمر الحج السنوى .

وذلك فضلاً عن رحلته للدعوة فى عشرة من الأقطار الإفريقية التى انتهت ببلاده موريتانيا ، حيث كان على رأس البعثة الصيفية التى تنظمها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى إطار برنامجها السنوى الذى تُكَلِّفُ به كبار العلماء للدعوة تباعاً فى شتى أنحاء العالم انطلاقاً من قول الله تعالى : ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية (١) .

وبعد عمر حافل بالعطاء العلمى قارب ثمانية وستين عاماً هجرياً ، توزعت بين القضاء والإفتاء ببلاده ، ثم التدريس والدعوة بالحجاز ، حطَّ الشنقيطى عصا الترحال ليلقى ربه سبحانه عقب أداء مناسك حجه الأخير عام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م) وليدفن بمقبرة (المعلاة) بمنطقة (ربيع الحجون) التى تضم بين جنباتها مئوى أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ببلد الله الحرام بمكة المكرمة التى بدأ مقامه فى أرض الحجاز بها ، ثم انتهت حياته بأرض الحجاز فيها .

### ٢- التعريف بمنهجه التفسيري :

يقوم بناء منهج الشنقيطى فى التفسير على ثلاث ركائز أساسية ، تمثل كل منها سمة بارزة ، وترسم معلماً واضحاً ، من سمات هذا المنهج ومعالمه ، والتى تمثلت فى كل من :

(١) آل عمران : ١٠٤ .



## • الجمع بين المأثور والمعقول :

حيث يبدأ الشنقيطى إزاء ما يعرض له من الآيات بالتفسير بجمع ورصد كل ما ورد بشأنها من المأثور ، والذي يشمل تفسير النبي ﷺ وكذا تفسير صحابته وتابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ثم يثنى بعد ذلك بجمع ورصد كل ما ورد بشأنها من المعقول ، والذي يشمل رأى كل مَنْ سبقه من عامة المفسرين وخاصتهم ، من لدن عصر تابعى التابعين وحتى عصره الذى كان فيه .

## • التأصيل للعلوم العربية والإسلامية :

وبعد الجمع يعمد الشنقيطى إلى ذلك الرصيد المجموع من المأثور والمعقول ؛ فينعم فيه النظر ، ويجيل فيه الفكر ؛ ليؤصله فى النهاية من خلال إدراجه تحت موضوعات أحد العلوم السبعة المتمثلة فى كل من : (علوم القرآن - علوم الحديث - علم الأصول - علم الفقه - علم الكلام - علوم العربية - علم التاريخ) .

## • التحليل السائر ما يعرض له :

وبعد الجمع والتأصيل يعمد الشنقيطى إلى تحليل ما جمعه وأصله من خلال ثلاثة محاور تمثلت فى كل من : المحور الأول المتمثل فى (الانتقاد) والذي يشمل نقد الشنقيطى كلاً من : (الإسرائيليات - المفسرين - المحدثين - الأصوليين - الفقهاء - الفرق الإسلامية - اللغويين - المؤرخين) .

ثم يأتى المحور الثانى المتمثل فى (الاستنباط) والذي يلجأ إليه الشنقيطى عندما لا ينتهى من خلال الانتقاد إلى رأى راجح ؛ ومن ثم يعمد إلى ذات النص ليرفع خفاءه ، ويزيل إشكاله ، وذلك فى إطار أدلته الشرعية ، ووفق ضوابطه المعبرة .

وأما المحور الثالث والأخير والمتمثل فى (الاجتهاد) فيلجأ إليه الشنقيطى عندما يفتقد النص الذى يمكن أن يستنبط منه ؛ ومن ثم يعمد إلى قياس المسكوت عنه على المنطوق به ، ليصل من خلاله إلى نظرتة الذاتية ، ويُنْتِجُ على هَدْيِهِ رأيه الخاص ، وذلك فى إطار أدلته الشرعية ، ووفق ضوابطه المعبرة كذلك .

والناظر إلى هذه الركائز الأساسية التى يقوم عليها بناء منهج الشنقيطى فى التفسير ؛ ليتبين له مدى ما تتسم به من المنهجية والشمولية ، أما المنهجية فتبدو واضحة من خلال هذا التسلسل المنطقى ، وذلك التعاقب العلمى ، والذي يجمع بين هذه المراحل الثلاث ، والتى



تبدأ بالجمع ويعقبه التأصيل ، ثم يعقبه التحليل ، وفي هذا ما فيه من المنهجية بحيث تُسَلِّمُ كل مرحلة منها إلى ما بعدها ، وترتبط في الوقت ذاته بما قبلها .

وأما الشمولية فتبدو واضحة من خلال هذا الاستيعاب ، وتلك الإحاطة ، والتي تجمع بين المأثور والمعقول ، ثم تؤصّل لمختلف العلوم العربية والإسلامية ، وأخيراً تحلّل ذلك كله نقداً واستنباطاً واجتهاداً ، بما يمكن للشنقيطيّ معه أن يمتلك زمام المسألة التي يتناولها ، وسيطر على حدود القضية التي يعرض لها .

### ثانياً: أسباب اختيار الموضوع :

وأما عن أهم الأسباب التي دعنتني إلى اختيار هذا الموضوع فيمكن إيجازها فيما يلي :

- ١- أهمية تفسير الشنقيطي المتمثلة في شموله وموسوعيته ، وذلك نظراً لتأخره وحدثه ؛ الأمر الذي كفل له استيعاب جهود السالفين قبله ، سواء من العلماء المعتمدين المعنيين بالقرآن وتفسيره خاصة ، أو من المعنيين بسائر العلوم العربية والإسلامية عامة .
- ٢- عناية الشنقيطي بعلم الأصول إلى الحد الذي يوجّه على أساسه ما يعرض له من الآيات بالتفسير ، فضلاً عن احتكامه إليه كضابط رئيس إزاء ما يرجحه من قول ، أو يذهب إليه من رأى ؛ الأمر الذي ييشر باتجاه جديد في التفسير يعتمد في المقام الأول على علم الأصول وقواعده ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه : (الاتجاه الأصولي في التفسير) .
- ٣- الرغبة الملحة في إظهار هذا التفسير ، وبيان منهج صاحبه فيه ، بما يبرز قيمته العلمية للباحثين والدارسين خاصة ، وغيرهم من طلاب العلم عامة ؛ وذلك إتماماً للفائدة ، وتعميماً للنفع ، بهذه (الموسوعة التفسيرية الشاملة) التي ينبغي أن يستفاد بها على النحو الذي يناسب قيمتها .

### ثالثاً: الصعوبات التي واجهت الموضوع :

وأما عن أهم الصعوبات التي واجهتني حال اختياري هذا الموضوع فتتلخص فيما يلي :

- ١- ندرة المصادر التي عُنيت بالشنقيطي وتفسيره ؛ خاصة وأنه لم يكن يرضى أثناء حياته بالكتابة عن نفسه أو بكتابة غيره عنه ، سواء من أولاده وأقرانه والمقربين إليه خاصة ، أو من تلاميذه وغيرهم ممن يعرفونه عامة .
- ٢- تأخر الاستفادة بتلك المصادر النادرة التي عُنيت بالشنقيطي وتفسيره إلى ما بعد رحيله ؛ وذلك احتراماً من أصحابها لرغبته التي عرفوها عنه في حياته .





٣- عدم كفاية ما اشتملت عليه هذه المصادر النادرة من معلومات وفوائد ؛ وذلك إلى الحد الذى لا يمكن معه الاستغناء بها عن غيرها إزاء ترجمة الشنقيطى ، أو التعريف بمنهجه التفسيري .

غير أن الله تعالى قد أعاننى بفضلله وتوفيقه على تدليل هذه الصعاب من خلال ثلاث مراحل متعاقبة ، بدأتها بمطالعة تلك المصادر النادرة وما اشتملت عليه من معلومات يسيرة ، ثم تلوتها بمراسلة الشيخ عطية محمد سالم أخص تلاميذ الشنقيطى وأقربهم إليه ، وكان أن ختمتها أخيراً بملاقاته مع ولدى الشنقيطى وبعض أقاربه خاصة ، وكذا بعض تلاميذه ومعارفه عامة ، وذلك بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

#### رابعاً: منهج البحث:

وأما عن منهجى فى هذا البحث فقد سكلت إزاءه جملة الخطوات المنهجية التالية :

- ١- قسّمتُ البحثُ قسمين وخمسة أبواب وأربعة وعشرين فصلاً ، ووسمتُ كلاً منها بعنوان يدل على مضمونها ، ويناسب محتواها .
- ٢- عرضتُ لكل مسألة بالشرح والتحليل ، ثم المناقشة والترجيح ، وذلك فى إطار أدلتها الشرعية ، ووفق ضوابطها المعتمدة ؛ وصولاً بها لأصوب الآراء ، وأعدل الأقوال .
- ٣- بينتُ رأى كل مذهب فقهى من كتب أتباعه المعتمدة ؛ وذلك تحاشياً لنقله من كتب المذاهب الأخرى ، حرصاً على المنهجية ، وطلباً للموضوعية .
- ٤- قمتُ بتخريج الآيات القرآنية بترتيب مواضعها فى سورها ، كما خرّجتُ الأحاديث النبوية فى كتب السنة المختلفة ؛ وذلك توخياً لبيان درجتها والحكم عليها ، ثم لتمييز صحيحها من ضعيفها .
- ٥- شرحتُ بعض المفردات الغامضة ، وترجمتُ لبعض الأعلام الواردة ، وذلك كلما دعت الضرورة ، واقتضاه المقام .
- ٦- ذيلتُ البحثُ بخاتمة تُبين أهم النتائج التى توصلتُ إليها ، وبعض التوصيات التى يرى ضرورة تحقيقها .
- ٧- وأخيراً فقد حرصت على أن ألق بالبحث فهارسه الفنية الشاملة ، والتى بدأتُ بفهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وانتهتُ بفهرس المراجع العلمية والموضوعات التفصيلية ؛ وذلك لقناعتي التامة بأن فهرس البحث إنما يعد مفتاحاً له ، ومدخلاً إليه ،



وما أصدق ما وصفه به شيخ العربية أستاذنا أبو فهر محمود شاكر ، حينما نبّه على أهميته ، وأوصى بالبدء به ؛ فقال : (مفتاح كل كتاب فهرس جامع ؛ فاقراً الفهرس قبل كل شيء)<sup>(١)</sup> .

هذا ، وقد التزمت الموضوعية وسع طاقتي ، وسلكت كل سبيل إلى المنهجية قدر إمكانى ؛ فلم أتميز لقول شخص بعينه ، ولم أتعصب لرأى مذهب بذاته ، وذلك بقصد إصابة الحق في كل ما عرضت له ، وبهدف الوصول إلى الصواب في سائر ما ذهبت إليه .

### خامساً: خطة البحث:

وأما عن خطتي في هذا البحث فقد انتظمت قمسين وخمسة أبواب وأربعة وعشرين فصلاً ، تسبقها المقدمة والتمهيد ، وتسبقها الخاتمة والفهارس ، وجاءت موزعة على النحو التالي :

#### المقدمة :

وتتناول التعريف بالموضوع ، وأهم الأسباب الداعية إلى اختياره ، ثم الصعوبات التي واجهته ، وأخيراً منهج البحث وخطته .

#### التمهيد :

ويتناول تاريخ التفسير منذ نشأته وحتى عصر الشنقيطي ، وذلك من خلال الحديث عن شمول القرآن وتامه ، وحاجة الأمة المتجددة إلى تفسيره ، ثم بيان أنه على الرغم من تطور مراحل التفسير وتعدد أنواعه ؛ إلا أننا لا نزال نفتقر إلى منهج تفسيري واضح المعالم يمكن أن يحقق الهدف من التفسير ، ويؤتي الثمرة المرجوة منه .

#### القسم الأول : الترجمة :

ويعنى بسيرة الشنقيطي من حيث حياته الشخصية ، ومسيرته العلمية ، وينتظم البابين التاليين :

(١) انظر الغلاف الداخلي لكتاب (المتنبى) ومعه (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) : لشيخ العربية أستاذنا أبي فهر محمود محمد شاكر - الطبعة ١ - الناشر : (دار المدني بجدة) مع (مكتبة الخانجي بمصر) - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .



## الباب الأول : حياته الشخصية :

ويُنظّم ستة فصول ، تحدثت في الفصل منها عن قبيلة الشنقيطي وأسرته ، وفي الفصل الثاني عن اسمه ولقبه ، وفي الفصل الثالث عن مولده ونشأته ، وفي الفصل الرابع عن صفاته الخلقية والخلقية والعلمية ، وفي الفصل الخامس عن زواجه وأولاده ، وأخيراً في الفصل السادس عن وفاته وورثائه وحسن خاتمته .

## الباب الثاني : مسيرته العلمية :

ويُنظّم أيضاً ستة فصول ، تحدثت في الفصل الأول منها عن شيوخه من أهله ومن غير أهله ، وفي الفصل الثاني عن أقرانه ومعاصريه ، وفي الفصل الثالث عن تلامذته من أقرانه ومن الشناقطة ومن غير الشناقطة ، وفي الفصل الرابع عن نشاطه في بلاده وخارج بلاده ، وفي الفصل الخامس عن رحلاته للحج والدعوة والعلاج ، وأخيراً في الفصل السادس عن مؤلفاته الموجودة والمفقودة والمنسوبة .

## القسم الثاني : المنهج :

ويُعنى بالسمات العامة للمنهج الشنقيطي في التفسير ، وينتظم الأبواب الثلاثة التالية :

## الباب الأول : الجمع بين المأثور والمعقول :

ويُنظّم فصلين ، تحدثت في الفصل الأول منهما عن تفسير القرآن بالمأثور ، وفي الفصل الثاني عن تفسير القرآن بالمعقول ، ويمثل هذا الباب السمة الأولى من سمات منهج الشنقيطي في التفسير .

## الباب الثاني : التأصيل للعلوم العربية والإسلامية :

ويُنظّم سبعة فصول ، تحدثت في الفصل الأول منها عن علوم القرآن ، وفي الفصل الثاني عن علوم الحديث ، وفي الفصل الثالث عن علم الأصول ، وفي الفصل الرابع عن علم الفقه ، وفي الفصل الخامس عن علم الكلام ، وفي الفصل السادس عن علوم العربية ، وأخيراً في الفصل السابع عن علم التاريخ ، ويمثل هذا الباب السمة الثانية من سمات منهج الشنقيطي في التفسير .



### الباب الثالث: التحليل السائر ما يعرض له :

ويُنظَّم ثلاثة فصول ، تحدثت في الفصل الأول منها عن (الانتقاد) من حيث تعميده النظريّ عند الشنقيطيّ ، ثمّ تطبقه العمليّ عليه من خلال نقده كلا من : (الإسرائيليات ، والمفسّرين ، والمحدّثين ، والأصوليّين ، والفقهاء ، المتكلّمين ، واللغويّين ، وأخيراً المؤرّخين) .

ثمّ تحدثت في الفصل الثاني منها عن (الاستنباط) على مستوى تعميده النظريّ عند الشنقيطيّ من حيث ماهيّة وحُجّة وضرورة وشروط وضوابط ومجال ومعجم الاستنباط ، ثمّ على مستوى تطبقه العلميّ على ذلك من خلال جملة من الشواهد في مختلف فنون العلم وفروعه مما في ثنايا تفسيره المختلفة .

وأخيراً فقد تحدثت في الفصل الثالث منها عن (الاجتهاد) على مستوى تعميده النظريّ عند الشنقيطيّ من حيث ماهيّة وحُجّة وضرورة وشروط وضوابط ومجال ومعجم الاجتهاد ، ثمّ على مستوى تطبقه العمليّ على ذلك من خلال جملة من الشواهد في مختلف فنون العلم وفروع مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، ويمثّل هذا الباب السمة الثالثة والأخيرة من سمات منهج الشنقيطيّ في التفسير .

### الخاتمة :

وتأتى في نهاية البحث لتوجز ملخصه ، ولتعرّض لأهم النتائج التي توصل إليها ، ولترصد أهم التوصيات التي يرى ضرورة تحقيقها .

### الفهارس :

وتأتى بعد الخاتمة لتحتوى فهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ثمّ المراجع العلمية والموضوعات التفصيلية .

\* \* \*

### وأخيراً :

فهذا هو جهدُ المقلِّ ، وهذه هي خطوةُ المُبتدئِ ؛ فإن كنت قد أصبت فيما صنعت فبفضل الله وتوفيقه ، وإن كنت قد قصّرت فيما أتيت فحسبى أن الكمال لله الحقّ ، وأن النقص من لوازم الخلق<sup>(١)</sup> .

(١) وما أشهر ما يشير إليه العماد الأصفهاني في مقدمة ديوان رسائله الكبير قائلا : (إني رأيت أنه لا =





ولا يسعنى فى الختام إلا أن أتوجه إلى الله العلىّ القدير أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يرزقنا الإخلاص فى السرّ والعلن ، وأن يجنبنا الخطأ والزلل ، كما أضرع إليه سبحانه أن يغفر لنا ما مضى وأن يسترنا فيما بقى ، وأن يأخذ بأيدينا إليه أخذ الكرام عليه ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ الآية<sup>(١)</sup> .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين فى الأولين والآخريين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

= يكتب إنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده : لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يُستحسن ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على كافة البشر) وسيأتى ذكر ديوانه هذا ضمن ترجمته المفصلة ص ٦١ من هذا البحث .

(١) آل عمران : ٨ .



# النمى<sup>١٣</sup> الجديد



يتبلور تاريخ التفسير ، وتتضح مدى حاجة الأمة إليه ، من خلال الوقوف على مراحل المتطورة ، وذلك عبر مسيرته الممتدة من لدن بدء نزول الوحي على رسول الله ﷺ وحتى عصرنا الحاضر ، تلك المراحل التي تُسَلِّمُ كل منها إلى ما بعدها ، وتترتب كل منها على ما قبلها ؛ بحيث تبدو مترابطة موضوعياً ، ومتعاقبة تاريخياً ، فى إطار تسلسل يُبين عن ماهية هذا التطور ، ويكشف النقاب عن أهمية دوره الفاعل فى تاريخ التفسير .

فشمول القرآن وتماحه قد بعث على حاجة الأمة الماسة إلى تفسيره ؛ وهو الأمر الذى أدى بدوره إلى نشأة التفسير ، ثم كان أن تطوّر بعد ذلك عبر مراحل المختلفة من خلال تعدد التفاسير وتنوعها ، وعلى الرغم من ذلك لم تظفر الأمة بمنهج تفسيرى واضح المعالم ، بل ظلت مفتقرة إلى تحديد منهج يحقق لها الهدف من التفسير ، والذى يتمثل فى وقوفها على مراد ربها سبحانه فى كتابه الخالد ، ودستوره الدائم ، المتحقق قرآنه العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد<sup>(١)</sup> .

ولبيان هذا فإننا نعرض فيما يلى لتاريخ التفسير ومسيرته الممتدة من خلال نشأته ومراحل تطوره ومدى حاجة الأمة إليه ، وذلك من خلال المطالب الستة التالية :

## المطلب الأول

### شمول القرآن وتماحه

ليس ثمة شكٌ فى أن القرآن الكريم كتاب هداية وتقويم ؛ يقوم سلوك البشرية ، ويهديها إلى سواء السبيل ، فيبشر المؤمنين ، وينذر المخالفين ، وهذا ما ينطق به قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿الآيتان<sup>(٢)</sup> .

ومن ثم ؛ فقد جاء شاملاً شمول الدنيا والآخرة ، تماماً تماماً ، لم يدع من شئونها صغيراً كان أو كبيراً ، إلا ذكره وأشار إليه ، أو بينة ودلّ عليه ، وهو ما يشير إليه قول الله تعالى : ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

(١) هذا اقتباس من وصف الله سبحانه قرآنه العظيم فى قوله تعالى : ﴿وَأِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١﴾ لا يأتیه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴿ فصلت : ٤١ - ٤٢ (آيتان) .

(٢) الإسراء : ٩ - ١٠ (آيتان) .

(٣) الأنعام : ٣٨ .



## الْكِتَابَ تَبَيَّانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴿١﴾ الآية (١)

كما يُبَيِّنُ رسول الله ﷺ شمول القرآن وتمامه بهذا الوصف الجامع المانع الذي رواه عنه علي بن طالب رضي الله عنه حيث يقول : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ستكون فتنٌ كقطع الليل المظلم ، قلت : يا رسول الله ، وما المخرج منها؟! قال : كتاب الله تبارك وتعالى ؛ فيه نبأ من قبلكم ، وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشعب معه الآراء ، ولا يشعب منه العلماء ، ولا يملكه الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الردّ (٢) ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : (إنا سمعنا قرآناً عجيباً) (٣) من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» الحديث (٤)

(١) النحل : ٨٩ .

(٢) خَلَقَ وَخَلَقَ وَخَلَقَ وَأَخْلَقَ وَأَخْلَقَتْ : أصابه البلى ونال منه القدم ؛ فصار قديماً بالياً - انظر مادة (خَلَقَ) في كل من لسان العرب : ١٢٤٣/٢ - مختار الصحاح : ص ١٨٧ - المعجم الوسيط : ٢٦٠ / ١ .

والمراد به ( ولا يخلق على كثرة الرد ) : أى لا تذهب جدته ، ولا تقل قيمته ، بتكرار تلاوته ، وكثرة مراجعته ، على مر الأعصار ، واختلاف الأمصار ، بل وسيظل كذلك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

(٣) إشارة رلى قول الله تعالى : ﴿قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١﴾ يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ الجن : ١-٢ (آيتان) .

(٤) أخرجه الترمذى من رواية الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم عقب عليه بقوله : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال - انظر سنن الترمذى (كتاب) فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ (باب ١٤) ما جاء في فضل القرآن - ١٥٨/٥ - حديث رقم (٢٩٠٦) - تحقيق : كمال يوسف الحوت - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م .

كما أخرجه الدارمى من رواية الحارث أيضاً - انظر سنن الدارمى ت (٢٥٥ هـ = ٨٦٩ م) - (كتاب) فضائل القرآن (باب) فضل من قرأ القرآن - ٤٣٥/٢ - طبع بعناية : محمد أحمد دهمان - ونشرته : دار إحياء السنة النبوية - (بدون ذكر بلد الطبع وتاريخه) .

وقد أورد الألبانى إسناده الترمذى لهذا الحديث (عن عبد بن حميد، عن حسين بن علي الجعفي، عن حمزة الزيات ، عن أبي المختار الطائي ، عن ابن أخي الحارث الأعور ، عن الحارث الأعور) ثم حكم به (ضعف هذا الحديث بعد أن ساق حكم الترمذى السابق عليه) - انظر (ضعيف سنن الترمذى) : ص ٣٤٨ - (أبواب) فضائل القرآن (باب ١٤) ما جاء في فضل القرآن - حديث رقم (٥٥٤) فى الضعيف - ورقم (٣٠٨٢) فى السنن - ضعف أحاديثه : محمد ناصر الدين الألبانى -





وفى رواية أخرى : «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض» الحديث<sup>(١)</sup> .

## المطلب الثاني

### حاجة الأمة المتجددة إلى التفسير

لما أراد الله تعالى أن يجعل قرآنه دستور هذه الأمة الخالد ، وقانونها الثابت ؛ لذا فقد عصمه من العبث والتبديل ، وصانه عن الهوى والتحريف ، وهذا ما ينطق به قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> .

ودستور بهذا الخلود ، وقانون بهذا الثبات ؛ لا بد وأن يكون بمنأى عن أن تنال منه يد الباطل ، وصرافاً يستحيل أن يرد عليه أى شتات ، وما أصدق وصف الحق الذى يشهد لقرآنه بهذا فى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ الآيات<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> .

وأمام هذه الوصية باتباع القرآن ؛ كان التحذير أيضاً من خطر الإعراض عنه ، والذى نبه إليه الحق سبحانه فى قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾ الآيات<sup>(٥)</sup> .

إذن فالأمة مأمورة بالتزام هذا الدستور ، ومطالبة بتطبيق هذا القانون ، وأنى لها هذا دون معرفتها بأمره وتكليفه ، وعلمها بنهيه وتحذيره؟! ومن هنا ؛ كانت حاجة الأمة ماسة إلى فهم هذا القرآن العظيم ؛ لتسير على هديه فى الدنيا ، ولتنال به رضا الله تعالى فى الآخرة ؛ وإزاء هذا كان السلف رضوان الله عليهم يصرفون جلَّ اهتمامهم لتعرف مقاصد القرآن ، بل ويشهدون بالفضل لمن علم شيئاً من تفسيره .

وليس أدل على ذلك مما يورده أبو عبد الله القرطبي من أن على بن أبى طالب رضي الله عنه

= وأشرف على استخراج وطباعته والتعليق عليه وفهرسته : زهير الشاويش - الطبعة ١ - طبع المكتب الإسلامى - عمان - الأردن - ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م .

(١) سبق تخريج هذه الرواية ص ٥ من هذا البحث .

(٢) الحجر : ٩ . (٣) فصلت : ٤١ - ٤٢ (آيات) .

(٤) الأنعام : ١٥٣ . (٥) طه : ١٢٤ - ١٢٦ (ثلاث آيات) .



لما ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم ؛ عندئذ قال له رجل : جُعِلْتُ فداءك ! تصف جابراً بالعلم ، وأنت أنت ! فقال : إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۗ ﴾ الآية (١) .

وقال مجاهد : أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ أَعْلَمُهُمْ بِمَا أَنْزَلَ ، وقال الحسن : والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم فيما أنزلت وما يعنى بها ، وقال الشعبي : رحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية ، ف قيل له : إن الذي يفسرها رحل إلى الشام ؛ فتجهز ورحل إلى الشام حتى عَلمَ تفسيرها .

وقال عكرمة في قوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الآية (٢) طلبت اسم هذا الرجل أربع عشرة سنة حتى وجدته ، وقال ابن عبد البر : هو ضمرة بن حبيب .

وقال ابن عباس : مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ ما يمنعني إلا مهابته ، فسألته ؛ فقال : هي حفصة وعائشة .

وقال إياس بن معاوية : مَثَلُ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ تَفْسِيرَهُ ، كَمَثَلِ قَوْمٍ جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ مَلِكِهِمْ لَيْلًا وَلَيْسَ عَنْدهُمْ مَصْبَاحٌ ؛ فَتَدَاخَلْتَهُمْ رَوْعَةٌ وَلَا يَدْرُونَ مَا فِي الْكِتَابِ ، وَمَثَلُ الَّذِي يَعْرِفُ التَّفْسِيرَ كَمَثَلِ رَجُلٍ جَاءَهُمْ بِمَصْبَاحٍ فَقَرَأُوا مَا فِي الْكِتَابِ (٣) .

ولئن كان السلف قد وجهوا اهتمامهم إلى التفسير ، وأدركوا مدى حاجتهم إليه ، فإن هذا قد سار أيضاً واستمر فيمن بعدهم ، بل وسيظل متواصلاً مطرداً كذلك على تعاقب الأجيال ، وتتابع الدهور ؛ ومن هنا كانت حاجة الأمة إلى التفسير حاجة ماسة متجددة بتجدد حياتها ذاتها ، والتي سداها ولحمتها كتاب ربها الذي فيه نبأ ما قبلها ، وحكم ما بينها ، وخبر ما بعدها .

وإذن فلن تقف هذه الأمة على ما ضيها بما ينير حاضرها ويستشرف مستقبلها ؛ إلا من خلال فهمها لقرآنها وتعاليمه ، والتزامها أحكامه وتكاليفه ، والتي تحمل لنا الحياة كل يوم بفصولها المتجددة ما يؤكد جدّة القرآن ويؤيد حدّثته التي تتفق وجدّة وحدائثه هذا الكون من

(١) القصص : ٨٥ .

(٢) النساء : ١٠٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبيّ ت (٦٧١هـ = ١٢٧٣م) - ٢٦/١ (من المقدمة) - الطبعة ٣ - إصدار وزارة الثقافة - الجمهورية العربية المتحدة - سلسلة (المكتبة العربية - التراث) - طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - نشر دار الكاتب العربى - القاهرة - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .



لأن خلق الله تعالى له وإلى أن تقوم الساعة ، وما أحسن وصف السيوطي للتفسير حينما توجه بفكره الناضج إلى تصنيف العلوم فقال : النحو علم نضج واحترق ، والفقه علم نضج ولم يحترق ، وأما التفسير فعلم لا نضج ولا احترق<sup>(١)</sup> .

فالقرآن العظيم رغم عمومته وشموله ، وتماهه وكماله ؛ إلا أنه سيظل دوماً غزواً ثرياً ، معطاء سخياً ، وتبعاً لهذا فسيظل تفسيره متصفاً بذلك أيضاً إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ؛ لأنه بتجدد الحياة ؛ يتجدد التفسير ، ويتجدد التفسير تتجدد حاجة الأمة إليه ، وفي هذا برهان صدقه ، ودليل إعجازه ، والذي ينطق به قول الله تعالى : ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَو لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> بل وأبعد من ذلك حينما يعجز إدراكنا المحدود ، عن كنهه وحقيقته ما يحمله لنا الغيب المطلق ، والذي يقرره الحق سبحانه في قوله تعالى : ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> .

### المطلب الثالث

#### نشأة التفسير ومراحل تطوره

مرَّ تفسير القرآن الكريم على امتداد تاريخه الطويل بمراحل عدة ، وأطوار مختلفة ، منذ بدأت عناية المسلمين به من لدن نزول الوحي على رسول الله ﷺ وحتى عصرنا الحاضر ، وستظل عناية الأمة قائمة به ، ومتجهة إليه ، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ؛ لأن دوام العناية به هو من دوام حفظ الله له ، وهذا ما تكفل به سبحانه في قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> وتتنازع تلك الرحلة الطويلة التي قطعها التفسير منذ بدء الوحي وحتى يومنا هذا حقتان أساسيتان يمكننا تسميتهما فيما يلي :

#### ● الحقبة الأولى : منذ بدء الوحي وحتى نهاية عصر التابعين :

وتشمل تفسير النسبي ﷺ أول مفسرٍ للقرآن الكريم ومبينٍ له ، ثم تفسير صحابته من بعده ، وأخيراً تفسير التابعين من بعدهم رضوان الله عليهم أجمعين وذلك حتى نهاية عصرهم الذي ينتهي بآخر تابعي يمكن الاستشهاد به والرجوع إليه حتى نهاية القرن الثاني

(١) المظهر في علوم اللغة وأنواعها : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - ٣٢٥/٢ - شرحه وضبطه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه : (محمد أحمد جاد المولى بك - على محمد البجاوي - محمد أبي الفضل إبراهيم) - الطبعة ٣ - دار التراث - القاهرة - ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م .

(٤) الحجر : ٩ .

(٣) النحل : ٨ .

(٢) فصلت : ٥٣ .



الهجرى تقريباً (١) .

● الحقبة الثانية : منذ بدء عصر تابعى التابعين وحتى عصرنا الحاضر :

وتشمل مختلف التفاسير التى وضعها العلماء فى بداية عصر تابعى التابعين فى ختام القرن الثانى الهجرى وبداية القرن الثالث الهجرى ، ثم مروراً بمختلف أعصار الأمة وأمصارها على امتداد تاريخها الذى يحفل بأحداثه وأحاديثه ، ويزخر بمواقفه وطرائفه ، ويمتد حتى يومنا هذا ، بل ويستمر إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

● آراء العلماء فى مراحل التفسير وأطواره المختلفة :

ذهب كثير من علمائنا سواء من القدامى أو المحدثين إلى تقسيمات أخرى بشأن المراحل التى قطعها التفسير ، والأطوار التى مرَّ بها ، على امتداد تاريخه الطويل من لدن نزول الوحي وحتى عصرنا الحاضر ، وفى حين نرى بعض هذه التقسيمات تصدر عن رؤية خاصة بأصحابها أحياناً ، إلا أننا نرى بعضها الآخر يصدر عن محاكاة آراء السابقين والأخذ بها أحياناً أخرى ، وهذا ما نعرض له فيما يلي :

١- من العلماء القدامى :

ونمثل لهم باثنين من أبرزهم مكانة ، وأكثرهم شهرة ، ممن كانت لهم عناية بتفسير القرآن والتأريخ له ، ألا وهما :

- (١) وعلى وجه التحديد فإن عصر الاستشهاد بالتابعين والرجوع إليهم ينتهى بآخرهم موتاً وهو (خلف بن خليفة) الذى توفى عام (١٨٠ هـ = ٧٩٧م) وقيل : عام (١٨١ هـ = ٧٩٨م) . فى حين كان أولهم موتاً هو (أبو زيد معمر بن زيد) الذى قتل بـ (خراسان) وقيل : بـ (أذربيجان) عام (٣٠ هـ = ٦٥١م) - راجع فى ذلك كلاً من :
- تبسيط علوم الحديث وأدب الرواية : الشيخ محمد نجيب المطيعى - ص ١٩٧ - مطبعة حسان - القاهرة - ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .
  - مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح : دة . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) - ص ٥١٩ - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٦٤) - دار المعارف - القاهرة - ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .
  - الوسيط فى علوم ومصطلح الحديث : د. محمد محمد أبى شهبه - ص ٥٤٨ - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م .





• شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت (٧٢٨هـ = ١٣٢٨م) :

حيث يمر التفسير عنده بأربعة مراحل هي : تفسير النبي ﷺ ثم تفسير الصحابة من بعده ، ويليه تفسير التابعين وتابعيهم ، وأخيراً تفسير مَنْ جاءوا بعد ذلك<sup>(١)</sup> .

• الحافظ جلال الدين السيوطي ت (٩١١هـ = ١٥٠٥م) :

ويمر التفسير عنده بأربعة مراحل مغايرة قليلاً عما ذهب إليه ابن تيمية حيث تتمثل في : تفسير النبي ﷺ ثم تفسير الصحابة ، ويليه تفسير التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وأخيراً تفسير مَنْ جاءوا بعد ذلك<sup>(٢)</sup> .

## ٢- من العلماء المُحدِّثين :

ونمثل لهم باثنين من أهل الأختصاص من علمائنا المعاصرين المعنيين بمجال التفسير والتأريخ له ، ألا وهما :

• الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي ت (١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م) :

حيث يرى أن التفسير قد مرَّ بثلاث مراحل تتمثل في : تفسير النبي ﷺ و صحابته ، ثم تفسير التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وأخيراً تفسير مَنْ جاءوا بعدهم حتى يومنا هذا<sup>(٣)</sup> .

(١) مقدمة في أصول التفسير : لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية - ص (٤٢ - ٥٠) - تحقيق : محب الدين الخطيب - الطبعة ٢ - عنيت بنشره : المطبعة السلفية ومكبتها - القاهرة - ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م .

وانظر هذه المقدمة أيضاً بتحقيق كل من :

• د. عدنان زرور : (دار القرآن الكريم بالكويت) مع (مؤسسة الرسالة بيروت لبنان) - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

• أبي حذيفة إبراهيم بن محمد : (مع عرض موجز لاتجاهات أشهر التفاسير) - الطبعة ١ - دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر - ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

(٢) الإتيان في علوم القرآن : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - (٢/٢٩٧ - ٣٢٤) على مدار سبع وعشرين صفحة كاملة - تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م .

(٣) راجع في ذلك للدكتور الذهبي كلاً من :

• الإسرائيليات في التفسير والحديث : ص ٢٠ - نشر : مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة - ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م .

• التفسير والمفسرون : ٣٣/١ - ملتزم الطبع والنشر : دار الكتب الحديثة - القاهرة - ١٣٨١هـ = ١٩٦١م .

• علم التفسير : ص ١٣ - سلسلة (كتابك) - الكتاب رقم (٩) - دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .



● أستاذنا الدكتور عبد الله شحاته :

ويذهب إلى حصر المراحل التي مرَّ بها التفسير في خمسة أدوار ذكرها على النحو التالي :

- ١- دور النشأة : ويمتد من البعثة المحمدية إلى سنة (١٠٠هـ = ٧١٩م) .
- ٢- دور النضج : ويمتد من سنة (١٠٠هـ = ٧١٩م) إلى سنة (٣٥٠هـ = ٩٦١م) .
- ٣- دور بداية التقليد : ويمتد من سنة (٣٥٠هـ = ٩٦١م) إلى سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ = ١٢٥٨م) .
- ٤- دور التقليد المطلق والجمود : ويمتد من سنة (٦٥٦هـ = ١٢٥٨م) إلى ظهور المجلة العدلية سنة (١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م) .
- ٥- دور اليقظة والنهضة : ويمتد من سنة (١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م) حتى الوقت الحاضر<sup>(١)</sup> .

● رأي البحث :

والحق أننا نذهب مذهباً آخر إزاء تلك التقسيمات التي ذهبت إليها قدامى علمائنا ، فضلاً عن مُحدثيهم ، بشأن ما ذكره من المراحل والأدوار التي قطعها التفسير عبر مسيرته الطويلة ، والتي امتدت من لدن عصر التنزيل وحتى يومنا هذا .

حيث نرى أن مسيرة التفسير تتنازعها حقبتان زمنيّتان أساسيتان ، تكاد تتحدد مصادر كل حقبة منهما ، وتتصل روافدها ؛ لتنهل من معين واحد ، ولتسيل بعد ذلك في جداول تكاد تكون متشابهة ، من حيث طبيعة مسالكها ودروبها ، وحقيقة مآلها ومصيرها .

ويتضح ذلك من خلال فهمنا لواقعية الحقبة الأولى من هاتين الحقبتين وموضوعيتها ، والتي تمتد من لدن تفسير النبي ﷺ وتنتهي بتفسير تابعي التابعين أواخر القرن الثاني الهجري ؛ فتابعوا التابعين اعتمدوا في تفاسيرهم على نقل المأثور عن التابعين ، والتابعون اعتمدوا بدورهم على المأثور عن الصحابة ، والصحابة نهلوا ولاشك من معين رسول الله ﷺ الذي تلقى عن أمين وحي السماء جبريل عليه السلام ، والذي تلقى بدوره عن رب العزة سبحانه ، وهذا ما ينطق به قول الله تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ الآيتان<sup>(٢)</sup> .

(١) التفسير بين الماضي والحاضر : لأستاذنا الدكتور عبد الله شحاته - ص ١٨ - دار الاعتصام - القاهرة

- ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

(٢) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) .



حتى إن الدكتور الذهبي نفسه يذهب إلى ما هو أبعد من عصر تابعي التابعين حين يقرر حصر التفاسير واقتصارها على المأثور دون غيره ، فيتجاوز بهذا القرن الثالث الهجري كله ، ليستقر به المقام عند ابن جرير الطبري الذي توفي أوائل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي عام ( ٣١٠ هـ = ٩٢٣ م ) .

وفي هذا يقول الدكتور الذهبي ما نصه : انفصل التفسير عن الحديث فأصبح علماً قائماً بذاته ، ووضع التفسير لكل آية من القرآن على حسب ترتيب المصحف ، وقد تم ذلك على أيدي طائفة من العلماء منهم : ابن ماجه القزويني ت ( ٢٧٣ هـ = ٦٤٨ م ) وابن جرير الطبري ت ( ٣١٠ هـ = ٩٢٣ م ) وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله ﷺ وإلى الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وليس في واحد منها شيء من التفسير أكثر من التفسير المأثور<sup>(١)</sup> .

أما الحقبة الزمنية الثانية والتي تمتد بالتفسير من بعد عصر تابعي التابعين مع بداية القرن الثالث الهجري وحتى يومنا هذا ، فتكاد تتشابه خصائصها ، وتتقارب ملامحها ؛ لتجسد لنا في النهاية صورة حقيقة لما عليها واقع التفسير في هذه الحقبة الممتدة ، والذي يعتمد أولاً وآخرًا على موروث الحقبة الأولى ، فيعمد إلى تحليله وإعمال النظر فيه ؛ بهدف توجيهه أو ترجيح بعضه على بعض ، مع ما يكون من زيادة عليه من فنون العلم ، وفروعه المختلفة ، حسبما تدعو إليه الحاجة ، وتقتضيه الضرورة ، وما فعل الطبري وغيره من العلماء حتى اليوم عنا ببعيد !

ولئن كان قدامى علمائنا ومحدثوهم قد لجأوا إلى تقسيم مسيرة التفسير (تقسيمًا تاريخيًا) إلى مراحل المذكورة ، وأدواره السابقة ، حيث أجملوا بعضها أحياناً ، وفصلوا بعضها أحياناً أخرى ، إلا أننا نرى أن تقسيمها (تقسيمًا موضوعيًا) إلى الحقبتين المذكورتين ، يرقى لأن يشكل أساساً جوهرياً ، ويرسم ملامحاً واضحة ؛ يمكننا بناءً عليه أن نفرق بين هذه المرحلة أو تلك ، ونميز بين هذا الطور أو ذاك ، وهو ما لا ينهض به تقسيمها التاريخي المشار إليه<sup>(٢)</sup> .

(١) علم التفسير : د. محمد حسين الذهبي ص ٣٦ .

(٢) ومما يؤكد هذا التداخل الحادث بين مراحل التفسير وأطواره المختلفة التي ذهب إليها كثير من العلماء المعنيين بمجال التفسير والتأريخ له ؛ فإننا نكتفي بذكر الشاهد التالي :

فعلى الرغم من أن الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله قد أكثر من ذكر مصادر التفسير في كل مرحلة من مراحل التي ذهب إليها ، ثم أشار إلى أشهر مفسريها ، وكذا قيمة التفسير ومميزاته أثناءها ، إلا أن ما ينطبق على هذه المرحلة أو تلك يتكرر بذاته في غيرها ، إلا من بعض الاختلاف =



وبهذا يتأكد لنا ما ذهبنا إليه بصدد كل من الحقتين الزميتين الأساسيتين اللتين نرى  
أنهما تتنازعان مسيرة التفسير من لدن عصر التنزيل ، مروراً بعصرنا الراهن ، بل واستمراراً  
إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

### المطلب الرابع

#### تعدد التفاسير وتنوعها

اتسع مجال التفسير ، وانداحت دائرته ؛ ليستوعب شتى أنواع التفاسير على تعددها ،  
وليشمل مختلف طوائف المفسرين على تنوعها ، إلى الحد الذي عمد فيه كل مفسر إلى الفن  
الذي يمتلك زمامه ، أو المذهب الذي يعتقد صحته ، فيضعه نصب عينيه ، ويجعله غالباً في  
تفسيره ، ومهيماً عليه ؛ وبناءً على ذلك فقد أفرز هذا الاتساع في مجال التفسير العديد من  
التفسير التي جاءت تبعاً لتمكن أصحابها واقتدارهم في هذا الفن أو ذاك ؛ الأمر الذي يمكننا  
معه إيجاز تلك الأنواع فيما يلي :

#### ١ - تفاسير المحدثين :

ويقتصرون فيها على رواية الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ والخاصة بتفسير آيات  
الذكر الحكيم ، ويأتى على رأس هؤلاء أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل  
البخارى ت (٢٥٦هـ = ٨٧٠م) الذي أفرد في صحيحه كتابين مستقلين للتفسير وحده  
وسَمَّهَما بعنواني : (كتاب التفسير) و(كتاب فضائل القرآن)<sup>(١)</sup> .

ويشير الأستاذ أمين الخولى إلى أن هذين الكتابين يشغلان حيزاً واضحاً من (صحيح  
البخارى) تقدر نسبته بما يقرب من ثُمْنِ هذا الصحيح<sup>(٢)</sup> .

= اليسير الذي لا يرقى لأن يشكل فارقاً واضحاً يمكن على أساسه الفصل أو التمييز بين هذه المراحل  
على النحو المذكور ؛ وهذا ما يؤكد ذلك التداخل الذي أشرنا إليه .  
• راجع في ذلك (علم التفسير) : د. الذهبي ص ١٣ - ٣٩ (على مدار سبع وعشرين صفحة  
كاملة) .

(١) انظر هذين الكتابين على الترتيب في (فتح الباري بشرح صحيح البخارى) كما يلي :

• كتاب التفسير : الجزء السابع عشر كاملاً ص (١ - ٣١٠) والجزء الثامن عشر كاملاً أيضاً ص (١  
- ٤١٦) .

• كتاب فضائل القرآن : بعض من الجزء التاسع عشر ص (١ - ١٢٣) وبهذا يبلغ مجموع هذين  
الكتابين وحدهما ما يقرب من ثمانمائة وخمسين صفحة من شرح هذا الصحيح .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : ٣٤٩/٥ - مادة (تفسير) - وضع : مجموعة من المستشرقين - تعليق :  
أمين الخولى - طبع دار الشعب - القاهرة - (د.ت) .





٢- تفاسير القراء :

ويهتمون برواية القراءات الثابتة عن شيوخهم ؛ بحيث لا يدعون دقيماً ولا جليلاً يتعلق بذلك إلا أتوا به<sup>(١)</sup> ومن هؤلاء الحسن البصرى ت (١١٠هـ = ٧٢٩م) صاحب إحدى القراءات الأربع الشاذة<sup>(٢)</sup> .

٣- تفاسير الفقهاء :

وفيها يصرفون عنايتهم إلى إيراد الأحكام الفقهية ، مع الترجيح بين الآراء ، فضلاً عن مقارنة المذاهب ، والرد على مخالفاتهم ، ومن هؤلاء أبو بكر الجصاص الحنفى ت (٣٧٠هـ = ٩٨١م) ثم عماد الدين الطبرى المعروف بـ (إلكيا الهراس) الشافعى ت (٥٠٤هـ = ١١١١م) وأخيراً المالكيان : القاضى أبو بكر بن العربى ت (٥٤٣هـ = ١١٤٩م) وأبو عبد الله القرطبى ت (٦٧١هـ = ١٢٧٣م)<sup>(٣)</sup> .

٤- تفاسير المتكلمين :

وهم الذين يعمدون إلى تناول الآيات المتعلقة بأسماء الله وصفاته ، فضلاً عن إقحام أقوال الحكماء ، وإيراد شبه الفلاسفة ؛ بهدف تفنيدها والرد عليها من خلال التفسير ، ومن هؤلاء فخر الدين الرازى ت (٦٠٦هـ = ١٢١٠م)<sup>(٤)</sup> .

(١) الفوز الكبير فى أصول التفسير : ولى الله الدهلوى ص ١٧ - (بتصرف يسير) - عربيه عن الفارسية : سلمان الحسينى الندوى - الطبعة ٢ - دار الصحوة - القاهرة - ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

(٢) ستانى ترجمة الحسن البصرى مفصلة ضمن تراجم القراء الأربعة عشر ص من هذا البحث .

(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

- أحكام القرآن : الجصاص - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د. ت) .
- أحكام القرآن : إلكيا الهراس - تحقيق : (موسى محمد على - د. عزت عطية) - دار الكتب الحديثة - القاهرة - (د. ت) .
- أحكام القرآن : ابن العربى - تحقيق : على محمد البجاوى - دارالمعرفة - بيروت - لبنان - (د. ت) .

- الجامع لأحكام القرآن : القرطبى - الطبعة ٣ - إصدار وزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة - الطبعة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - سلسلة (المكتبة العربية - التراث) - نشر دار الكاتب العربى - القاهرة - ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م .

(٤) راجع فى ذلك تفسيره المسمى بـ (التفسير الكبير) والمشهور بـ (مفاتيح الغيب) : لفخر الدين بن عمر ابن الحسين القرشى البكرى الطبرستانى - الطبعة ٢ - نشر : دار الكتب العلمية - طهران - إيران - (د. ت) .



## ٥- تفاسير الفرق :

ومن خلالها يحرص أتباع هذه الفرق على ترويج مبادئهم ، ونشر آرائهم ؛ بهدف زيادة مؤيديهم ، وتكثير سواد أنصارهم ، وتتعدد هذه الفرق ؛ كما تتنوع وفقاً لها تفاسير أتباعها ، وفيما يلي ذكر مفسري بعض هذه الفرق ، مع ذكر ما لهم من تفاسير ، على اختلاف أعصارهم ، وتباين أمصارهم :

### • الصوفية :

ومنهم سهل التستري ت (٢٨٣هـ = ٨٩٦م) وأبو عبد الرحمن السلمى ت (٤١٢هـ = ١٠٢٢م) وأبو محمد الشيرازي ت (٦٠٦هـ = ١٢١٠م) ومحي الدين بن عربي ت (٦٣٨هـ = ١٢٤١م)<sup>(١)</sup> .

### • المعتزلة :

ومنهم القاضي عبد الجبار ت (٤١٥هـ = ١٠٢٤م) وجار الله الزمخشري ت (٥٣٨هـ = ١١٤٤م)<sup>(٢)</sup> .

### • الشيعة :

وتشمل عدة طوائف نكتفي بالإشارة إلى تفاسير أهم طائفتين منها ، ألا وهما :

(١) راجع في ذلك كلاً من :

- تفسير القرآن العظيم : لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري - (بدون بيانات) .
- حقائق التفسير : لأبي عبد الرحمن السلمى - (بدون بيانات) .
- عرائس البيان في حقائق القرآن : لأبي محمد الشيرازي - (بدون بيانات) .
- الفتوحات المكية : لمحيي الدين بن عربي - تحقيق وتقديم : د. عثمان يحيى - تصدير ومراجعة : د. إبراهيم مدكور - إصدار : (المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الإجتماعية بمصر) بالتعاون مع (معهد الدراسات العليا في السوربون بفرنسا) - طبع الهيئة المصرية العامة لكتاب - القاهرة - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

(٢) راجع في ذلك كلاً من :

- تنزيه القرآن عن المطاعن : إمام قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد - على نفقة : محمد سعيد الراجعي صاحب المكتبة الأزهرية - طبع المطبعة الجمالية - القاهرة - ١٣٢٩هـ = ١٩١١م .
- الكشف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل ، في وجوه التأويل : لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - وبهامشه (حاشية السيد شريف الجرحاني ، وكتاب الإنصاف لابن المنير المالكي ، وكتاب تنزيل الآيات لمحب الدين أفندي ، وبأعلاه النص القرآني برسم وضبط الدوري) - طبع مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - (د.ت) .



أ - الإمامية الاثنا عشرية :

ومنهم أبو علي الطبرسي ت (٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م) ومُلاً محسن الكاشي ت (أواخر القرن الحادي عشري الهجري السابع عشر الميلادي)<sup>(١)</sup> .

ب - الزيدية :

ومنهم عطية بن محمد النجراني ت (٦٦٥ هـ = ١٢٦٧ م) ومحمد بن علي الشوكاني ت (١٢٥٠ هـ = ١٨٣٤ م)<sup>(٢)</sup> .

• الخوارج :

ويشملون عدة طوائف نكتفي بالإشارة إلى تفاسير أهم طائفة منها ، ألا وهي :

الإباضية :

ومنهم هود بن محكم الهواري من علماء القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، ومحمد بن يوسف إطفيش ت (١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م)<sup>(٣)</sup> .

(١) راجع في ذلك كلاً من :

- مجمع البيان في تفسير القرآن : لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي - طبع مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م .
- تفسير الكاشي : لملا محسن الكاشي - (بدون بيانات) .

(٢) فيما يتعلق بالنجراني راجع :

- الفهرست : ابن النديم ص ٢٣ - المطبعة الرحمانية - القاهرة - ١٣٤٨ هـ = ١٩٢٩ م .
- ويشير ابن النديم إلى هذا التفسير بقوله : (وقد قيل عنه : إنه تفسير جليل ، جمع فيه صاحبه علوم الزيدية) ويعقب الدكتور الذهبي على ذلك بقوله : (لم أقف عليه) - انظر (علم التفسير) : ص ٦٨ .
- وفيما يتعلق بالشوكاني راجع :

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني - الطبعة ٢ - طبع مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م .

(٣) فيما يتعلق بالهواري راجع :

- علم التفسير : د. الذهبي ص ٦٩ - حيث ذكر ما نصه : (وهذا التفسير متداول بين الإباضية في المغرب ، وقد اطلعت على بعض أجزائه الأربعة لدى الشيخ إبراهيم إطفيش رحمه الله) .
- وفيما يتعلق بمحمد إطفيش راجع :

- هميان الزاد إلى دار المعاد : محمد بن يوسف إطفيش - (بدون بيانات) - (الهميان) : كيس يوضع فيه المال ، ويشده صاحبه على وسطه بحزام محكم أو نحوه ، وهو مُعَرَّبٌ ، وجمعه (هميان وهميان) - انظر مادة (همي) في كل من مختار الصحاح : ص ٦٩٩ - المعجم الوسيط :



## ٦- تفاسير المؤرخين :

وفيها يصرف أصحابها همتهم إلى إيراد القصص ، وذكر أخبار مَنْ سلف ، بقطع النظر عن صحة ذلك ، أو عدم صحته ، ومن هؤلاء أبو إسحاق الثعلبي ت (٤٢٧ هـ = ١٠٣٦ م) وعلاء الدين الخازن ت (٧٢٥ هـ = ١٣٢٥ م)<sup>(١)</sup> .

## ٧- تفاسير اللغويين :

وهم الذين يشتغلون ببيان لغة القرآن وإعرابه ، فضلاً عن كشف لطائفة البيانية ، واستخراج نكاته البلاغية ، أما النحاة : فنذكر منهم كلاً من أبي الحسن الواحدى ت (٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م) وأبي حيان الأندلسى ت (٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م)<sup>(٢)</sup> وأما البيانىون فرائدتهم الدكتورة عائشة عبد الرحمن المعروفة بـ (بنت الشاطيء) ت (١٤٢٠ هـ =

(١) فيما يتعلق بالثعلبي راجع :

• الكشف والبيان فى تفسير القرآن : الثعلبي - مخطوط فى أربعة مجلدات تحت رقم (١٣٦) / (٢٠٥٦) - مكتبة مخطوطات الجامع الأزهر بالقاهرة - كما توجد نسخ متفرقة منه فى كل من : دار الكتب المصرية تحت رقم (٧٩٧ تفسير) - ومعهد إحياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة (مصورة على مخطوطة الأزهر) .

وفىما يتعلق بالخازن راجع :

• لباب التأويل فى معانى التنزيل : لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الشهير بالخازن - وبهامشه (تفسير معالم التنزيل) : لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى ت (٥١٦ هـ = ١١٢٢ م) - الطبعة ٢ - طبع مصطفى البابى الحلبي - القاهرة - ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م .

(٢) فيما يتعلق بالواحدى راجع كلاً من :

• البسيط فى تفسير القرآن الكريم : الواحدى - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣ تفسير) - وفهرس الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية - الجزء الأول (التفسير) - ص ١٣ - المخطوط رقم (٢٨٢) .

• الوسيط فى تفسير القرآن الكريم : الواحدى - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت أرقام (١٣١) ، (٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠ ، ٦٣٥) - (التفسير) - كما هو مبين بفهرس المخطوطات .

• الوجيز فى تفسير القرآن العزيز : الواحدى - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت أرقام (٢٥٢) ، (٢٥٣ ، ٢٥٤) - (التفسير) .

وقد أشار الدكتور جودة المهدي إلى أن (الوجيز) هو التفسير الوحيد المطبوع للواحدى ، حيث طبع على هامش (التفسير المنير لمعالم التنزيل) بمطبعة عيسى البابى الحلبي بالقاهرة عام (١٣٠٥ هـ = ١٨٨٧ م) - كما تتبع الدكتور المهدي تفاسير الواحدى الثلاثة (البسيط - الوسيط - الوجيز) فحَصَرَ نسخها وعَرَفَ بها من خلال بحثه الموسوم بعنوان :

• الواحدى ومنهجه فى التفسير : د. جودة محمد محمد المهدي ص (٨٦ - ٩٣) - الطبعة ١ - لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - وزارة الأوقاف - جمهورية مصر العربية - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .





١٩٩٩م<sup>(١)</sup> .

## ٨- تفاسير العلماء :

وفيها يعمد أصحابها إلى تفسير آيات القرآن بناءً على معطيات النظريات الحديثة ، ووفقاً للبحوث العلمية الجديدة ، وقد يُحمَلون بعض الآيات ما لا تحتمل ، ويلزمونها ما لا يلزم ، ويأتى على رأس هؤلاء الشيخ طنطاوى جوهرى ت (١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م)<sup>(٢)</sup> .

## ٩- تفاسير الاجتماعيين :

وهم الذين يوجهون عنايتهم إلى إصلاح المجتمع ، ويجندون طاقتهم لمعالجة أدوائه ، من خلال توثيق صلة الناس بدينهم ؛ بما يقوم حاضريهم ، ويستشرف مستقبلهم ، فضلاً

= وفيما يتعلق بأبى حيان راجع كلاً من :

• البحر المحيط : لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى الغرناطى - وبهامشه (تفسير النهر الماد من البحر لأبى حيان نفسه ، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذه تاج الدين الحنفى النحوى ت ٧٤٩هـ = ١٣٤٨م) - الطبعة ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم : دة . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) - طبع القاهرة - (بدون بيانات) .

(٢) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم : للشيخ طنطاوى جوهرى - طبع مصطفى البابى الحلبي - القاهرة - (١٣٥١هـ = ١٩٣٢م) - ومن الجدير بالذكر أن الشيخ طنطاوى جوهرى قد ابتداءً هذا التفسير العلمى منذ كان مدرساً بمدرسة (دار العلوم) حيث كان الأمل معقوداً عليه ليعتد الأمة على درس مختلف العلوم ، وشتى الفنون ؛ بالقدر الذى يجعل من أبنائها من يفوقون الفرنجة فى الطب والهندسة والفلك والزراعة والصناعة وغيرها ، بل ويرى أن الاشتغال بهذه العلوم أفضل من الاشتغال بعلوم الفرائض ؛ ومن ثم ينحو باللائمة على المفسرين السابقين لإهمالهم تلك العلوم على الرغم من أهميتها ، وأنه بتفسيره هذا يحو وصمة التقصير فى كتبهم .

ولعل كثرة ما وُجّه إليه من نقد توحى بأن هذا المسلك مذموم فى تفسير القرآن ، والحق ليس كذلك ؛ لأن ما عيب عليه إنما هو تكلفه البغيض ، وسوء تأويله ، أما هذا المسلك العلمى فليس مذموماً على إطلاقه ؛ لأن القرآن على الرغم من ثباته إلا أنه يلائم كل زمان ومكان ، ويساير التقدم العلمى جنباً إلى جنب ، فيجمع الماضى البعيد والحاضر القريب ، ويفسر علم اليوم بما يكشف عنه البحث فى الغد ، وفى هذا دليل قوته ، وبرهان إعجازه .

راجع فى ذلك بتصرف يسير كلاً من :

• دراسات حول القرآن : د. إسماعيل أحمد الطحان ١/ ٢٢٠ - الطبعة ١ - مكتبة الفلاح - الكويت - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

• العلم الحديث فى خدمة فهم القرآن : د. عبد الحافظ حلمى - مجلة (من ثمار الفكر) - الموسم الخامس - إصدار جامعة قطر - ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .



عن إرشادهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا ، وفوزهم في الآخرة ، ويأتى فى مقدمة هؤلاء كل من : الشيخ رشيد رضا ت (١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م) والأستاذ سيد قطب الذى استشهد عام (١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م)<sup>(١)</sup> .

#### ١٠- تفاسير المثقفين :

وهم أولئك نفر المعاصرون من غير أهل الاختصاص الذين يلجأون إلى تفسير القرآن الكريم ؛ وفقاً لمعارفهم العامة ، وتبعاً لميولهم الذاتية ، وتجدهم فى ذلك أخلاطاً شتى ، حيث يتوزعون بين أهل الطب والهندسة والفلك ، وكذا الصحافة والاقتصاد والقضاء ، فضلاً عن المعنيين منهم بالعلوم البحتة والتجريبية ، وغيرهم من ذوى القدرات العقلية الخاصة ، والمواهب النادرة المتميزة ، ممن تراودهم فكرة التفسير ، وتلح عليهم الرغبة فى ارتياده .

(١) فيما يتعلق بالشيخ رشيد رضا راجع كلاً من :

- (تفسير القرآن الحكيم) المعروف بـ (تفسير المنار) : الإمام محمد عبده مع السيد رشيد رضا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢ .
- رشيد رضا أو إخوانه أربعين سنة : لأمير البيان شكيب أرسلان - مطبعة ابن زيدون - دمشق - ١٣٥٥هـ = ١٩٣٧م .
- منهج الإمام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم : لأستاذنا الدكتور عبد الله شحاته - مطبعة جامعة القاهرة - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .
- وفيما يتعلق بالشهيد سيد قطب راجع كلاً من :
- تفسير (فى ظلال القرآن) : بقلم سيد قطب - الطبعة ٢ - طبع دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبي - القاهرة - (د. ت) .
- وكذلك الطبعة الشرعية الثالثة عشر من نفس التفسير الصادرة عن دار الشروق - القاهرة - ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م - وقد كتب على غلافها ما نصه : (الطبعة الجديدة المشروعة التى تتضمن إضافات وتنقيحات تركها المؤلف وتنشر للمرة الأولى مع المراجعة الشاملة والتصويت الدقيق) .
- سيد قطب (الشهيد الأعزل) : محمد على قطب (المؤلف) - تقديم : محمد قطب (الأخ) - مطابع المختار الإسلامى - القاهرة - (د. ت) .
- سيد قطب (صفحات مجهولة) : محمد سيد بركة - الطبعة ١ - (مطبعة المنار الجديد) مع (دار الاعتصام) - القاهرة - ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .
- أثر الواقع الثقافى فى التفاسير الحديثة للقرآن الكريم : بزوى أحمد الضاوى - رسالة ماجستير مخطوطة بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة - ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م - وقد عرض الباحث من خلال ذلك للمنهج التفسيري لكل من : (رشيد رضا - سيد قطب - محمد عزّة دروزة) مقارناً بينهم وبين غيرهم من المفسرين السابقين عليهم إزاء مناهجهم التى سلكوها فى تفاسيرهم .



ولتحقيق هذا الهدف ، وتلبية تلك الرغبة ؛ تراهم يورطون أنفسهم ويتكلفون مالا يطيقون ، ويهونُ عليهم ذلك كله في سبيل أن يدلوا بدلوهـم ، ويجربوا حظهم ؛ إلا أن هذا يُسقطُ الكثيرين منهم في دائرة الحرج والمخالفة ، وينأى بهم عن جادة الحق والصواب ، مما كان عليه سلف هذه الأمة وخلفها ، ونكتفى في التمثيل لهم بأشهرهم من المعاصرين لنا وهو الدكتور مصطفى محمود في كتابه المسمى (القرآن : محاولة لفهم عصري)<sup>(١)</sup> .

### المطلب الخامس

#### الافتقار إلى منهج تفسيري واضح المعالم

رأينا كيف أن هذه التفاسير قد بلغت عشرة أنواع ، كما رأينا كيف اعتمد أصحاب كل نوع منها على ما برعوا فيه من فن ، أو استمسكوا به من مذهب ؛ ومن ثم جاء كل تفسير منها مقصوراً على هذا الفن ، أو محصوراً في ذاك المذهب ، وعلى الرغم من تنوع هذه التفاسير وكثرتها ، واختلاف مشارب أصحابها وتباينها ؛ إلا (أننا لم نظفر بقانون نظري محدد ، أو منهج نظري واضح المعالم ، قد واكب هذه التفاسير وعاصر نشأتها ، بل إن المحاولات الأولى لصياغة بعض المناهج النظرية لم تظهر إلا متأخرة جداً ، وإن كانت قد طبقت في بعض الأعمال التفسيرية على نحو أو آخر)<sup>(٢)</sup> .

ومن هنا افتقر التفسير على امتداد مسيرته ، واختلاف مراحلها ، حتى يومنا هذا إلى

(١) راجع في ذلك كلاً من :

- القرآن (محاولة لفهم عصري) : د. مصطفى محمود - الطبعة ٧ - دار المعارف - القاهرة - (د. ت) .
- مصطفى محمود (حياتي وفكري - آرائي ومواقفي) : مجموعة حوارات أجراها معه : مأمون غريب - الطبعة ١ - دار سلمى للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م .
- وجدير بالذكر أن هذا التفسير قد تعرض لنقد كثير من العلماء المعنيين ، فضلاً عن غيرهم من المهتمين بالتفسير خاصة ، والدراسات الإسلامية عامة ، ونكتفى في التمثيل لهم بكل من :
- القرآن والتفسير العصري : دة. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) - دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م .
- شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن : د. عبد المتعال الجابري - دار الاعتصام - القاهرة - ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م .

(٢) راجع في ذلك بتصرف يسير :

- محاضرات في تاريخ تفسير القرآن الكريم (اتجاهاته ومناهجه) : لأستاذنا الدكتور محمد إبراهيم شريف ص ٢٣٣ - ألفت على طلاب الفرقة الثالثة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة - نشر : دار العروبة بالكويت - إشراف : دار الفصحى بالقاهرة - ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .



صياغة (نظرية عامة) تعد بمثابة (القانون العام) الذي يحكم (المنهج التفسيري) لهذا المفسر أو ذاك ؛ فيرسم حدوده ، ويوضح معالنه ، وبهذا نتوقى التداخل ، ونأمن الخلط ، الذي ينجم من جراء تناول مختلف هذه التفاسير ، فى محاولة للاقتراب من أصحابها بما يكشف عن مسلكهم ، وينبىء عن منهجهم .

## المطلب السادس

### تحديد المنهج يحقق الهدف من التفسير

انبرى كثير من العلماء الأعلام ، فوقفوا حياتهم ، وأفنوا أعمارهم ، فى سبيل تفسير هذا القرآن العظيم ؛ لتتواصل بذلك جهودهم بجهود السابقين قبلهم ، ولتتصل فى ذات الوقت بجهود اللاحقين بعدهم ، والكل فى سعى حثيث ، وجهد دؤوب ؛ لفهم هذا القرآن والكشف عن معانيه ، بل ومحاولة الاقتراب من مراد الله فيه .

ومن ثم ؛ فإننا (نجد أن أسلوب التفسير يتجدد مع كل مفسر ، وكذا مع كل عصر بحسبه ، وذلك أمر طبيعى ، لأن المفسرين إنما يصورون ما فهموا من كتاب الله ، وأداة فهمهم هى عقولهم ، كما أن مادة علمهم هى بيئاتهم ومعارف عصرهم ؛ فكان لزاماً أن يظهر ذلك كله جلياً فى نفاثات أقلامهم ، ومعرض آرائهم)<sup>(١)</sup> .

ومن هنا ؛ فقد اختلفت (معالجة المفسرين للكشف عن معانى القرآن الكريم ، فلم تجر على نمط واحد ، ولم تكن على مستوى واحد من الفهم والإدراك ، وتلك طبيعة كل كائن حى يحيا حياة حسية أو معنوية ، وكان بديهياً أن يبدأ التفسير على صورة ضيقة ؛ لأن القوم وقت نزوله كانوا عرباً خلصاً ، يعرفون اللسان العربى ، ولا يخفى عليهم من معانيه إلا النزر اليسير ، والذي لا يلبث أن ينجلي لهم برجوعهم إلى رسول الله ﷺ ثم اتسعت دائرة التفسير متدرجة شيئاً فشيئاً بناءً على زيادة الغموض الذى اعترى الناس بسبب بعدهم عن معين العربية التى نزل بها القرآن العظيم ؛ ولهذا ستظل حاجة الناس فى ازدياد إلى التفسير بقدر زيادة هذا الغموض ، وكلما زاد ابتعادهم عن عصر النزول)<sup>(٢)</sup> .

غير أن ما ينبغى الالتفات إليه ، ويجب التنبيه عليه ، هو أن جهود المفسرين من

(١) مقاصد القرآن الكرم (مقدمة فى التفسير مع تفسير الفاتحة وأوائل البقرة) : الإمام الشهيد حسن البنا ص ١٣ - طبعة دار الشهاب - القاهرة - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م - (بتصرف يسير) .

(٢) راجع فى ذلك بتصرف يسير كلاً من :

- علم التفسير : د. الذهبى ص ١٢ .
- التفسير والمفسرون : د. الذهبى ١/ ١٠٠ .





السابقين واللاحقين ، لن تُثْمِرَ ثَمَرَهَا ، ولن تُؤْتِيَ أَكْلَهَا ؛ إلا من خلال تحديد المنهج التفسيري الذى ينبغى أن يلتزمه هذا المفسر أو ذاك ، إزاء كشفه عن معانى القرآن ، وتجليتها للأفهام ؛ فتحديد المنهج يودى بالضرورة إلى تحديد خط السير الذى يلتزمه الناظر فى التفسير ؛ فيسير على هداه ، ويت رسم خطاه ، ليأخذ بيديه فى النهاية إلى تحقيق هدفه الكلى ، والذى يتمثل فى إحداث الفهم الشامل لكلمات القرآن وآياته ، وذلك دون أن يكلفه مؤنة البحث وما فيه من المشقة ، أو يجشمه إهدار الوقت وما فيه من المضرة .

لأجل هذا ؛ كان (تحديد المنهج التفسيري) من الأهمية بمكان بحيث تتوقف عليه (عملية الفهم الشامل للنص القرآنى) سواء على مستوى (الإفراد) أو على مستوى (التركيب) والذى بدون تحديده نظل نفتقد الوسيلة الفعلية التى تُوصِلُنَا لتحقيق الهدف المنشود من التفسير .

\* \* \*

**وبعد :** فقد اقتضت رغبتنا فى الوقوف على ضرورة وجود منهج تفسيري ؛ أن نعرض من خلال هذا التمهيد لمسيرة التفسير ومراحل تطوره ومدى الحاجة إليه ؛ وذلك بقصد التنبيه على أهمية مثل هذا المنهج وفائدته ، والتى تتبلور من خلال تحديد موقعه ، وتوصيف دوره ، الذى يقوم به لإتمام عملية التفسير ، والتى يرتبط شمولها بشمول القرآن ذاته ، بل وتتجدد الحاجة إليها بتجدد الحاجة إلى فهم القرآن ذاته .

وعليه فإنه يمكن لهذه الأمة أن تتبّع ما فى قرآنها من الأوامر ، وتجتنب ما فيه من النواهي ؛ بما يتأدى عنه حصول نجاتها فى الدنيا ، بل وفوزها برضا ربها سبحانه فى الآخرة ، وذلكم هو هدفها الأسمى ، وتلكم هى غايتها العظمى .



القسم الأول

# الترجمة



## سيرة الشقيطي

### حياته الشخصية و مسيرته العلمية

وتتظم تمهيداً وبابين وتعقيباً :

- تمهيد : بين الترجمة ومسلك البحث .
- ١- الباب الأول : حياته الشخصية .
- ٢- الباب الثاني : مسيرته العلمية .
- تعقيب : حول هذه الترجمة .



## نهيد

### بين الترجمة و مسلك البحث

وتتظم المطلبين التاليين :

١- المطلب الأول : الترجمة :

ويعالج المسائل الخمس التالية :

أ - المسألة الأولى : ماهية الترجمة .

ب - المسألة الثانية : التراجم حق العلماء .

ج - المسألة الثالثة : الترجمة بين الإقدام عليها والإجحام عنها .

د - المسألة الرابعة : أهمية الترجمة وخطر إغفالها .

هـ - المسألة الخامسة : حتمية الترجمة .

٢- المطلب الثاني : مسلك البحث :

ويعالج المسائل الثلاث التالية :

أ - المسألة الأولى : مرحلة المطالعة .

ب - المسألة الثانية : مرحلة المراسلة .

ج - المسألة الثالثة : مرحلة الملاقاة .





## المطلب الأول

### الترجمة

إن الترجمة في حقيقتها تعنى الكتابة عن شخص ما ، سواء كان عالماً أو غيره ، وهي بهذا تقوم مقام شخصيته من حيث إبراز صورته ، وبيان مكانته ، وتقويم منزلته في عظمتها أو توسطها أو خلافتها ، وهذا ما يمكن أن نستجليه من خلال المسائل الخمس التالية :

### المسألة الأولى

#### ماهية الترجمة

وتتظم الحديث عن جانبي الترجمة وقسميها وأنواع المترجمين على النحو التالي :

#### ● جانب الترجمة :

والترجمة باعتبار حقيقتها تُعدُّ ذات جانبيين :

#### ١- الجانب الشخصي :

وهو عبارة عن السيرة الشخصية التي تُعرَّفُ بشخص صاحبها وحقيقته ، وتصف صورته وهيئته ، وتبيِّن منزلته ومكانته ، وكأنها بذلك تستحضره لتجعله ماثلاً أمام عيني مَنْ يُطالعُ ترجمته ، ومرتسماً في خيال مَنْ يقرأ عنه .

#### ٢- الجانب العلمي :

وهو عبارة عن السيرة العلمية التي تُعرَّفُ بمسلك صاحبها في طلب العلم ، وتبيِّن منهجه في تحصيله ونشره ؛ بما يمكن أن يُعدَّ نهجاً يُقتدى به مَنْ أراد أن يسلك سبيله ، ويحذو حذوه مَنْ أراد أن ينسج على منواله ، مستفيداً في ذلك كله بأقواله ، ومهتدياً بأفعاله .

#### ● قسمي الترجمة :

كما أن الترجمة باعتبار نوعها تنقسم إلى قسمين :

#### ١- الترجمة الذاتية :

وتشمل السيرة الشخصية وكذا العلمية التي يكتبها الشخص عن نفسه ، بادئاً في ذلك بطفولته ، ومنتهاً بلحظة تدوين ترجمته ، ومتلزماً في هذا كله بتسجيل ماله وما عليه عبر مراحل عمره ، وأطوار حياته المختلفة ، وهذا القسم من التراجم هو أصدق ما يكون حالماً التزم صاحبه الاعتدال والأمانة فيما يكتبه عن نفسه .



ولقد ترجم خلق كثيرون لأنفسهم من العلماء والفلاسفة وغيرهم ؛ فصارت تراجمهم لأنفسهم بمنزلة المرجع الرئيس لكل من كتب عنهم فيما بعد من تلاميذهم وغيرهم ، ونذكر من هؤلاء العلماء بعضاً منهم تنبيهاً بهم على غيرهم ألا وهم : (ابن سينا - العماد الأصفهاني - ابن الخطيب - ابن خلدون - وأخيراً السيوطي)<sup>(١)</sup> .

(١) وفيما يلي موجز تراجمهم بترتيب وفاتهم على النحو التالي :

●● ابن سينا ت (٤٢٨هـ = ١٠٣٧م) :

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ثم البخاري الحنفي ، العلامة الشهير ، الطبيب الفيلسوف ، والملقب بـ (الشيخ الرئيس) برع في الطب والفلسفة والمنطق ، وألف ما يقرب من مائة مصنف منها : (الشفاء - النجاة - الإشارات - القانون) ومن رسائله البديعة : (رسالة حي بن يقظان - رسالة الطير) وقد ردَّ عليه أبو حامد الغزالي ت (٥٠٥هـ = ١١١٢م) في كتابه (تهافت الفلاسفة) فكفَّرَه في ثلاث مسائل وبدَّعه في سبع عشرة أخرى من جملة عشرين مسألة أخذها عليه ويقال : إن تاب قبل موته ، كما أنه أصيب آنذاك بمرض (القولنج) فتوفى به ودفن بـ (همدان) .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء : لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة ت (٦٦٨هـ = ١٢٦٢م) - ص (٤٣٧ - ٤٥٩) - شرح وتحقيق : د. نزار رضا - من منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلِّكان ت (٦٨١هـ = ١٢٨٢م) - (١٥٧/٢ - ١٦٢) - تحقيق : د. إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - لبنان - (د. ت) .
- سير أعلام النبلاء : للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت (٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) - (٥٣١/١٧ - ٥٣٧) - حققه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه : (شعيب الأرنؤوط) مع (محمد نعيم العرقسوسى) - الطبعة ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .
- البداية والنهاية : للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت (٧٧٤هـ = ١٣٧٣م) - (٦٦٧/٥ - ٦٦٨) - تحقيق : (د. عبد الله بن عبد المحسن التركي) بالتعاون مع : (مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر) - الطبعة ١ - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - ١٤١٩هـ = ١٩٩٥م .
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية : لمحيي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي ت (٧٧٥هـ = ١٣٧٤م) - (٦٣/٢ - ٦٤) - تحقيق : د. عبد الفتاح محمد الحلو - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

●● العماد الأصفهاني ت (٥٩٧هـ = ١٢٠١م) :

هو القاضي الإمام ، العلامة المفتي ، المنشئ البليغ ، الشافعي الوزير عماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن آله =



= الأصبهاني الكاتب، والمعروف بابن أخى العزيز ، و(أله) : لفظ فارسي معناه (العُقَاب) حَدَّث ببغداد والشام ومصر ، واتصل بكل من الوزير ابن هُيَّيرَة والملك نور الدين محمود زُنكى والملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ؛ فقربوه إليهم ، وعلت منزلته لديهم ، وقد أَلَّف مصنفات عديدة منها : (خريدة القصر وجريدة العصر - البرق الشامي - ديوان الرسائل الكبير) وقد تُوفِّيَ في عامه المذكور ودفن في (مقابر الصوفية) .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- سير أعلام النبلاء : للحافظ الذهبي ٣٤٥/٢١ - ٣٥٠ .
- معجم الأدباء : لياقوت الرومي الحموي ت (٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م) - (١١/١٩ - ٢٨) - الطبعة الأخيرة - راجعته : وزارة المعارف العمومية - طبع : دار المأمون - القاهرة - (د.ت) .
- التكملة لوفيات النقلة : لزكى الدين أبى محمد عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ت (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) - (٢/٢٨٦ - ٢٨٩) - حققه وعلّق عليه : د. بشّار عوَّاد معروف - ساعدت جامعة بغداد على نشره - مطبعة الآداب - النجف الأشرف - العراق - ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .
- طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين أبى نصر عبد الوهَّاب بن على بن على الكافى السبكي ت (٧٧١ هـ = ١٣٧٠ م) - (٦/١٧٨ - ١٨٣) - تحقيق : (د. عبد الفتاح محمد الحلو) مع (د. محمود محمد الطناحي) - الطبعة ٢ - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة - ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م .

●● ابن الخطيب ت (٧٧٦ هـ = ١٣٧٤ م) :

هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله السلماني القرطبي ثم الغرناطي ، كان سلفه يعرفون قديماً بـ (بنى وزير) ثم صاروا يعرفون بـ (بنى الخطيب) برع في القراءات والعربية ، وأخذ الطب والمنطق والحساب عن الفيلسوف أبى زكريا يحيى بن هُدَّيل ، وقد أَلَّف مصنفات عديدة منها : (الكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة - الإحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة - ديوان شعر في سفرين) و (الحلّل المرقومة في اللمع المنظومة : وهو أرجوزة من ألف بيت في أصول الفقه) عمل وزيراً لأبى الحجاج يوسف بن أبى الوليد بن نصر بن الأحمر ثم من بعده لولده محمد ؛ ولعله لذلك قيل له : (ذو الوزارتين) وقد مات مخنوقاً في سجنه من عامه المذكور .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- الإحاطة في أخبار غرناطة : لدى الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب - (٤/٤٣٨ - ٦٣٤) - حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه : محمد عبد الله عنان - الطبعة ١ - نشر : مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : للحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ت (٨٥٢ هـ = ١٤٤٨ م) - (٤/٨٨ - ٩٣) - حققه وقدم له ووضع فهرسه : محمد سيد جاد الحق (من علماء الأزهر الشريف) - دار الكتب الحديثة - القاهرة - (د.ت) .
- ابن خلدون ت (٨٠٨ هـ = ١٤٠٦ م) :

هو الفيلسوف المؤرخ ، العالم الاجتماعي البحّاث ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم الحضرمي ، من ولد وائل =



= ابن حجر ، التونسي الأصل ، ثم القاهري المالكي ، المعروف بابن خلدون ، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس ، وأخذ على أبي البركات البلقيني والوادي أشى وغيرهما ، كما اعتنى بالقراءات السبع أفراداً وجمعاً ، فضلاً عن الأدب وأمور الخط والكتابة ، وتوجه أخيراً إلى مصر فأكرمه السلطان الظاهر برفوق ، وتولى قضاء المالكية غير أنه احتفظ بزى بلاده ولم يتزى بزى القضاة ، وقد ألف مصنفات عديدة فى الإنشاءات الثرية والشعرية ، غير أن أشهرها : (التاريخ المترجم بـ : العبر فى تاريخ الملوك والأمم والبربر) والذى حوت مقدمته جميع العلوم ، وقد مات ابن خلدون فجأة فى رمضان المعظم من عامه المذكور .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

• الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : للمؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ت (٩٠٢هـ = ١٤٩٦م) - (٤/١٤٥ - ١٤٩) - من منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - (د.ت) .

• بدائع الزهور فى وقائع الدهور : لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفى ت (٩٣٠هـ = ١٥٢٤م) - ص ٧٥٤ - طبع على نفقة وزارة الأبحاث العلمية والتكنولوجيا بألمانيا الاتحادية - أشرف على الطبع المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ببيروت - ثم طبع بدار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبي) - القاهرة - ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

• الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) : لخير الدين الزركلى - (٤/١٠٦ - ١٠٧) - الطبعة ٧ - بيروت - لبنان - ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .

• ابن خلدون (أبو علم الاجتماع) : لسليمان فياض - سلسلة (علماء العرب) - الكتاب رقم (١٨) - نشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر بمؤسسة الأهرام الصحفية - القاهرة - ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .

• المقدمة : لابن خلدون - تحقيق : د. على عبد الواحد وافى - دار نهضة مصر - القاهرة - ١٤٠١هـ = ١٩٨١م

•• السيوطى ت (٩١١هـ - ١٥٠٥م) :

هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر الخضيرى الأسيوطى أو السيوطى ، ولد بالقاهرة عام (٨٤٩هـ - ١٤٤٥م) وتوفى بها من عامه المذكور ودفن بضاحية (مصر العتيقة) أو ما يعرف الآن بمنطقة (مصر القديمة) - والخضيرى : نسبة إلى محلّة ببغداد تعرف بـ (الخضيرية) والتي نزح منها جده الأعلى (همام الدين) زمن الدولة الأيوبية ، حيث استوطن (أسيوط) ثم نشأ فيها عقبه ، وعاشت بها ذريته - وأما السيوطى : فنسبة إلى مدينة (أسيوط) بصعيد مصر حيث مسقط رأس والده بعد عام (٨٠٠هـ = ١٣٩٨م) قبل قدومه إلى (القاهرة) واستقراره بها .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

• حُسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة : للحافظ جلال الدين السيوطى - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - الطبعة ١ - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبي) - القاهرة - ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م .

• الحافظ جلال الدين السيوطى (إمام المجتهدين والمجددين فى عصره) : عبد الحفيظ فرغلى القرنى - سلسلة (أعلام العرب) - الكتاب رقم (١٣٧) - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م .





## ٢- الترجمة غير الذاتية :

وهي مجموع ما يكتبه غيره عنه من تلاميذه خاصة ، ومن غيرهم من طلاب العلم والمشتغلين به عامة ، ليسجلوا بهذا سيرته بجانبها الشخصي والعلمي على السواء .

### • أنواع المترجمين :

غير أن هؤلاء المترجمين ينقسمون إزاء ترجمتهم لغيرهم إلى ثلاثة أنواع :

#### ١- قريب متحيز :

حيث ينظر إلى مَنْ يترجم له من خلال زاوية واحدة فقط ، ألا وهي زاوية العاطفة ؛ ومن ثم يقع تحت تأثيرها الجارف ؛ فتحالفه المبالغة والإفراط فيما يكتبه ، ويصدق عليه قول الشاعر في الشطر الأول من البيت :

وَعَيْنَ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ...

#### ٢- بعيد متحامل :

وهو عكس النوع الأول تماماً ، حيث ينظر إلى مَنْ يترجم له بعين السخط فقط ؛ ومن ثم يكون متحاملاً منفِعلاً ؛ فيحالفه التجنى والتفريط فيما يكتبه ؛ وعندئذ يصدق فيه الشطر الثاني من البيت :

... وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبَدِي الْمَسَاوِيَا<sup>(١)</sup>

(١) لم نستدل على هذا البيت في كل من :

• معجم الشواهد العربية: عبد السلام هارون - الطبعة ١ - نشر مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

• معجم شواهد النحو الشعرية : د. حنا جميل حدّاد - طبعة دار العلوم للطباعة والنشر - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

غير أننا قد عثرنا على هذا البيت منسوباً إلى المتنبى أبي الطيب في :

• التمثيل والمحاضرة : لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ص ٣١٠ - تحقيق د. عبد الفتاح الحلو - طبعة دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) - القاهرة - ١٣٨١هـ = ١٩٦١م .

كما عثرنا على نفس البيت منسوباً إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بلفظ (فعين الرضا) بدلاً من (وعين الرضا) وذلك في :

• بهجة المَجَالِسِ وأنس المَجَالِسِ ، وشحد الذاهن والهاجس : لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي - ٨١٤/١ - تحقيق : محمد مرسى الخولي - مراجعة : د. عبد القادر القط - طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة - (د.ت) . =



٣- محايد معتدل :

أما هذا النوع من المترجمين فهو منصف في النظر إلى مَنْ يترجم له ؛ حيث ينظر إليه بعين الحياد والاعتدال ذاكراً ما له وما عليه في صدق وأمانة ، وملتزماً في ذلك بميزان الحق دون إفراط أو تفريط ؛ ولذا فإن هذا النوع من المترجمين يُعذَرُ فيما يُقَصِّرُ دون ذكره بغير قصد منه فيما يكتبه عن غيره ، وشفعيه في ذلك حرصه على التزام الحياد والاعتدال ، إلى الحد الذي ينشد معه بلوغ التمام والكمال ، وكأنه المقصود بعينه في قول أبي الطيب المتنبي :

وَلَمْ أَرَفِي عِيُوبِ النَّاسِ عِيًّا      كَنَقَصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ<sup>(١)</sup>

### المسألة الثانية

#### التراجم حقّ العلماء

ليس من شك في أن تراجم العلماء حقّ لهم على مَنْ بعدهم من تلاميذهم خاصة ، ومن غيرهم من طلاب العلم والمشتغلين به عامة ؛ فبالترجمة يحفظ الخلف تراث السلف ، ويقوم اللاحقون بحق السابقين في حفظ تاريخهم ، وتدوين سيرهم ؛ خدمةً لتراثهم ، وإحياءً لذكورهم ، وهم في حقيقة الأمر وواقعه إنما يحفظون العلم ذاته ، يصونون شرفه ، ويؤدون أمانته ؛ ومن ثم يُنسَبُ الفضلُ لأهله ، ويُذكر العلم بذويه ، من خلال ذكر محاسن العلماء ومآثرهم ، وطلب الدعاء لهم والترحم عليهم ، وهذا كله من بركات العلم وخيرات عوائده .

= وأخيراً فإنه يلاحظ كثرة ورود هذا البيت بلفظيه معاً (وعين الرضا) وكذا (فعين الرضا) في :  
 • تفسير الطبري المعروف بـ (جامع البيان عن تأويل القرآن) : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري -  
 مراجعة وتخريج : أحمد محمد شاكر - تحقيق وتعليق : محمود محمد شاكر - سلسلة (تراث الإسلام) - الطبعة ٢ - طبع : دار المعارف بالقاهرة (١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م) - نشر : مكتبة ابن تيمية بالقاهرة (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م) .

(١) ورد هذا البيت بلفظه المذكور في :

• شرح ديوان أبي الطيب المتنبي : لأبي العلاء المعري ١٣٩/٤ - تحقيق : د. عبد المجيد دياب - طبع دار المعارف - القاهرة - (د.ت) .

كما ورد هذا البيت بلفظ (شيئاً) بدلاً من (عياً) في كل من :

• ديوان المتنبي : ص ٤٧٦ - صحّح هذه الطبعة وقارن نسخها وجمع تعليقاتها : د. عبد الوهّاب عزام - طبع : لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م .

• ديوان أبي الطيب المتنبي : ١٤٥/٤ - شرح أبي البقاء العكبري المسمى بـ (التيبان في شرح الديوان) - ضبطه وصححه ووضع فهارس : (د. مصطفى السقا) بالاشتراك مع (إبراهيم الإياري - عبد الحفيظ شلبي) - طبع ونشر : مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٧٦هـ = ١٩٥٦م .



وليس أدلَّ على ذلك مما رواه القاضي عياض عن بعض مشايخه حينما وجَّه إليهم قولاً يحمل معنى العتاب واللوم من جانب ، كما يحمل معنى الرجاء والطلب من جانب آخر ؛ علَّهم بذلك يتذكرون ! فماذا قال لهم شيخهم ؟ لقد عاتبهم متعجباً بقوله : مالكم تأخذون العلم عنا ، وتستفيدون منا ، ثم تذكروننا فلا تترطمون علينا؟! (١) .

حقاً ، إنه ربط أصيل بين العلم والعالم ، وتنبهه أكيد على وجوب الاعتراف بفضل العلماء على مَنْ بعدهم ، وذلك بالترجمة لهم بعد رحيلهم ؛ حتى تُردَّ إليهم بعض حقوقهم ، وبذلك يكون تواصل العلم والتواصي به بين طلابه ومريديه عبر الأجيال المتعاقبة والعصور المتلاحقة .

### المسألة الثالثة

#### الترجمة بين الإقدام عليها والإحجام عنها

وإزاء التخرج من الإقدام على الترجمة والتقصير فيها ، أو عدم تناولها والإحجام عنها ، فإننا نؤيد ما ذهب إليه الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطي الأول فيما يقرره بصدد موقف كل من الأصدقاء والأعداء ومَنْ بينهما من ذلك ، حيث يقول ما نصه : وقد يتخرج الأصدقاء مخافة التهمة والتأثر بالألفة ، أو يتوقف الأعداء مكتفين بالإغضاء ، أو يتردد الآخرون خشية التقصير ؛ ولهذا فقد تذهب الشخصية الفذة دون كتابة عنها ؛ فيفتقدها الحاضرون ، ويفقد سيرتها القادمون ، علماً بأن سيرة الرجال مدرسة الأجيال (٢) .

ومن ثم ؛ فإن الإقدام على الترجمة وإن شابها شيء من التأثر أو التقصير غير المقصود ، فهي ولاشك خير وأنفع من الإحجام عنها أو التفريط فيها ؛ لما فى ذلك من الضرر البالغ ، والخطر العظيم ، وحسبنا فى ذلك قناعتنا بأن ما لا يدرك كله ، لا يترك كله .

### المسألة الرابعة

#### أهمية الترجمة وخطر إغفالها

إن إغفال تراجم العلماء الذين يتم تناولهم من خلال دراسة تراثهم أو تحقيقه أو تصنيفه أو ما إلى ذلك من ألوان البحث المعروفة ؛ ليعد أمراً من الخطورة بمكان من حيث إنه ضياع لحقوقهم ، وإهمال لتراثهم ، ومن ثم ضياع حقوق الأمة كلها ، وإهمال تراثها ، كما أنه

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٦/١ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ١٢/١ (من المقدمة) .



لون من ألوان عدم الوفاء لهم أو الترحم عليهم ، كفاء ما قدموا ، وجزاء ما أفادوا !! ومن هنا كان السؤال الذى يفرض نفسه : هل يمكن أن تُغفل تراجم هؤلاء العلماء ، أو يُستهانَ بأهميتها فى البحث ؟!

ويأتى الجواب بالنفى القاطع ، فكيف يمكن ذلك ؛ والترجمة فى المقام الأول هى مفتاح فهم تراث هؤلاء العلماء الفكرى ، وسبيل معرفة منهجهم العلمى ؛ وبالتالي فهم تراث الأمة ومعرفة منهجها على مدار عصورها المتلاحقة ، وعبر أجيالها المتعاقبة .

### المسألة الخامسة

### حتمية الترجمة

لما كانت الترجمة تحتل هذا الموقع من الأهمية ، ولما كان إغفالها يحتل هذا الموقع من الخطر ؛ لذا فإننا نجد المكتبات الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها وقد ملئت بتراجم وسير العلماء الأعلام منذ عصر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وحتى يومنا هذا ؛ لتكون بمثابة السجل الحافل الذى يضم بين أنصع صفحاته تراث الأمة جيلاً بعد جيل .

وقد لا أكون مبالغاً إذا قلت : إن تراجم العلماء السابقين هى مدارس الحاضرين واللاحقين ؛ فتراجم العلماء تجعلهم وكأنهم فى عداد الأحياء الذين يعيشون بين ظهرانى الأجيال بسيرتهم وتاريخهم ، يهدونهم ويعلمونهم ، على مر العصور ، وتعاقب الدهور .

وصدق السخاوى فيما ذهب إليه ، حيث أثير عنه أنه قال : (مَنْ وَرَّخَ مَوْمناً فَكأنما أحياه)<sup>(١)</sup> أى مَنْ ترجم لمؤمن وأرَّخَ لحياته ، فكأنما جعله بمنزلة الأحياء ، من حيث تسجيل سيرته ، وتدوين تاريخه ؛ ليتعرف عليه الحاضرون ، ومن بعدهم اللاحقون .

وهكذا تتأكد حتمية الترجمة ، وتنبولر أهميتها القصوى ؛ لما فى ذلك من تخليد ذكر العلماء الأعلام ، ومن ثم بقاء تراث الأمة على مر الأيام .

\* \* \*

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/١ (من المقدمة) - والقول المذكور ليس قول السخاوى ، وإنما نقله عن

أبى العباس أحمد بن على بن أبى بكر بن عيسى بن محمد الميورقى - راجع فى ذلك :

• (الإعلام بالتويخ لمن ذم التاريخ) : للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ت

(٩٠٢هـ = ١٤٩٧م) - ص ٢٨ - نشر : دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د.ت) .





## المطلب الثاني

### مسلك البحث

لقد سلكت إزاء ترجمة الشنقيطي كل سبيل ممكنة ، وأخذت بكل سبب متاح ؛ وذلك لمعرفة المزيد مما يتصل بحياته الشخصية ، ويُعرَّفُ بمسيرته العلمية ، من خلال المسائل الثلاث التالية :

### المسألة الأولى

#### مرحلة المطالعة

حيث طالعت في البداية ما كتبه الشيخ عطية محمد سالم بشأن ترجمته لشيخه الشنقيطي<sup>(١)</sup> تلك الترجمة التي تعد المصدر الرئيس ، والمرجع الوحيد ، لكل من أراد أن يترجم للشنقيطي أو يكتب عنه ، بل إن ما بعدها يُعدُّ عالمةً عليها ، وهو منها بمنزلة الفرع من الأصل ؛ وذلك لما لها من السبق والخصوصية ، والأهمية والشمولية ، بما ليس لغيرها في بابها ، وكيف لا يتوفر لها ذلك وكتبتها الشيخ عطية قد حظى من شيخه بما لم يحظَ به غيره !؟

فكان له ماله من حُسْنِ الصحبة ، وطول العشرة ، ودوام الملازمة ، ومواصلة الطلب ، معهداً وجامعةً ، منزلاً ومسجداً ، ليلاً ونهاراً ، حلاً وترحالاً ؛ الأمر الذي استحق به الشيخ عطية أن يكونَ أخصَّ تلامذة الشنقيطي ، بل أقربهم إليه ، وأبرهم به .

وبالرغم من مطالعة تلك الترجمة ؛ إلا أنني اطلعت أيضاً على ما كتبه الآخرون ممن اعتمدوا عليها ، أو رجعوا إليها ، عن طريق النقل أو الاختصار أو الاقتباس ، إلى غير ذلك من ألوان التصرف المختلفة ؛ وليس ذلك إلا جمعاً للنفع ، وإتماماً للفائدة ، بما قد يكون أضافه هؤلاء أولئك من ملاحظات خاصة ، أو انطباعات ذاتية ؛ مما قد يفيد منها هذا البحث حول تلك الترجمة وصاحبها<sup>(٢)</sup> .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٣/١ - ٦٤ (من المقدمة بقلم الشيخ عطية بعنوان : مع صاحب الفضيلة والدين الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله) .

(٢) راجع في ذلك كلاً من الدراسات الإسلامية الآتي ذكرها :

• الإقليد في الأسماء والصفات ، والإجتهد والتقليد) : تحقيق شريف بن محمد فؤاد بن هزاع - الطبعة ١ - طبع : (المكتبة الإسلامية عمان الأردن) - نشر : (مكتبة ابن تيمية الطالبية الهرم الجيزة) - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .



## المسألة الثانية

### مرحلة المراسلة

وبعد مطالعة ترجمة الشنقيطي بقلم تلميذه الشيخ عطية كان أن وقفت على جملة من التساؤلات والاستفسارات التي تتعلق بحياة شيخه ومنهجه في التفسير ، ولم يكن أمامي لإجابة مطلبى سوى مراسلة الشيخ عطية الذي سطر إلي رسالة جامعة بالمطلوب ، غير أن انشغاله بشئون العلم والقضاء ، وضيق وقته بهما ؛ قد حال دون رده العاجل إزاء ما طلبت ، ولما استبطأت الرد ؛ كان أن أرسلت إليه العديد من الرسل الذين أوصيتهم بلقائه ، ومتابعة الأمر معه<sup>(١)</sup> .

- = ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (صاحب أضواء البيان) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس - الطبعة ١ - دار الهجرة للنشرة والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .
- حلية طالب العلم : د. بكر بن عبد الله أبي زيد - الطبعة ٢ - دار الحرية للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م .
- السلفية وأعلامها في موريتانيا : الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين - الطبعة ١ - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب - الطبعة ٣ - طبع : (دار النفائس بيروت لبنان - ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م) - نشر : (دار الاعتصام القاهرة - ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م) .
- القول السديد في كشف حقيقة التقليد : نشر مقتدى حسن الأزهرى - الطبعة ١ - دار الصحوة للنشر - القاهرة - ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .
- محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه : ساعد عمر غازي - الطبعة ١ - المكتبة القيمة - القاهرة - ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .
- منسك الإمام الشنقيطي : للإمام محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (المتوفى في ١٧ - ١٢ - ١٣٩٣هـ) وهو مجموع من تفسيره : (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) - جمع ورتبه وحققه وعلق عليه ووضع عناوينه وفهارسه وعرف به وبمؤلفه كل من : (د. عبد الله ابن محمد بن أحمد الطيار) مع (د. عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الحجيلان) - الأستاذين بقسم الفقه بكلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم - الطبعة ١ - دار الوطن - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م .
- نثر الورود على مراقى السعود : شرح الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي - الطبعة ١ - نشر : محمد محمود محمد الحُضْر القاضي - توزيع : دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

(١) وأخص منهم الأخ الأستاذ محمد خضر القوصي المصري رئيس القسم الإسلامي بجريدة (المدينة المنورة) بجدة بالمملكة العربية السعودية ، والأخ الأستاذ محمد حلفاية المصري المصحح للغوى بنفس الجريدة .



وبعد حوالى عام تفضل مشكوراً بالرد على رسالتى من خلال (شريط مسجل) أحال فى بعض منه على ترجمته لشيخه فى مقدمة (أضواء البيان)<sup>(١)</sup> .

### المسألة الثالثة

#### مرحلة الملاقاة

خامرنى إحساس عميق ، وراودتنى رغبة ملحة ؛ فى لقاء الشيخ عطية وأبناء الشنقيطى وذويه ؛ وذلك العظيم يقينى ، وكبير ثقتى ؛ بأن هناك جوانب كثيرة من حياة الشنقيطى لازالت بحاجة إلى الإضاءة والإيضاح ، بل إن بعضاً منها لا يزال مستوراً لما يكشف عنه النقاب ؛ ومن ثم فقد تحتم اللقاء .

ولم يمضِ وقت طويل حتى أكرمنى الله تعالى بأول عُمرة لى فى حياتى ؛ والتي على إثرها كان لقائى الأول بالمدينة المنورة بكل من الشيخ عطية ، والدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشنقيطى<sup>(٢)</sup> ثم بالابن الأصغر الدكتور عبد الله<sup>(٣)</sup> .

ثم توالى اللقاءات فيما بعد بهم جميعاً ، وكذا ببعض بنى عمومة الشنقيطى<sup>(٤)</sup> وتلامذته<sup>(٥)</sup> وذلك عن طريق صُحبة طيبة من المصريين الأخيار الذين تربطهم بهم صلة قلبية وعلمية<sup>(٦)</sup> .

(١) كانت رسالتى إلى الشيخ عطية بتاريخ الأربعاء ٢٥ من رمضان المعظم ١٤٠٨هـ = ١١ من مايو ١٩٨٨م على مقره بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة .

كما كان رده على رسالتى بعد عام تقريباً بتاريخ الثلاثاء ١٢ من رمضان المعظم كذلك ١٤٠٩هـ = ١٨ من أبريل ١٩٨٩م على مقرى بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة - ولازلت أحتفظ بكل من الرسالة والرد المسجل عليها .

(٢) وكان ذلك فى غضون عام ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م حيث تم هذا اللقاء عشاءً بمنزل الدكتور محمد المختار الذى يحمل رقم ٣ بحارة المغربة بباب الكومة بالقرب من الحرم النبوى الشريف ، وهو ذات المنزل الذى كان يقطنه والده الشنقيطى ، بل وبين جدران مكتبته الخاصة التى كان يطالع فيها .

(٣) وكان ذلك بمنزله أيضاً بأطراف المدينة المنورة .

(٤) ومنهم الأستاذ محفوظ بن محمد الأمين الجكنى الشنقيطى مدير إدارة العلاقات العامة بمجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .

(٥) ومنهم الدكتور يعقوب طالب عبىدى الأستاذ المساعد بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وهو من الشناقطة كذلك .

(٦) ونخصُّ منهم بالذكر كلا من :

• الأخ عبد الفتاح الزينى : المالك الوحيد لحق طبع مؤلفات الشنقيطى بموجب إذن رسمى من ورثته الشرعيين ، وصاحب مكتبة ابن تيمية بالطالبية بالهرم بمصر ، والقائمة على طبع تلك المؤلفات ونشرها .

• الأخ عادل السُّكرى : مدير دار البخارى للنشر والتوزيع بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والقائم على طبع معظم مؤلفات ابنى الشنقيطى : الدكتور محمد المختار ، وأخيه الدكتور =



وبهذا اللقاء أتاحت لى الفرصة لسماع وجمع الأخبار من مصادرها الأصيلة المباشرة ،  
والتي لم تتضمنها ترجمة الشنقيطى السابقة بقلم تلميذه الشيخ عطية ، والذي أشار نفسه  
إلى جدوى وضرورة اللقيا والسماع بالنسبة لكل من يريد الترجمة لشيخه أو الكتابة عنه ؛  
حيث يقول : والحال أنه لا مرجع لمن يكتب عنه إلا الخلطة وطول العشرة ، وتصيد الأخبار  
من ذويه الأختيار<sup>(١)</sup> .

هذا بالإضافة إلى المحاضرة القيّمة التي ألقاها الدكتور عبد الله عن والده الشنقيطى تحت  
عنوان : ( الدرُّ الثمين فى سيرة الشيخ الأمين ) والتي أضاءت جوانب جديدة من حياته  
الشخصية والعلمية<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وبعد : فيقول الشيخ عطية فى ترجمته لشيخه الشنقيطى ما نصه : وإنى لأعتبر ما  
أقدمه بداية لانهاية ، وتذكرة للآخرين من حاضرين وغائبين ؛ لعلمهم يتمون ما بقى ،  
ويكلمون ما نقص<sup>(٣)</sup> . ثم يختم تلك الترجمة بقوله : هذا ما وسعنى ذكره ، ولعل من  
أبنائه الحضور أو غيرهم من لديه المزيد على ذلك<sup>(٤)</sup> .

والحق أن الشيخ عطية على صواب فيما ذهب إليه بهذا الصّدّد ؛ لأن الترجمة لشخص  
ما ، أو الكتابة عنه ، لن تكون شافية كافية ، ولا وافية ضافية ؛ إلا بتعدد الكُتّاب عنه ؛  
وكثرة ورود الأقلام عليه .

= عبد الله ، الأستاذين بنفس الجامعة .

• الأخ الدكتور جمال السيّد : الباحث بمركز السنّة والسيرة النبوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة  
المنورة ، وأحد أبنائها الذين تربطهم صلة قوية بأبناء الشنقيطى وذويه .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١٢/١ (من المقدمة) .

(٢) ألقى هذه المحاضرة ليلة الثلاثاء الموافق (الثالث من جمادى الآخرة ١٤١٢هـ = التاسع من ديسمبر

١٩٩١م) وقد سُجِّلت على شريط أصدرته كل من : تسجيلات الآثار الإسلامية بجدة ، وتسجيلات

مكتبة النجاة السمعية بالمدينة المنورة - ولا زالت تحتفظ بنسخة من هذا الشريط .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١٦/١ (من المقدمة) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٩/١ (من المقدمة) .





## الباب الأول

# حياته الشخصية

وينتظم تمهيداً وستة فصول :

• تمهيد : بين يدي هذا الباب .

١- الفصل الأول : قبيلته وأسرته .

٢- الفصل الثاني : اسمه ولقبه وسميه .

٣- الفصل الثالث : مولده ونشأته .

٤- الفصل الرابع : صفاته الخلقية والخلقية والعلمية .

٥- الفصل الخامس : زواجه وأولاده .

٦- الفصل السادس : وفاته وراثؤه وحسن خاتمته .



## تهديد

### بين يدي هذا الباب

يدور حديثنا في هذا الباب حول حياة الشنقيطي الشخصية بما تنتظمه من مراحل مختلفة ، وما تحويه من أطوار عديدة ، انطوت عليها رحلة عمره الممتدة ، والتي بدأها بمولده ومهده ، واختتمها بوفاته ولحده .

ففي أسرته الصغيرة كانت ولادته ، وبين أحضان قبيلته (بني جاكان) كانت نشأته ، خلقتة على هيئتهما ، وتكوينه على خصالهما ، ولا يزال كذلك حتى شبَّ عن الطوق ، وطلب العلم ، أخذاً منه بخط وافر ، ومظهراً فيه نبوغاً ملحوظاً .

وهنا يستجيب لداعى الفطرة فيتزوج بعد كثير إلحاح ، وينجب ثلاثة بنتاً وولدين من هذا النكاح ، ثم بعد هجرته إلى بلاد الحجاز ومقامه بها يوافيه الأجل ؛ فيضع عصا الترحال ببلد الله الحرام عقب رجوعه من حجه الأخير ، وليصير مشواه بذات الثرى الذى يضم مشوى أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها بمقبرة (المعلأة) بمنطقة (الحجون) بمكة المكرمة .

وفيما يلي نعرض لرحلة عمره الممتدة من خلال الفصول الستة التالية :



## الفصل الأول قبيلته وأسرته

ويتظم المبحثين التاليين :

- ١- المبحث الأول : قبيلته .
- ٢- المبحث الثاني : أسرته .



## المبحث الأول قبيلته

وتتظم المطلبين التاليين :

- ١- المطلب الأول : أصل القبيلة .
- ٢- المطلب الثاني : صفات القبيلة .





## المطلب الأول

### أصل القبيلة<sup>(١)</sup>

ينحدر الشنقيطى من أسرة تنتمى إلى قبيلة : (بنى جاكُن أو بنى جاكُن) نسبة إلى جدها الأكبر المعروف بـ : (جاكُن الأَبْر) كما يعرف (الجعنيون) بـ : (تَجَكَّانْت)<sup>(٢)</sup> ويتنازع أصل هذه القبيلة قولان :

#### ● القول الأول : إن أصلها يرجع إلى (حمير) :

وممن قال به الشيخ عطية ، واستدل عليه بما ورد على لسان شاعر موريتانى مجهول الاسم فى قوله :

يا قائلًا طاعنًا فى أننا عربٌ      قد كذبتك لنا لُسُنٌ وألوانُ  
وسمُ العروبة باد فى شمائلنا      وفى أوائلنا عزٌ وإيمانُ  
آسادُ (حمير) والأبطالُ من مُضَرِّ      حمُرُ السُّيوفِ ، فما ذلُّوا ولا هانُوا<sup>(٣)</sup>

#### ● القول الثانى : إن أصلها يرجع إلى (غالب) :

وهو جدُّ رسول الله ﷺ وممن قال به الشيخ أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ، واستدل عليه بما ورد على لسان الشاعر الموريتانى محمد الحسن بن الإمام الحاجى الجكنى فى قوله :

(١) بدأ هذا الفصل بذكر قبيلة الشنقيطى وأسرته قبل ذكره ؛ نظراً لأنهما سابقتان عليه فى الوجود ، فضلاً عن كونهما البيئة الأولى التى احتضنته بعادتها وطبعته بتقاليدها ؛ ومن ثم كان من الأنسب البدء بذكرهما قبل ذكره ، لإمكان الاستدلال بهما عليه من حيث صفاته التى اكتسبها منهما فى صغره ثم ظهرت عليه فى كبره .

(٢) انظر وصف (الجعنيين) بـ : (تَجَكَّانْت) فى كل من :

● أضواء البيان : الشنقيطى ١٨/١ (من المقدمة) .

● الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٢٧٧ - ط ٣ - عناية : فؤاد سيد (أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية) - نشر : (مكتبة الخالجي بمصر) مع (مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء بالمغرب) - ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م - حيث وصف صاحب الوسيط (شعراء الجعنيين) بقوله : (شعراء تجكانت) - أما كلمة (تجكانت أو تكانت) فهى تعنى الغابة فى لسان الشناقطة ؛ ومن ثم فإنهم يطلقونها كعَلَم على موضع عظيم المساحة عندهم - راجع (الوسيط) : ص ٤٤٣ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١٩/١ (من المقدمة) - وجدير بالذكر أن الشيخ عطية قد صرَّح برأيه هذا من خلال رده المسجل على رسالتنا إليه .



نحن الكرام (بنى جاكمان) من مُضَرٍ      من (غالب) جدُّ من فاق الورى خيراً  
يكفيك من شرف محض لنا وعلاً      أنا (قريش) وكلُّ دوننا انحدرأ  
النهج منهجنا ، والأمن مأمنا      والحق مذهبنا ، والرشد فيه سرى<sup>(١)</sup>

• (رأى البحث :

والحق أننا نرجح ما ذهب إليه أصحاب القول الثانى الذين يرون أن قبيلة (بنى جاكمان) إنما ترجع فى الأصل إلى (غالب) جدُّ رسول الله ﷺ وذلك للأسباب التالية :

١- أن الشيخ أحمد بن أحمد المختار قد وضع أيدينا على موطن الخلط ، وكشف ما حدث من لبس ؛ حيث أوضح لنا أن وجود اسم (تبع) فى سلسلة نسب الجكنيين جعل أصحاب القول الأول يتوهمون أنه من (التبابعة الحميرية) بيد أن الأمر على خلاف ذلك ؛ ف (تبع) المذكور هو اسم علم لأحد أجداد الجكنيين أنفسهم .

٢- أن الشيخ أحمد استشهد على رأيه بما هو مدون ومسجل فى النسخ المحفوظة فى كتب مشائخ الجكنيين أنفسهم ، وهو فى حد ذاته شاهد قوى ومقبول<sup>(٢)</sup> .

٣- أن الشيخ أحمد استشهد على رأيه كذلك بشاعر معلوم أولاً ، ثم جكنى من نفس قبيلته ثانياً ، وذلك فى معرض دفاعه الشعرى السابق عن قبيلتهما (بنى جاكمان) رداً على مخالفيها من أهل البدع وأعوانهم ؛ ومن ثم فهما أدرى من غيرهما بنسبهما .

٤- أن الشيخ عطية من أصحاب القول الأول قد استشهد على رأيه بشاعر موريتانى مجهول ، ولا تشفع له موريتانيته ؛ إذ ليس كل موريتانى (جكنياً) والعكس صحيح ، كما أن هذا الشاعر قد جمع بين (حمير) و (مُضَر) فى معرض دفاعه عن عروبتهما معاً ؛ ومن ثم لم ينص على انتمائه إلى أحدهما عامةً ، فضلاً عن عدم نصه على (بنى جاكمان) خاصةً .

(١) إعداد المهج للاستفادة من النهج فى قواعد الفقه المالكى : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٣ - الطبعة ١ - مراجعة : عبد الله إبراهيم الأنصارى - طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر - من منشورات إدارة إحياء التراث الإسلامى - دولة قطر - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

(٢) راجع فى ذلك (إعداد المهج للاستفادة من النهج) : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٣ .



• وبهذا يخلص البحث إلى أن نسب الشنقيطي لا يرجع في الأصل إلى (حمير) وإنما يتصل نسبه بنسب رسول الله ﷺ من جهة جدهما (غالب)<sup>(١)</sup> .

## المطلب الثاني

### صفات القبيلة

لا يخفى ما يمتاز به الجكنيون من كريم السجايا ، وحميد الخصال ، التي يلمسها كلُّ مَنْ حَلَّ بهم ، أو نزل عليهم ، أو حتى سمع بهم ، أو قرأ عنهم ، ونستطيع أن نوجز تلك الصفات بأدلتها فيما يلي :

#### ١- الأصالة :

وليس أدل على أصالة الجكنيين وعراقتهم من اتصال نسبهم بنسب رسول الله ﷺ حيث عمق عروبتهم ، وكرم أرومتهم ، وهذا ما يشير إليه الشيخ عطية بقوله : لقد كانت خصائص العروبة ومميزاتها موفورة لدى الشيخ رحمه الله ، ولدى أهله وذويه ، في النظم والنثر<sup>(٢)</sup> .

بل إن أحد شعرائهم يعبر عن ذلك بارتضاعهم العروبة من أمهاتهم ؛ فيخاطب مَنْ ينكر عليهم ذلك بقوله :

لنا العروبةُ الفصحى ، وإننا أحقُّ العالمين بها اضطلاعاً  
عن الكتب اقتبستموها انتفاعاً بما فيها ، ونرضعها ارتضاعاً<sup>(٣)</sup>  
وهذا شاعرهم محمد فال ولد العينين يستدل بفصاحتهم على عروبتهم ؛ حيث يفاخر بذلك قائلاً :

إننا بنو حَسَنٍ دَلَّتْ فصاحتنا أنا إلى العرب الأقحاح نتسبُّ

(١) حيث إن نسبه الزكي ﷺ هو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيِّ بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لؤي بن (غالب) . . . إلى آخر نسبه الشريف حتى آدم عليهما الصلاة والسلام .

• انظر تمام نسبه الشريف ﷺ في (السيرة النبوية) : لابن هشام - (٣/١ - ٦) - قَدَّمَ لها وضبطها وعلق عليها: طه عبد الرؤوف سعد - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

(٢) قوله : (الشيخ) أي الشنقيطي - انظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ١٩/١ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ١٩/١ .



إن لم تقم بيناتٌ أننا عربٌ ففى (اللسان) بيانٌ أننا عربٌ<sup>(١)</sup>

٢ - العلم :

وإذا كان طلب العلم ، ورعاية طلابه ، يمثلان الهمَّ الأول ، والهدف الرئيس عند (الزوايا) من الشناقطة) عامة ؛ فإن ذلك مشهور عن (الجبكتيين) من الزوايا خاصة ؛ حيث عُرفَ عنهم حُبهم للعلم وطلبهم له فى جميع أحوالهم ، سواء كان ذلك فى حلهم وترحالهم ، أو ظعنهم وأسفارهم .

وها هو شيخهم المختار بن بونا الجكنى<sup>(٢)</sup> يصف طريقتهم فى طلب العلم ، وهيئة تدريسهم له فيقول :

ونحن ركبٌ من الأشراف منتظمٌ أجَلٌ ذا العصرِ قدرًا ، دون أدنانا

قد اتخذنا ظهور العيس<sup>(٣)</sup> مدرسةً بها نبينُ دينَ الله تبيانًا<sup>(٤)</sup>

ولذا ؛ فقد شاع فى أفواه العامة فضلاً عن غيرهم من أهل شنقيط قولهم : (العلم

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١٨/١ (من المقدمة) - ويقصد بقوله (اللسان) : أى كلامهم ونطقهم بالعربية الفصحى ، فإن لم يقم دليل على عربيتهم ؛ فيكفى لسانهم وما ينطقون به دليلاً على ذلك .

(٢) هو المختار بن بون أو بونا الجكنى ، ويعرف فى بلاده شنقيط بعدة ألقاب منها : (الشيخ العلامة) و (تاج العلماء) و (أبو النحو الموريتانى) مولده ووفاته هناك بين عامى (١٠٨٥ - ١٢٢٠هـ) عن مائة وخمسة وثلاثين عاماً هجريا من المعمرين المعروفين آنذاك .  
راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٢٧٧ .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة الموريتانية : يحيى بن البراء ص ٦٢ .

(٣) العيس : هى الإبل البيض التى يخالط بياضها شىء من الشقرة أو الصفرة ، ويقال لها : (كرائم الإبل) - انظر مادة (عيس) فى كل من : لسان العرب : ٣١٨٩/٤ - مختار الصحاح : ص ٤٦٥ - المعجم الوسيط : ٦٦٣/٢ .

(٤) وردت هذه الأبيات ضمن قصيدته (النونية) التى مطلعها : (حدّثُ حدّاةَ بنى يحيى بن عثمان) فى معرض حديثه عن منهج طلب العلم فى محضرته ، ووصفه لهيئة التدريس فيها .  
راجع هذه الأبيات فى كل من :

- التعليم فى موريتانيا من المحاضرة إلى الجامعة : مجلة الأمة ص ٥٢ - العدد ٦٠ - السنة ٥ - قطر - ذو الحجة ١٤٠٥هـ = أغسطس (آب) ١٩٨٥ م .
- أضواء البيان : الشنقيطى ٢٠/١ - ٢١ (من المقدمة) .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة الموريتانية : يحيى بن البراء ص ١٥ .
- إعداد المهج للاستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٢ .





جكنى) ويحكى أن أول مَنْ قال هذا هو الشيخ سَيْدَىَّ عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوى<sup>(١)</sup> .

### ٣ - الكرم :

أما عن الكرم فى الجكنيين ، فهم مفطورن عليه ، يتوارثه خلفهم عن سلفهم ، ويأخذه صغيرهم عن كبيرهم ؛ فتراهم يتفانون فى إكرام ضيفهم ، ويجودون له بأقصى ما عندهم ، ولو كان فى ذلك مشقتهم وعناؤهم ، فضلاً عن عسرتهم وضيق حالهم .

وفى ذلك يقول الشيخ عطية : أما كرم الطبع ، فهذا سجية فى جميعهم ، وأمر يشب فيه الصغير ، ويشيب عليه الكبير ، وقد ألفوا الضيف لِنُجعة منازلهم<sup>(٢)</sup> .

ومن عاداتهم إذا نزل وفد على بيت ؛ فإن أهل هذا المنزل يرسلون لأهل بيت المضيف مما عندهم قلّ أو كثر ؛ مشاركة فى قرى الضيف ، وتعاوناً مع المضيف ، حتى لو كان مُعدماً ؛ غداً واجداً ، ويرحل الضيف وهو فى غاية الرضا ، وهكذا دواليك<sup>(٣)</sup> .

وهذا يعنى أن المضيف لو كان معدماً فقيراً رقيق الحال لا يجد ما يكرم به ضيفه ؛ إلا أنه بمشاركة الجكنيين من أهل قبيلته له ، ويتعاونهم معه ، فإنه يصير واجداً ما يقدمه لضيفه ، قادراً على إكرامه وحسن وفادته .

ولذا ؛ فقد تواترت فى وصف كرم الجكنيين الأشعار ، وسارت بذكرهم الركبان ؛ فذاع صيتهم ، وطار خبرهم ، فى تفانيهم فى قرى ضيفهم ، وسعادتهم بقاصدى ديارهم ، وفى التمثيل لتلك الأشعار التى تصف كرم الجكنيين نكتفى بال نماذج الثلاثة التالية :

(١) هو الشيخ سَيْدَىَّ (سَيْدِيًّا) عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام مَحْنُضُ العلوى ، المتوفى فى حدود عام (١٢٣٠هـ = ١٨١٥م) وقيل : (١٢٣٣هـ = ١٨١٨م) ببلاده شنقيط ، وله تأليف عديدة ، وشروح كثيرة ، من أشهرها : (مراقى السعود) وشرحه (نشر البنود) فى أصول الإمام مالك رضي الله عنه .  
راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

• الوسيط فى تراجم أدياء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٣٧ .

• ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورثانية : يحيى بن البراء ص ١٠٣ .

(٢) النُّجعة بوزن الرُّقعة : طلب الكلا فى موضعه ، وقصد ذى المعروف لمعروفه - انظر مادة (نَجَع) فى كل من : لسان العرب : ٤٣٥٣/٦ - مختار الصحاح : ص ٦٤٧ - المعجم الوسيط : ٩٤٠/٢ - وعلى هذا يصير معنى (نُجعة منازلهم) : أى يقصد الأضياف ديار الجكنيين لاشتهارها بأنها مواضع صنع المعروف لقاصديها ، ومواطن الكرام لوافديها .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٢١/١ (من المقدمة) .



أ - فيها هو رئيس القضاء الشرعي في موريتانيا الشيخ محمد سالم بن محمد علي بن عبد الودود يقول بلسان حال الموريتانيين أنفسهم :

جزى الله عنا الحى (جاكان) خيراً ما      جزى معشراً من حُسن ما صنعوا بنا  
هم خلدوا في كل قطر ثووا به      من الذكر مجدداً شامخاً لشعوبنا  
ونحسداهم فينا ، ونجحد فضلهم      لنهدم ما شادوا ، وقد رفعوا بنا<sup>(١)</sup>

ب- وهذا الشريف محمد بن محمد الأمين بن سيد المختار ينشئ قصيدة كاملة في كرم الجكنيين يقول فيها :

فقيروهم في النائبات وغيره<sup>٢</sup>      سواسية في البذل متفقان  
طباعُ بها سادوا القبائل كلها<sup>٣</sup>      وتأهوا فخاراً ، والعيون رواني<sup>(٢)</sup>  
إذا قيل : أيُّ الناس خيرُ قبيلة ؟      أشارت إلى (جاكان) كلُّ بنان<sup>(٣)</sup>

ج- وأخيراً يقف الشيخ بابا بن الشيخ سيدياً محياً بنى جاكان ، مشيداً بكرمهم فيقول :

عيدُ الوفود لدى اللأواء<sup>(٤)</sup> (جاكان)      وليس ذاك حديث العهد ، بل كانوا

(١) إعداد المهج للاستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي ص ١٤ .

(٢) رَوَانِي من رَانَ أو رَوَّنَ اليوم يروُنُ رَوْنًا : أي اشتد حره وغمه - انظر مادة (رَوَّن) في كل من لسان العرب : ٣/١٧٨٣ - المعجم الوسيط : ١/٣٩٧ .

وعلى هذا يصير معنى (والعيون رَوَانِي) : أي والعيون تنظر بحسرة وغم شديد إلى الجكنيين ؛ حسداً لهم على كرمهم الذي سادوا به القبائل كلها ، ولم يستطع غيرهم أن يبلغ شأوهم فيه .

(٣) إعداد المهج للاستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي ص ١٥ .

(٤) اللأواء : الشدة وضيق المعيشة وشدة المرض ، وفي الحديث الشريف : «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ ، فَصَبِرَ عَلَى لَأَوَاتِهِنَّ ؛ كُنَّ لَهُ حِجَاباً مِنَ النَّارِ» - انظر مادة (لَأَى) في كل من : لسان العرب : ٥/٣٩٧٨ - مختار الصحاح : ص ٥٨٨ - المعجم الوسيط : ٢/٨٤٤ .

وعلى هذا يصير معنى البيت : أن الجكنيين كانوا ولا زالوا كعبة للكرم ؛ يقصدها الوفود والأضياف ، إذا ضاق بهم العيش ، واشتدت بهم الحاجة ؛ وبهذا يذهب عنهم ما بهم ، وكانهم من سرورهم في عيد بين ديار بنى جاكان ووسط عشائرتهم .

وأما الحديث المذكور فقد أخرجه ابن ماجه في سننه من رواية عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه - انظر سنن ابن ماجه (كتاب) الأدب (باب) بر الوالد والإحسان إلى البنات - كما أخرجه أحمد في مسنده من رواية عقبة بن عامر رضي الله عنه في (مسند الشاميين) - حديث رقم (١٦٩٥٠) - وأخرجه بمعناه أيضاً من رواية عوف بن مالك رضي الله عنه في (باقي مسند الأنصار) - حديث رقم (٢٣٤٧١) وحديث رقم (٢٣٤٨٧) .



وحيثما كان مجدٌ ، كان معشرهم ولو يكون مقرَّ المجد شوكان<sup>(١)</sup>  
وفى المآثر من آثارهم طرقٌ وعندهم لمحالّ المجد إمكان<sup>(٢)</sup>  
وكأن لسان حال الموريتانيين جميعهم يعلن أن : (الكرم جكنى) كما أعلنوا من قبل  
أن : (العلم جكنى) .

#### ٤ - الفروسية :

جمع الجكنيون إلى الأصالة والعلم والكرم ، أخلاق الفروسية من القوة والشجاعة ،  
والحسم وشدة البأس ، إلى جانب إغاثة الملهوفين ، ونجدة المستغيثين وإلى ذلك يشير الشيخ  
عطية بقوله : وقبيلة الجكنيين خاصة ، قد جمعت بين طلب العلم ، وفروسية القتال ، مع  
عفة عن أموال الناس<sup>(٣)</sup> .

وها هو الشيخ بابا بن سيدياً يمدح شجاعتهم وعفتهم ، وعزهم ورفعتهم فيقول :

وهم أسود لدى الهيجاء ضاريةٌ وهم لكعبة بيت العز أركان<sup>(٤)</sup>

وأخيراً يذكر لنا صاحب (الوسيط) يومين من أيام حروب الجكنيين مع غيرهم من  
القبائل الشنقيطية ، أما أحدهما : فيعرف بـ (يوم الفلح)<sup>(٥)</sup> وفيه انتصر الجكنيون على قبيلة  
(كنته) وأجأوهم إلى الفرار ، وأما ثانيهما : فيعرف بـ (يوم تاغطافات)<sup>(٦)</sup> وفيه انسحب  
الجكنيون أمام قبيلة (الأغلال) التي لجأت إلى الحيلة والخدعة لإحراز النصر آنذاك<sup>(٧)</sup> .

والتأمل في ذلك يتبين له أن حروب الجكنيين لم تكن بهدف الإغارة والاعتداء ، وإنما  
كانت دفاعاً ورداً للعدوان ؛ لذا فقد كان النصر حليف بني جاكأن في معظم حروبهم ؛  
لشرف هدفهم ، ونبيل مقصدهم ، إلا من مرات قليلة لجأ فيها عدوهم إلى الخداع  
والخيانة ، والمكرو المباغته ؛ ليقومهم في شركه ، وينزل بهم هزيمته .

(١) الشويكة وشوك وشوكان : كلها أسماء لمواضع - انظر مادة (شوك) في لسان العرب : ٢٣٦٣/٤ -  
ولعلها أماكن معروفة بكثرة شوكتها ، فضلاً عن قحطها وجذبها ، وكذا سوء أرضها وتضاريسها .

(٢) إعداد المهج للإستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٤ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١ / ٢٠ (من المقدمة) .

(٤) إعداد المهج للإستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٤ .

(٥) الفلح : أى الأخذود أو الشق من فلح الأرض إذا شقها للحرث ، وفى المثل : (الحديد بالحديد  
يفلح) أى يشق ويقطع - انظر مادة (فلح) فى كل من : لسان العرب : ٣٤٥٩/٥ - مختار الصحاح

ص ٥١٠ - المعجم الوسيط : ٧٢٦/٢ .

(٦) تاغطافات : لا ندرى ما المقصود بمعناه فى لسان الشناقطة ، ولم يورد صاحب (الوسيط) شيئاً عن  
ذلك ، على خلاف ما صنع عند ذكره معنى (الفلح) ولعل (تاغطافات) علم على الساحة التى دارت  
عليها رحى هذه الحرب ؛ ومن ثم فهى اسم لها وحسب .

(٧) الوسيط فى تراجم أدياء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٥٠٧ .



## المبحث الثاني أسرته

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١- المطالب الأول : والد الشنقيطي .
- ٢- المطالب الثاني : والدة الشنقيطي .
- ٣- المطالب الثالث : إخوة الشنقيطي .





## المطلب الأول

### والد الشنقيطي

لا نعرف عنه سوى أن اسمه : محمد المختار ، وهو جكنى من ذات قبيلة (بنى جاكان) كما أنه ابن عم زوجته والدة الشنقيطي ، حيث يجتمع نسبهما في جدهما لأبيهما والمعروف بـ : (أحمد نوح) وقد وُلِدَ والد الشنقيطي ببلاده شنقيط ، ثم كانت وفاته بها كذلك وقت أن كان الشنقيطي دون العاشرة من عمره ، حيث كان لا يزال آنذاك يحفظ جزء (عمّ) وقد ترك والده الشنقيطي لابنه ثروة من الحيوان والمال ؛ حيث انتقل إلى بيت أخواله ليقوموا على رعايته وتربيته .

وفي ذلك يسوق الشيخ عطية على لسان شيخه الشنقيطي ما نصه : توفي والدي وأنا صغير أقرأ في جزء (عمّ) وترك لي ثروة من الحيوان والمال ، وكانت سُكْنَى في بيت أخوالي ، وأمى ابنة عم أبي<sup>(١)</sup> .

## المطلب الثاني

### والدة الشنقيطي

لا نعرف عنها كذلك سوى أنها جكنية من ذات قبيلة (بنى جاكان) كما أنها وُلِدَتْ ببلادها شنقيط ، واسم أبيها (محمد المختار) كاسم زوجها ، وقد عُمِّرَتْ والدة الشنقيطي بعد وفاة زوجها دون أن تتزوج غيره ؛ حيث تفرغت للعناية بالشنقيطي كأشد ما تكون عناية الأم بولدها ، ثم كانت وفاتها ببلادها بعد أن جَهَّزَتْ ولدها لطلب العلم وتحصيله ، بل وهيأت له كل سُبُلِهِ ، وذلك بعد أن أتم مرحلة البلوغ في السادسة عشرة من عمره ، وبمساعدة أخواله ؛ فرحاً به ، وترغيباً له<sup>(٢)</sup> .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٢١/١ (من المقدمة) .

(٢) راجع في ذلك كلا من :

- الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة له عن حياة والده الشنقيطي ، ولازلت أحتفظ بنسخة من هذا الشريط) .
- أضواء البيان : الشنقيطي ٢٨/١ (من المقدمة) .



### المطلب الثالث

#### إخوة الشنقيطي

نشأ الشنقيطي وحيد والديه ، حيث لم ينجبا غيره ؛ ومن ثم فقد وجد منهما من العناية والرعاية ما ساعد على إعداده كأحسن ما يكون الإعداد ، بل إنهما عملا على تهيئة كل الأجواء المحيطة به لتكون في خدمته ؛ إلى الحد الذي كانا يفرغان له الدار وقت نومه وراحته عقب فراغه من طلب العلم وتحصيله<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

• **وبعد:** فهذه هي أسرة الشنقيطي ، وتلكم هي قبيلته (بنو جاكأن) التي تُعدُّ أشهر قبائل شنقيط ؛ بما لها من أصالة النسب الذي يمتد إلى رسول الله ﷺ فضلاً عما لها من كريم السجايا ، وحميد الخصال .

---

(١) راجع في ذلك كلا من :

- الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .
- أضواء البيان : الشنقيطي ٢٨/١ (من المقدمة) .



## الفصل الثاني اسمه ولقبه وسميه

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

- ١- المبحث الأول : اسمه وشهرته .
- ٢- المبحث الثاني : لقبه واشتقاقه .
- ٣- المبحث الثالث : سميّه وشبيهه .



المبحث الأول  
اسمه وشهرته

ويتظم المطلبين التاليين :

- ١- المطلب الأول : اسمه .
- ٢- المطلب الثاني : شهرته .





## المطلب الأول

### أصل القبيلة

هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد بن سيدى أحمد بن المختار من أولاد أولاد الطالب أويك ، وهذا من أولاد أولاد كيرير بن الموفى بن يعقوب بن جاكَن الأبرَّ (١) ثم ينتهى نسب (جَاكَن الأبرَّ) بدوره إلى (غَالِب) جَدُّ رسولِ الله ﷺ (٢) .

## المطلب الثاني

### شهرته

اشتهر الشنقيطى بين العلماء ، ولدى طلاب العلم وباحثيه ، فى البلاد الحجاز خاصة ، وسائر بلاد العالم الإسلامى عامة ، باسم : (محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى) .

١- (ما محمد الأمين) و(محمد المختار) :

فكلاهما عَلمٌ مركبٌ من اسمين :

● محمد :

وهو تبرك باسم رسول الله ﷺ وإلى هذا يشير الشيخ عطية فى ترجمته لشيخه الشنقيطى بقوله : وهذه ترجمته رحمه الله كما سمعتها منه مباشرة ، الاسم : هو محمد الأمين ، وهو علم مركب من اسمين ، وذكر محمد تبرك (٣) .

● الأمين والمختار :

وهما من الأسماء التى يكثر اقترانها باسم (محمد) عند الشناقطة ؛ تبركاً وتيمناً أيضاً برسول الله ﷺ (٤) وإلى هذا يشير الشيخ محمد المجذوب بقوله : والأمين كالمختار من

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١٨/١ (من المقدمة) .

(٢) راجع نسب أسرة الشنقيطى الذى يرجع إلى (غَالِب) جَدُّ رسولِ الله ﷺ كما أثبتته البحث

ص

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١٨/١ (من المقدمة) .

(٤) حيث عُرِفَ ﷺ قبل بعثته بـ (الصَّادِقُ الأَمِين) كما أنه (المختار) الذى اختاره ربه سبحانه واصطفاه

على جميع خلقه لحمل رسالة الإسلام الخاتمة .



الأسماء التي كثيراً ما تقرن باسم محمد عند الشنقيطين ؛ تبركاً وتيمناً وتعبيراً عن حبهم لرسول الله ﷺ (١) .

## ٢- وإما الجكني:

فنسبة إلى قبيلته (بنى جاكَن أو بنى جَاكَن) التي تسمى باسم جدها الأكبر (جَاكَن الأَبْر) ومن ثم يعرف أهل هذه القبيلة بـ (الجكنين) .

## ٣- وإما الشنقيطي:

فنسبة إلى مقسط رأسه ببلاده (شنقيط) والمعروفة الآن بـ (جمهورية موريتانيا الإسلامية) .

### ● ملاحظات حول اسمه :

١- يذكر البعض اسمه بتقديم الشنقيطي على الجكني ، والأولى خلاف ذلك كما جاء في عنوان تفسيره ؛ حيث كتب على الغلاف ما نصه : (تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي) وليس (الشنقيطي الجكني)<sup>(٢)</sup> وجدير بالذكر أن هذا العنوان قد كتب في حياة الشنقيطي بعدما أقره ووافق عليه .

٢- يذكره البعض كذلك باسم : (محمد الأمين بن المختار بن عبد القادر اليعقوبي)<sup>(٣)</sup> وذلك نسبة إلى (يعقوب بن جَاكَن الأَبْر) المذكور في سلسلة نسبه السابق .

٣- يختصر البعض اسمه فيذكرونه بـ : (محمد الأمين الشنقيطي) اكتفاءً منهم بنسبته إلى بلاده (شنقيط) عن غيرها من النَّسَب الأخرى<sup>(٤)</sup>

٤- وَهَمَّ البعض ؛ حيث اختلط عليه الأمر فذكر الشنقيطي باسم : (محمد أمين) بدلاً من (محمد الأمين) بتنكير (أمين) بدلاً من (الأمين) بتعريفها<sup>(٥)</sup> والواقع أن (محمد أمين) غير

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٧١ .

(٢) انظر غلاف تفسيره المسمى : (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) في جميع طبعاته .

(٣) ومنهم تلميذه وابن قبيلته : أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي في كتابه (إعداد المهج للاستفادة من المهج في قواعد الفقه المالكي) .

(٤) ومنهم تلميذاه في ترجمتهما له :

● الشيخ عطية محمد سالم في (أضواء البيان) : ١/٣-٦٤ (من المقدمة) .

● الشيخ محمد المجذوب في كتابه (علماء ومفكرون عرفتهم) : ١/١٧١ - ١٩١ .

(٥) ومنهم : مقتدى حسن الأزهرى في كتابه الذي وسمه بعنوان : (القول السديد في كشف حقيقة التقليد) - راجع في ذلك ص من هذا البحث .



(محمد الأمين) المعنى بالبحث ؛ وقد وقع الخلط بينهما لأن كلا منهما (شَنَقِيْطِيّ) كما سيأتي بيان ذلك بعد قليل .

٥- ينطق البعض اسمه بلفظ : (الشَّنَقِيْطِيّ) بكسر الشين المعجمة ، والصواب : (الشَّنَقِيْطِيّ) بفتحها ؛ وذلك نسبة إلى (شَنَقِيْط) بالفتح ، وليست (شَنَقِيْط) بالكسر<sup>(١)</sup> .

---

(١) راجع الضبط الصحيح للفظ شَنَقِيْط ومعناه ص من هذا البحث .



## المبحث الثاني لقبه واشتقاقه

وينتظم المطلبين التاليين :

- ١- المطلب الأول : لقيه .
- ٢- المطلب الثاني : اشتقاقه .





## المطلب الأول

### لقب

يلقب الشنقيطي بـ : (أَبَا) بمد الهمزة وتشديد الباء من الإِبَاء (١) .

## المطلب الثاني

### اشتقاق

إذا نظرنا إلى أصل هذا اللقب في اللغة نجد أنه من الفعل : (أَبَى يَأْبَى إِبَاءً وَإِبَاءَةً) إذا استعصى أو امتنع وترَفَّع ، ويقال : (رجل أَبَاءٌ أو أَبَاءٌ) إذا أَبَى أن يُضَام (أي رفض أن يُظْلَم) أو إذا تَرَفَّعَ عن حقه ؛ لأن له نفساً أَيْبَةً تَعْفُ عَمَّا لَهَا من حقوق (٢) ؛ ومن ثم فإننا نرى أن أصل (أَبَا) هو : (أَبَاءٌ أو أَبَاءٌ) غير أنها جاءت ممدودة الهمزة في أولها ، مقصورة في آخرها ، وكان الهمزة التي قصرت في آخرها قد زيدت في أولها فصارت (أَبَا) ثم سَكَّنَت الهمزة الثانية المنقولة ، في حين ظلت الهمزة الأولى الأصلية على حالها ؛ لتصير الكلمة (أَبَا) ثم أدغمت الساكنة في المتحركة لتصبح ألفاً ممدودة ؛ ولستؤول الكلمة في النهاية إلى (أَبَا) كما هو اللقب .

ولهذا ما يؤيده في لسان الشناقطة ؛ حيث يكثر ميلهم إلى نطق أول الكلمات المهموزة بألف ممدودة ، ومن أمثلة ذلك : آدارا بدلاً من أدرار (٣) وآطار بدلاً من أطار (٤) وآوكار بدلاً من أوكار (٥) .

كما يميل الشناقطة كذلك إلى قصر الممدود ، وهذا أكثر من أن يُحصَى ؛ حيث إنه معروف في اللغة ، مشهور في لسان العرب ، ومنه : سَمًا بدلاً من سماء ، وصحرا بدلاً من صحراء ، وخضرا بدلاً من خضراء ، وهكذا دواليك .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١٨/١ (من المقدمة) .

(٢) انظر في ذلك مادة (أَبَى) في كل من : لسان العرب : ١٤/١ - مختار الصحاح : ص ٣ - المعجم الوسيط : ٤/١ .

(٣) أدرار : تعنى عند الشناقطة (الجبل) ولذا يتخذونها علماً على جبال شاهقة الارتفاع في بلادهم - انظر (الوسيط في تراجم أدياء شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطي ص ٤٢٨ .

(٤) أطار : تعنى عندهم (الطريق) ويطلقونها اسماً لمدينة عظيمة ، أكثر دوراً ونخياً من مدينة شنقيط - انظر المصدر السابق : ص ٤٣٤ ، ٥٤١ .

(٥) آوكار : هي اسم لأرض شاسعة المساحة بها كثير من المناهل والقفار بالبلاد - انظر المصدر السابق أيضاً : ص ٤٦١ - ٤٦٢ .



• ملاحظة حول لقبه :

ذكر الشيخ محمد النحوي لقب الشنقيطي على أنه (آب ابن أخطور) بمد الألف من (آب) وفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة من (أخطور) وذلك في معرض حديثه عن نظام (المحاضر) في بلاده شنقيط<sup>(١)</sup> حيث يقول مانصه : ومن سفراء المحظرة في الديار السعودية الشيخ محمد الأمين آب بن أخطور صاحب : (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)<sup>(٢)</sup> .

كما عرّض الطيب بن عمر بن الحسين لتعريف الشنقيطي بهذا اللقب أيضاً قائلاً : هو محمد الأمين الملقب (آب) بمد الهمزة وتشديد الباء من الإباء ، ابن محمد المختار الملقب (أخطور) اختصاراً للمختار<sup>(٣)</sup> .

وواضح أن لفظ (آب) يقابل (آباً) أما لفظ (أخطور) فيقابل (المختار) على عادة الشناقطة الغالبة في مثل هذه الألقاب ؛ ومع ذلك فلم نقف على ذكر الشنقيطي بهذا اللقب (آب بن أخطور) عند غير الشيخين : (النحوي والطيب) المذكورين .

(١) راجع تفصيل ذلك من خلال (التعليم في شنقيط) ص من هذا البحث .

(٢) دور التعليم التقليدي في نشر الإسلام والعربية في موريتانيا : الشيخ خليل النحوي - مجلة الأمة ص ٦٣ - العدد ٦٧ - السنة ٦ - إصدار رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية - قطر - رجب الفرد ١٤٠٦ هـ = مارس (آذار) ١٩٨٦ م .

(٣) السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٤ .



## المبحث الثالث سَمِيَهُ وَشَبِيهُهُ

ويتنظم المطلبين التاليين :

- ١- المطلب الأول : العلماء الثلاثة .
- ٢- المطلب الثاني : العلماء الآخرون .



تمخض البحث عن ثلاثة من علماء الشناقطة كلهم يلتبس اسمه باسم الشنقيطي ، هذا بالإضافة إلى مَنْ اشتهر منهم باسم الشنقيطي بعيداً عن ذلك اللبس ؛ وللتمييز بين هؤلاء العلماء وبين الشنقيطي ؛ فقد لجأنا إلى وصفه بـ (الشنقيطي المفسر) أمناً لللبس ، ورفعاً للخلط ، الذي قد يتوهم بينه وبينهم .

ويمكننا إيجاز الحديث عن العلماء الثلاثة ، ثم عن الشناقطة الآخرين ، ممن اشتهروا جميعاً باسم (الشنقيطي) وذلك من خلال المطالبين التاليين :

### المطلب الأول

### العلماء الثلاثة

منهم اثنان (سَمِيَّانِ) للشنقيطيّ (المفسر) من حيث التطابق التام بين اسميهما واسمه ، في حين أن الثالث (شبيهه) له .

#### ● سَمِيَّةُ الْأَوَّلِ : الشنقيطيّ الشارح :

هو محمد الأمين بن أحمد زيدان بن محمد بن المختار بن سيدى الأمين بن المختار بن أحمد بن الطالب الإبراهيمي الجكني الشنقيطي ، والمشهور باسم (محمد الأمين الشنقيطي) مولده ووفاته ببادية موريتانيا بين عامي (١٢٤٠هـ = ١٣٥٠هـ) على وجه التقريب ، وله من التأليف العديدة ، والتصانيف المفيدة ، ما يربو على العشرين مؤلفاً ، أغلبها من شروح المتون الشرعية واللغوية المختلفة ، وكأنه مختص بالشروح دون غيرها ؛ ولذا كان تمييزنا له بوصف (الشنقيطي الشارح)<sup>(١)</sup> .

#### ● سَمِيَّةُ الثَّانِي : الشنقيطيّ السقيير :

هو محمد الأمين الشنقيطي ، حيث لم نعر على اسمه كاملاً ، كما لم نقف على تاريخ مولده ، أما وفاته فقد وقعت على الأرجح في أعقاب الخمسينيات في حدود عام (١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م) وقد عمل سفيراً للأردن لدى كل من السعودية والسودان ، كما كان مشرفاً عاماً على كلية الشريعة (أو المعهد الشرعي سابقاً) بالأردن في نهاية

(١) ومن أشهر هذه الشروح : (شرحه على مختصر خليل - وشرحه على مراقى السُّعود - وشرحه على المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب) وكلها في الفقه المالكي ، وكذا (شرحه على ألفيه المختار بن بونا الجكني في النحو العربي) .

● انظر ترجمته في (إعداد المهج للاستفادة من المنهج) : أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي





الخمسينيات ، والتي كان يرأسها آنذاك الأستاذ تيسير ظبيان ، وقد عُرف بمكارم أخلاقه ، وتقديم العون لمحتاجيه ، من أهل بلاده خاصة ، فضلاً عن غيرهم عامة<sup>(١)</sup> .

### ● شَيْبُهُ : الشنقيطي المؤسس :

هو أبو يوسف أو أبو عائشة محمد أمين (بدون الألف واللام) بن عبدی بن فال الخير ابن حبيب الله ابن أبي بن حبيب بن أحمد بن أعمَر بن كدّاش (أو أكداش) الحسنی الشنقيطي ، والمشهور باسم (محمد أمين الشنقيطي) مولده ببلاده شنقيط عام (١٢٩٣ هـ = ١٨٧٦ م) أما وفاته فكانت بمدينة الزبير العراقية عام (١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م) .

وقد ظل ينتقل معلماً وداعياً بين مصر والحجاز وغيرهما ، إلى أن حطَّ عصا الترحال بمدينة الزبير ، حيث أسس بها (جمعية النجاة الأهلية) عام (١٣٤١ هـ = ١٩٢٢ م) ثم (مدرسة النجاة أو مدرسة الشنقيطي) التابعة للجمعية ذاتها عام (١٣٤٢ هـ = ١٩٢٣ م) ولا تزال هذه المدرسة قائمة حتى يومنا هذا ، ويقوم منهجها على مدارس العلوم الشرعية واللغوية ؛ بهدف تربية وتخريج أجيال متلاحقة من العلماء العاملين ، والدعاة الجادّين<sup>(٢)</sup> .

ولما كان اسم (محمد أمين) يشبه اسم الشنقيطي المفسّر (محمد الأمين) إلا من (الألف واللام) في (أمين) لذا فقد أطلقنا عليه : (شَيْبُهُ) ثم ولما غلب على نشاطه أيضاً تأسيس كل من (جمعية النجاة) ثم (مدرسة النجاة) التابعة لها ؛ لذا فقد أطلقنا عليه : (المؤسس) .

## المطلب الثاني

### العلماء الآخرون

ونقصد بهم أولئك العلماء الذين اشتهروا بلقب (الشنقيطي) غير الثلاثة المذكورين ، وقد ورد ذكر هؤلاء العلماء عند كل من الزركلي ، وكحّالة ، كما تمخض البحث عن وجود غيرهم بنفس الشهرة كذلك ، ويمكن إيجاز ذكر هؤلاء وأولئك على النحو التالي :

(١) راجع إيجاز ترجمته في : (ذكریات مع الشيخ الراحل محمد الأمين الشنقيطي) : عدنان ساری الزبن - مجلة الشريعة ص ١٤ - العدد ٢٩٠ - إصدار وزارة الشباب - عمّان - الأردن - رجب ١٤١٠ هـ = شباط (فبراير) ١٩٩٠ م .

(٢) راجع تفصيل ترجمته في كل من :

● من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة : الدليشي الخالدي ص ١١ ، ٢٣٩ .  
● الشنقيطي ومدرسة النجاة في الزبير : د. علي أبا حسين - مجلة الدارة ص (١٠٤ - ١٢٨) - العدد ١ - السنة ١٣ - الرياض - المملكة العربية السعودية - شوال ١٤٠٧ هـ = يونيو ١٩٨٧ م .



● المشهورون باسم (الشنقيطي) عند الزركلي :

أورد خير الدين الزركلي في كتابه (الأعلام) تسعة منهم ، ونكتفى في التمثيل لهم بذكر الثلاثة التاليين :

١- الشنقيطي (أحمد بن الأمين) :

نزيل القاهرة والمتوفى بها عام (١٣٣١هـ = ١٩١٣م) ، وصاحب كتاب (الوسيط في تراجم أدياء شنقيط) المرجع الأول ، والمصدر الرئيس ، للحديث عن شنقيط وأدبائها<sup>(١)</sup> .

٢- الشنقيطي (محمد الخضر بن ماياي) :

جكني ، مفتي المالكية بالمدينة المنورة ، والمتوفى بها عام (١٣٥٣هـ = ١٩٣٥م)<sup>(٢)</sup> .

٣- الشنقيطي (محمد محمود بن التلاميذ) :

ويعرف أيضا بـ (التركزي) و(ابن التلميذ) نزيل القاهرة ، والمتوفى بها عام (١٣٢٢هـ = ١٩٠٤م)<sup>(٣)</sup> .

● المشهورون باسم (الشنقيطي) عند كحالة :

أورد عمر رضا كحالة في كتابه (معجم المؤلفين) ثلاثة عشر منهم ، بزيادة أربعة فوق التسعة المذكورين عند الزركلي ، ونكتفى في التمثيل لهم بذكر الثلاثة التاليين :

١- الشنقيطي (أحمد البدوي) :

المجلسي النسب ، ثم البوحمدى اليعقوبى الأموى المدني ، نَسَابَةٌ شهير ، أحيا

(١) الأعلام : الزركلي ٩٧/١ - كما وردت ترجمته كذلك في كل من :

● كتابه (الوسيط) : ص ٧ - ١٠ .

● معجم المطبوعات العربية والمعربة : جمع وترتيب يوسف إيلان سركيس ص ١١٤٨ - مكتبة

ومطبعة سركيس - القاهرة - ١٣٤٦هـ = ١٩٢٨م .

(٢) الأعلام : الزركلي ٣٤٧/٦ .

(٣) الأعلام : الزركلي ٣١١/٧ .

● كما وردت ترجمته كذلك في كتاب (الوسيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطي ص ٣٨١ - ٣٩٧

(وقد جاء فيه : أن التلاميذ بالدال المهملة هي تصحيف التلاميذ بالذال المعجمة) .

● ومن المصادر التي ذكرته بـ (ابن التلميذ) كتاب (الروض الفتيق الفائق ، ومؤنس الكتيب

العاشق) : لإمام الحرمين محمد بن عبد الوهَّاب بن داود الهمداني ص ٤٤٤ - الطبعة ٢ - شرح

وتحقيق : سعيد ناصر الدهان - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .



أنساب العرب بنظمه (عمود النسب) وأجاد فيه ، وكانت وفاته عام ( ١٢٢٠ هـ = ١٨٠٥ م )<sup>(١)</sup> .

٢- الشنقيطي (بَاب بن أحمد) :

علويّ ، عالم أديب ، كانت وفاته في حدود عام ( ١٢٦٠ هـ = ١٨٤٤ م )<sup>(٢)</sup> .

٣- الشنقيطي (محمد بن محمد) :

كنيته (أبو عبد الله) وكان فاضلاً متصوفاً ، كما كان حياً بعد عام ( ١٣٢٠ هـ = ١٩٠٢ م )<sup>(٣)</sup> .

### ● المشهورون باسم (الشنقيطي) بين يدي البحث :

تمخض البحث عن وجود سبعة من العلماء اشتهروا جميعاً باسم (الشنقيطي) فوق الذين ورد ذكرهم عند كل من الزركليّ وكحّالة ، ويمكن إيجاز ذكرهم فيما يلي :

١- الشنقيطيّ (أحمد بن أحمد المختار) :

الجكني ، المدرس بالمسجد الحرام بمكة المكرمة ، وصاحب كتاب : (إعداد المهج ، للاستفادة من المنهج ، في قواعد الفقه المالكيّ) كما أنه أحد تلاميذ صاحبنا الشنقيطي المفسر<sup>(٤)</sup> .

٢- الشنقيطيّ (أحمد المختار) :

الجكني ، عالم بالأنساب ، وصاحب كتاب : (التعليق الصواب على تحفة الألباب)<sup>(٥)</sup> .

(١) معجم المؤلفين : كحالة ١/١٧٣ - كما وردت ترجمته كذلك في كل من :

● الوسيط : أحمد بن الأمين الشنقيطيّ ص ٣٥٠ - ٣٥٢ .

● إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : لإسماعيل باشا البغدادي ١/١٢٦ - نشر مكتبة المثني - بغداد - العراق - (د.ت) .

(٢) معجم المؤلفين : كحالة ٣/٣٣ - كما وردت ترجمته كذلك في كل من :

● الوسيط : أحمد بن الأمين الشنقيطيّ ص ٣٤ - ٣٧ .

● اليواقيت الشيمنة في أعيان مذهب عالم المدينة : لمحمد البشير ظافر الأزهرى ١/١١٧ - مطبعة الملاجيء العباسية التابعة لجمعية العروة الوثقى - القاهرة - ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م .

(٣) معجم المؤلفين : كحالة ١١/٢٢٣ .

(٤) راجع تفصيل ترجمته في (السلفية وأعلامها في موريتانيا) : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩٥ - ٣٩٩ .

(٥) راجع تفصيل ترجمته في (الوسيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطيّ ص ٣٥٢ - ٣٥٦ .

● و(التعليق الصواب) هو عبارة عن حاشية على : (تحفة الألباب في شرح الأنساب) للشيخ

حمّاد بن الأمين المجلسيّ الموريتانيّ - انظر (التحفة وحاشيته التعليق) - ثلاثة أجزاء - الطبعة ١ -

مطبوعات إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .



٣- الشنقيطي (الحسن بن أبيه) :

الحسنى ، أديب معروف ، وقد استشهد صاحبنا الشنقيطي بشعره غير مرة في تفسيره ، ومن ذلك استشهاده على عِظَم كيد النساء في معرض تفسير قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ ﴾ الآية<sup>(١)</sup> بقول الشاعر الذى يبين به سبب عِظَم هذا الكيد قائلاً :

ما استعظم الإله كَيْدَهُنَّ  
إِلَّا لِإِنَّهِنَّ هُنَّ هُنَّ<sup>(٢)</sup>

٤- الشنقيطي (محمد بن أحمد) :

ولقبه (الداه) صاحب كتاب : (فتح الرحيم على فقه الإمام مالك بالأدلة) حيث جاء بآخره أن الفراغ منه كان فى شعبان من عام (١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م)<sup>(٣)</sup> .

٥- الشنقيطي (محمد بن أبى مدين) :

ومن آثاره كتاب : (الصوارم والأسنة فى الذب عن السنة) والذى صدر فى طبعته الأولى عام (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م)<sup>(٤)</sup> .

٦- الشنقيطي (محمد بن حنبل) :

ويعرف كذلك بـ (ابن الفال الحسن) أو (البوحسنى) من أعلام العلماء فى بلاده فى النحو والشعر وغيرهما ، كما عُرِفَ عنه انقطاعه لطلب العلم وتعليمه وحضه الناس على ذلك<sup>(٥)</sup> .

(١) يوسف : ٢٨ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي : ٧٢/٣ .

• وقد أراد الشاعر أن يعبر بقوله هذا عن مدى تعجبه وحيرته إزاء تفسيره لعِظَم كيد النساء ، غير أنه لم يجد لذلك من سبب إلا أن النساء هُنَّ النساء ؛ ومن ثم فالكيد باق ما بقيت النساء ؛ لذا نراه يؤكد هذا المعنى تأكيداً لفظياً بقوله : (هُنَّ هُنَّ) فالثانية تأكيد للأولى ، أما الهاء الساكنة فلضرورة التصريح بين قافية البيت وعروضه (هُنَّ : هُنَّ) .

(٣) انظر فى ذلك كتابه :

• فتح الرحيم على فقه الإمام مالك بالأدلة : محمد بن أحمد الملقب بـ (الداه الشنقيطي) - ثلاثة

أجزاء - الطبعة ١ - مكتبة القاهرة بميدان الأزهر - مصر - شعبان ١٣٨٧ هـ = نوفمبر ١٩٦٧ م .

(٤) الصَوَارِمُ وَالْأَسْنَةُ فى الذب عن السنة : محمد بن أبى مدين بن الشيخ أحمد بن سليمان الشنقيطي -

الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

(٥) راجع تفصيل ترجمته فى (الوسيط فى تراجم أدياء شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطي ص ٣١١ -





وقد أكثر صاحبنا الشنقيطي المفسر من الاستشهاد بشعره ، خاصة بقصيدته البائية التي يحض فيها على طلب العلم قائلاً :

لا تَسُوءَ بِالْعِلْمِ ظَنًّا يَا فَتَى      إِنَّ سَوْءَ الظَّنِّ بِالْعِلْمِ عَطَبٌ<sup>(١)</sup>

٧- الشنقيطي (محمد المصطفى) :

ابن الإمام العلوي ، وقد كان أحد أفاضل العلماء الذين وافقوا الشيخ سليمان العمري في دعوته إلى ضرورة صلاة الوتر في جماعة واحدة خلف الإمام الراتب بالحرم النبوي الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم ؛ وقد استأنسا في دعوتهما هذه بقول الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

● **وبعد :** فهؤلاء هم العلماء الذين اشتهروا باسم (الشنقيطي) كاسم صاحبنا (الشنقيطي المفسر) حيث بلغ مجموعهم ثلاثة وعشرين عالماً ، أما غيرهم ممن لم يشتهروا بذلك من علماء الشناقطة فيندون عن الحصر والإحصاء ؛ وذلك لكثرتهم وانتشارهم في شتى أنحاء المعمورة ، ومن أمثالهم : محمد بن الطلب يعقوبي ، والمختار بن بونا الجكني ، والشيخ ماء العينين<sup>(٣)</sup> وغيرهم من علماء الشناقطة خلق كثير<sup>(٤)</sup> .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٢/١ (من المقدمة) .

ومطلع هذه القصيدة قوله :

أضرمَ لهمَّ سَحيراً فَالتَهَبُ      لَمَعُ بَرَقِ بَرِيَّاتِ الذَّهَبِ

وقد وردت بتمامها ضمن ترجمة الشاعر في كتاب (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطي ص ٣١٤ - ٣١٨ .

(٢) آل عمران : ١٠٣ .

والشيخ سليمان العمري كان قاضياً بالمدينة المنورة ، فضلاً عن عمله كرئيس للمدرسين بالحرم النبوي الشريف ، ومراقبته على الدروس العلمية به - انظر ذكر الشيخين العمري ومحمد المصطفى الشنقيطي في :  
● التراويح أكثر من ألف عام في مسجد النبي ﷺ : الشيخ عطية محمد سالم ص ١٤٦ ، ١٥٠ ،  
١٥١ - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (١) - الطبعة ١ - دار التراث - المدينة المنورة -  
١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

(٣) راجع تفصيل تراجمهم على الترتيب في :

● الوسيط في تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطي ص (٩٤ - ١٩٠) - (٢٧٧) -  
(٢٨٣) - (٣٦٥ - ٣٦٧) .

(٤) انظر المزيد من هؤلاء العلماء في كل من :

● الوسيط في تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطي ص ١١ - ١٥ .

● ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة المورثانية : يحيى بن البراء ص ٩٣ - ١٢١ .



غير أننا أثرنا ذكر مَنْ اسمه الشنقيطيّ غير صاحبنا المفسّر ؛ وذلك أمناً لللبس ، ورفعاً للخلط ، الموهم بينه وبينهم ؛ الأمر الذي لا يتداركه كثير من الباحثين ، فضلاً عن غيرهم من طلاب العلم ، خاصة وأن هؤلاء العلماء قد اشتهروا جميعاً باسم (الشنقيطيّ) .

ولما لم يشتهر أيٌّ من هؤلاء العلماء الشناقطة بالتفسير سوى صاحبنا الشنقيطيّ ؛ لذا فلم نجد بُدّاً في التمييز بينه وبينهم ، إلا أن نصفه بـ (الشنقيطيّ المفسّر) وذلك نسبة إلى تفسيره : (أضواء البيان) المعنيّ في هذا البحث ، والذي صار مقروناً به ، ودالاً عليه .



## الفصل الثالث مولده ونشأته

ويتنظم المبحثين التاليين :

١- المبحث الأول : مولده .

٢- المبحث الثاني : نشأته .



## المبحث الأول مولده

ويتنظم المطلبين التاليين :

- ١- المطلب الأول : تاريخ مولده .
- ٢- المطلب الثاني : موطن مولده .





## المطلب الأول تاريخ مولده

وُلِدَ الشنقيطي عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة (١٣٢٥هـ)<sup>(١)</sup> وهو ما يقابل بالتقويم الميلادي عام سبعة وتسعمائة وألف من الميلاد (١٩٠٧م)<sup>(٢)</sup> .

### ● ملاحظة حول تاريخ مولده :

حيث وقع تصحيف فيما أورده الشيخ عطية من أن مولد شيخه الشنقيطي كان عام خمسة وثلاثمائة وألف من الهجرة ١٣٠٥هـ ، وذلك في معرض ترجمته الموجزة لشيخه من خلال تقديمه لرحلة حجه الأول إلى بيت الله الحرام<sup>(٣)</sup> .

وقد دفعني هذا التصحيف إلى توثيق تاريخ مولد الشنقيطي بسؤال كل من : تلميذه الشيخ عطية ، وولديه الدكتور محمد المختار والدكتور عبد الله ؛ حيث أكدوا جميعهم أنه ولد عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة (١٣٢٥هـ) وهو ذات التاريخ الذي أثبتناه في صلب البحث والتزمناه في ثناياه<sup>(٤)</sup> .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين قد أثبت ذات التاريخ دون التنبيه إلى ما وقع فيه من تصحيف ، في حين نبّه البعض الآخر إلى ذلك<sup>(٥)</sup> وفي مقابل هؤلاء وجدنا

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١٩/١ (من المقدمة) .

(٢) قد قابلنا هذا التاريخ في كل من :

● الأعلام : الزركلي ١/١٥١ - وذلك في معرض ترجمة الدكتور أحمد السَّمان ، حيث أورد الزركلي تاريخ مولده ووفاته بين عامي : (١٣٢٥ - ١٣٨٦هـ) الموافق لعامي : (١٩٠٧ - ١٩٦٦م) .

● التقويم الياباني الهجري الميلادي (هيل هـ - م) : لحساب شركة كهرباء الشرق - جدة - المملكة العربية السعودية - (د. ت) .

● برنامج المؤذن العربي (الإصدار رقم ١٠١) : شركة الخليج العالمية للتكنولوجيا المصرية - القاهرة - (د. ت) .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : بقلم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص ١٤ - الطبعة ١ - دار الشروق - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

(٤) وقد تم هذا من خال لقائي معهم في غضون عام (١٤١٢هـ = ١٩٩٢م) بمنزل الدكتور محمد المختار ، وهو ذات منزل والده الشنقيطي بباب الكومة بالمدينة المنورة بالقرب من الحرم النبوي الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

(٥) ومن المصادر التي لم تشر إلى ذلك التصحيف نذكر كلاً من :

● ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٠ =



بعضاً من الباحثين الآخرين قد وقع في التصحيف المشار إليه ؛ فسايره ولم يتنبه إليه<sup>(١)</sup> .

## المطلب الثاني

### موطن مولده<sup>(٢)</sup>

ولد الشنقيطي عند عين للماء تعرف بـ (بئر تَنْبَه) بجانب ذلك الوادي الفسيح ، ذى البطاح والمياه والنخيل ، حيث مسقط رأسه بقرية (قرو) التابعة لمديرية (كَيْفَا) من القطر المسمى (شنقيط) أو (جمهورية موريتانيا الإسلامية الحديثة) الآن ، وتبعد مدينة (كَيْفَا) عن مدينة (نواكشوط) عاصمة البلاد بمسافة ستمائة وستة كيلو مترات ٦٠٦ كم شرقاً ، فى حين تبعد (تَنْبَه) عن مدينة (كَيْفَا) بمسافة ستين كيلو متراً ٦٠ كم شمالاً .

وكما أن (تَنْبَه) اسم البئر ، فكذلك (كَيْفَا أو كَيْفَه) اسم لبئر مشهورة بمائها المالح ؛ وبالرغم من ذلك إلا أنها تعد إحدى المناهل العظيمة التى تردّها الإبل ، فتتعم بشربها ، ويكثر لبنها ، كما أنها ملقط عظيم للصمغ العربى ذى الجودة العالية .

- 
- = • منسك الإمام الشنقيطي : (د. عبد الله الطيار) مع (د. عبد العزيز الحجيلان) - ١٣/١ .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧١/١ .
- الإقليد فى الأسماء والصفات ، والاجتهاد والتقليد : تأليف العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص ٨ - تحقيق وتعليق : شريف بن محمد فؤاد بن هزّاع ص ٨ .
- (١) و من المصادر التى أشارت إلى ذلك التصحيف نذكر كلاً من :
- نثر الورود على مراقى السعود : شرح الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطي ١٧/١ .
- السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٥ .
- محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه : تأليف العلامة محمد الأمين الشنقيطي ص ٨ - تحقيق وتعليق وعنوان : ساعد عمر غازى - ص ٨ .
- (٢) انظر موطن مولده ولفظ شنقيط ومعناه فى كل من :
- أضواء البيان : الشنقيطي ١٩/١ (من المقدمة) .
- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٥ - ٤٠ .
- الوسيط فى تراجم أدياء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطي ص ٤٥١ .
- السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٥ .
- موريتانيا الحديثة : محمد يوسف مقلد ص ٤٥ .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة الموريتانية : يحيى بن البرّاء ص ٤ .
- الجأش الربيط فى النضال عن مغربية شنقيط : محمد الإمام بن ماء العينين ص ١١ .
- مظاهر الوعى القومى عند مثقفى شنقيط : أحمد ولد الحسن ص ١١٢ .
- المقدمة فى التاريخ : لعبد الرحمن بن خلدون ١٤٤/٦ .



وأما (شَنْقِيط) فكانت ولا تزال اسماً لقرية من أعمال مديرية (آطار) في أقصى الشمال الغربي من موريتانيا ، وهي تعنى عندهم (عيون الماء التي كانت تشرب منها الخيول) ثم سمي القطر كله باسم (شَنْقِيط) من باب تسمية الشيء باسم بعضه أو تسمية الكل باسم الجزء ، وقد سبق الحديث عن مدينة (شَنْقِيط) وما لها من مزايا وخصوصية من حيث حُسْنُ مناخها وبطاحتها وجودة تمرها الذي لا يصبر عليه آكله ، إلى غير ذلك من الميزات الظاهرة عندهم .

وأما (آطار) فتعنى عندهم الطريق ، وقد صارت علماً على تلك المدينة العظيمة التي تفوق (شَنْقِيط) من حيث كثرة دورها ونخيلها ، وتبعد عنها مسافة يومين من جهة الجنوب الغربي ، كما تجاورها أودية كثيرة ، ويعرف أهلها بـ : (السَّمَّاسِدَة) .



## المبحث الثاني نشأته

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١- المطالب الأول : مرحلة الطفولة .
- ٢- المطالب الثاني : مرحلة البلوغ .
- ٣- المطالب الثالث : مرحلة الطلب .





## المطلب الأول مرحلة الطفولة

تمتد هذه المرحلة في حياة الشنقيطي منذ مولده ونعومة أظافره ، حتى بلوغه سن العاشرة ، وتتميز بما خالطها من الطرافة والغرابة ؛ حيث لم يكن أول هذه الطفولة المرحّة المدللة ليدل على ما انتهى إليه آخرها من مواصلة الجهد ، وظهور النجابة ، في تحصيل العلوم النافعة ، وحفظ المتون الجامعة ، وهذا ما يتضح لنا من خلال تطورات طفولته التالية :

### ● الشنقيطي وحيد والديه :

نشأ الشنقيطي يتيماً ؛ حيث تُوفّي والده وهو لا يزال صغيراً يقرأ في جزء (عمّ) وقد ترك له ثروة مناسبة من الحيوان والمال ، ثم صار أمره إلى أمه التي وقفت نفسها على تربيته والعناية به كأشد وأبلغ ما تكون تربية الأم وعنايتها بوحيدها ، غير أنه كان لابد لهذه الأم ووحيدها من الرعاية والعون ما يمكنهما من مواصلة رحلتها في الحياة .

ومن ثم ؛ فقد انتقلت أم الشنقيطي مع وحيدها إلى بيت أخواله الذين هم أبناء عمّ أبيه ؛ وبسكنى الشنقيطي في بيت أخواله نال ضعفين من الرعاية والعناية ؛ حيث صار له حظه من رعاية وعناية أخواله به فوق حظه من رعاية وعناية أمه به ، وفي ذلك يقول الشنقيطي ما نصه : توفي والدي وأنا صغير أقرأ في جزء (عمّ) وترك لي ثروة من الحيوان والمال ، وكانت سُكناي في بيت أخوالي ، وأمى ابنة عمّ أبي ، وقد عنيت بي والدتي وأخوالي أشد عناية<sup>(١)</sup> .

### ● الشنقيطي في بيت أخواله (المدرسة الأولى الأهلية) :

يمثل بيت أخواله (مدرسة الأولى الأهلية) حيث كان جميع مشايخه ومدرسيه فيها هم أهله وذووه من أخواله وزوجاتهم وأبنائهم ؛ وفي تلك المدرسة الأهلية بدأ يتكون الشنقيطي الطفل الصغير ؛ فينمو جسده ، ويتبلور عقله ، ويتلون فكره ، وتتضح بواكير ومعال شخصيته ؛ ليصير فيما بعد جزءاً من كل ، ووحدة صغيرة في بناء كبير هو بناء قبيلته (بنى جاكّان) .

تلك القبيلة التي تأثر الشنقيطي بحميد خصالها، وكريم سجايها، من الأصالة والعلم ، والكرم والفروسية ، إلى غير ذلك من الصفات والأخلاق التي بوّأتها موقع الصدارة ،

(١) راجع تفصيل صفات قبيلته (بنى جاكّان) ص من هذا البحث .



وجعلتها أشهر القبائل ؛ ومن ثم كان شرفها وعلو شأنها ، وكذا ارتفاع سهمها وذيوع صيتها ، في طول البلاد وعرضها<sup>(١)</sup> .

ذلكم هو المناخ الذي احتوى الشنقيطي منذ أن فتح عينيه على هذه الدنيا ؛ مما كان له أكبر الأثر وأعظمه في بناء أساسه الأخلاقي ، وتشكيل وجدانه النفسي ؛ تمهيداً لتربية ملكاته العقلية ، ورسم ملامحه الفكرية ، اضطلاعاً بما يؤمله فيه أهله وذووه كأحد علماء الإسلام النابهين .

#### ● الشنقيطي لا يميل إلى الدراسة :

نشأ الشنقيطي مرفهاً مدلاً ؛ ومن ثم مالت نفسه إلى المرح واللعب ، أكثر من الدرس والطلب ، ولم يكن هذا السلوك غريباً من طفل نشأ في مثل بيئته ، وحظى بمثل رعايته ؛ حيث اجتمعت عوامل عدة على جعله موضع الاهتمام ، ومَحَطَّ الأنظار ، لدى القائمين على أمره ، والمعنيين بتربيته ، بدءاً بأمه ، ومروراً بأخواله ، وانتهاءً بسائر أهله وذويه .

ولا يخفى أن محور هذه العوامل جميعها يتمثل في كون الشنقيطي نشأ وحيد والديه ، ثم ذاق مرارة اليتيم مبكراً ؛ ليصير بذلك وحيد أمة التي أرضعته حنانها ، وروته عصارة قلبها ؛ ولتعوضه بذلك عن فقد أبيه وترى فيه امتداداً له ، غير أنها ما لبثت أن رحلت عنه بعد أن أتم مرحلة البلوغ ، لتلحق بأبيه .

ومع ذلك ؛ لم يكن الشنقيطي يتيماً أبويته محروماً أو مُعَدَمًا ، بل كان طفلاً مرفهاً مدلاً ، فشاباً موسراً قادراً ؛ بما تركه له والده من الثروة ، فوق ما حظى به من رعاية أخواله له ، وعنايتهم به ، وَهُمْ بِدَوْرِهِمْ مِنْهُمْ مِنْ يُسْرِ الْحَالِ ، ورغد العيش ؛ لهذا كله لم يعرف الحرمان إلى قلبه سبيلاً ، ولم يقعد به اليتيم عن انطلاقه طفلاً مدلاً ، وشاباً ميسوراً .

وقد دفعه ذلك إلى إثثار لهو وبراءة المرح واللعب ، على عناء ومثابرة الدرس والطلب ، وإلى هذا يشير تلميذه الشيخ عطية بقوله : (وكان وحيد والديه ؛ فكان في مكان التدلل والعناية)<sup>(٢)</sup> كما يسوق على لسان شيخه ما نصه : (قال رحمه الله : كنت أميل إلى اللعب أكثر من الدراسة)<sup>(٣)</sup> .

بل والأكثر من هذا أننا نرى الشنقيطي يجتهد آنذاك في خَلْقِ الأعذار التي مِنْ شأنها أن تصرفه عن الدراسة والطلب ، وتسلمه إلى المرح واللعب ، ومن ذلك عدم صبره على حفظ

(١) راجع تفصيل صفات قبيلته (بنو جاكأن) ص من هذا البحث .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٨/١ (من المقدمة) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٨/١ (من المقدمة) .



الحروف الهجائية ؛ حيث لم يجد سبيلاً للإفلات من هذا المأزق إلا أن يقول لأهله وذويه ممن يحفظونه إياها ما نصه : فقلت : كفى ؛ إنى أستطيع قراءتها كلها على هذه الطريقة ؛ كى يتركونى<sup>(١)</sup> .

إلا أن الله تعالى أنفذ مشيئته ، وأجرى قدره ، فى ذلك الطفل الصغير ؛ حيث صيرَ أمر الدراسة والطلب ، أقرب إلى قلبه ، وأحبَّ إلى نفسه ، من المرح واللعب ؛ وحقاً لا يقع فى كون الله تعالى ما يريد الله تعالى ، وهذا ما يشير إليه قوله سبحانه : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> .

كما يُعبرُ ابن الرومى عن تلك الإرادة الإلهية النافذة فى معرض رثاء ابنه فيقول :

ولكن ربي شاء غير مشيئتي      وللربِّ إمضاء المشيئة لأ العبد<sup>(٣)</sup>

#### • الشنقيطى وحفظ الحروف الهجائية :

لم يلبث أهله وذووه أن أحسوا بذلك التحوّل الحادث ، وهذا الميل الملموس ، اللذين أبداهما الشنقيطى فى تطور مفاجئ إزاء إقباله على الدرس والطلب ، بعد أن كان منصرفاً عنهما إلى المرح واللعب ؛ وعندئذ بدأوا معه أولى خطوات رحلته الطويلة مع الدرس والتحصيل بتعليمه وتحفيظه حروف الهجاء بنطقها ورسمها على طريقتهم الخاصة فى ذلك .

غير أنهم فوجئوا بذهنه المتفتق ، وموهبته المبشرة ؛ فما إن وصلوا معه إلى الحرفين الثالث والرابع حتى لاحظوا نهمه الشديد ، واستعداده الملحوظ ، لإكمال بقية الحروف من تلقاء نفسه دون الحاجة إليهم ، ونراه يصف ذلك قائلاً : وبدأوا يقرئوننى الحروف الهجائية بالحركات باء فتحة (بأ) باء كسرة (بى) باء ضمة (بُو) وهكذا (ت ، ث) إلخ ؛ فقلت لهم : أو كل الحروف هكذا ؟ قالوا : نعم ؛ فقلت : كفى ؛ إنى أستطيع قراءتها كلها على هذه الطريقة ، فقالوا : اقرأها ؛ فقرأت بثلاثة حروف أو أربعة ، وتنقلت إلى آخرها بهذه الطريقة ؛ فعرفوا أنى فهمت قاعدتها ، واكتفوا منى بذلك ؛ ومن ثم حُببتُ إلى القراءة<sup>(٤)</sup> .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٨/١ (من المقدمة) .

(٢) الإنسان : ٣٠ - التكوير : ٢٩ .

(٣) ديوان ابن الرومى (أبى الحسن على بن العباس بن جريج) : ٦٢٥/٢ - البيت رقم (١٥) - تحقيق :

د. حسين نصار - إصدار : (وزارة الثقافة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مركز تحقيق التراث) -

مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٨/١ (بتصريف يسير من المقدمة) .



## • الشنقيطي وحفظ القرآن الكريم :

وما إن أتم الشنقيطي تعلمه وحفظه حروف الهجاء ؛ حتى عاود حفظه للقرآن الكريم الذي توقف فيه عند جزء (عمّ) بسبب وفاة والده آنذاك ؛ وهناك وفي بيوت أخواله واصل الشنقيطي الحفظ حتى أتم القرآن كله على يد خاله وشيخه (عبد الله بن محمد المختار ابن إبراهيم بن أحمد نوح) وعمره آنذاك عشرة أعوام .

وبتمام حفظه للقرآن يختم الشنقيطي مرحلة طفولته ، بعد أن أُرسِيَ له حجر الزاوية الذي يعد أساساً لانطلاقه فيما بعد إلى مرحلتى البلوغ والطلب ، حيث الجِدُّ والاجتهاد ، والصبر والمثابرة ، على عناء الدرس ، ومشاق التحصيل .

### المطلب الثاني

#### مرحلة البلوغ

تمتد هذه المرحلة في حياة الشنقيطي من سن العاشرة وحتى بلوغه السادسة عشرة من عمره ، وتتميز بإقباله الشديد ، ونهمه الواضح ، على تعلم رسم المصحف الأم المعروف بـ (المصحف العثماني) مع تجويده القرآن بقراءة (نافع) بروايتها : (ورش) من طريق (أبي يعقوب الأزرق) ورواية (قالون) من طريق (أبي نشيط) وذلك على ابن خاله (سيدي محمد ابن أحمد بن محمد المختار) بسنده المتصل إلى رسول الله ﷺ .

وذلك بالإضافة إلى حفظ بعض المتون ، ودراسة بعض المختصرات ، في النحو والفقه والأدب والتاريخ والسير ، وقد تم له ذلك وهو لم يزل في (مدرسته الأولى الأهلية) في (بيوت أخواله) حيث شيوخه من أخواله وزوجاتهم وأبنائهم وسائر أهله وذويه .

وعن الملامح المميزة لتلك المرحلة ، وما لها من منهج علمي خاص في حياة الشنقيطي ، يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلاً : تعتبر الدراسة في علوم القرآن منهجاً متكاملًا ، لا تقتصر على الحفظ والأداء ، بل تتناول معرفة رسم المصحف (أى نوع كتابته) ما كان موصولاً أو مفصلاً ، وما رُسِمَ فيه المد أو ما كان يُمدُّ بدون وجود حرف المد ، ثم ضبط ما فيه من منشأيه في الرسم أو التلاوة ، ومن المشهور عندهم في هذا : رجز (محمد بن بوجه) المعروف باسم : (البحر) .

وقد تعرّض فيه لكل كلمة جاءت في القرآن مرة أو مرتين أو ثلاثة مرات إلى سبع وعشرين مرة من الكلمات المشبهة ، كما أفرد لكل عدد منها فصلاً خاصاً به ، فمثلاً كلمة (أَعْيُنُهُمْ) بالرفع جاءت ثلاث مرات في القرآن ، وفيها يقول :





أَعْيُنُهُمْ بِالرَّفْعِ مِنْ غَيْرِ حَضُورٍ مِنْ بَعْدِ كَانَتْ وَتَوَلَّتْ وَتَدُورُ<sup>(١)</sup>

ومن الثنائى : كلمة (الأشياء) بالعين ، والتي جاءت مرتين فى القرآن ، وفيها يقول :

أَشْيَاءُ بِالْعَيْنِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ فِي سَبِيلٍ مِنْ قَبْلِ بَأَنَّهُمْ ذُكِّرَ<sup>(٢)</sup>

وقد درس رحمه الله هذا كله ، وكانت له زيادة نظم عليه ؛ تذييلاً لزيادة الفائدة ، ومن ذلك تذييله على هذا البيت الأخير ؛ مبيناً حركاته وإعرابه قائلاً :

فِي سُورَةِ الْقَمَرِ خَاطِبٌ وَأَنْصَبٌ وَجُرَّهُ وَغَيَّبَهُ فِي سَبَبٍ

أى فى سورة (القمر) تكون تلاوة كلمة (أشياء) بالخطاب وال نصب ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> وفى سورة (سبأ) تكون تلاوتها بالغيبة والجر ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> .

وهذه دراسة لا تكاد توجد إلا ما شاء الله تعالى ، وهى من المهام العلمية التى بها يُحفظ رسم القرآن من التغيير والتبديل ، كما أنها من آثار تعهد الله تعالى بحفظ هذا القرآن المنزل من عنده سبحانه<sup>(٥)</sup> .

وعن حفظ المتون ، ودراسة المختصرات ، بعد حفظ القرآن وتجويده ، وإتقان رسمه

(١) والمقصود أن كلمة (أَعْيُنُهُمْ) جاءت مرفوعة دالة على جماعة الغائبين بالضمير (هُم) فى ثلاثة مواضع من القرآن الكريم ، وهى بحسب ترتيب الناظم كمايلى :

• من بعد (كانت) أى فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾ الكهف : ١٠١ .

• من بعد (تولت) أو (تولوا) أى فى قوله تعالى : ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ التوبة : ٩٢ .

• من بعد (تدور) أى فى قوله تعالى : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ الأحزاب : ١٩ .

(٢) والمقصود أن كلمة (أشياء) جاءت فى سورة (القمر) وبعدها ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ كما جاءت فى سورة (سبأ) بعد ذلك وبعدها ﴿ مَنْ قَبْلُ ﴾ .

(٣) القمر : ٥١ . (٤) سبأ : ٥٤ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٢ - ٢٣ (بتصرف يسير) .

وقد تعهد الحق سبحانه بحفظ قرآنه الكريم على مر العصور ، وتعاقب الدهور ، من أن تمتد إليه يد التحريف والتبديل ، أو أن يصيبه عبث العابثين ، من أعداء هذا الدين ؛ فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر : ٩ .



وإعرابه ، يضيف الشيخ عطية على لسان شيخه قوله : ثم قال رحمه الله تعالى : وقد درست بعض المختصرات في فقه الإمام مالك كرجز الشيخ ابن عاشر ، كما درست دراسة واسعة في الأدب على زوجة خالي أم ولد الخال ، أي أن ولد خاله كان يعلمه العلوم الخاصة بالقرآن ، وأمه تعلمه الأدب .

قال : كما أخذت عنها مبادئ النحو كالأجرومية ، وتمرينات ودروساً واسعة في أنساب العرب وأيامهم ، وكذا نظم الغزوات لأحمد البدوي الشنقيطي<sup>(١)</sup> وهو يزيد على خمسمائة بيت ، وأيضاً نظم عمود النسب له وهو بالآلاف ، مع شروحهما لابن أخته المعروف بـ: حماد<sup>(٢)</sup> الذي وصل في شرحه لـ : (عمود النسب) إلى خصوص العدنانيين ؛ لأنه مات قبل أن يشرح ما يتعلق بالقحطانيين<sup>(٣)</sup> .

وبهذا يتخرج الشنقيطي في (مدرسته الأولى الأهلية) في (بيوت أخواله) بعد أن أتم فيها مرحلتى (طفولته وبلوغه) حيث أبدى إبداعاً ملحوظاً ، وأحرز تفوقاً ملموساً ؛ يكفياً لتأهليه لالتحاق بـ : (مدرستيه الثانية والثالثة) أثناء (مرحلة الطلب) .

### المطلب الثالث

### مرحلة الطلب

تمتد هذه المرحلة في حياة الشنقيطي منذ أن كان شاباً يافعاً في السادسة عشرة من عمره ، وحتى استوى عوده ، وبلغ أشده ، وامتلك نصاب العلم الذي أهله لأخذ مكانه بين صفوف العلماء في بلاده ، وقد قارب آنذاك الثلاثين ، وتتميز بانطلاقه خارج (مدرسته الأولى الأهلية) حيث (ديار أخواله) وسائر أهله وذويه ؛ بعد ما بزَّ أُنْدَادَهُ ، وتفوق على أقرانه ، في كل ما قرروه له في مرحلتى الطفولة والبلوغ ، من حفظ القرآن وتجويده ، ومختصرات العلم ومتونه .

(١) راجع ترجمته ص من هذا البحث .

(٢) هو حماد المجلسي أو المدليسي نسبة إلى قبيلة (مدلش) ثم البرحمدي الشنقيطي ، عالم متفنن ، ولغوي متقن ، ابن أخت أحمد البدوي السابق ، وشارح نظميه : (عمود النسب) و (المغازي) إلا أنه وقع في أغلاط كثيرة في شرح الأنساب .

• راجع تفصيل ترجمته في (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطي ص ٣٥٢ - ٣٥٥ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ١/ ٢٣ - ٢٤ (بتصرف يسير) .



وعن خروجه للطلب ، وتجهيز أهله له ، يحدثنا قائلاً : لما حفظت القرآن<sup>(١)</sup> وأخذت الرسم العثماني<sup>(٢)</sup> وتفوقت فيه على الأقران ؛ عنيت بى والدتى وأخوالى أشد عناية ، وعزموا على توجيهى للدراسة فى بقية الفنون ؛ فجهزتنى والدتى بجمليين ، أحدهما عليه مركبى وكتبى ، والآخر عليه نفقتى وزادى ، وصحبنى خادم ومعه عدة بقرات<sup>(٣)</sup> وقد هيأت لى مركبى كأحسن ما يكون من مركب ، وملابسى كأحسن ما تكون ؛ فرحاً بى ، وترغيباً لى فى طلب العلم ، وهكذا سلكت سبيل الطلب والتحصيل<sup>(٤)</sup> .

#### • مدرسته الثانية (القبلية الجكانية) :

وفىها جعل الشنقيطى يتصل بشيوخه (الجكنيين) من علماء قبيلته (بنى جاكأن) حيث تلقى على أيديهم ما نقصه من مختلف الفنون التى لم يكن أتمها من قبل فى مرحلتى الطفولة والبلوغ فى (مدرسته الأولى الأهلية) فى (بيوت أخواله) وسائر أهله وذويه .

ومن ثم ؛ نراه يبدأ بطلب الفقه المالكى<sup>(٥)</sup> فيدرس مختصر خليل على يد شيخه (محمد بن صالح المشهور بابن أحمد الأفرم الجكنى) الذى وصل معه إلى (قسم العبادات) كما درس عليه ما يقرب من نصف ألفية ابن مالك فى النحو ، وعلى مشايخه الآخرين من مشاهير علماء الجكنيين فى قبيلته نجده يكمل بقية الفنون من تفسير وحديث وأصول ونحو وصرف وبلاغة وإلى ذلك يشير بقوله : وقد أخذنا عن هؤلاء المشايخ من الجكنيين كل الفنون (الفقه المالكى والنحو والصرف والأصول والبلاغة وبعض التفسير والحديث)<sup>(٦)</sup> .

#### • مدرسته الثالثة (الذاتية الخاصة) :

وفىها اعتمد الشنقيطى على مطالعته الشخصية ، وبحثه الذاتى ، حيث إدامة النظر ،

(١) كان ذلك فى (مرحلة الطفولة) وعمره آنذاك عشرة أعوام .

(٢) كان ذلك فى (مرحلة البلوغ) وعمره آنذاك ستة عشر عاماً .

(٣) وهذا ما يؤكد نشأة الشنقيطى فى يسر ورغد من العيش ، وكيف لا ، وحاله تلك !؟ حيث مركبه وكتبه على جمل ، ونفقته وزاده على جمل ثان ، وفوق ذلك خادمه وبقراته ؛ فياله من تعظيم لقدر العلم ، وباله من تقدير لشرف طالبيه !! .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٩/١ .

(٥) وهو المذهب الفقهي السائد فى غرب أفريقيا عامة ، وفى شنقيط خاصة ؛ بحيث لو حاول أحد أن يتعلم مذهباً غيره لما وجد أحداً يعلمه ذلك فى شنقيط بأسرها - انظر (نثر الورود على مراقبى السعود) : شرح الشنقيطى ١٨/١ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٥/١ (من المقدمة) .



ومواصلة القراءة ؛ لتحصيل ما فاته ، واستدراك ما غاب عنه ، من فنون العلم وفروعه المختلفة ، وخاصة علم المنطق ، وآداب البحث والمناظرة ، وإلى هذا يشير بقوله : أما المنطق وآداب البحث والمناظرة ، فقد حصلناه بالمطالعة<sup>(١)</sup> .

كما يصف الشيخ المجذوب تحصيل الشنقيطي هذين العلمين قائلاً : كان على الشيخ رحمه الله ألا يكتفى بما يتلقاه عن شيوخه وشيخاته ؛ فراح يكب بنفسه على مختلف الأسفار ، وفي ما درس وفي ما لم يدرس ؛ ومن هنا توافر له ذلك التضلع الملموس في علمي المنطق وأصول البحث والمناظرة ، مما لا يكاد يضاهيه فيه إلا الأقلون<sup>(٢)</sup> .

ولم يلبث الشنقيطي أن أتم مرحلة طلبه هذه ؛ حتى طار خبره ، وانتشر ذكره ، فجلس للدرس والفتيا ، ثم اشتهر بالقضاء والفراسة فيه ؛ وذلك لعظيم ثقة المتقاضين في قضائه وعدله ، وتقدير مواطني بلاده لاجتهاده وعلمه .

\* \* \*

وهكذا يمر الشنقيطي أثناء نشأته بمراحل ثلاث ، حيث الطفولة والبلوغ والطلب ، كما ينتقل خلالها أيضاً بين مدارس ثلاث ، حيث مدرسته الأولى (الأهلية) في مرحلتى الطفولة والبلوغ ، ثم مدرسته الثانية (القبلية الجكنية) والثالثة (الذاتية الخاصة) وكلتاهما في مرحلة الطلب ؛ ومن ثم يأخذ الشنقيطي مكانه بين مصاف العلماء العاملين ، مترسماً نهجهم وخطاهم ، ومتحلياً بصفاتهم وأخلاقهم .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٥/١ (من المقدمة) .

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٣/١ .





الفصل الرابع

صفاته

## الْخُلُقِيَّةُ وَالْخُلُقِيَّةُ وَالْعِلْمِيَّةُ

ويُنظَّم المباحث الثلاثة التالية :

- ١- المبحث الأول : الصفات الخُلُقِيَّةُ .
- ٢- المبحث الثاني : الخُلُقِيَّةُ .
- ٣- المبحث الثالث : الصفات العِلْمِيَّةُ .



## المبحث الأول صفاته الخلقية

ويتنظم المطالب الثلاثة :

- ١- المطالب الأول : لونه وملامحه .
- ٢- المطالب الثاني : جسمه وبنيته .
- ٣- المطالب الثالث : ملبسه وهيئته .



## المطلب الأول لونه وملامحه

يُعرف الموريتانيون بغلبة السُّحْمَةِ عليهم<sup>(١)</sup> والتي تشمل كلاً من : السودان (وهم شديدي السواد أو الزنوج) في مقابل البيضان (وهم الأقل سواداً أو البيض) .

وفي حين يمثل السودان النسبة الغالبة من سكان البلاد ؛ نجد أن البيضان يمثلون القلة الباقية من هذه السُّحْمَةِ ، وهم يختلفون عن أهل أوروبا الذين يميزون عند الشناقطة باللون (الأصفر) ليشيروا به إلى البشرة (البيضاء) أو (الشقراء) .

أما (البيض أو البيضان) فهم يشبهون (عرب شبة الجزيرة) وهذا ما أشار إليه محمد يوسف مقلد بقوله : (وأهل موريتانيا يشبهون إلى حد كبير عرب اليمن والكويت والبحرين والسعودية)<sup>(٢)</sup> ويقصد بـ (أهل موريتانيا) أي (البيض أو البيضان) وهذا ما يؤكد في كتابه الذي جاء يحمل عنوان : (موريتانيا الحديثة أو العرب البيض في أفريقيا السوداء)<sup>(٣)</sup> .

وإلى البيض أو البيضان ينتمي الشنقيطي وقبيلته بنو جاكان ، كما أفاد بذلك تلميذه الشيخ عطية على وجه العموم والإجمال<sup>(٤)</sup> .

---

(١) السَّحْمَ والسُّحَامَ والسُّحْمَةَ : أي السَّوَادَ ، ويقال للرجل الأسود : أسْحَمَ كما في حديث الملاعنة : «إن جاءت به أسْحَمَ أحتم» أي أسود ، كما يقال للمرأة السوداء : سَحْمَاءُ كما في حديث أبي ذر : «وعنده امرأة سَحْمَاءُ» أي سوداء - انظر مادة (سَحْمَ) في كل من : لسان العرب : ٣/ ١٩٥٩ - المعجم الوسيط : ٤٢٦/١ .

• وأما الحديث المذكور فقد أخرجه البخاري في صحيحه بالاختصار على (أسحم) دون (أحتم) وكلاهما بمعنى (أسود) - انظر صحيح البخاري (كتاب) تفسير القرآن (باب) قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ النور : ٦ .

• وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني ١٨/ ٥٢ - حديث رقم (٤٧٤٥) - راجعه وقدم له وضبط أحاديثه وعلق عليه : (طه عبد الرؤوف سعد - مصطفى محمد الهواري - السيد محمد عبد المعطى) - طبع مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

(٢) موريتانيا الحديثة : محمد يوسف مقلد ص ٤٣ .

(٣) انظر غلاف هذا الكتاب الموسوم بالعنوان المذكور .

(٤) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .



## المطلب الثاني

### جسمه وبيئته

كان الشنقيطي ربعةً بين الرجال<sup>(١)</sup> لا بالقصير ولا بالطويل الزائد ، معتدل القامة ليس بالأحذب ، كما لم يكن نحيفاً نحيلاً ، أو بديناً ذا بطننة<sup>(٢)</sup> وإنما كان وسطاً فى ذلك كله<sup>(٣)</sup> .

## المطلب الثالث

### ملبسه وهيئته

كان الشنقيطي فى ملبسه وهيئته العامة كسائر أهل بلاده المعروفين بزيهم الصحراوى الخاص ، وألوانه الموروثة المميزة ، وهو ما يصفه لنا الشيخ المجذوب بقوله : والمخالطون للشناقطة عن كذب يلمسون احتفاظهم بالكثير من طوابع بيئتهم الأولى ، مهما طال بعدهم عنها وفراقهم لأهلها ، وقد لاحظت امتيازهم<sup>(٤)</sup> بهذه الخاصة على سائر جيرانهم من الأفارقة ، حتى فى ثيابهم والألوان التى يؤثرونها ، وفى المدينة المنورة غير قليل من مهاجريهم لا يكادون يفارقون أزياء الصحراء التى انتقلوا عنها .

فتوب الرجل منهم<sup>(٥)</sup> صورة من الخيمة التى ألفها فى بلاده ؛ فهو عبارة عن قطعة فضفاضة من القماش المصبوغ بالزرقة ، وقد شقَّ أعلاه لإدخال الرأس ، كما أسبغَ سائره على الجسم فوق السراويل ، وقد احتفظ فى ذات الوقت بفتحتين ممتدتين على جانبيه لتسرب الهواء ، كما تحتفظ خيمة البادية بباين متقابلين للغرض نفسه<sup>(٦)</sup> .

غير أن الشنقيطي كغيره من علماء بلاده ، وكذا طلاب العلم منهم ، ممن يعيشون فى

---

(١) يقال: (رجل ربعة أو ربعة) أى مربع الخلق ، وسيط القامة ، لا بالطويل ولا بالقصير ، ويوصف به الذكر والمؤنث - انظر مادة (ربع) فى كل من :

لسان العرب : ١٥٦٦/٣ - المعجم الوسيط : ٣٣٧/١ - مختار الصحاح : ص ٢٨٨ .

(٢) البطننة : امتلاء البطن وبروزه الشديد من الشبع وكثرة الطعام ، ويوصف بها فى قولهم : رجل بطن وبطنين ومبطنان ، كما يقال : (البطننة تذهب الفطنة) - انظر مادة (بطن) فى كل من : لسان العرب : ٣٠٣/١ - المعجم الوسيط : ٦٣/١ - مختار الصحاح : ص ٥٦ .

(٣) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٤) والأنسب أن يقال : (تميزهم) فالمقام يقتضى التفرقة لا التفوق .

(٥) أما ثوب المرأة فيغلب عليه الحجاب الشرعى المعروف .

(٦) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٧/١ .





المدينة المنورة خاصة ، وغيرها من بلاد الحجاز عامة ، غالباً ما يدخلون تعديلاً على زبهم هذا ليتقربوا به من الثوب الحجازي المعروف ؛ ولذا فقد استثناهم الشيخ المجذوب بقوله : مع أن أهل العلم منهم شيوخاً وطلاباً ، قد يُعدُّون في أثوابهم ؛ فيقتربون من الثوب الحجازي ، إلا أنهم لا يستنكفون أن يراجعوا ثوبهم الموروث بين الحين والآخر ؛ وقد ساعدتهم ذلك على الاحتفاظ بالكثير من خصائصهم المتوارثة<sup>(١)</sup> .

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٧٧ .



## المبحث الثاني صفاته الخُلقية

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

- ١- المطالب الأول : بعده عن الغيبة وإعراضه عن اللغو .
- ٢- المطالب الثاني : زهده في الدنيا وحذره منها .
- ٣- المطالب الثالث : عبادته وورعه وتقواه .
- ٤- المطالب الرابع : خيريته وحبه للمسلمين .
- ٥- المطالب الخامس : مروءته وتواضعه وهيبته .



كان للشنقيطي من الأخلاق الرفيعة ، والسجايا الكريمة ، مالا يخفى على كل من لازمه وخالطه بصفة خاصة ، فضلاً عن أخذ عنه وتلقى عليه بصفة عامة ، كما أن هذه الأخلاق كانت من الكثرة والشمول بحيث لا يسعف في ذكرها سوى الإيجاز والإجمال ؛ مراعاة هنا لما يقتضيه المقام ، وتستلزمه الحال .

وهذا ما يشير إليه تلميذه الشيخ عطية بقوله : أما الناحية الشخصية من حيث تقويمه الشخصي لسلوكه وأخلاقه وآدابه وما إلى ذلك ؛ فهذا ما يستحق أن يفرد بحديث ، وهذا لا يُعلم إلا لمن خالطه ، وليس كل من خالطه يعرف ذلك منه ، بل من داخله ولازمه ، وإنى لا أستطيع الآن تصويره ، ولا يسعني في هذا الوقت تفصيله ؛ ولكن قد تكفى الإشارة إذا لم تسعف العبارة<sup>(١)</sup> .

ونحن بدورنا نكتفى بالإشارة والتمثيل ؛ استغناءً بهما عن التصوير والتفصيل ، إزاء ما نتناوله من أخلاقه وسجاياه ، وذلك من خلال المطالب الخمسة التالية :

### المطلب الأول

#### بعده عن الغيبة ، وإعراضه عن اللغو

لم يكن الشنقيطي يغتاب أحداً ، أو يسمح بغيبة أحد في مجلسه ، كما كان مجلسه منزهاً عن اللغو وفضول الكلام ، فضلاً عن إيذاء المسلمين والخوض في أعراضهم .

ويحدثنا تلميذه الشيخ عطية عن ذلك قائلاً : لم يكن رحمه الله تعالى يغتاب أحداً ، أو يسمح بغيبة أحد في مجلسه ، وكثيراً ما يقول لإخوانه : اتكأيسوا<sup>(٢)</sup> أى من الكياسة والتحفظ من خطر الغيبة ، كما كان يقول : إذا كان الإنسان يعلم أن كل ما يتكلم به يأتي في صحيفته ؛ فلا يأتي فيها إلا الشيء الطيب<sup>(٣)</sup> .

ويبين لنا الدكتور عبد الله مدى خوف أبيه من غيبة الناس ، وعدم صبره على ذلك فيقول : كان رحمة الله عليه لا يقبل شخصاً يتكلم في شخص في مجلسه ، بل ويصف ذلك بأنه ضعف وخور ، ثم يحذر من أكل الغيبة والنيل من أعراض المسلمين قائلاً : اعلّموا أن أعراض المسلمين مسمومة ؛ فاتركوها ولا تتكلموا فيها ، واعلموا أن الله تعالى

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١ / ٦٠ - ٦١ (من المقدمة) .

(٢) فعل أمر في اللهجة العامية لدى الشناقطة والحجازيين ، ويعنى التزام الكياسة بحفظ اللسان وتنزيهه عن كل مالا يليق .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ١ / ٦٣ (من المقدمة) .



بَشَعَ ذَلِكَ فَقَالَ سَبْحَانَهُ : ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الآية<sup>(١)</sup> والله ، لو قتلتم أبنائي وأخذتم أموالى لسامحتكم ، ولكن أن تأخذوا حسناتى فلا ؛ فأخذ حسناتى وأنا شائب لا صبر لى عليه<sup>(٢)</sup> .

وعن تنزيه مجلسه عن اللغو ، وإعراضه عن فضول الكلام ، يقول تلميذه الشيخ عطية : ومن صفاته الجليلة رحمة الله علينا وعليه تنزيه مجلسه عن كل ما لا يليق من اللغو وفحش القول ونحوهما<sup>(٣)</sup> .

## المطلب الثانى

### زهده فى الدنيا وحذره منها

تمثل زهد الشنقيطى فى تلك القناعة التى جعلته راضياً من دنياه بتحصيل الضرورى منها ؛ ومتعافياً بذلك عما فى أيدى الناس ، ويصف لنا الشيخ عطية مناعة شيخه قائلاً : وسمعتة يقول : (لقد جئت معى من البلاد<sup>(٤)</sup> بكنز عظيم ؛ يكفينى مدى الحياة ، وأخشى عليه الضياع ، فقلت له : وما هو ؟ قال : القناعة) كما كان شعاره فى ذلك قول الشاعر :

الجوع يُطْرَدُ بالرغيفِ اليابسِ      فعَلَامَ تَكْثُرُ حَسْرَتِي ووساوسى ؟ !  
والموتُ سَوَى حِينَ عَدَلَّ قَسْمُهُ      بين الخليفةِ والفقيرِ البائسِ<sup>(٥)</sup>

أما حذره من الدنيا ووجله من إقبالها عليه فقد تمثل هذا فى نصحه لأبنائه وطلابه قائلاً : (لو كانت الدنيا مَيْتَةً لأَباحَ اللهُ منها سَدَّ الحَلَّةِ<sup>(٦)</sup>) ونحن لا نريد إلا سَدَّ الحَلَّةِ<sup>(٧)</sup> لأجل هذا ؛ لم يطلب منذ أن حلَّ بأرض الحجاز عطاءً أو مكافأةً ، ولكن ما جاءه من غير سؤال أخذه<sup>(٨)</sup> .

(١) الحجرات : ١٢ .

(٢) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٣) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٤) المقصود بها بلاده شنقيط .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٦١/١ (من المقدمة) .

(٦) الحَلَّةُ : أى الفقر والاحتياج ، ومنها دعاؤهم : (اللَّهُمَّ اسدِّدْ خَلَّتَهُ) وكذلك دعاؤهم (لا أَخْلِكَ اللهُ إلى هذا) والمقصود هنا بـ (سَدَّ الحَلَّةِ) أى : ما يفى بالحاجة الضرورية فقط - انظر مادة (خَلَّل) فى

كل من لسان العرب : ١٢٤٨/٢ - المعجم الرسيط : ٢٦١/١ مختار الصحاح : ص ١٨٧ .

(٧) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٨) أضواء البيان : الشنقيطى ٦١/١ (من المقدمة) .





بل دفعته قناعته هذه إلى تعففه عن راتبه ، وكذا عن حقه فى مؤلفاته ؛ فلم يكن يتكسب بها ، وإنما تركها لطلاب العلم ، ولو شاء لساقت إليه المال الوفير ، كما لم يكن يُقرض أحداً قرضاً ينتظر رده ، أو يعقد صفقة ينتظر ربحها ؛ ومن ثم فقد كان يتعفف عن ذلك كله ابتغاءً وجه الله تعالى<sup>(١)</sup> .

### المطلب الثالث

#### عبادته وورعه وتقواه

كان الشنقيطى دائم الذكر ، مجتهداً فى طاعة ربه سبحانه ، فرضاً كانت أم نفلأ ، متقلباً بين الخوف والرجاء ؛ خاصة إذا رأى أو سمع ما يغضب الله تعالى ، أو يخالف سنة نبيه ﷺ قولاً كان أو فعلاً ، بل يبدو وكأنه يحترق بنيران حقيقية .

ويصور لنا ابنه الدكتور عبد الله تلك الحال بقوله : كنا إذا جئنا بالسيارة إلى محطة الوقود ، وسمع بعض الأغاني تنبعث من هنا أو هناك ؛ يكون عندئذ مثل المحروق ويقول : جاءنا السوء يا ولدى ! اطلع اطلع ، أعوذ بالله أعوذ بالله !!<sup>(٢)</sup> .

كما كان يرد من يحتجون فى جواز هذا بكثرة من يفعله من الناس ، ومنهم ابنه الدكتور عبد الله فى صغره ، قائلاً له : الناس فى السوء ليسوا بحجة ؛ والله تعالى يقول : ﴿وَأِنْ تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> ويقول : ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> ، وقد ثبت فى الحديث الصحيح : «أن نصيب الجنة واحد من الألف»<sup>(٥)</sup> .

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

• أضواء البيان : الشنقيطى ٦٠ / ١ (من المقدمة) .

• رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٨ / ١ .

(٢) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٤) يوسف : ١٠٣ .

(٣) الأنعام : ١١٦ .

(٥) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

والحديث المذكور أخرجه البخارى فى صحيحه من رواية عمر بن حفص عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : «يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك ربنا وسعديك ، فينادى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار ، قال : يارب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف أراه ، قال : تسعمائة وتسعة وتسعين ؛ فحينئذ تضع الحامل حملها ، ويشيب الوليد : «وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم ، فقال رسول الله ﷺ : من يأجوج =



ويتجلى خوفه من الله تعالى ، ورجاؤه في رحمته سبحانه ، في ذلك الموقف الذي وقع له قبيل موته مع ابنه الدكتور عبد الله ، والذي يرويه لنا بقوله : ومرة كنت أقرأ عليه القرآن قبل موته ، فقال : يا ولدي في القرآن آية تفرحني كثيراً ، ثم بكى !!

فقلت : ماهي ؟ أهي قول الله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية<sup>(١)</sup> ؟ فقال : لا ، بل هي قول الله تعالى : ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ الآيتان<sup>(٢)</sup> فالكبائر إن شاء الله ما تقربها ، والصغائر نترك منها ما استطعنا ، والله يقول : ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> فلما نظرت إليه وجدته يبكي يرحمه الله ، ثم قال لي : يكفيك هذا<sup>(٤)</sup> .

### المطلب الرابع

#### خيريته وحبه للمسلمين

كان الشنقيطي بمثابة الأب لشتى قبائل الجالية الشنقيطية من أبناء بلاده الذين كانوا يعيشون بالمدينة المنورة خاصة ، وغيرها من بلاد الحجاز عامة ، كما كان يتولى الأراميل واليتامى ، ويرعى المعوزين وأصحاب الحاجات ، بل يروى عنه أن الناس كانت تأتيه من كل فج ، من المشرق والمغرب ، على مختلف أجناسهم ومذاهبهم ، سواء كانوا من السنة أو الشيعة أو غيرهما ؛ فكان يعطي كلاً منهم ما يستحق إن كانت عنده حاجتهم ، أما إن كانت حاجتهم ليست عنده ؛ فإن هذا يدفعه إلى أن يكون شفيعاً لهم هنا وهناك ، لقضاء مطالبهم الكبيرة والصغيرة على السواء .

بل قد يدفعه حبه للمسلمين وخيريته لهم إلى مخالفة منهجه بأن يذهب إلى كبار التجار في المدينة المنورة فيقترض منهم على حساب نفسه ليعطي الفقراء والمحتاجين ، ولو كان ذلك

= وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود ، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ، ثم قال : ثلث أهل الجنة فكبرنا ، ثم قال : شطر أهل الجنة فكبرنا وقال أبو أسامة عن الأعمش : «ترى الناس سكارى وما هم بسكارى» قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، وقال جرير وعيسى بن يونس وأبو معاوية : سكرى وماهم بسكرى - انظر صحيح البخارى (كتاب تفسير القرآن (باب) قول الله تعالى : ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾ الحج : ٢ - (طبع بيروت) - وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلاني ٤٤/١٨ - حديث رقم (٤٧٤١) - (طبع الأزهرية) .

(١) فاطر : ٣٢ . (٢) النجم : ٣١ - ٣٢ (آيتان) . (٣) النجم : ٣٢ .

(٤) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .



لنفسه ما فعله وما أقدم عليه ؛ لأنه ليس من طبعه ولا عادته ؛ ولكنه فعل الخير ، وحب المسلمين<sup>(١)</sup> .

## المطلب الخامس

### مروءته وتواضعه وهيبته

كانت المروءة والتسامح في حق نفسه ومراعاة شعور مَنْ يتعاملون معه ويتصلون به ، أهم ما يحكمه في جميع أقواله وأفعاله ، وهذا ما يشير إليه تلميذه الشيخ عطية بقوله : وإذا كان علماء الأخلاق يعنونون لأصول الأخلاق والفضائل بـ (المروءة) فإن المروءة كانت شعاره ودثاره ، بل هي التي كانت تحكمه في جميع تصرفاته ، سواء في نفسه أو مع إخوانه وطلابه ، أو مع غيرهم مَنْ عرفهم ومَنْ لم يعرفهم .

وأما مكارم أخلاقه ومراعاة شعور جلسائه ، فهذا فوق حد الاستطاعة ؛ فمذ صَحِبْتَهُ لم أسمع منه مقالاً لأى إنسان ولو مخطيء عليه يكون فيه جرح لشعوره ، وما كان يعاتب إنساناً في شيء يمكن تداركه ، كما كان كثير التغاضي عن كثير من الأمور في حق نفسه ، وحيثما كنت أسأله في ذلك يقول :

ليس الغبىُّ بسيدِّ في قومهِ      لكنَّ سيِّدَ قومهِ المتغابى<sup>(٢)</sup>

وقد دفعته مروءته هذه إلى تواضعه ولين جانبه لكل مَنْ يراه أو يلقاه ، أينما نَزَلَ وحيثما حلَّ ، وهذا ما يوضحه لنا تلميذه الشيخ عطية كذلك بقوله : وأما عادته فعادات بلاده وما يوجد في المدينة المنورة ومكة المكرمة من مكارم أو محاسن العادات ، ولم يكن له عادة يتميز بها عن الآخرين فيما نعرفه ، وليست هناك تقاليد خاصة به ، وإنما هي السائدة من عادات الناس وتقاليدهم ، اللهم إلا كرم أخلاقه ، وتواضعه مع أهله وغيرهم .

كما أنه في حلق الدروس الخاصة به في بيته تكون جلسته مع الخاصة به في بيته تكون جلسته مع الحاضرين كأحدهم دون تمييز في جلسة أو مكان أو غير ذلك ، وإنما يتميز بما يلقيه رحمة الله من دروس وبيان<sup>(٣)</sup> .

ويضيف الدكتور عبد الله عن تواضع أبيه قوله : والشيخ كان متواضعاً بشكل عجيب ؛ إلى درجة أن الذى يراه ولم يكن يعرفه يحسب أنه عامى<sup>(٤)</sup> .

(١) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١ / ٦٠ - ٦٣ (من المقدمة) .

(٣) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٤) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .



وبالرغم من تواضع الشنقيطي ولين جانبه ؛ إلا أنه كان مهاباً جليلاً ، ومحترماً وقوراً ، يجمع إلى هيبة العلماء ، جلال الحكماء ؛ بل إن قوة شخصيته ، وحكمة منطقته ، تحمل كل من رآه على احترامه وتقديره ، سواء كان حاكماً أو محكوماً ، طالب علم أو غيره ، كبيراً كان أو صغيراً ، على مختلف مستوياتهم ومواقعهم من المسؤولية .

ولقد تجلت هيئته وحكمته في طلبه من الملك سعود بن عبد العزيز التنازل عن الحكم لأخيه الملك فيصل بناءً على إجماع مؤتمر العلماء بالرياض على إنابة الشنقيطي عنهم في ذلك ؛ فكان أن قام بالمهمة خير قيام ؛ حيث كان لشخصيته القوية ، وكلمته الحكيمة ، أطيب الأثر في نفس الملك سعود ، والذي أعلن عقب لقائه بالشنقيطي عن ثقته التامة بنصيحة العلماء ، وامتناله وخضوعه لمقرراتهم<sup>(١)</sup> .

بل وقد بلغ الأمر بأحد الحكام الأفارقة أن أصر على عدم مفارقة الشنقيطي لا في حل ولا ترحال ؛ إلى درجة أنه كان يحمله في سيارته الخاصة التي يقودها بنفسه إلى الأماكن المعدة للزيارة ، وقد ظل هذا الحاكم على هذه الحال حتى غادر الشنقيطي حدود بلاده ؛ وذلك حتى يُخفي عنه حقيقة الحكم الجائر الذي كان يمارسه في بلاده<sup>(٢)</sup> .

وأما هيبة الشنقيطي لدى طلاب العلم خاصة ، فضلاً عن غيرهم من الناس عامة ؛ فليس أدل على ذلك مما يسوقه تلميذه الشيخ عطية قائلًا : وإن تفصيل ذلك لمتروك لمن خالطه عن قرب ، وقد استعصى على المقال في ذلك ، ولكأني بقول القائل :

أهَابُكَ إِجْلَالًا ، وَمَا بِكَ سُلْطَةً  
عَلَى ، وَلَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

وفي الجملة : فقد جمع الشنقيطي - إضافة إلى الصفات السابقة - بين كل من : الأدب والحياء ، والكرم والعطاء ، والدقة والنظام ، والروح الخفيفة والإحساس الجيَّاش ، مع حبه للرماية والصيد .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٨٥ .

(٢) وكان ذلك ضمن بعثة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برئاسة الشنقيطي إلى عشرة من الأقطار الأفريقية .

● انظر (علماء ومفكرون عرفتهم) : محمد المجذوب ١/١٨٤ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ١/٦٠ (من المقدمة) .

والبيت المذكور من شعر (نُصَيْبُ بْنُ رَبَّاحٍ) وقد ورد بلفظ (وَمَا بِكَ قُدْرَةً) بدلاً من (وَمَا بِكَ سُلْطَةً) - انظر (شعر نُصَيْبِ بْنِ رَبَّاحٍ) : ص ٦٨ - جمع وتقديم : د. داود سلّوم - مطبعة الإرشاد - بغداد - العراق - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .





فضلاً عن عنايته بالتربية والسلوك لأولاده وطلابه ؛ الأمر الذي يقرر معه كل من تلميذه الشيخ عطية ، وابنه الدكتور عبد الله : أن ما استفاد من الشنقيطي في جانب السلوك ، أكثر مما يؤخذ منه في جانب العلم<sup>(١)</sup> .

هذا بالإضافة إلى غير ما ذكرنا من أخلاقه الحسنة ، وسجاياه الكريمة ، والتي يستحق أن يُفردَ كلُّ خُلُقٍ منها بحديثٍ وحده ، غير أن هذا مما لا يحتمله المقام .

---

(١) راجع في ذلك كلاً من :

- الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .
- رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .



## المبحث الثالث صفاتُه العِلْمِيَّة

ويتنظم المطالب الخمسة التالية :

- ١- المطلب الأول : بواكيره المبشّرة وأمارات نجابته .
- ٢- المطلب الثاني : استغراقه التام وتفرغه الكامل .
- ٣- المطلب الثالث : استقصاؤه وشموله وموسوعيته .
- ٤- المطلب الرابع : معاصرته وثقافته الحاضرة .
- ٥- المطلب الخامس : تورعه عن الفتيا ورجوعه للحقّ .



كان للشنقيطي من الصفات العلمية ما دلَّ على ما صار إليه أمره فيما بعد كواحد من أبرز علماء عصره في بلاده وخارجها ، ونستطيع أن نرصد فيما يلي بعض هذه الصفات عبر مراحل عمره المختلفة طفلاً وشاباً وعالماً ، وذلك على سبيل الاستشهاد والتمثيل ؛ اكتفاءً به عن الحصر والتفصيل ، وذلك من خلال المطالب الخمسة التالية :

### المطلب الأول

#### بَوَأكيرةُ المَبشرةُ وأماراتُ نجابته<sup>(١)</sup>

بدا الشنقيطي متميزاً منذ الصغر بما ظهر عليه من علامات النجابة والذكاء ، وبما لوحظ عليه من بديهة حاضرة ، وهمة عالية ؛ الأمر الذي كان له أكبر الأثر وأعظمه في تفتق مواهبه العقلية ، وتفجير طاقاته الفكرية ، وقد تجلَّى هذا واضحاً من خلال ما يلي :

#### • سرعة الحفظ والقدرة على القرآن<sup>(٢)</sup>

فإلى جانب حفظ القرآن الكريم وإتقان رسمه وتجويده ، إلا أن الشنقيطي أظهر في ذات الوقت قدرة فائقة على حفظ العديد من متون العلوم ومختصرات الفنون كعلوم القرآن والفقه وعلوم العربية ، إلى جانب ما لا بد من معرفته في بلاده من سيرة النبي ﷺ وغزواته ، وكذا أنساب العرب وأيامهم .

ولم يكن حفظ هذه المتون واستيعاب تلك المختصرات بالشىء الهين ؛ خاصة المطولات منها ، وهذا ما يشير إليه الشيخ المجذوب بقوله : وبين مراجع هذه العلوم متون منظومة تبلغ المئات من الأبيات ؛ ومن هنا كان ما نلمسه في حديث الشيخ من تبحر ، يغنى عن الرجوع إلى مختلف الأسفار<sup>(٣)</sup> .

(١) (بواكير جمع باكورة ، كطواحين جمع طاحونة) وباكورة كل شىء : أى أوله ، أو أول ما يدرك منه - انظر مادة (بَكَرَ) فى كل من : لسان العرب : ٣٣٣/١ - مختار الصحاح : ص ١٣٨ - المعجم الوسيط : ٦٩/١ .

والمقصود ببواكيره هنا : أى مواهبه الأولى التى بدت عليه ، ولمسها فيه أهله وذووه .

(٢) المقصود بالقرآن هنا أى الجمع بين أكثر من علمٍ فى وقت واحد .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٢/١ .

ومن أمثلة هذه المتون : (نظم الغزوات) وهو يزيد على خمسمائة بيت ، وكذا (نظم عمود النسب) وهو يُعدُّ بالآلاف ، وكلاهما من نظم أحمد البدوى المجلسى الشنقيطي ، مع شروحهما لابن أخته حماد المجلس الشنقيطي .

• راجع فى ذلك ص من هذا البحث .



وبالرغم من أن أفراد الفنون يُعدُّ أصلاً ثابتاً من أصول الدراسة في المحاضرة الشنقيطية ؛ حيث لا يجمع الشيخ على تلميذه أكثر من فن واحد في وقت واحد ؛ إلا أن شيوخ الشنقيطى كانوا يلزمونه دوماً بالقرآن بين كل فنين معاً ؛ لملاحظتهم قدرته الفائقة على الجمع بينهما في آن واحد ، وهذا ما يصوره لنا تلميذه الشيخ عطية بقوله : وقد مضى رحمه الله في طلب العلم قُدماً ، حيث ألزمه بعض مشايخه بالقرآن ؛ فصار يُقرن بين كل فنين ؛ حرصاً على سرعة تحصيله ، وتفريساً له في القدرة على ذلك<sup>(١)</sup> .

### • علو الهمة والتفوق على الأقران :

ومن بواكير الشنقيطى المبشرة ، وأمارات نجابته المبكرة ، ذلك الإقبال على طلب العلم وتحصيله بتلك الهمة العالية الملحوظة ، وهذا التفوق الملموس ، تلك الهمة التي يحدثنا عنها تلميذه الشيخ عطية على لسان شيخه قائلاً : ومن ذلك ما حدثني رحمه الله قال : قدمت على بعض المشايخ لأدرس عليه ، ولم يكن يعرفني من قبل ؛ فسأل عني من أكون ؟ وكان في ملأ من تلامذته ؛ فقلت له مرتجلاً :

هذا فتى من بنى جاكأن قد نزلأ به الصبأ ، عن لسان العرب قد عدلاً  
رمت به هممةً علياء نحوكم إذ شام برق علوم نوره اشتعلاً  
فجاء يرجو ركاماً من سحائبه تكسو لسان الفتى أزهاره حلاً  
إذ ضاق ذرعاً بجهل النحو ، ثم أبى ألا يميز شكل العين من فعلاً  
قد أتى اليوم صبأً مولعاً كلفا ب (الحمد لله) لا أبغى به بدلاً<sup>(٢)</sup>

ويعقب الشيخ المجذوب على ذلك بقوله : فالشنقيطى يمدح الشيخ بالإشارة إلى ما اشتهر به من العلم ، ثم يفخر هو بنسبه وعلو همته ؛ ليعرض بعد ذلك حاجته إلى علم الصرف ، حاصراً مطلبه في لامية الأفعال المبدوءة ب : (الحمد لله)<sup>(٣)</sup> .

وأما تفوق الشنقيطى وتميزه على أقرانه وأنداده منذ صغره وصباه ، فهذا ما يؤكد بنفسه من خلال ما يذكره عنه تلميذه الشيخ عطية بقوله : (وقال رحمه الله : ولما حفظت القرآن وأخذت الرسم العثمانى ، وتفوقتُ فيه على الأقران)<sup>(٤)</sup> .

وأيضاً ما يورده الشيخ عطية من سبب دفن شيخه لنظّم له فى أنساب العرب معروف بـ

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١ / ٣٠ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١ / ٢٩ (من المقدمة) .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١ / ١٧٥ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١ / ٢٨ (من المقدمة) .





(خالص الجُمَان في ذكر أنساب بني عدنان) حيث يقول في ذلك ما نصه : وقد أَلَّفَهُ قبل البلوغ ، ثم دفنه بعد البلوغ ؛ لأنه كان بنية التفوق على الأقران<sup>(١)</sup> .

### • الاجتهاد والإبداع :

وقد تجلّى هذا واضحاً فيما كان للشنقيطي من إبداع مبكر إزاء ما يدرسه من علوم مختلفة وفنون شتى ، حيث تمثل هذا الإبداع في الجانبين التاليين :

### الجانب الأول : نظمه الخاص به :

ومن ذلك ما أنشأه من نظمه الطويل في أنساب العرب ، والذي أسماه : (خالص الجُمَان في أنساب بني عدنان) وقد سبقت الإشارة إلى أن الشنقيطي قد أَلَّفَهُ قبل البلوغ ، ثم دفنه بعد البلوغ ؛ لأنه كان بنية التفوق على الأقران ، وتجدد الإشارة إلى أن شيوخته قد لاموه على ذلك ، ثم قالوا له : كان من الممكن تحويل النية وتحسينها لإمكان الإفادة منه بوجه أو بآخر<sup>(٢)</sup> .

### الجانب الثاني : زيادته على نظم غيره :

من ذلك ما زاده الشنقيطي على رجز (محمد بن بُوَجَه) المشهور عدنهم ب (البحر) والذي يختص بضبط رسم المصحف وتلاوته ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك<sup>(٣)</sup> .

## المطلب الثاني

### استغراقه التام وتفرغه الكامل

كان لبواكير الشنقيطي المبشرة ، ومواهبه الأولى المبكرة ، أكبر الأثر وأعظمه في إلزام أهله ومشايخه له بالاستغراق التام في طلب العلم ، وتفرغه الكامل لتحصيله ، وقد تجلّى ذلك واضحاً من خلال ما يلي :

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٥١/١ (من المقدمة) .

(والجُمَان جمع جُمَانَة) : وهو اللؤلؤ أو حَبُّ من الفضة يشبه الدرّ ، وفي صفته عليه السلام : «يَتَحَدَّرُ منه العَرَقُ مِثْلَ الجُمَانِ» - انظر مادة (جَمَن) في كل من : لسان العرب : ٦٨٩/١ - مختار الصحاح : ص ١١٢ - المعجم الوسيط : ١٤٢/١ .

وأما الحديث المذكور فقد أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المغازي) (باب) حديث الإفك - (طبع بيروت) - وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني ٣/١٦ - حديث رقم (٤١٤١) - (طبع الأزهرية) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٢/١ (من المقدمة) .

(٣) راجع في ذلك ص من هذا البحث .



● صبره ومثابرته :

حيث كان يواصل البحث والمطالعة متحلياً في ذلك بصبر ملحوظ ومثابرة ملموسة ؛ إلى الحد الذي يجعله يصل أحياناً ليله بنهاره في سبيل إزالة بعض اللبس ، أو إيضاح بعض المشكل ، مما لم يتسع له شرح بعض مشايخه ، ولم يشبع نهمه ويرو ظمأه على ما تعود من ذلك في طلبه وتحصيله .

ومن ذلك ما حدث له عندما وصل إلى (كتاب النكاح في مختصر خليل) حيث قام من عند شيخه ولم يشف نفسه إزاء فهم بعض النصوص ، وعندئذ أخذ كتبه بعد انتهاء درس الشيخ ليتوفر على البحث والدرس من بعد الظهر في ذلك اليوم وحتى قبيل الظهر من اليوم التالي ؛ وقد زال اللبس ، وتم الفهم ، واستغنى بذلك عن درسه القادم .

وفي تلك الأثناء كان لا يقوم إلا لصلاة فرض أو تناول طعام مستعيناً في ذلك بخادمه الذي يوقد له الضوء ويصنع له الشاهي الأخضر ليستروح به كلما أصابه شيء من الملل أو داخله بعض الإرهاق .

وهكذا كان الشنقيطي يقضى نهاره ، ويبيت ليله ، في طلب العلم مفكراً وباحثاً ، حتى يذلل صعابه ، ويوضح مشكله ، بل إنه يصف ذلك بنفسه قائلاً :

أَبَيْتُ مَفْكَراً فِيهَا ؛ فَتَضَحَّى لِفَهْمِ الْقَدَمِ خَافِضَةَ الْجَنَاحِ<sup>(١)</sup>

بل إن صبره هذا ، ومثابرته تلك ؛ قد أفضيا إلى استغراقه التام وعزلته الملحوظة بالرغم من وجوده بين الناس ، فقد كان معهم وليس معهم ، وإلى هذا يشير ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان رحمه الله يدخل عليه في مجلس الاستقبال في البيت بعض الضيوف ، وقد يكونون كباراً من ذوى الشأن ؛ ومع ذلك لا يتنبه إليه الشيخ إلا إذا نبهته إليهم ؛ ولذا فقد كان بعض من لا يعرف الشيخ يقول : دخلنا على الشيخ ولم يُسَلِّمْ علينا !!

والحقيقة أنه لا يكون متنبهاً إليهم ؛ حيث يكون مشغولاً بتأليف (أضواء البيان) في

(١) راجع في ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطي ٣١/١ (من المقدمة) .
- الدر الثمين في سيرة الشيخ الأين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .
- وقوله : (الفَدَم) أى ثقيل الفهم أو قليله - انظر مادة (فَدَم) في كل من : لسان العرب : ٣٣٩٥/٥ - مختار الصحاح : ص ٤٩٤ - المعجم الوسيط : ٧٠٢/٢ .



ذهنه ، فيجمع الآيات ويضم بعضها إلى بعض ، ويؤلف بين العديد من المسائل المختلفة ؛ ومن ثم يكون مع الجماعة وليس معهم لانشغاله بالتأليف وهو بينهم<sup>(١)</sup> .

### • أَخْرَقَ لَا يَحْسِنُ إِلَّا الْعِلْمَ<sup>(٢)</sup> :

نشأ الشنقيطي وله مَنْ يخدمه ويتولى أمره منذ صغره ونعومه أظافره ؛ ومن ثم لم ينشغل أو يشغل باله بأى عمل من أعمال الدنيا ، بل كان كل تفرغه لطلب العلم وتحصيله ، ويصف لنا الشيخ عطية أثر ذلك على شيخه بقوله : كان رحمه الله تعالى يقول عن نفسه : (إني أَخْرَقُ لَا أَحْسِنُ صِنْعَةً) وفعلاً ما كان لو كَلَّفْتُهُ بأن يعمل أى شىء ، ولو أن يعقد حبلاً عقدة محكمة ، أو يحزم فراشه ، لما استطاع لذلك ولم يتعوده<sup>(٣)</sup> .

بل إن الشيخ عطية يُشَبِّهُ حالة شيخه من حيث تفرغه للعلم وعدم إتقانه لِصِنْعَةٍ غيره ، بحالة الشافعى فى ذلك ، حيث يقول : وقد ذكرتنى هذه الحالة أمر ذلك الرجل الذى نزل ضيفاً على الشافعى ، فلما كان الليل لاحظ هذا الضيف أن الشافعى بعد كل فترة من الليل ينادى خادمة عنده توقد له السراج ؛ فقال له الضيف : لقد أشغلت هذه الجارية !! لِمَ لَا تشعل أنت السَّرَّاجَ لنفسك؟! فرد عليه الشافعى بقوله : إن معاناة السراج لتشغل قلبى ، وكان الشافعى يطلب إشعال السراج ليقيد شيئاً خطر بباله فى نومه .

وأعتقد أن هذه الحالة من تفرغ الشافعى الكامل لطلب العلم ؛ قد هيأت له هذا التحصيل الكبير ، ولعل شيخنا الشنقيطي رحمة الله تعالى علينا وعليه كان من هذا القبيل<sup>(٤)</sup> .

### • فَرُوضُ الْكِفَايَةِ فَرَضُ عَيْنٍ عَلَيْهِ :

كان لقدرة الشنقيطي على الحفظ والقرآن كمظهر من مظاهر بواكيره المبشرة ومواهبه المبكرة ، إلى جانب صبره ومثابرته على طلب العلم وتحصيله ، السبب المباشر ، والدافع الأول ، إزاء إلزام شيوخته له بما لم يلزموا به غيره من أنداده وأترابه ؛ إلى الحد الذى جعلوا فروض الكفاية على غيره فرض عين عليه .

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

(٢) الْأَخْرَقُ : هو الجاهل بعمل الأشياء ، ولم يكن فى يَدَيْهِ صِنْعَةٌ يكتسب بها ، ويقال للرجل : أَخْرَقَ ، وللمرأة : خَرَقَاءُ - انظر مادة (خَرَقَ) فى كل من : لسان العرب : ١١٤٣/٢ - المعجم الوسيط : ٢٣٧/١ .

(٣) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٤) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .



وفى ذلك يحدثنا ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى يقول :  
 نفعنى الله تعالى بشيخ لى كان يقول لى : يا فلان اعلم أن الفقهاء يقولون : والضرورى من  
 علوم الشرع أنه إذا كان هناك شخص ذكى ذكاءً خارقاً ؛ فإن فروض الكفاية تبقى فرض عين  
 عليه ، فاتق الله واعلم أن فروض الكفاية فرضٌ علين عليك .

وكان يعلمنى دائماً أبياتٍ من شعر محمد بن حنبل الشنقيطى<sup>(١)</sup> يقول فيها :

لا تَسُوءُ بِالْعَمِ ظَنًّا يَا فَتَى      إِنَّ سُوءَ الظنِّ بِالْعِلْمِ عَطْبُ  
 لا يُزَهِّدُكَ أَخَى فِي الْعِلْمِ أَنْ      غَمَرَ الْجَهَالَ أَرْيَابَ الْأَدَبِ  
 إِنَّ تَرَ الْعَالَمَ نَضُوءاً مُرْمِلاً      صَفَرَ كَفًّا لَمْ يُسَاعِدْهُ سَبَبُ  
 وترى الجاهل قد حاز الغنى      مُحْرَزَ الْمَأْمُولِ مِنْ كُلِّ أَرْبِ  
 قد تجوع الأسد في آجامها      وَالذُّنَابُ الْغُبْسُ تَعْتَامُ الْقَتَبِ  
 جَرَّعَ النَّفْسَ عَلَى تَحْصِيلِهِ      مَضُضَ الْمُرَيْنِ : ذُلٌّ وَسَغْبُ  
 لا يَهَابُ الشُّوكَ قَطَّافُ الْجَنَى      وَإِبَارَ النحلِ مُشْتَارُ الضَّرْبِ<sup>(٢)</sup>

فقال : نفعنى الله بهذا الشعر ، وبشيخى الذى كان يقول لى : إن فروض الكفاية  
 فرض عين عليك<sup>(٣)</sup> .

#### ● إيثارة العلم على الزواج :

شغل الشنقيطى بمتعة العلم عن متعة الأُنس بالزوجة ؛ مع شدة الحاجة إلى ذلك خاصة  
 فى سن الفتوة والشباب ؛ ولكنه الإيثارة الذى جعله يفضل العلم على كل ما عداه ،  
 حتى لو اقتضته الضرورة ، ودعا إليه ميسر الاحتياج ، كما سيأتى بيانه فى موضعه من  
 البحث .

(١) ويعرف كذلك بـ (ابن الفال الحَسَن) أو (البُوحَسَنِى) وهو من أعلام العلماء فى بلاده فى النحو  
 والشعر وغيرهما - راجع ترجمته ص من هذا البحث .

(٢) استهل الشاعر قصيدته هذه بمطلعها الذى يقول فيه :

أَضْرَمَ الْهَمَّ سَحِيرًا فَالْتَهَبَ      لَمَعَ بَرَقَ بَرِيَّاتِ الذَّهَبِ

وقد وردت هذه القصيدة بتمامها فى (الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن الأمين

الشنقيطى ص ٣١٤ - ٣١٧ .

(٣) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .





### المطلب الثالث

#### استقصاؤه وشموله وموسوعيته

درج الشنقيطي منذ صغره على نوع خاص من مناهج طلب العلم وتحصيله ، ذلك المنهج الذي يتسم بالتؤدة الواضحة ، والتركيز الملحوظ ؛ بحيث لا ينتقل الطالب إلى مسألة جديدة في هذا العلم أو ذاك إلا إذا أتقن المسألة التي قبلها إتقاناً تاماً ، واستوعبها استيعاباً كاملاً ؛ وهذا ما غرس في الشنقيطي ذلك النوع من الاستقصاء والشمول والموسوعية ، والذي بدت ملامحه واضحة من خلال ما يلي :

#### • الدراسة الجردية<sup>(١)</sup> :

وهي تلك الدراسة التي تعتمد على إتقان وتفصيل المسألة الواحدة في الباب الواحد في الفن الواحد ؛ وبما يشبه أن يكون تبعاً تفصيلاً لهذه المسألة أو تلك ، وإلى الحد الذي لا يتجاوز معه الطالب الذكي سطرين اثنين من متون بعض العلوم ، فلا يتجاوزهما إلى غيرهما حتى يتقنهما إتقاناً تاماً ، ودون النظر في ذلك إلى عامل الوقت أو السرعة إزاء إتمامها وإتقانها ؛ لأن الدراسة ترتبط بالكتب لا بالسنين<sup>(٢)</sup> .

#### • قراءة المطولات :

كان الشنقيطي يعمد دائماً إلى قراءة الكتب المطوّلة في شتى فنون العلم وفروعه ، مبتعداً بذلك عن المختصرات المفردة أو المجموعة ، وعن هذا يحدثنا ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى لا يقرأ المختصرات ، وإنما قراءته كلها كانت في المطوّلات مثل : فتح الباري لابن حجر أو شرح العيني أو البداية والنهاية لابن كثير أو المغنى لابن قدامة أو المبسوط للسرخسي أو تفسير الطبري وغيرها من كتب العلوم المطوّلة<sup>(٣)</sup> .

(١) الجردية : تعني بلسان الشناقطة (التتبع والتفصيل) بما يتأدى عنهما (الاتقان التام) و (الاستيعاب الكامل) - راجع في ذلك (ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة المورثانية) : يحيى بن البراء ص ١٥ .

(٢) راجع تفصيل ذلك في كل من :

• الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

• رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

• أضواء البيان : الشنقيطي ٢٥/١ - ٢٧ (من المقدمة) .

(٣) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .



### • التبحر والإتقان :

وانطلاقاً من موسوعية الشنقيطي في طلب العلم وتحصيله نجده في مرحلة الطلب يتبحر في مسائل كل باب يتناوله من أبواب العلوم المختلفة ، جامعاً لذلك شتى المراجع ، ومحيطاً بأدق التفاصيل ، وإلى هذا يشير ابنه الدكتور عبد الله بقوله : كان الوالد رحمه الله تعالى يقول : كنت في أيام الطلب لا أقرأ الفنون فناً بعد فن ، وإنما كنت أخذ باباً من الفن وأجمع له كل المراجع ، ثم أعكف عليه شهراً أو شهرين حتى أقرأ كل ما يحيط بهذا الباب ، ثم أستريح أسبوعاً أو أسبوعين ، ثم أعود لباب آخر .

فمثلاً كان يأخذ كتاب (القياس) ويجمع كل ما حوله من كتب الأصول فيقرأها تماماً ، ثم يحفظ المتون والشروح والحواشي ؛ وعندئذ ينتقل إلى باب (الاجتهاد) ثم باب (الإجماع) وهكذا<sup>(١)</sup> .

ومن ثم ؛ فقد كان الشنقيطي إذا تكلم في أمر لا يتركه حتى يفصله تفصيلاً بما لا يدع معه زيادة لمستزيد ؛ بل يبدو كأنه إمام في هذا الأمر دون غيره من الأمور ؛ وذلك لفرط إتقانه وعمق تبحره في مختلف فنون العلم وفروعه ؛ الأمر الذي حدا بابنه الدكتور عبد الله إلى تشبيهه بالطبري الذي يراه إماماً في كل العلوم ، وذلك بقوله : كان الوالد رحمه الله عليه إذا تكلم ظهر علمه في مختلف الفنون كالفقه والمنطق والنحو والبلاغة والتاريخ والسيرة ؛ وهو في ذلك مثل ابن جرير الطبري الذي كان عالماً في كل العلوم ؛ ولهذا يقول الحافظ ابن حجر : (سَلِمَ لابن جرير مَالَمَ يَسْلَمْ لغيره) لأن كل مفسر يظهر فيه التخصص ، أما ابن جرير فقد كان متخصصاً في كل العلوم ، والوالد رحمه الله تعالى كان كذلك<sup>(٢)</sup> .

### المطلب الرابع

### مَعَاصِرَتُهُ وَتَفَاقُتُهُ الْحَاضِرَةُ

كان الشنقيطي من أولئك النفر من العلماء الذين يهتمون بمجريات الأحداث في أيامهم ، ويدلون بأرائهم في مستجدات الأمور من حولهم ؛ وليس أدل على ذلك من مناقشته مختلف القضايا الراهنة التي يكثر حولها الجدل ، وتختلف بشأنها الآراء ؛ الأمر الذي تجلّت معه معاصرته وإحاطته بتلك القضايا بصورة واضحة من خلال مايلي :

(١) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

(٢) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .



### ● مناقشة القضايا الراهنة :

وذلك من خلال تعرضه لتفسير الآيات التي يتناول تحتها تلك القضايا ، ومن أمثلتها :

قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية<sup>(١)</sup> حيث ناقش من خلال تفسير هذه الآية قضايا تعدد الزوجات ، وكون الطلاق بيد الرجل ، وكون ميراث الرجل أكثر من ميراث المرأة ، وقضية الرقيق وجواز رقهم من عدمه إلخ .

وقوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الآية<sup>(٢)</sup> حيث ناقش من خلال تفسير هذه الآية قضية الاجتهاد والتقليد وموقف الأمة منها .

وقوله تعالى : ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> حيث ناقش من خلال تفسير هذه الآية مسألة القياس والرد على منكربه .

وقوله تعالى : ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِرِزْقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> حيث ناقش من خلال تفسير هذه الآية قضايا البيوع والإيجارات والشركات ، وسائر ما يتعلق بذلك من مسائل ومشكلات .

### ● الاهتمام بواقع المسلمين :

كان الشنقيطي واسع الاهتمام بواقع الأمة الإسلامية على مستوى حكامها وشعوبها على حد سواء ، حتى إن ابنه الدكتور عبد الله يُحَدِّثُ عنه في ذلك قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى يُحَدِّثُ من حكام بعض الدول الإسلامية الذين فسدت عقيدتهم ، ومنبهاً إلى مدى ضررهم الذي يلحق شعوبهم من جراء شرورهم التي تنذر بخراب ديارهم ، وإفساد حياتهم<sup>(٥)</sup> .

### ● متابعة الأحداث العالمية :

ولم يقتصر اهتمام الشنقيطي على الدول الإسلامية فحسب ؛ بل تعداه إلى متابعة الأحداث العالمية ، ومواكبة الصراعات الدولية التي تنشأ هنا أو هناك ، وإلى هذا يشير أيضاً ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى يحدثني وأنا لازلت صغيراً في المتوسط<sup>(٦)</sup> بكلام رأيت كتباً صدرت به فيما بعد ، ومن أمثلتها كتاب (لعبة الأمم) الذي طالعت فيه جملة الكلام الذي حدثني عنه الوالد رحمه الله تعالى من قبل<sup>(٧)</sup> .

(٢) محمد ﷺ : ٢٤ .

(٤) الكهف : ١٩ .

(١) الإسراء : ٩ .

(٣) الأنبياء : ٧٩ .

(٥) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة بتصرف) .

(٦) والمتوسط يعادل في مصر المرحلة الإعدادية من التعليم الأساسي .

(٧) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) . .



## المطلب الخامس

### تورعه عن الفتيا ورجوعه للحق

كان الشنقيطي من أولئك النفر من العلماء الذين يتورعون عن الفتوى وينأون بأنفسهم عنها ؛ وليس ذلك إلا على سبيل التواضع الذي ألفوا تربية أنفسهم عليه ، وهذا سمت العلماء المعبرين من سلف هذه الأمة ، والذين أُثرت عنهم أقوالهم العديدة في التنبيه على التورع عن الفتوى ، وتحذيرهم من خطر الإقدام عليها في غير ما ضرورة ، ومن ذلك قولهم : (جنة العالم : لا أدري ؛ فإذا أغفلها أصيبت مقاتله)<sup>(١)</sup> وقولهم : (ينبغي أن يُورث العالم جلساءه قول : لا أدري ؛ حتى يكون ذلك أصلاً في أيديهم يفزعون إليه ، فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال : لا أدري)<sup>(٢)</sup> وأخيراً : فقد صحَّ عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال : (لا أدري نصف العلم)<sup>(٣)</sup> .

(١) راجع في ذلك كلاً من :

● الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (أبي حنيفة ومالك والشافعي رضي الله عنهم) وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم للتعريف بجلالة أقدارهم : للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ت (٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م) - ص ٣٧ - عن نسخة (دار الكتب المصرية) مع إتمامها ومقابلة بعضها (بنسخة كوبريلي محمد باشا بالآستانة) - عني بنشره : حسام الدين القدسي - مكتبة القدسي - الأزهر - القاهرة - ١٣٥٠ هـ = ١٩٣٠ م .

● سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبي ت (٧٤٨ هـ = ١٣٤٧ م) - ٦٩/٨ - أشرف على تحقيق الكتاب وخرَّج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط - وحقق هذا الجزء : نذير حمدان - الطبعة ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

و (الجنة) : هي السترة والوقاية ، بل وكل ما وقى من سلاح وغيره ، وهي مأخوذة من قولهم : (جنَّ جنًّا) أي استتر، والجمع : (جنن) - انظر مادة (جنن) في المعجم الوسيط : ١٤٦/١ .

وعليه فقوله هنا : (جنة العالم) أي وقايته وحمايته التي تنأى به عن مزالق الخطر ، وتكفيه شر الوقوع في الفتيا بغير ضرورة ؛ وذلك بإلزام نفسه قول : (لا أدري) وتدريبها عليه .  
(٢) الدِّيَّاج المذَّهَب في معرفة أعيان علماء المذَّهَب : لابن فرحون المالكي ت (٧٩٩ هـ = ١٣٩٧ م) - ١١٢/١ - تحقيق وتعليق : د. محمد الأحمدى أبي النور - دار التراث للطبع والنشر - القاهرة - (د.ت) .

(٣) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : للحافظ أبي عمر بن عبد البر ص ٣٨ .  
ويلاحظ أنه على الرغم مما اشتهر عن الإمام مالك من قوله (مَنْ قال لا أدري فقد أفتى) أو : (مَنْ قال لا أدري فقد أتى بنصف الإجابة) إلا أن ابن عبد البر لم يورده في فضائل الإمام مالك من خلال مصنفه المذكور الذي قصره على فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء (أبي حنيفة ومالك والشافعي) متعقباً إياها في مظانها المختلفة ، كما أننا لم نقف بدورنا على هذا القول المشهور عن مالك فيما توفر تحت أيدينا من مصادر .





ومن ثم ؛ لم يكن شيء أسهل على الشنقيطي من قول : (لا أدري) كما أنه لم يكن ليتكلم في شيء إلا إذا سُئِلَ عنه ، وإلى هذا يشير ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان يجلس في مجلسه رحمه الله تعالى كل مَنْ شاء ، وكان يتأدب مع كل الناس ، غير أنه لا يتكلم إلا إذا سُئِلَ أو تكلم أحد أمامه بالخطأ كما كنت أتعمد ذلك أحياناً في بعض المسائل لأعرف رأيه فيها ؛ وعندئذ يجيب رحمه الله تعالى بالواقع كيفما اتفق حتى لو كان فيه تجريح للسائل ؛ لأنه مادام قد سأله فلا بد أن يُبين له الحق ، أما إذا سُئِلَ وكان لا يعرف فإنه يقول : لا أعرف ، وما رأيت أحداً أسهل عليه : (لا أدري) منه رحمه الله تعالى .

وفي التحذير من خطر الكلام بدون علم كان يقول لي دائماً : يا ولدي :

إذا ما قتلت الشيءَ علماً فقلْ به      ولا تقل الشيءَ الذي أنت جاهلُهُ  
فَمَنْ كَانَ يَهْوَى أَنْ يَرَى مُتَصَدِّراً      ويكره (لا أدري) أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ<sup>(١)</sup>

كما يضيف الشيخ عطية عن تورع شيخه عن الفتوى إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك فيقول : ومما لوحظ عليه في سنواته الأخيرة تباعده رحمه الله تعالى عن الفتيا ، وإذا اضطر إليها كان يقول : لا أتحمل في ذمتي شيئاً ، ولكن العلماء يقولون : كذا وكذا ؛ وقد سألته ذات مرة عن ذلك فقال : إن الإنسان في عافية ما لم يكن مصاباً بابتلاء السؤال ؛ لأنك تقول عن الله تعالى ، ولا تدري أتصيب حكم الله تعالى أم لا ؟! فما لم يكن عليه نص قاطع من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وجب التحفظ فيه<sup>(٢)</sup> .

غير أن الشنقيطي بالرغم من صلابته في بيان الحق ، مع قوة حجته وصدق لهجته في ذلك كما سيأتي بيانه في مواضعه من البحث ؛ إلا أنه كان رجاًعاً للحق ، بل وسهلاً ليناً في الأخذ به متى ظهر له ؛ وهو في ذلك يصدر عن حديث رسول الله ﷺ : «الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها» الحديث<sup>(٣)</sup> .

ومن المواقف التي تحسب للشنقيطي إزاء رجوعه إلى ما ظهر له من الحق ، نذكر ما قرره بشأن كل من :

(١) وفي رواية : (أن يَرَى مُتَقَوِّلاً) - راجع ذلك بتصرف في ( الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين) : د . عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

وهكذا يرى الشنقيطي أن حب الصدارة ، والتعرض للافتاء بدون علم ، إنما هو موت محقق لصاحبه ، وكأنه وَجَّهَ بيده سهاماً نافذة إلى صدره فأصاب مواقع القتل منه .  
(٢) أضواء البيان : الضنقيطي ٦٣/١ (من المقدمة) .

(٣) أخرجه الترمذى في سننه (كتاب) العلم (باب) ما جاء في فضل الفقه على العبادة - (طبع بيروت) - كما أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب) الزهد (باب) الحكمة - (طبع بيروت) .



### • الأشهر الحُرْم :

حيث كان يقول بنسخها ثم عدلَ عن ذلك إلى القول بإحكامها ، وإلى هذا يشير تلميذه الشيخ عطية بقوله : في آخر دروس الشيخ في الحرم النبوي في رمضان الماضي<sup>(١)</sup> في سورة (براءة) حيث أعلن عن رجوعه عن القول في الأشهر الحرم بأنها منسوخة<sup>(٢)</sup> وقال : الذي يظهر لي أنها محكمة ليست منسوخة ، وكنا نقول بنسخها في (دفع إيهام الاضطراب)<sup>(٣)</sup> ولكن ظهر لنا بالتأمل أنها محكمة ، وهو الحق الذي ينبغي اعتماده والتعويل عليه<sup>(٤)</sup> .

### • زكاة الحُلِيِّ :

يحدثنا الشيخ عطية أيضاً عن رجوع شيخه عما كان قد رآه بشأن زكاة الحُلِيِّ للنساء فيقول ما نصه : ومما وقع لي معه رحمه الله تعالى وأكبرته فيه تواضعه وإنصافه فيما سمعت منه في مبحث زكاة الحُلِيِّ في (أضواء البيان) عند سرد الأدلة ومناقشتها أن من أدلة الموجبين حديث المرأة اليمنية ومعها ابنتها وفي يدها مَسَكَّتَانِ غليظتان من ذهب<sup>(٥)</sup> فسألها رسول الله ﷺ : «أتؤدين زكاة هذا ؟ فقالت : لا ؛ فقال : هما حسبك من النار ؛ فخلعتهما وألقت بهما» الحديث<sup>(٦)</sup> .

وأجاب المانعون : بأن هذا كان قبل إباحة الذهب للنساء ، فتساءلت مستوضحاً منه رحمه الله تعالى : وماذا يسمى هذا منه ﷺ : سكوته عن لبسه وهو مُحَرَّمٌ ، وسؤاله عن

(١) ويقصد به شهر رمضان المعظم من عام وفاة الشنقيطي في (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) كما سيأتي بيانه في موضعه من البحث .

(٢) وعددها أربعة أشهر ، منها ثلاثة سرُد متتابعة هي : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وشهر فرَد هو : رجب ، وقد حرَّم الله تعالى فيها القتال بقوله سبحانه : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ براءة أو التوبة : ٣٦ .

(٣) وتما اسمها : (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) وهو أحد مؤلفات الشنقيطي كما سيأتي بيانه في موضعه من البحث .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٨/١ (من المقدمة) .

(٥) مَسَكَّتَانِ أي سِوَارَانِ ، المفرد مَسَكَّةٌ والجمع مَسَكٌ : وهي الأسورة أو الخلاخل من الذبل أو القرون أو العاج أو الذهب أو الفضة أو نحو ذلك مما تجعله المرأة في يديها أو رجليها - انظر مادة (مَسَكٌ) في كل من لسان العرب : ٤٢٠٢/٥ - المعجم الوسيط : ٩٠٤/٢ .

(٦) أخرجه النسائي في سننه (كتاب) الزكاة (باب) زكاة الحُلِيِّ - (طبع بيروت) - كما أخرجه أبو داود في سننه (كتاب) الزكاة (باب) الكثر ما هو ؟ وزكاة الحُلِيِّ - - (طبع بيروت) .



زكاته ؟! فقال : عجباً !! إن هذا يتضمن وجود اللبس عند السؤال ، بل ويدل على إباحته آنذاك ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا يُقَرُّ أحداً على مُحَرَّم ، ولا يتأتى أن يسكت عن لبسها إياه وهو ممنوع ، وفي ذات الوقت يهتم لزكاته ، ولو أعيد طبع الكتاب لَنَبَّهْتُ عليه رغم أن جميع المراجع لم تلتفت إليه<sup>(١)</sup> .

ويعقب الشيخ عطية على كلام شيخه بقوله : والشيخ رحمه الله تعالى يلحن طلبه العلم بهذا درساً في موقفه من الحق ، ولكأنى بكلام عمر رضي الله عنه في كتابه لأبي موسى رحمه الله تعالى : (لا يَمْنَعَنَّكَ قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ بِالْأَمْسِ ، ثم راجعت فيه نفسك وظهر لك الحق ؛ أن تأخذ به ، فالحق أحق أن يتبع) وقد رأينا من قبل للشافعي القديم والجديد ، وهذا ما تقتضيه أمانة العلم وإنصاف العلماء<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

**وفى الجملة :** فقد جمع الشنقيطي - إضافة إلى الصفات السابقة بين كل من : التمكن والاعتدال من حيث حفظه واستحضاره لآيات القرآن الكريم ، وكذا امتلاكه ناصية اللغة والشعر على الرغم من بغضه نسبة الشعر إليه ، وأخيراً حبه وإنصافه غيره من العلماء من لدن سلف هذه الأمة إلى معاصريه منهم .

غير أن أخص ما يميز الشنقيطي هو عمق فكره ، وغزارة علمه ؛ الأمر الذي لم تتسع له مؤلفاته على ما فيها من موسوعية ظاهرة ، واستقصاء ملحوظ ؛ وهذا ما يشهد به غير واحد من علماء عصره الذين يقررون أن علمه أغزر مما في كتبه كما سيأتي بيان ذلك في موضعه من البحث .

وهكذا يفضى الإمام بصفات الشنقيطي الخلقية والخلقية والعلمية إلى تحديد معالم شخصيته ؛ واستحضار هيئته وصورته ؛ والذي يعين بدوره على فهم وتحليل إنتاجه الفكري ، بل واستجلاء أصول منهجه العلمي ؛ وتلكم ضرورة يقتضيها فضول البحث ، وتحتّمها منهجيته ؛ وهو الأمر الذي ينبغي أن يتم الاتفاق على أهميته وعدم الاستهانة به أو إغفاله ، إزاء تناول العلماء بالترجمة لهم ، أو الحديث عنهم .

وهذا ما فعله الدكتور أحمد الحوفى فى معرض ترجمته لإمام المفسرين محمد بن جرير الطبرى حيث يَنصُّ على ذلك قائلاً : ورسمت صورة لشخصيته من صفاته الجسمية والخلقية والعقلية ، بالقدر الذى استطعت أن أعثر على ألوانه فى المصادر التى أرخّت له ، بل نراه

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٨/١ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٩/١ (من المقدمة) .



يخصص لذلك الفصل الرابع كاملاً تحت عنوان (معالم شخصيته) والذي ضمته عناصر شخصية الطبري بما له من صفات جسدية وخلقية ونفسية وعقلية ، ثم يختم ذلك بذكر أثر هذه الشخصية على علم الطبري ومنهجه الفكري<sup>(١)</sup> .

وليس أدل على أهمية ذكر تلك الصفات من الاستئناس لذلك مع الفارق بجملة الأحاديث والآثار التي وردت في وصفه ﷺ<sup>(٢)</sup> فمع كثرة هذه الأحاديث ، وتعدد تلك الآثار ؛ إلا أنه لا يُخْتَلَفُ على أهميتها ، بل وضرورة تناولها بالدراسة والبحث .

---

(١) انظر كتاب (الطبري) : د. أحمد الحوفي ص ٥ (من المقدمة) - ثم ص (٤٢ - ٨٢) - (الفصل الرابع : معالم شخصيته) - سلسلة (أعلام العرب) - الكتاب رقم (١٣) - إصدار وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مطبعة ومكتبة مصر - القاهرة - شعبان ١٣٨٢ هـ = يناير ١٩٦٣ م .

(٢) انظر (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) : لابن حجر العسقلاني - (٤٩/١٤ - ٦٧) - (باب) صفة النبي ﷺ - (الأحاديث والآثار من رقم ٣٥٤٢ إلى رقم ٣٥٦٨) مراجعة كل من : (طه عبد الرؤوف سعد - مصطفى محمد الهواري - السيد محمد عبد المعطي) - مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .





## الفصل الخامس زواجه وأولاده

وينتظم المبحثين التاليين :

- ١- المبحث الأول : زواجه .
- ٢- المبحث الثاني : أولاده .



## المبحث الأول

# زواج

وينتظم المطلبين التاليين :

- ١- المطلب الأول : مرحلة ما قبل الزواج .
- ٢- المطلب الثاني : مرحلة الزواج .



## المطلب الأول

### مرحلة ما قبل الزواج

آثر الشنقيطي متعة العلم على متعة الأُنس بالزوجة ؛ على الرغم من شدة احتياجه إليه في فتوته وشبابه ، غير أن تفرغه الكامل واشتغراقه التام للطلب العلم وتحصيله صار هدفاً سامياً يحتل من نفسه موقع الصدارة من حيث اهتمامه له ، وانشغاله به .

بل دفع به هذا الهدف إلى تفضيل العلم على كل ما عداه من الرغبات المشروعة ، والمتطلبات المباحة ، التي يرغب فيها المرء ، وتميل إليها النفس ؛ حتى لو اقتضتها الضرورة ، ودعا إليها ميسر الاحتياج ، ومنها بل وأهمها الزواج بلا خلاف .

ومع ذلك ؛ لم يتردد الشنقيطي لحظة ولا أقل من ذلك في الرد على بعض أقرانه الذين فاتحوه في أمر الزواج أثناء مرحلة التحصيل والطلب ، حيث أجابهم على الفور بإيثاره العلم وانشغاله بأبكار فنونه العذارى ، عن زواجه بالفاتنات الأَبكار العذارى .

ونترك المقام هنا للشنقيطي ليحدثنا بنفسه عن مرحلة ما قبل زواجه قائلاً : كنت في أخريات زمني في الاشتغال بطلب العلم دائم الاشتغال به عن التزويج ؛ لأنه ربما عاق عنه ، وكان إذ ذاك بعض البنات ممن يصلح لمثلي يرغب في زواجي ويطمع فيه ؛ فلما طال اشتغالي بطلب العلم عن ذلك المنوال ؛ أيست مني فتزوجت ببعض الأغنياء ، فقال لي بعض الأصدقاء : إن لم تتزوج الآن من تصلح لك ؛ تزوجت عنك ذوات الحسب والجمال ، ولم تجد من تصلح لمثلك ، يريد أن يعجلني عن طلب العلم ؛ فقلت في ذلك هذه الأبيات :

دَعَانِي النَّاصِحُونَ إِلَى النِّكَاحِ	غَدَاةً تَزَوَّجْتُ بِيضُ الْمَلَّاحِ
فَقَالُوا لِي : تَزَوِّجْ ذَاتَ دَلٍّ	خَلُوبَ اللَّحْظِ ، جَائِلَةَ الْوَشَّاحِ
فَقُلْتُ لَهُمْ : دَعُونِي ؛ إِنَّ قَلْبِي	مِنَ الْغَىِّ الصُّرَّاحِ الْيَوْمَ صَّاحِي
وَلِي شُغْلٌ بِأَبْكَارِ عَذَارَى	كَأَنَّ وَجُوهَهَا ضَوْءُ الصَّبَّاحِ
أَبَيْتُ مَفْكَراً فِيهَا فَتَضَحَى	لِقَهْمِ الْفَدَمِ خَافِضَةَ الْجَنَاحِ
أَبَّحْتُ حَرِيمَهَا جَبْراً عَلَيْهَا	وَمَا كَانَ الْحَرِيمُ بِمُسْتَبَاحٍ <sup>(١)</sup>

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٤٨ - الطبعة ١ - دار الشروق - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

وتقام هذه الأبيات أحد عشر بيتاً اخترنا منها ما أثبتناه من باب دلالة البعض على الكل ، كما وردت هذه الأبيات بتمامها في (أضواء البيان) : الشنقيطي ٣١/١ - ٣٢ (من المقدمة) .



ويعقب تلميذه الشيخ عطية على ذلك بقوله : نعم ، إنه كان يبیت في طلب العلم مفكراً وباحثاً ؛ حتى يذلل الصعاب ، وقد طابق القول العمل<sup>(١)</sup> .

كما يردف الشيخ المجذوب ذلك بقوله : فقد كان مشغولاً بمتعة العلم عن الأناس بالزوجة ؛ حتى ليصرفه التفكير بالمعاني الغوامض عن حاجة نفسه التي هي أشد ما تكون تفتحاً إلى ذلك الأناس<sup>(٢)</sup> .

## المطلب الثاني

### مرحلة الزواج

ظل الشنقيطي يؤثر العلم على الزواج إلى أن تم له النصاب الذي أهله للدرس والفتيا والقضاء كواحد من أبرز العلماء في بلاده ؛ وعندئذ جمع العزم على الزواج ، وعقد النية عليه ؛ وما أحرى عالماً كالشنقيطي بالامتثال لأمر الله تعالى ، واتباع سنة رسوله ﷺ ، بشأن الترغيب في النكاح والحث عليه<sup>(٣)</sup> .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٣١/١ (من المقدمة) .

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٥/١ .

(٣) ومن آيات القرآن المرغبة في ذلك قول الله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم : ٢١ .  
ومن أحاديث السنة المرغبة في النكاح ، الحائثة على الذرية الصالحة نذكر مايلي :

• عن أنس رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها ؛ فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ؛ فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : «أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له ؛ لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ؛ فمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» .

أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب) النكاح (باب) الترغيب في النكاح - واللفظ له - (طبع بيروت) - وانظر كذلك فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني (كتاب) النكاح (باب) الترغيب في النكاح - ١٢٥/١٩ - حديث رقم (٥٠٦٣) - (طبع الأزهرية) - كما أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب) النكاح (باب) استحباب النكاح - (طبع بيروت) .

• ومن ذلك أيضاً قول رسول الله ﷺ : «لم ترَ للمتحابين مثل النكاح» - أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب) النكاح (باب) ما جاء في فضل النكاح - (طبع بيروت) .

• وأخيراً ما رواه معقل بن يسار رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ قال : «لا» ثم أتاه الثانية : «فنهاه» ثم أتاه الثالثة فقال : «تزوجوا الودود الولود ؛ فإني مكاثر بكم الأمم» - أخرجه أبو داود في سننه (كتاب) النكاح (باب) النهي عن تزويج مَنْ لم يلد من النساء - (طبع بيروت) - كما أخرجه النسائي في سننه (كتاب) النكاح (باب) كراهية تزويج العقيم - (طبع بيروت) .





ومن ثم ؛ تزوج الشنقيطي الأولى ، وهي أم أولاده وقد توفيت عنه ، ثم تزوج الثانية ولم ينجب منها وتوفيت عنه كذلك ، فتزوج الثالثة غير أنه فارقها ولم ينجب منها أيضاً ، ثم كان أن تزوج الرابعة والأخيرة وقد تُوفِّيَ هو عنها ولم ينجب منها كذلك<sup>(١)</sup> .

وأما حُسنُ معاشرته ، وطيبُ معاملته لزوجاته ، فهذا ما يحدثنا عنه ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : لازالت زوجته الأخير تبكى إلى الآن كلما ذكَّرتُه ، وكان يعاملها كأنها ضيف في البيت ، ويقول : هذه ضيفة ؛ كلمة تخرجها من البيت<sup>(٢)</sup> .

#### • ملاحظات حول زواجه :

- ١- تأخر زواج الشنقيطي خلافاً لأنداده وأترابه الذين يتم تزويجهم في سن مبكرة على عاداتهم في بلادهم ؛ وذلك لإيثاره العلم ، وانشغاله بتحصيله كما سلف بيانه .
- ٢- بالرغم من أنه تزوج أربع نسوة ؛ إلا أنهم كُنَّ من الثيبات جميعاً ؛ ومن ثم لم يتزوج بكرة قط في حياته<sup>(٣)</sup> .
- ٣- لم ينجب الشنقيطي سوى من زوجته الأولى أم أولاده ، والتي توفيت عنه في بلاده .

---

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٩١ (بتصرف) .

(٢) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢٠٧ .

(٣) راجع في ذلك (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٩١ .



## المبحث الثاني

### أولاده

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١- المطالب الأول : البنت الكبرى .
- ٢- المطالب الثاني : الولد الأول .
- ٣- المطالب الثالث : الولد الثاني .



## المطلب الأول

### البنات الكبرى

وهي البكر ؛ حيث كانت أولَ ما رُزِقَ به الشنقيطي من الذرية ، ولا تزال مقيمة ببلادها شنقيط ، غير أننا لا نعلم من خبرها سوى ما ذكرنا ، وإلى هذا يشير شيخ عطية تلميذ أبيها بقوله : والواقع أن له ثلاثة من الأولاد ، بنتاً وولدين ، أما البنت وهي الكبرى : فهي في البلاد موريتانيا<sup>(١)</sup> .

## المطلب الثاني

### الوليد الأول

الدكتور محمد مختار ، واسمه كاسم جدّه لأبيه ، ويعمل أستاذاً ورئيساً لقسم الأصول بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومن آثاره العلمية ما يلي :

١- مقابلة ومراجعة كتاب والده الشنقيطي المسمى : (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) حيث جاءت في نهايته ما نصه : هذا آخر ما كتبه المؤلف رحمه الله تعالى ، وقد فرغنا من مقابلتها على أصلها<sup>(٢)</sup> في ٢٥ من رجب عام ١٣٩٩ هـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي<sup>(٣)</sup> .

٢- تحقيق ودراسة أحد مؤلفات أصول المالكية والمسمى : (مراقى السُّعود إلى مراقى السُّعود) لمحمد الأمين بن أحمد زيدان الجنكي الشنقيطي<sup>(٤)</sup> .

(١) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٢) والضمير يعود هنا على رحلة والده الشنقيطي في حجه إلى بيت الله الحرام .

(٣) انظر (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : الشنقيطي ص ٢٨٤ (نهاية الكتاب) - وهذا التاريخ يوافق ٢٠ من يونيو عام ١٩٧٩ م .

(٤) وقد نال به درجة الماجستير بتقدير ممتاز من قسم الدراسات العليا بالجامعات الإسلامية بالمدينة المنورة في رجب ١٤٠١ هـ = مايو ١٩٨١ م .

• انظر النشرة الإخبارية الصادرة عن وحدة المعلومات التابعة للندوة العالمية للأنشطة العلمية الإسلامية - العدد (٥) - دار البحوث العلمية - الكويت - جماد الأول ١٤٠٢ هـ = مارس ١٩٨٢ م .

• ويلاحظ أن هذا الكتاب قد ورد باسم : (مراقى الصُّعود إلى مراقى السُّعود) على لسان أحمد بن أحمد المختار الجنكي الشنقيطي في كتابه المسمى : (إعداد المهج للاستفادة من المنهج) ص ١٦ .



والدكتور محمد المختار لا يزال يقيم حتى الآن مع أولاده في بيت والده الشنقيطي بباب الكومة بالقرب من الحرم النبوي الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم<sup>(١)</sup> .

### المطلب الثالث

### الولد الثاني

الدكتور عبد الله ، العميد السابق ، وأستاذ ورئيس قسم التفسير الحالى بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومن آثاره العلمية نذكر : تحقيق ودراسة كتاب : (الواضح فى التفسير) للدينورى<sup>(٢)</sup> إلى غير ذلك من الدراسات النافعة حول كتاب الله تعالى .

والدكتور عبد الله يقيم مع أولاده فى دار واسعة المرافق فى ضواحي المدينة المنورة<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

وهكذا أثمر زواج الشنقيطي ولدين من أهل العلم ورجالاته ؛ حيث سارا على دربه ، ولا يزالان يكملان المسيرة بعده ، فى نشر العلم وتدريسه ، عبر الأجيال المتلاحقة من طلاب العلم وباحثيه على السواء ، بالإضافة إلى نشاطهما المكثف فى الدعوة إلى ضرورة التمسك بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ واتباع منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ امثالاً منهما لقول الله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> .

وقد لاقت دعوتهما الاستحسان والقبول ، سواء بين أعضاء الجالية الموريتانية فى مكة

(١) وهو بيت متواضع مبنى من الطوب اللبن يُعرفُ هناك بـ (البيت الشعبى) ويشبه إلى حد كبير بيوت الريف المصرى المبنية من الطين ، ويحمل هذا البيت رقم (٣) بحارة الأشراف بباب الكومة ، وقد زرت هذا البيت المكوّن من طابقين وفناء واسع ، حيث جعل الطابق الثانى لأهل البيت مع المكتبة التى هى مكتبة الشنقيطي ذاته ، فى حين جعل الطابق الأول مع الفناء لطلاب العلم وكذا الأضياف من الشناقطة وغيرهم ، وما أكثرهم كما هى حالهم فى حياة الشنقيطي .

(٢) وقد نال به درجة الدكتوراه من قسم التفسير بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

• انظر (السلفية وأعلامها فى موريتانيا) : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٤٢٦ .

(٣) وقد زرت هذا البيت الذى يضم مكتبة طيبة ، ومجلساً رحباً عامراً بحلقات النقاش والبحث ، فيما يتعلق بأحوال المسلمين وواقعهم المعاصر فى شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى .

(٤) النحل : ١٢٥ .





المكرمة والمدينة المنورة ، أو فى موريتانيا نفسها من خلال بعثات الدعوة التى توفدها الجامعة الإسلامية فى صيف كل عام إلى مختلف أقطار العالم الإسلامى<sup>(١)</sup> وليس ذلك إلا لتواضعهما وكرم نفسيهما ، وأديهما وطيب معدنهما ، إلى آخر ما يتمتعان به من جملة الأخلاق الحسنة ، والسجايا الكريمة ، والتى ورثاها عن والدهما الشنقيطى ، وصدق الله العظيم إذ يقول فى محكم التنزيل : ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> .

---

(١) راجع فى ذلك (السلفية وأعلامها فى موريتانيا) : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٤٢٧ .

(٢) آل عمران : ٣٤ .



## الفصل السادس وفاته ورثاؤه وحسنُ خازمته

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

- ١- المبحث الأول : وفاته .
- ٢- المبحث الثاني : رثاؤه .
- ٣- المبحث الثالث : حسنُ خاتمته .



## المبحث الأول

# وفاته

ويتنظم المطالب الخمسة التالية :

- ١- المطلب الأول : حَجُّ الأَخْيَرِ .
- ٢- المطلب الثاني : مرضه الذي تُوَفِّيَ فيه .
- ٣- المطلب الثالث : الشنقيطى يُسَلِّمُ الرُّوحَ لخالقه .
- ٤- المطلب الرابع : غُسُّه والصلاة عليه ودفنه .
- ٥- المطلب الخامس : صلاة الغائب على الشنقيطى .



بعد عُمرٍ حافلٍ بالعطاء ، وحياة زاخرة بالإيثار ، يلقي الشنقيطيّ عصار التسيار ؛ فَيُسَلِّمُ رُوحَهُ ، ويقضى نحبه ، عما يناهز ثمانية وستين عاماً ، قضى منها ما يقرب من اثنين وأربعين عاماً في بلاده شنقيط ، ثم أتمها بستة وعشرين عاماً في بلاد الحجاز حيث وفاته بها<sup>(١)</sup> .

وقد سبقت وفاة الشنقيطي إرهاصاتٌ مبدئية كَوْنَتْ لديه إحساساً عاماً يُؤذِنُ بالنهاية وَيَدُلُّ عليها ، وذلك بَدءٌ مِنْ حَجِّهِ الأخير ، وانتهاءً بمرضه الذي توفى فيه ، وهذا ما نعرضه له من خلال المطالب الخمسة التالية :

### المطلب الأول

### حَجِّهِ الأخير

على الرغم من سوء صحته الشنقيطي في أخريات أيامه ، إلا أنه أَصَرَ على الحج في السنة التي توفى فيها ؛ خاصة وأنه أراد أن يكفر به عن سفره للعلاج بلندن التي كان قد رجع لتوه منها ، ولما راجعه تلميذه وابن قبيلته أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي في ترك الحج في تلك السنة نظراً لسوء صحته ؛ كان أن رَدَّ عليه قائلاً ما نصه : دَعْ عنك المحاولة إن سفرى إلى لندن أريد الشفاء بها ؛ لا بد أن أكفر عنه بحج<sup>(٢)</sup> .

وبالفعل فقد أنفذ الشنقيطي عزمه على حجه من سنته تلك ، حيث خرج من المدينة المنورة قاصداً البلد الحرام بمكة المكرمة مفرداً مليئاً كعادته في نسكه كل عام ، حتى إذا كان السَّعى للحج ؛ هاجمته بواكير الألم ، وهذا الذي يحدثنا عنه تلميذه أحمد بن أحمد الشنقيطي قائلاً : لما جاء الشيخ رحمه الله للسعى يوم الحج الأكبر ، سعى شوطاً واحداً على قدميه ، ثم أُخِذَتْ له العَرَبَةُ ؛ غير أنه كان قد حصل له ضيق في التنفس من ذلك الشوط الذي طافه على قدميه<sup>(٣)</sup> .

ومع ذلك ؛ فقد أتم الشنقيطي مناسك ذلك الحج كاملة ، حتى جاء اليوم الخامس عشر من ذى الحجة بعد انتهاء شعائر الحج بيومين ، وعندئذ كان من أمره ما كان .

(١) هذه السنوات بحساب التقويم الهجرى ، أما حسابها بالتقويم الميلادى فهو : سبعة وستون عاماً ، ثم واحد وأربعون عاماً ، وأخيراً ستة وعشرون عاماً على الترتيب .

(٢) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٣) راجع في ذلك كلاً من :

• ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٨ .

• المعين والزاد في الدعوة والإرشاد : جمع وتأليف سيد الأمين بن المامى الجكنى الشنقيطي ص





## المطلب الثاني

### مرضه الذي توفى فيه

لما كان يوم الثلاثاء الخامس عشر من ذي الحجة أصيب الشنقيطي بوعكة صحية بسبب (فيروس الأنفلونزا) وكان العلاج مركباً من مادة (البنسلين) غير أنه كان يعاني منذ زمن من (حساسية شديدة) من هذه المادة ، فلما تعاطى هذا العلاج ؛ زادت عليه تلك الحساسية بدرجة كبيرة ؛ الأمر الذي أدى إلى نقله على الفور إلى (مستشفى أهلي) كان قد افتتح منذ أشهر قليلة ، وذلك بواسطة (رابطة العالم الإسلامي) بمكة المكرمة ، وكانت تحت مسئولية الشيخ القزاز الذي تولى أمر الشنقيطي بنفسه آنذاك .

ولما كان الصباح ؛ قرَّب الشنقيطي الطهور ، ثم صَلَّى الصلوات التي ما كان صلّاها في الليل ؛ حتى إذا فرغ من صلاته قال : والله ما أظنُّ هذا إلا مرض الموت<sup>(١)</sup> .

## المطلب الثالث

### الشنقيطي يُسلم الروح لخالقه<sup>(٢)</sup>

لما أحسَّ الشنقيطي بأنه مرض الموت ؛ كان أن شعر بدوار شديد راح يغطُّ بعده في نوم عميق دونما حراك ، ثم كان أن نقلوه إلى بيته بمكة المكرمة<sup>(٣)</sup> في يوم الأربعاء السادس عشر من ذي الحجة ، وقد ظل الشنقيطي على حاله تلك بين النوم العميق غالباً ، والإفاقة الخاطفة أحياناً ؛ حتى أسلم روحه لله تعالى في وقت الضحى من يوم الخميس السابع عشر من ذي الحجة من عام ثلاثة وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة ، الموافق العاشر من يناير

(١) راجع في ذلك المحاضرة المسجلة للدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطي بعنوان : (الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين) .

(٢) راجع في ذلك كلاً من :

• ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٨ .

• حلية طالب العلم : د. بكر أبي زيد ص ١٢ .

• الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

• المعين والزاد في الدعوة والإرشاد : جمع وتأليف سيد الأمين بن المامى الجكنى الشنقيطي ص ١٠٤ .

(٣) ويقع هذا البيت بجبل (بُومَطَشْش) - حارة (الأشراف) - شارع (المنصور) - حي (العزيرية) - مكة المكرمة - كما أفاد بذلك ابنه الدكتور عبد الله في محاضرتة المسجلة بعنوان : (الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين) .



من عام أربعة وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد (١٧-١٢-١٣٩٣هـ = ١٠-١-١٩٧٤م)<sup>(١)</sup> وإلى تلك اللحظة المهية يشير ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : لقد مات رحمة الله عليه وأنا ضامه على .

### المطلب الرابع

#### غُسْلُهُ وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ وَدَفْنُهُ<sup>(٢)</sup>

تَوَلَّى غَسْلَ الشَّنْقِيطِيِّ بَيْتَهُ بِمَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ كُلِّ مِنْ ابْنِهِ الْأَصْغَرَ الدُّكْتُورَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَتَلْمِيزَهُ وَابْنَ عَمِّهِ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ الْجَكْنِيَّ الشَّنْقِيطِيَّ ، وَرَجُلٌ ثَالِثٌ مِنَ الصَّالِحِينَ مِمَّنْ يُقَالُ : إِنَّهُ مِنْ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ .

وقد صَلَّى عليه صديقه وقرينه رئيس الجامعة الإسلامية آنذاك الشيخ عبد العزيز بن باز في الحرم المكي بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم ، مع مَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ لَا يُحْصَوْنَ عِدْداً مِنْ جَمْعِ الْمُقِيمِينَ وَالْحَاجِّينَ عَلَى السَّوَاءِ .

ثم كان أن دُفِنَ بِمَقْبَرَةِ (الْمَعْلَاةِ) بِمَنْطِقَةِ (رَبْعِ الْحُجُونِ) وَهِيَ ذَاتُ الْمَقَابِرِ الَّتِي تَضُمُّ بَيْنَ جَنَابَتِهَا مَثْوَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ بِمَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ .

ولما سُئِلَ ابْنَهُ الدُّكْتُورَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رَغْبَةِ وَالِدِهِ فِي حَيَاتِهِ : هَلْ كَانَ يُفْضِلُ أَنْ يُدْفَنَ بِمَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ أَمْ بِالْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ ؟ فَأَجَابَ قَائِلاً : كَانَ يَرْغَبُ أَوَّلاً فِي الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ ، ثُمَّ صَارَ فِي آخِرِيَّاتِ حَيَاتِهِ يَرْغَبُ فِي مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ ، مَكْتَفِياً فِي التَّعْلِيلِ لِذَلِكَ بِتَرْيِيدِ قَوْلِهِ : إِنَّ مَكَّةَ أَمْرًا عَجِيبًا ! إِنَّ مَكَّةَ أَمْرًا عَجِيبًا !

وَكَانَ الشَّنْقِيطِيُّ قَدْ أَحْسَنَ دُنُوَّ الْأَجْلِ ، وَاسْتَشْرَفَ مَثْوَاهُ فِي مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ صَارَ يَمِيلُ إِلَيْهَا مُؤَخَّرًا بَعْدَ أَنْ كَانَ يَمِيلُ دَوْمًا إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ الَّتِي كَانَ مَتَوَقِّعًا أَنْ يُقْبَرَ

(١) أخذت مقابلة التقويم الهجري بالميلادي من كل من :

• التقويم الهجري الميلادي (هيل هـ - م ١) : طوكيو - اليابان - لحساب شركة كهرباء الشرق - (الدمام - الرياض - جدة) - المملكة العربية السعودية - (د.ت) .

• المؤذن العربي (إصدار رقم ١٠١) : شركة الخليج العالمية للتكنولوجيا المصرية - القاهرة - (د.ت) .

(٢) راجع في ذلك بتصرف كلاً من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ٧/١ (من المقدمة) .

• ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص

١٧٨ .

• الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .



فيها نظراً لإقامته الدائمة بها ؛ غير أن أمر الله نافذ ، وله سبحانه إنفاذ المشيئة لا العبد ، وما أصدق قول الله تعالى في محكم تنزيله : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الآية (١) .

والمرء عاجز لا محالة عن معرفة ساعته ومثواه ، وما أبعد أبدأ عن جواب : متى ؟ وأين ؟ وما أحكم قول الحق سبحانه : ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ الآية (٢) .

## المطلب الخامس

### صلاة الغائب على الشنقيطي<sup>(٣)</sup>

وقد أقيمت عليه صلاة الغائب ليلة الأحد العشرين من ذى الحجة الموافق الثالث عشر من يناير (٢٠ - ١٢ - ١٣٩٣ هـ = ١٣ - ١ - ١٩٧٤ م) بعد موته بثلاثة أيام في الحرم النبوي الشريف ، وصلى عليه آنذاك صديقه وقرينه الشيخ عبد العزيز بن صالح آل صالح إمام وخطيب الحرم النبوي ورئيس المحاكم الشرعية بمنطقة المدينة المنورة ، وذلك بعد صلاة العشاء من ذلك اليوم ، مع مَنْ حَضَرَ من المسلمين مِمَّنْ لَا يُحْصَوْنَ عدداً من المقيمين والحجيج على السواء .

كما أقيمت عليه صلاة الغائب بمسجد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ثم تابعت فيما بعد في سائر المساجد الأخرى في أرجاء المملكة المختلفة .

(٢) لقمان : ٣٤ .

(١) الإنسان : ٣٠ .

(٣) راجع في ذلك كلاً من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ١/٧-٨ (من المقدمة) .

• ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص

. ١٧٩



## المبحث الثاني رثاؤه

ويتنظم المطالب الأربعة التالية :

- ١- المطالب الأول : رثاء أول وأخص تلامذته الشيخ عطية .
- ٢- المطالب الثاني : رثاء ثانی تلامذته الشيخ المجذوب .
- ٣- المطالب الثالث : رثاء الشناقطة له خاصة .
- ٤- المطالب الرابع : رثاء غير الشناقطة له عامة .





اعتصر الألم ، وأجلم الحزن ، كل من عرف الشنقيطي أو سمع عنه بصفة عامة ، وكل من لازمه وتلمذ عليه من بنى عمومته وغيرهم بصفة خاصة .

وإزاء مصابهم فيه ؛ فقد رثاه هؤلاء وأولئك بفيض مما اعتمل في نفوسهم نظماً ونثراً ، غير أن المقام لا يحتمل تسجيل كل ما قالوا ؛ ومن ثم فسوف نكتفي بإيراد البعض تنبيهاً به على الكل ، وذلك من خلال المطالب الأربعة التالية :

### المطلب الأول

#### رثاء أول وأخص تلامذته الشيخ عطية

حيث رثى شيخه ونعاه إلى كل من تحدث إليهم ، بادئاً ذلك بخطاب شيخه ذاته قائلاً :  
إلى رحمة الله وحسن جواره ، فقيده العلم يا علم الرجال ، نعاك العلم في حلق السؤال<sup>(١)</sup>  
نعم فقيده الدرس يا علم الرجال ، نعاك الدرس في فصل المقال<sup>(٢)</sup> .

انتقل إلى رحمة الله وحسن جواره صاحب الفضيلة وعلم الأعلام ، الشيخ الجليل الإمام الهمام ، زكى النفس رفيع المقام ، كريم السجايا ذو الخلق الرزين ، عفا المقال ، حميد الخصال ، التقى الأمين ، شيخنا محمد الأمين الشنقيطي .

وإني كأحد أبنائه ، ومن جملة تلاميذه ، أفق اليوم معزياً متعزياً ، ومترجماً مترحماً ، وقد عظم المصاب ، وعز فيه العزاء ؛ فأقول ما قد قلته على البديهة عندما سألتني سائل قائلاً : من هذا الذي نعزيه في الشيخ ؟! فأجبت به هذه الأبيات :

أقول للسائل لِمَا سَأَلَ :	مَنْ ذَا نَعَزَى فِيمَا نَزَلَ ؟!
كُلٌّ مِّنْ لَّا قِيَتَ فَعَزَّهُ	وَابْدَأَ بِنَفْسِكَ فِي الْأَوَّلِ
عَزَّ الْجَمِيعَ بِمَوْتِهِ	وَاعْلَمَهُ أَنَّ الْخَطْبَ جَلَّلَ
مَوْتُ الْعَالِمِ رُزْءُ الْعَالَمِ	فِي مَوْتِهِ يَأْتِي الْخَلَّلَ
لَوْ نَزَلَ الرُّزْءُ بِقَمَّةِ	فَوْقَ الْجِبَالِ لَهْدَّ الْجَبَلِ
خَيْرُ التَّعَاذِي فِي أَنَا	نُردُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ <sup>(٣)</sup>

(١) الحلق والحلق : جمع حلقة وحلقة وهي تحلق القوم واجتماعهم في شكل دائري - انظر مادة (حلق) في مختار الصحاح ص ١٤٩ .

(٢) لعله يقصد بذلك الفصل بمعنى مكان الدرس ، أو الفصل بمعنى الحاسم الصائب من القول ، وكلا الوجهين محتمل .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ١/ ٥-٨ (من المقدمة) .

• وعجز البيت الأخير تضمين لقول الله تعالى : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة : ١٥٦ .



ويعارض الشيخ عطية قول أبي ذؤيب الهذلي قائلاً : ولئن قيل :  
وتجلدى للشامتين أريهموا أنى لرب الدهر لا أتضععُ  
فإنى أقول :

وتجلدى للسامعين أريهموا شمس الحقيقة من سنه تطلع<sup>(١)</sup>

وأخيراً يبكى الشيخ عطية شيخه متمثلاً قول النابغة الذبياني :

كليني لهم يا أميمة ناصب      وليل أقاسيه بطيء الكواكب  
تطاول حتى قلت : ليس بمنقض      وليس الذي يرعى النجوم بأيب  
وصدر أراح الليل عازب هممه      تضاعف فيه الحزن من كل جانب  
على لعمر نعمة بعد نعمة      لوالده ، ليست بذات عقارب<sup>(٢)</sup>

## المطلب الثاني

### رثاء ثانی تلامذته الشيخ المجذوب

وجّه الشيخ محمد المجذوب ذات يوم عشرة أبيات من شعره إلى شيخه الشنقيطي ، وهو لا يدري أنه سيوجه إليه ذات الأبيات في مقام رثائه ليخاطبه بها بعد موته كما خاطبه بها من قبل في حياته ، وصدق الحق سبحانه إذ يقول : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ الآية<sup>(٣)</sup> .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١٦/١ (من المقدمة) .

• وانظر بيت أبي ذؤيب المذكور في (ديوان الهذليين) : ٣/١ - (شعر أبي ذؤيب وساعده بن جؤية) - الطبعة ١ - طبع : دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ١٥/١ - ١٦ (من المقدمة) .

وانظر جملة هذه الأبيات المذكور في (ديوان النابغة الذبياني) ضمن قصيدته التي افتتحها بقوله :

أرسماً جديداً من سعاد تجتنب      عفت روضته الأجداد منها فيثقب

• ديوان النابغة الذبياني بتمامه : صنعة الإمام أبي يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت

ت (٢٤٤ هـ = ٨٥٩ م) - ص ٥٤ - ينشر لأول مرة عن أصل فريد بتحقيق : د. شكرى فيصل

- دار الفكر - القاهرة (د.ت) .

• وطبعة أخرى بتحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ص ٤٠ - دار المعارف - سلسلة (ذخائر

العرب) - الكتاب رقم (٥٢) - القاهرة - (د.ت) .

(٣) الجن : ٢٦ .



وها هو يبكي شيخه قائلاً : إنه أحد الأفاضال الذين يُخشى إذا فقدوا ألا يعوضوا ، وإلى ذلك أسرت في هذه الأبيات التي وجهتها إليه ذات يوم تحت عنوان : (قبس ونبوع) فقلت :

دُمْتَ يَا شَيْخَنَا الْأَمِينَ لِدِينِ	اللَّهُ ذُخْرًا وَعِصْمَةً لِلْحَيَارَى
إِنَّمَا أَنْتَ نَفْحَةٌ مِنْ تَرَاثِ	كَانَ فِي ظُلْمَةِ الْوَجُودِ مَنَارًا
(قَبَسٌ) مِنْ كِتَابِ رَبِّي وَ(يَنْبُوعٌ)	هُدًى مِنْ (بَيَانِهِ) لَا يُمَارَى
ذَكَرْتَنِي (أَضْوَاؤُكَ) الْغُرُفُ أَنْذَا	ذَا مِنَ السَّابِقِينَ فَاقُوا الْبَحَارَا
أُورَثُونَا مِنْ فَضْلِهِمْ كُلِّ عِلْمِ	لَمْ يَسْرِ قَطُّ كَوْكَبٌ حَيْثُ سَارَا
لَوْ قَضَيْنَا حَيَاتِنَا نَنَعِمُ الْفِكْرَ	بِأَغْوَارِهِ ؛ لَفَاتَتْ وَخَارَا
فَلْيُمَتِّعْكَ ذُو الْجَلَالِ بِعُمُرِ	يَمَلَأُ الْخِصْبَ لَيْلَهُ وَالنَّهَارَا
وَدَّ كُلُّ لَوْ يَسْتَطِيعُ لَهُ مَدًّا	بَشَطْرٍ مِنْ عُمُرِهِ مُخْتَارَا
كُلُّ طُولٍ فِي عُمُرٍ مِثْلِكَ طَوْلٌ	فِي قَوَى الْحَقِّ يُرْهِبُ الْكُفَّارَا
وَكَثِيرُونَ إِنْ يَعِيشُوا فَلَا خَيْرَ	وَإِنْ يَهْلِكُوا فَشَرُّ تَوَارَى

وليس من قبيل الإطراء المألوف دعائي له بطول العمر ، وودى له لو أعيره بعض عمري طمعاً في المزيد من خدماته للإسلام ؛ فإنني كنت شديد القلق عليه لما أرى من ظواهر الضعف في صحته ، بل وتماديه في هذا الضعف ؛ حتى إنني في عصر يوم ، ونحن على باب عمر رضي الله عنه من المسجد النبوي ، وقد لاحظت الجهد الضخم الذي كان يبذله أثناء درسه العام ؛ فقلت له : يا شيخ ! إن صحتك ليست ملكك ، إنها للعلم وللمسلمين ؛ فارق بها ولا تعجل عليها<sup>(١)</sup> .

### المطلب الثالث

### رثاء الشناقطة له خاصة

وبعد رثاء أول وثاني تلامذته الشيخين عطية والمجدوب ، فإننا نأتي إلى رثاء أبناء بلاده من الشناقطة على وجه الخصوص ، بدءاً بمن وردت قصائدهم أولاً ، ثم من أشير إلى قصائدهم ثانياً ، وذلك بحسب ترتيبهم الهجائي التالي :

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجدوب / ١ - ١٨٥ - ١٨٦ (بتصريف يسير) .



أولاً : مَنْ وَرَدَتْ قِصَائِدُهُمْ :

١- أحمد بن أحمد الجكني الشنقيطي :

وهو تلميذه وابنه عمه وأحد الثلاثة الذين غَسَلُوهُ ، وقد رثاه بقصيدة من ستة وعشرين بيتاً قال فيها :

موت الإمامِ الحَبْرِ مِنْ (جَاكَانِي)      رُزْءُ أَلَمٍ بِأُمَّةِ الْعَدْنَانِي  
يا للمصيبة للبرية أنها      فقدت عظيم مناهل العرفان  
أبكى الأمين محمداً وإنني      أبكى الأمين لشرعة القرآن  
أرجو الذي جمع العزيز بأهله      مناً عليه بنعمة الإحسان  
أَنْ يَخْتَفِيَ بِلِقَائِنَا فِي جَنَّةٍ      مشحونة بالحور والولدان<sup>(١)</sup>

٢- أحمد بن محمد عبد الله بن آد الشنقيطي :

وقد رثاه بقصيدة من اثني عشر بيتاً قال فيها :

أَعْيَنِي جُوداً بِالدَّمِوعِ السَّوَاكِبِ      لَمَنْ (ضَوْؤُهُ) قَدْ فَاقَ ضَوْءَ الْكَوَاكِبِ  
أَعْيَنِي جُوداً لَا تَقُولَا لِي أَنْتَهَى      فَلَسْتُ بُعِيدَ الْيَوْمِ مِنْكُمْ بِطَالِبِ  
دَمِوعاً وَلَا حُزْناً لِأَنْدُبَ بَعْدَمَا      نَدَبْتُ خِيَارَ النَّاسِ مَاشٍ وَرَاكِبِ  
لَهُ الْفَضْلُ فِي التَّفْسِيرِ إِنْ رُمْتُ بِأَحْتَا      وَفِي الْفِقْهِ وَالتَّوْحِيدِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ  
خَلِيلِي هَذَا عَالِمُ الْعَرَبِ قَدْ سَمَا      بِهِ الْعِلْمُ فِي شَتَى الْعُلُومِ الْأَطْيَابِ<sup>(٢)</sup>

٣- محمد الأمين بن مختار الجكني الشنقيطي :

ويلقب بـ (التَّعَدِّي) وهو ابن عم الشنقيطي ، وقد رثاه بقصيدة من ثمانية عشر بيتاً قال

فيها :

هُوَ الْمَوْتُ لَا يَنْفَكُ يَفْجَعُ مَعْشَرًا      بَكُوكِبِهِ الدُّرَى بَيْنَ الْكَوَاكِبِ  
فَتَى لَمْ يَرِ الرَّأْوُونَ شَرَوَاهُ بَعْدَهُ      وَلَا أَنْجَبَتْ شَرَوَاهُ بِيضُ الْكَوَاعِبِ  
يُرْوَى الْبَرَايَا مِنْ رَوَايَا عُلُومِهِ      بِنَقْلِ صَحِيحٍ عَنْ فُحُولِ الْمَذَاهِبِ  
وَتَفْسِيرِهِ مِنْ حَفْظِهِ كُلِّ آيَةٍ      بِأَخْتٍ لَهَا أَعْظَمُ بِهِ مِنْ مَوَاهِبِ

(١) انظر تمام هذه الأبيات في (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن

عبد العزيز السديس ص ١٧٩ .

(٢) انظر تمام هذه الأبيات في (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن

عبد العزيز السديس ص ١٨٩ .





عجيبٌ غريبٌ في البرايا وإنما غرائبُهُ في العلمِ فوقَ الغرائبِ<sup>(١)</sup>

٤ - محمد بن عبد الله بن أحمد مزيد الجكني الشنقيطي :

وقد رثاه بثلاث قصائد مختلفة القوافي ، أما أولاها فعلى قافية الدال ، وتبلغ ثمانية وستين بيتاً قال فيها :

نُعَى الْهُدَى فَعَلَا الْقُلُوبَ سَوَادُ      وَتَفَطَّرَتْ لِمُصَابَهَا الْأَكْبَادُ  
خَطْبٌ يَجْلُ عَنْ الْبُكَاءِ وَفَجِيعَةٌ      هَدَّتْ رَوَاسِيَ الْأَرْضِ أَوْ لَتَكَادُ  
بَكَتِ الْمَثَانِي تَرْجُمَانِ يَبَانِهَا      حَامِيمُهَا تَبْكِي عَلَيْهِ وَصَادُ  
وَكَذَا الْمَعَانِي كَالْمَثَانِي ثَوَاكِلَا      أُمَّاتُهَا تَبْكِي وَتَبْكِي الضَّادُ  
هَذَا الْبَيَانُ وَهَذِهِ أَضْوَاؤُهُ      عَزَّتْ لَغَيْرِ الشَّيْخِ لَا تَنْقَادُ<sup>(٢)</sup>

وأما قصيدته الثانية فجاءت على قافية الميم ، وتبلغ واحداً وعشرين بيتاً قال فيها :

نَعَى الْأَمِينَ نَعَاةً قَدْ نَعَوَا عِلْمَا      بَحْرًا خَضَمًا بِمَوْجِ الْعِلْمِ مُلْتَطَمَا  
أَبْكْتَهُ أَجْيَالُ عِلْمٍ حِينَ عُدَّ لَهُ      رِبْعُ الْحُجُونِ مَصِيرًا بَعْدَمَا خُتَمَا  
مَا كَانَ يَرْغَبُ فِي السُّكْنَى بِذِي بَلَدٍ      غَيْرِ الْمَدِينَةِ طَابَتْ مَسْكَنَ الْكُرْمَا  
مَنْ لِلنَّوَازِلِ مِثْلُ الشَّيْخِ إِنْ نَزَلَتْ      أَوْ لِلْحَوَادِثِ إِنْ أَدْمَتْ بِنَا كَلْمَا  
أَضْوَاؤُهُ كَشَفَتْ أَبْعَادَ مَطْلَبِهِ      وَالِدَفْعُ يَدْفَعُ مَا فِي الْوَحْيِ قَدْ وَهَمَا<sup>(٣)</sup>

وأخيراً جاءت قصيدته الثالثة على قافية النون ، وتبلغ واحداً وعشرين بيتاً أيضاً قال

فيها :

هُوَ الْمَوْتُ أَمْرٌ فِي أَنْتِظَارِكَ كَانَا      لِقَاؤِكَمَا حَتْمٌ وَحِينُكَ حَانَا  
وَرَزُوكَ عَمَّ الْعَامِلِينَ مُصَابَهُ      وَعَمَّقَ جُرْحَ الْأَقْرَبِينَ جَكَانَا  
وَمَوْتُكَ بَتْرٌ لِلْبَيَانِ فَمَا أَرَى      إِلَى الْحَشْرِ لِلْمَبْتُورِ مِنْهُ يَبَانَا  
فَمَا الْوَقْفُ عِنْدَ الْحَشْرِ إِلَّا الْحِكْمَةُ      تَشِيرُ إِلَى الْحَشْرِ الْبَعِيدِ مَكَانَا<sup>(٤)</sup>

(١) انظر تمام هذه الأبيات في (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي) : جمع وتصنيف عبد الرحمن

ابن عبد العزيز السديس ص ١٨٧ .

(٢) انظر تمام هذه الأبيات في (المعين والزاد في الدعوة والإرشاد) : جمع وتأليف سيد الأمين بن المامي

الجكني الشنقيطي ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(٣) انظر تمام هذه الأبيات في (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن

عبد العزيز السديس ص ١٨١ .

(٤) إشارة إلى آخر سورة فسرهما الشنقيطي في (أضواء البيان) حيث أتم (المجادلة) ووقف على أول

(الحشر) فلم يبدأ فيها .



فَمَنْ كَانَ أَعْطَاكَ الْبَيَانَ تَفْضُلًا يُحَقِّقُ بِالرِّضْوَانِ عَنْكَ رَجَانًا<sup>(١)</sup>

٥- محمد بن مدين الشنقيطي :

وهو شاعر كبير ببلاد شنقيط ، وقد رثاه بقصيدة من ثلاثة عشر بيتاً قال فيها :

الله أكبر مات العلم والورع      يا ليت ما قد مضى من ذاك يرتجع  
يكي الكتاب كتاب الله غيبته      كذا المدارس والآداب والجمع  
مفسر الذكر الحكيم وما      من الحديث إلى المختار يرتفع  
فهو الإمام الذي من غيره تبع      له ، وهل يستوى المتبوع والتبع ؟!  
حدث بما شئت من حلم ومن كرم      وانشر مآثره فالباب متسع<sup>(٢)</sup>

ثانياً: مَنْ أُشِيرَ إِلَى قِصَائِهِمْ<sup>(٣)</sup> :

١- عبد الله بن بونا أو بونه الشنقيطي : وقد رثاه بقصيدة من ثلاثة عشر بيتاً .

٢- محمد أحمد بن عبد القادر الغلاوي الشنقيطي : وقد رثاه بقصيدة من أربعة عشر بيتاً .

#### المطلب الرابع

#### رثاء غير الشناقطة له عامة

وبعد رثاء أبناء بلاده له من الشناقطة على وجه الخصوص ، فإننا نأتى إلى رثاء غير الشناقطة له من الخلائق على وجه العموم ، بدءاً أيضاً بمن وردت قصائدهم أولاً ، ثم من أُشير إلى قصائدهم ثانياً ، وذلك بحسب ترتيب هجائهم التالي :

أولاً: مَنْ وَرَدَتْ قِصَائِهِمْ :

ويمثلهم في هذا المقام واحد منهم فقط ممن توفرت لدينا قصيدته ، ألا وهو :

(١) انظر تمام هذه الأبيات في (المعين والزاد في الدعوة والإرشاد) : جمع وتأليف سيد الأمين بن المامي الجكني الشنقيطي ص ١٠٨ .

(٢) انظر تمام هذه الأبيات في (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٨٦ .

(٣) انظر الإشارة إليهم دون ذكر قصائدهم (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٩٠ .



١- عبد الرحمن المنير :

ويعمل أستاذاً بالمعهد العلمى التابع للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد رثى الشنقيطى بقصيدة من ثلاثين بيتاً قال فيها :

صُرُوفُ اللَّيَالِي لَا يَقْرُقَرِينُهَا  
أَتَانِي مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا سَدَّ مَسْمَعِي  
إِمَامٌ تَوَلَّى مِنْ تَوَقُّدِ ذَهْنِهِ  
أَقُولُ لِنَادِي الْحَيِّ : مَا فِيكَ نَدْوَةٌ  
تَرَقَّبْتَهُ مِنْ حِجِّ مَكَّةَ سَالِماً  
أَذْكَكَ لِلضَّرَاءِ أَمْ ذَاكَ دَيْنُهَا ؟!  
فَكَادَتْ لَهَا رُوحِي يُجَنُّ جُنُونُهَا  
حُصُونُ الْمَثَانِي وَهُوَ بَابُ يَصُونُهَا  
إِذَا مَا خَبَا عِلْمٌ وَوَلَّى أَمِينُهَا  
فَشَحَّتْ بِهِ مَعْلَاتُهَا وَحُجُونُهَا<sup>(١)</sup>

ثانياً : مَنْ أَشِيرَ إِلَى قَصَائِدِهِمْ<sup>(٢)</sup> :

١- أحمد بن إسماعيل اليماني : وقد رثى الشنقيطى بقصيدة من أحد عشر بيتاً ، غير أنها أقرب إلى النثر منها إلى الشعر .

٢- الدكتور سقر بن عبد الرحمن الحوالى : ويعمل أستاذاً ورئيساً لقسم العقيدة بكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وقصيدته غير موجودة .

\* \* \*

وبعد : فقد رثى الشنقيطى خلقاً كثير من غير هؤلاء وأولئك من تلاميذه ومحبيه فى شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ، والذين أحسوا مرارة فقدِهِ ، وافتقدوا على إثرِهِ دَرَسَهُ .

(١) انظر تمام هذه الأبيات فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن

السديس بن عبد العزيز ص ١٨٨ .

• وقوله : (مَعْلَاتُهَا وَحُجُونُهَا) يقصد به مقابر (المَعْلَاة) التى تقع بمنطقة (الحُجُون) بمكة المكرمة حيث دُفِنَ الشنقيطى ، وهى ذات المقابر التى تضم مشوى أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها كما أخبرنى بذلك مَنْ صحبني فى زيارتي لها ببلد الله الحرام .

(٢) انظر الإشارة إليهم دون ذكر قصائدهم فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف

عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٩٠ .



المبحث الثالث  
حُسْنُ خَازِمَتِهِ

ويتنظم المطلبين التاليين :

- ١- المطلب الأول : الأمور المصاحبة لوفاته .
- ٢- المطلب الثاني : المرائي الطيبة التي رُوِيَتْ له .





صَاحِبَتْ وِفَاةَ الشَّنْقِيطِيِّ جَمَلَةً مِنَ الْأُمُورِ وَالْمَرَاتِيِ الَّتِي يَحْتَسِبُهَا نَاطِرُهَا أَنَّهَا مِنْ دَلَائِلِ حُسْنِ خَاتَمَتِهِ ؛ مِمَّا يُوسِّعُ دَائِرَةَ رَجَاءِ أَبْنَائِهِ وَتِلَامِذَتِهِ وَمُحِبِّيهِ فِي أَنْ يَشْمَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَبُولِهِ ، وَأَنْ يَتَغَمَّدَهُ بِرَحْمَتِهِ ، وَعَسَاهُ أَنْ يَكُونَ بِذَلِكَ مِمَّنْ قَالَ فِيهِمْ الْحَقُّ سَبْحَانَهُ : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ الْآيَةُ (١) .

### المطلب الأول

### الأمور المصاحبة لوفاته

وتتمثل في الأمور الخمسة التالية :

#### ١- وفاته يوم الخميس :

ولا يخفى ما لهذا اليوم من الفضل الذي تواترت به أحاديث رسول الله ﷺ بل أعظم به من يوم تُعْرَضُ فِيهِ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ عَلَيْهِ ﷺ كَمَا يُعْرَضُ الْحَصِيرُ عَوْدًا عَوْدًا (٢) وفوق هذا ؛ فإنه يتلوه خير يومٍ طلعت عليه الشمسُ ، ألا وهو يوم الجمعة (٣) .

فياله من يوم عظيم ، ويعقبه يوم عظيم ؛ يعمُّ فضلها سائر الأحياء والأموات ؛ مما يؤمل فيهما أن تكون ليلةٌ وحشة المسلم ووَاحِدَتِهِ فِي قَبْرِهِ هِيَ ذَاتُ لَيْلَةٍ أُنْسِهَ وَبَشَارَتِهِ بِرَحْمَةِ رَبِّهِ وَغَفْرَانِهِ .

#### ٢- القراءة في العشاء قبيل صلاة الغائب :

قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَقْرَأَ الْإِمَامُ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ الَّتِي سَبَقَتْ صَلَاةَ الْغَائِبِ عَلَى الشَّنْقِيطِيِّ فِي الْحَرَمِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ مِنَ الْآيَاتِ مَا يَحْمِلُ الْبَشْرِيَّ وَالتَّفَاؤُلَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ ، وَذَلِكَ عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ (٤) .

وهذا ما يشير إليه الشيخ عطية تلميذ الشنقيطي بقوله : ومن حُسْنِ التَّفَاؤُلِ أَنْ يَقْرَأَ الْإِمَامُ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا

(١) المجادلة : ٢٢ - البينة : ٨ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده بمعناه (باقي مسند المكثرين) - حديث رقم (٩٨٨٣) - (طبع بيروت) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الجمعة) (باب فضل يوم الجمعة) - (طبع بيروت) .

(٤) وكان الإمام آنذاك هو صديق الشنقيطي وقريته الشيخ عبد العزيز بن صالح آل صالح رحمه الله

تعالى - راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .



بَشْرٌ مِثْلَكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴿الآيات (١)﴾ .

وفي الركعة الثانية قرأ قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ ﴿الآيات (٢)﴾ .

وقد سألت فضيلته عن هذه القراءة : أهو قاصدٌ لهذه الآيات ومختارٌ لها ، أما جاءت عفواً؟! فقال : بل عفواً ؛ فما الملاحظة عليها؟! فقلت : إنها من أغرب الصدَفِ (٣) لأنك صليت على الشيخ الأمين بعدها ؛ فظننت أنك قصدت إليها ؛ فكان هذا من المناسبات الحسنة ، تَعَمَّدَ اللهُ الشيخَ بِرَحْمَتِهِ ، وَأَسْكَنَهُ فِسْحَ جَنَّتِهِ ؛ إنه جَوَادٌ كَرِيمٌ ، رُوُوفٌ رَحِيمٌ (٤) .

### ٣- صلاة الحجيج عليه ودعواتهم له :

ومن فضل الله على الشنقيطي أن يحضر صلاة جنازته في الحرم المكي الشريف ، وكذا صلاة الغائب عليه في الحرم المدني الشريف ، مالا يُعَدُّ ولا يُحْصَى من المسلمين من أمة محمد ﷺ من حُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ بِمَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ ، وزائري رسوله ﷺ بالمدينة المنورة ؛ حيث نالته دعواتهم المخلصة ، التي اتجهت بها نياتهم الصادقة .

فهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وتباين أجناسهم وأوطانهم ؛ قد جاءوا رجالاً وركبانا ، من كل حذب وصوب ، ومن كل فج عميق ؛ فدَعَوْا جميعهم للشنقيطي دون معرفتهم له ، وترَحَّمُوا عليه دون صلتهم به إلا من صِلَّةِ هذا الدين العظيم ؛ وأعْظَمَ بها من صِلَّةِ حَرِيَّةٍ بَأَن تَكُونَ مُظَنَّةً إِبْجَابَةَ دَعَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ ، وَصَدَقَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ الآية (٥) .

### ٤- البداية بالحجِّ والنهاية بالحجِّ :

شاء الله تعالى أن يكون أول عهد الشنقيطي بأرض الحجاز كآخر عهده بها ، فها هو يدخلها على نية الحج قبيل شهر ذي الحجة ضحى يوم الاثنين المبارك السابع عشر من ذي

(٥) الكهف : الآيات ١٠٧ - ١١٠ (أربع آيات) .

(٢) مريم : الآيات : ٩٦ - ٩٨ (ثلاث آيات) .

(٣) راجع التنبيه على هذا التعبير ص من هذا البحث .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ١/٧ - ٨ (من المقدمة) . (٥) المائدة : ٢٧ .



القعدة (١٧ - ١١ - ١٣٦٧هـ) الموافق (٢٠ - ٩ - ١٩٤٨م) وليستقر مقامه بها بعد أداء مناسك حجه الأول<sup>(١)</sup> .

ثم ها هو يقضى أجله ويدفن بها أيضاً ضحى يوم الخميس المبارك ، وأيضاً السابع عشر من ذى الحجة (١٧ - ١٢ - ١٣٩٣م) الموافق (١٠ - ١ - ١٩٧٤م) وأيضاً بعد أداء مناسك حجه الأخير<sup>(٢)</sup> .

وهكذا بدأت حياة الشنقيطي في أرض الحجاز بالحج وكذلك انتهت فيها بالحج ؛ ولعل هذا يحمل من الاستبشار في رحمة الله تعالى ومغفرته بقدر ما جاء على لسان رسول الله ﷺ في قوله : «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» الحديث<sup>(٣)</sup> فعسى الشنقيطي أن يكون من أهل هذا الوعد ؛ فيستحق مغفرة ربه ، ويحظى بعفوه .

٥- آخر ما كتبه وفسره :

إن من بشارات حسن خاتمته أن يكون آخر مخطئه الشنقيطي تفسيره هو قول الله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِّ إِيكُمُ الْإِيمَانَ وَزِينَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الآيتان<sup>(٤)</sup> وأن يكون آخر ما وقف عنده في تفسيره (أضواء البيان) هو قول الله تعالى : ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية<sup>(٥)</sup> .

حتى إن أحد شعراء الشناقطة قد صور وقف الشنقيطي عند آخر المجادلة وأول الحشر بأنه إشارة إلى الحشر البعيد يوم أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، وبهذا يرثي الشنقيطي قائلاً :

وموتك بتر للبيان فما أرى إلى الحشر للمبتور منه بيانا

فما الوقف عند الحشر إلا لحكمة تشير إلى الحشر البعيد مكاناً<sup>(٦)</sup>

فياله من ختام طيب عله يستحق به بشارة رسول الله ﷺ : «يقال لقارىء

(١) راجع تفصيل حجه الأول ص من هذا البحث .

(٢) راجع تفصيل حجه الأخير ص من هذا البحث .

(٣) أخرجه البخارى في صحيحه (كتاب) الحج (باب) فضل الحج المبرور - (طبع بيروت) وانظر (فتح فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : لابن حجر العسقلانى ١٥٤/٧ - حديث رقم (١٥٢١) - (طبع الأزهرية) .

(٤) الحجرات : ٧ - ٨ (آيتان) .

(٥) المجادلة : ٢٢ .

(٦) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .



القرآن : اقرأ وارْتَقِ ؛ فمقامك عند آخر آية ، وقفت عندها «<sup>(١)</sup>» ولئن كان هذا لقارئ القرآن ومرتلته ؛ فما أجدره بكتابه ومفسره .

## المطلب الثاني

### المرائي الطيبة التي رؤيت له<sup>(٢)</sup>

وتتمثل في المرائي الأربع التالية :

#### ١- الرؤيا الأولى :

وكانت قبل موت الشنقيطي بأسبوع واحد، حيث رأى أحد أقاربه ممن كانوا يحجون معه في سيارته أن النبي ﷺ قد توفي ومُسَجَّى عليه ثوبٌ ، وقد دخل عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليغسله ، ثم جاء الرائي فرفع الثوب فوجد أن الميت نبيٌ ولكنه ليس رسول الله ﷺ فقبله في جبينه وانصرف .

ولما قصَّ الرائي رؤياه هذه على الشنقيطي ، تَغَيَّرَ وَجْهُ الشنقيطي على الفور ، ثم قال مؤكداً : نعم ، هذا ليس بالنبي ﷺ ولكن يقضى الله خيراً ، ثم سكت .

وكان الشنقيطي استشعر أن هذا الميت ليس إلا هو نفسه ، وأنه سيغسله واحد من آل بيت النبي ﷺ وبالفعل ؛ فقد شاء الله تعالى أن يقضى الشنقيطي نَحْبَهُ بعد هذه الرؤيا بأسبوع ، ثم كان ممن دخل عليه ليغسله رجلٌ من الصالحين ممن يقال : إنه من آل بيت النبي ﷺ .

#### ٢- الرؤيا الثانية :

وكانت بعد موت الشنقيطي بأيام قلائل ، وفيها رآه ابنه الأصغر الدكتور عبد الله ، وقد جاءه أناس فسَلَّمُوهُ كتابه بيمينه ؛ وعلى الفور شدَّ عليه يده بحرصٍ بالغٍ حتى وهَرَ العرق الذي في ظاهر يده اليمنى ، وكان من عادته أن يعطى هذا الكتاب ابنه عبد الله ليقراه له ، غير أنه في هذه المرة لم يُعْطِهِ هذا الكتاب الذي كان مدوناً فيه ما يشبه الأرقام الحسابية .

(١) أخرجه الترمذي في سننه (كتاب) فضائل القرآن (باب) ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر - وقال : هذا حديث حسن صحيح - (طبع بيروت) - كما أخرجه أبو داود في سننه (كتاب) الصلاة (باب) استحباب الترتيل في القراءة - (طبع بيروت) .

(٢) راجع في ذلك كلاً من :

• ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص

١٧٩ .

• الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .





### ٣- الرؤيا الثالثة :

حيث رأى الدكتور عبد الله والده الشنقيطي بعد موته فسأله عن المقصود بمن يملك العفو في قول الله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ الآية (١) أهو الولي أم الزوج ؟ وعندئذ يكتفى الشنقيطي في الإجابة عن هذا بإشارة من يده تفيد عدم ترجيحه ، بل وعدم رغبته في الإفتاء .

الأمر الذي حدا بابنه الدكتور عبد الله في نومه إلى أن يفطن إلى عزوف والده عن الفتوى ، وعدم ميله إلى ترجيح الولي على الزوج ، أو العكس ، وهو ذات رأيه الذي أثبتته في كل من : (أضواء البيان) و (مذكرة أصول الفقه) (٢) .

### ٤- الرؤيا الرابعة :

وقد رآها له أحد تلامذته عقب موته ، حيث وجده وقد أخذ حبلاً مجدولاً ، متيناً قوياً ، مثل حبل السفينة ، فوضعه على ظهره ، ثم لبس عليه جبة ضافية ومشى ؛ فانزعج الرائي عندئذ ، وقص ما رأى على الدكتور عبد الله الذي قال على الفور مطمئناً إياه : والله إنى لأعرف هذا في حياة الوالد ؛ فقد كان رحمة الله عليه يقول : القرآن حبل الله المتين ، مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ نَجَا (٣) .

\* \* \*

**وفى الجملة :** فلا نجد في ختام حديثنا عن وفاة الشنقيطي خيراً مما ذكره أول وأخص تلامذته الشيخ عطية محمد سالم ، حيث أجمل ذلك قائلاً : مات رحمه الله تعالى بعد أن أحيا علوماً درست ، وخلف تراثاً باقياً ، وربى أفواجا متلاحقة تعد بالآلاف من خريجي المعاهد والكليات بالرياض ، فضلاً عن خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ما مات إلا بعد أن أصبح له في كل دائرة من دوائر الحكومة في مختلف أنحاء البلاد (٤)

(١) البقرة : ٢٣٧ .

(٢) راجع ذلك إجمالاً في كل من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ١/ ٢٧٩ - ٢٨٤ .

• مذكرة أصول الفقه : الشنقيطي ص ٢٢٥ - ٢٣١ .

(٣) وفي ذلك إشارة إلى وصف رسول الله ﷺ للقرآن الكريم في جزء من حديث طويل قال فيه : «هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم» وفي رواية أخرى : «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض» - وقد سبق تخريج هذا الحديث بروايتيه ص من هذا البحث .

(٤) ويقصد بها المملكة العربية السعودية .



ابن من أبنائه ، وفي كل قطر إسلامي بعثة تعليمية عن طريق المنح الدراسية التي تقدمها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ؛ ما مات إلا بعد أن ترك في كل مكتبة ، بل في كل بيت (أضواء البيان) التي تبدد الظلام ، وتهدى السبيل ؛ فلا يبعد ولا يغالي من يقول : ما مات من خلف هذا التراث ، وأدى تلك الرسالة ؛ ل يبقى بذلك أثراً خالداً على مرّ الأجيال والقرون .

حقاً لقد أدى رسالة عظمى ، ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى ؛ ليحصد ما زرع ، ويجني ثمار ما غرس ، وينعم بما قدّم ، بعد أن صارت أعماله تترجم عنه ، ومؤلفاته تُعرف به ؛ حتى عرفه الصغير والكبير ، والقاصي والداني ، والعالم والعامي ، فرحمه الله رحمةً واسعة<sup>(١)</sup> .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٨/١ - ٩ (من المقدمة بتصرف) .



## الباب الثانى

# مسيرته العلمية

ويتنظم تمهيداً وستة فصول :

• تمهيد : بين يدي هذا الباب .

١ - الفصل الأول : شيوخه من أهله ومن غير أهله .

٢ - الفصل الثانى : أقرانه ومعاصروه .

٣ - الفصل الثالث : تلامذته من أقرانه ومن الشناقطة ومن

غير الشناقطة .

٤ - الفصل الرابع : نشاطه فى بلاده وخارج بلاده .

٥ - الفصل الخامس : رحلاته للحج والدعوة والعلاج .

٦ - الفصل السادس : مؤلفاته الموجودة والمفقودة والمنسوبة .



## تمهيد

### بين يدي هذا الباب

يدور حديثنا في هذا الباب حول مسيرة الشنقيطي العلمية بما تنتظمه من مراحل مختلفة ، وما تحويه من أطوار عديدة ، انطوت عليها رحلة طلبه الممتدة ، والتي بدأها من مسقط رأسه ببلاده (شنقيط) ثم استكمل السير الذي تبقى منها ببلاد (الحجاز) .

ففي بلاده كان شيوخه من الشناقطة ، بل من قبيلته (بنى جاكان) من أهله الذين تربطه بهم صلة الدم المباشرة ، ومن غير أهله الذين تربطه بهم صلة القرابة البعيدة داخل إطار القبيلة .

ومن هؤلاء وأولئك كانت مدرسته الأولى الأهلية ، ثم مدرسته الثانية القبليّة ، حتى إذا ما اكتمل نصابه منهما انتقل بعدهما إلى مدرسته الثالثة الذاتية التي استدرك فيها ما فاته من فنون العلم وفروعه المختلفة عن طريق اطلاعه الشخصي ، ودراسته الذاتية .

وبعد نشاطه العلمي الملحوظ في بلاده يرحل لأداء حجة الإسلام على نية الرجوع ، غير أنه يستقر به المقام ببلاد الحجاز التي واصل فيها نشاطه العلمي والدعوى ، والذي صاحبه فيه كثير من أقرانه وتلامذته ، بل وصنّف من خلاله معظم مؤلفاته فضلاً عن القليل الذي كان منها في بلاده .

وفيما يلي نعرض لمسيرته العلمية الممتدة من خلال الفصول الستة التالية :





الفصل الأول  
شيوخه  
من أهله ومن غير أهله

ويتظم المبحثين التاليين :

- ١ - المبحث الأول : شيوخه من أهله .
- ٢ - المبحث الثاني : شيوخه من غير أهله .



ينتمي جميع شيوخ الشنقيطي إلى ذات قبيلته (بنى جاكان) ومن ثم فإن لهم ما لتلك القبيلة من كريم السجايا ، وحميد الخصال ؛ الأمر الذي كان له أعظم الأثر وأبلغه في إثراء الشنقيطي أخلاقياً ، وتوجيهه تربوياً ، فضلاً عن رعايته علمياً ، وإعداده دعويّاً ؛ ليضطلع فيما بعد بأمانة هذا العلم ، ولينال شرف نشره والدعوة إليه في الآفاق .

ومع أن هؤلاء الشيوخ وإن كانوا جميعاً من الجكنيين ، إلا أن قليلاً منهم تربطه بالشنقيطي صلة الدم المباشرة ، في حين أن أكثرهم لا يمت إليه إلا بصلة القرابة البعيدة بحكم الانتماء إلى ذات القبيلة .

ولذا ؛ فقد آثرنا أن نتناول شيوخه من الجكنيين من خلال المبحثين التاليين :



## المبحث الأول شيوخه من أهله

ويتنظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١ - المطالب الأول : خال الشنقيطى .
- ٢ - المطالب الثانى : ابن خال الشنقيطى .
- ٣ - المطالب الثالث : زوجة خال الشنقيطى .



ويمثلون مدرسته الأولى في بيوت أخواله ، والتي أطلقنا عليها من قبل : (المدرسة الأولى الأهلية) حيث شيوخه الأوائل من أخواله وأولادهم وذويهم<sup>(١)</sup> وهم الذين نستطيع إيجاز ذكرهم من خلال المطالب الثالثة التالية :

### المطلب الأول

#### خال الشنقيطي

وهو الشيخ عبد الله بن محمد المختار بن إبراهيم بن أحمد نوح إلى آخر نسب الشنقيطي السالف ذكره<sup>(٢)</sup> وقد أتم الشنقيطي على خاله هذا حفظ القرآن الكريم وهو إذ ذاك في العاشرة من عمره<sup>(٣)</sup> وتجدر الإشارة إلى أن خال الشنقيطي المذكور ليس له آثار مكتوبة بالرغم من علو كعبه في القرآن وعلومه .

### المطلب الثاني

#### ابن خال الشنقيطي

الشيخ سيدى محمد بن أحمد بن محمد المختار ، عالم بالقراءات القرآنية ، ومن آثاره كتاب (الخريدة في علم القراءات)<sup>(٤)</sup> وقد أخذ عليه الشنقيطي رسم المصحف العثماني المعروف بـ : (المصحف الأم) كما قرأ عليه التجويد ، وعمره آنذاك ستة عشر عاماً .

وهذا ما يسوقه لنا الشيخ عطية على لسان شيخه قائلاً : قال رحمه الله تعالى : تعلمت رسم المصحف العثماني (المصحف الأم) عن ابن خالى سيدى محمد بن أحمد بن محمد المختار ، كما قرأت عليه فى مقراً نافع برواية ورش من طريق أبى يعقوب الأزرق ، وبرواية قالون من طريق أبى نشيط<sup>(٥)</sup> كما أخذت عنه سنداً بذلك إلى النبى ﷺ وعمرى آنذاك

(١) راجع ذلك مفصلاً ص من هذا البحث .

(٢) راجع ذلك النسب كاملاً ص من هذا البحث .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٢١/١ (من المقدمة) .

(٤) انظر فى ترجمته (السلفية وأعلامها فى موريتانيا) : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٦ - ويلاحظ أن والد سيدى هو خال الشنقيطي الثانى ، وأخو خاله الأول عبد الله بن محمد المختار المتقدم ذكره .

(٥) ورد فى الأصل : ( وقالون من رواية أبى نشيط) كما فى (أضواء البيان) : الشنقيطي ٢٢/١ (من المقدمة) - وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه ؛ حيث إن سند القراءة ، ورتبة نقلها ، يقتضى تسلسلها على الترتيب التالى : القراءة فالرواية فالطريق ؛ فكل قراءة لها روايتان ، وكل رواية لها طريقان ، ثم كل طريق له بدوره طريقان أو أكثر من الطرق الفرعية - انظر تفصيل ذلك فى :

• المهذب فى القراءات العشر من طريق طيبة النشر : د. محمد سالم محيسن ٧/١ - الطبعة ٢ -

مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٨ م .





### المطلب الثالث

### زوجة خال الشنقيطي

وهي عائشة بنت الأمين الجكنية، لغوية أديبة، على معرفة واسعة بعلم الأنساب وأيام العرب، وليس لها أي آثار مكتوبة<sup>(٢)</sup> كما أنها شيخته الوحيدة من أهله، وقد أخذ عليها دراسات واسعة في النحو والأدب، وكذا السير والتاريخ والأنساب.

وهذا ما يسوقه لنا الشيخ عطية على لسان شيخه قائلاً: قال رحمه الله تعالى: درست دراسة واسعة في الأدب على زوجة خالي أم ولد الخال، أي أن ولد خاله يعلمه العلوم الخاصة بالقرآن، وأمه تعلمه الأدب.

ويواصل رحمه الله تعالى قوله: كما أخذت عنها مبادئ النحو كالأجرومية، وتمرينات واسعة في أنساب العرب وأيامهم، والسيرة النبوية، ونظم الغزوات لأحمد البدوي الشنقيطي الذي يزيد على خمسمائة بيت مع شروحه لابن أخت المؤلف المعروف بـ: حمّاد.

هذا بالإضافة إلى نظم عمود النسب للمؤلف نفسه والذي يُعدُّ بالآلاف مع شرحه أيضاً لابن أخته المذكور، والذي وصل فيه إلى شرح خصوص العدنانيين؛ لأنه مات قبل أن يشرح ما يتعلق بالقحطانيين<sup>(٣)</sup>.

(١) أضواء البيان: الشنقيطي ٢٢/١ (من المقدمة).

(٢) السلفية وأعلامها في موريتانيا: الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٦.

(٣) أضواء البيان: الشنقيطي ٢٣/١ - ٢٤ (من المقدمة) - وانظر ترجمة كل من: أحمد البدوي الشنقيطي صاحب النظم ص وابن أخته حماد المجلسي الشنقيطي صاحب الشروح ص من هذا البحث.



## المبحث الثاني

### شيوخه من غير أهله

ويتنظم المطالب السبعة التالية :

- ١ - المطالب الأول : أحمد الأفرم بن محمد المختار الجكني .
- ٢ - المطالب الثاني : أحمد بن محمد محمود بن عمر الجكني .
- ٣ - المطالب الثالث : أحمد فال بن آده الجكني .
- ٤ - المطالب الرابع : أحمد بن مؤد الجكني .
- ٥ - المطالب الخامس : محمد بن صالح الشهير بابن أحمد الأفرم الجكني .
- ٦ - المطالب السادس : محمد النعمة بن زيدان الجكني .
- ٧ - المطالب السابع : جملة العلوم التي حصلها عليهم .



ويمثلون مشاهير العلماء في قبيلته (بنى جاكان) وهم وإن كانوا لا يمتون إليه بصلة الدم المباشرة ؛ إلا أنهم يمتون إليه بصلة القرابة البعيدة بحكم الانتماء إلى ذات القبيلة ، وهم الذين يمكننا إيجاز التعريف بهم من خلال المطالب الستة التالية :

### المطلب الأول

#### أحمد الأفرم بن محمد المختار الجكنى

يوصف بأنه علامة زمانه ، وفائق أقرانه ، وعليه تدور رحى القضاء والفتيا في عصره ، كما امتاز بالأدب وجودة الشعر ، ومن آثاره العلمية : ( نظم في التوسل بأسماء الله الحسنى )<sup>(١)</sup> وهو الشيخ الوحيد الذى نقل عنه الشنقيطى فى التفسير واصفًا إياه بقوله : (شيخى الكبير)<sup>(٢)</sup> .

### المطلب الثانى

#### أحمد بن محمد محمود بن عمر الجكنى

أصولى وفقهه ، له معرفة بعلمى المنقول والمعقول ، وقد اشتهر بقوة ذاكرته مع سرعة بديهته وصحة استنباطه ؛ غير أنه لم ترد له أية آثار مكتوبة على الرغم من اضطلاع به بِنَفْسِهِ الأُصول والفقه وغيرهما<sup>(٣)</sup> .

### المطلب الثالث

#### أحمد فال بن آده الجكنى

علامة متبحر فى الفنون ، له اليد الطولى فى النحو والفقه ، اشتهر بالحفظ وقوة

(١) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٧ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٤٧/٧ - ٣٤٨ .

حيث يذكر الشنقيطى اللغات الواردة فى مادة : (غنى) فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿مَنْ وَرَّائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ الجاثية : ١٠ - ثم يقول : وهذه اللغات التى ذكرنا فى مادة (غنى) كنت تلقيتها فى أول شبابه فى درس من دروس الفقه لقنيتها (شيخى الأكبر) أحمد الأفرم بن محمد المختار الجكنى ، وقد ذكر لى بيتى رجز فى ذلك لبعض أفاضل علماء القطر ، وهما قوله :

وضد ففرك (إلى) وك (سحاب)      النفع ، والمطرب أيضاً ك (كتاب)  
وك (فتى) إقامة ، وك (هنا)      جمع لغنية لمابه الغنى

(٣) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٧ .



الذاكرة ، وقد تولى القضاء وسار فيه سيرة حسنة ، وكانت وفاته ببلاده حوالي عام ( ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م )<sup>(١)</sup> .

### المطلب الرابع

#### أحمد بن مؤد الجكنى

أصولى وفقه مالكى ، أخذ الطريقة التجانية ثم رجع عنها ، اشتهر بالتواضع والورع ، بالإضافة إلى المواظبة على العبادة ، مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فضلاً عن رجوعه إلى الحق متى ظهر له ، وكانت وفاته ببلاده عام ( ١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م )<sup>(٢)</sup> .

### المطلب الخامس

#### محمد بن صالح الشهير بابن أحمد الأفرم الجكنى

قال عنه مترجموه : إنه أحاط بالعلوم في بلاده ، سواء في ذلك جليها وغامضها ، من قرآن وتوحيد ، وأصول وفقه ، وقواعد ولغة ، كما اشتهر بالورع والزهد وكثرة العبادة والمواظبة على تلاوة القرآن الكريم ، بالإضافة إلى شدة إنكاره على المتصوفة ، وقد جرت في ذلك محاورات بينه وبين شيخ التجانية في قبيلته محمد بن سيدى الجكنى ، ومن آثاره العلمية : ( طرد البدعة عن أهل الملة بوضح الأدلة ) و ( إرشاد المغرور ) وقد كانت حياته ووفاته ببلاده شنقيط<sup>(٣)</sup> .

### المطلب السادس

#### محمد النعمة بن زيدان الجكنى

ويُعدُّ آخر شيوخ الشنقيطى من مشاهير العلماء في قبيلته (بنى جاكان) غير أننا لم نعثر على أى تعريف به في مظان ترجمته المتاحة لدينا<sup>(٤)</sup> .

- (١) السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٧ .
- (٢) السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٨ .
- (٣) السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٧ .
- (٤) ومن مظان ترجمته نذكر كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٤ .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية : يحيى بن البراء ص ٩٣ .
- السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٨ .





## المطلب السابع

### جملة العلوم التي حصلها عليهم

وعن جملة العلوم التي حصلها الشنقيطي على هؤلاء المشايخ يسوق تلميذه الشيخ عطية على لسانه ما نصه : قال رحمه الله : وقد أخذنا عن هؤلاء المشايخ كل الفنون كالفقه المالكي وهو المذهب السائد في البلاد<sup>(١)</sup> والنحو والصرف<sup>(٢)</sup> والأصول ، والبلاغة ، وبعض التفسير والحديث<sup>(٣)</sup> .

وأما المعقول من العلوم كالمنطق وآداب البحث والمناظرة فقد صرح بأنه حصله عن طريق النظر الخاص والمطالعة الذاتية ، وإلى هذا يشير بقوله : وأما المنطق وآداب البحث والمناظرة فقد حصلناه بالمطالعة<sup>(٤)</sup> .

وهذا ما يصفه أيضاً الشيخ المجذوب بقوله : كان على الشيخ رحمه الله ألا يكتفى بما يتلقاه عن شيوخه وشيخاته ؛ فراح يكب بنفسه على مختلف الأسفار ، في ما درس وفي ما لم يدرس ؛ ومن هنا توافر له ذلك التضلع الملموس في علمي المنطق وأصول البحث والمناظرة ، مما لا يكاد يضاهيه فيه إلا الأقلون<sup>(٥)</sup> .

كما نرجح أن يكون الشنقيطي قد سلك ذات السبيل في تحصيل علم التفسير ، وهو ما يذهب إليه تلميذه الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطي معللاً ذلك بقوله : والذي يظهر لي والله أعلم أن علم التفسير الذي فاق فيه الأولين والآخرين إنما قرأه على نفسه ؛ وذلك لأمرين الأول : أن البلاد هناك ما كانت خصبة لقراءة التفسير ، ولا كانت المشايخ على استعداد لإقراءه الناس ، على تقدير معرفتهم به ، والثاني : أنني سمعته يقول : عكفت على كتاب الله في البلاد أتبعه آية آية ، كل آية بانفرادها ؛ فهذا دليل عندي على أنه درس التفسير على نفسه<sup>(٦)</sup> .

وأخيراً يعقب الشيخ عطية على جملة تلك العلوم التي حصلها شيخه الشنقيطي سواء

(١) راجع انتشار المذهب المالكي وسيادته دون غيره في بلاد شنقيط : ص من هذا البحث .  
(٢) والأصل الذي يعولون عليه في ذلك هو : (ألفية ابن مالك الأندلسي) بشروحها العديدة منذ دخولها شنقيط في القرن الثامن الهجري وحتى الآن .

• انظر (ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة المورثانية) : يحيى بن البراء ص ٣٣ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٥/١ ( من المقدمة ) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٥/١ ( من المقدمة ) .

(٥) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٣/١ .

(٦) نثر الورود على مراقبي السعود : شرح الشنقيطي ١٩/١ .



على مشايخه السالف ذكرهم ، أو بمطالعتة الذاتية فيقول ما نصه : علماً بأن الفن الذي درسه على المشايخ أو مطالعة من الكتب ، فإنه لم يقتصر في تحصيله على دراسته ، بل كان يديم فيه النظر ، ويواصل التحصيل ؛ حتى غدا في كل منه كأنه متخصص فيه ، بل وله في كلٍّ منه اجتهادات ومباحث مبتكرة<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وهكذا يصل مجموع شيوخ الشنقيطي السالف ذكرهم إلى تسعة مشايخ ، توزعوا بين ثلاثة من أهله ممن تربطه بهم صلة الدم والقرابة ، في حين لا يمت إليه شيوخه الستة الآخرون بتلك الصلة ، إلا أن هؤلاء وأولئك ينتمون جميعهم إلى ذات القبيلة التي ينتمي إليها الشنقيطي ؛ فكلهم جكنيون مثله من بني جاكان .

ومع أن الشيخ عطية قد اقتصر في ذكر مشايخ شيخه الشنقيطي على هؤلاء التسعة ؛ إلا أنه أشار في عقبهم إلى غيرهم ممن أخذ عنهم الشنقيطي ، دون تسميته إياهم ، ولكنهم محصورون كذلك في علماء قبيلته (بني جاكان) وهذا ما يشير إليه الشيخ عطية بقوله : وغيرهم من المشايخ الجكنيين<sup>(١)</sup> .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٥/١ ( من المقدمة ) .



## الفصل الثاني أقرانه ومعاصروه

وينتظم المبحثين التاليين :

- ١ - المبحث الأول : أقرانه .
- ٢ - المبحث الثاني : معاصروه .



## المبحث الأول أقرانه

وينتظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : أقرانه الراحلون .
- ٢ - المطلب الثاني : أقرانه الباقون .





ونعنى بهم أنداده وأترابه من العلماء الذين يماثلونه فى شرف حمل أمانة العلم والدعوة إليه ، فضلاً عن الاضطلاع بمهامه الجسيمة من حيث تعليمه وتدريبه للأجيال المتلاحقة من طلاب العلم وباحثيه على السواء فى شتى أنحاء المعمورة .

وأقران الشنقيطى من المنزلة والفضل بما لا يتسع المقام لاستيفاء تراجمهم ، وتام التعريف بهم ؛ حيث يلزم لهذا سفر ضخم وبحث مستقل ، وهذا ما لا يقصده البحث ، وليس موضعه ؛ ومن ثم فسوف نكتفى بالإشارة إليهم حسب الترتيب الهجائى لأسمائهم ؛ وذلك خروجاً من تقديم أو تأخير بعضهم على بعض ، خاصة وأنهم جميعاً نخبة فاضلة من العلماء الأجلاء الذين يصعب التمييز بينهم فى الصفة ، أو المفاضلة بينهم فى المنزلة .

ولما كان أكثر أقران الشنقيطى قد رحلوا مثله عن عالمنا إلى جوار ربهم سبحانه ، فى حين أن قليلاً منهم لا يزال قائماً بين ظهرائنا حتى اليوم ؛ لذا فسوف نبدأ بذكر الراحلين منهم ثم نتبعهم الباقين ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

### المطلب الأول

#### أقرانه الراحلون

ونكتفى بذكر أربعة منهم من جلة العلماء وهم :

#### ١ - الشيخ عبد الرزاق عفيفى :

وهو مصرى المولد والمنشأ ، سعودى الهوية والمهجر ، حيث استقر به المقام فى الرياض ثم أسندت إليه رئاسة المعهد العالى للقضاء منذ افتتاحه عام ( ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م ) وكان الشنقيطى ممن يذهب لإلقاء المحاضرات المطلوبة فى علمى التفسير والأصول ، على نظام الدراسة آنذاك والذى بدأ باستقدام الأساتذة الزائرين<sup>(١)</sup> .

وقد تدرج الشيخ عبد الرزاق عفيفى فى المناصب العلمية إلى أن صار نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء التى كان يترأسها الشيخ ابن باز<sup>(٢)</sup> .

هذا بالإضافة إلى تدريس الشيخ عبد الرزاق عفيفى فى معاهد وكليات الرياض

(١) راجع ( أضواء البيان ) : الشنقيطى ٤٨/١ ( من المقدمة ) .

(٢) راجع كتاب ( ٩٩ سؤالاً وجواباً فى البيع وصوره ) : يجب عليها أعضاء اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - جمعها صالح بن أحمد صالح بن ذياب - المطبعة ١ - مطابع الرشيد - المدينة المنورة - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .



المختلفة ، ومن آثاره العلمية محاضرة بعنوان : ( دراسات فى التوحيد : قواعده وأصوله ) إلى غير ذلك من المصنفات والفتاوى المختلفة<sup>(١)</sup> .

### ٢ - الشيخ عبد الرحمن الإفريقي :

حيث كان يقوم بتدريس علم الحديث فى مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم مفتى البلاد بمنطقة (دُخْنَه) بالرياض ، فى حين كان يقوم الشنقيطى بتدريس علم الأصول فى نفس المسجد لكبار طلاب العلم آنذاك ، ومع ذلك فقد كان يحضر درسه هذا العامة والخاصة الذين كانوا يتوافدون إليه من سائر أطراف الرياض<sup>(٢)</sup> .

### ٣ - الشيخ عبد العزيز بن باز :

وقد صاحب الشنقيطى على مدار واحد وعشرين عاماً منذ أن كانا يُدرِّسان معاً فى معاهد وكليات الرياض المختلفة ، وحتى انتقالاً سوياً إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ افتتاحها عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حيث صار ابن باز نائباً لرئيس الجامعة ، فى حين صار الشنقيطى عضواً فى مجلس إدارتها ، هذا بالإضافة إلى تدريسهما بها .

وقد ظل كذلك حتى صار ابن باز رئيساً للجامعة وإلى أن توفى الشنقيطى عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) حيث صار ابن باز بعد ذلك رئيساً عاماً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد منذ عام (١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م) وحتى وفاته يوم الأربعاء ( ٢٧-١-١٤٢٠ هـ) الموافق (١٢-٥-١٩٩٩ م) بعد رحيل الشنقيطى بقرابة سبعة وعشرين عاماً .

هذا بالإضافة إلى صحبتتهما فى هيئة كبار العلماء بالرياض ، ورابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة وغيرهما من الهيئات والمحافل الإسلامية المختلفة<sup>(٣)</sup> .

وعن منزلة ابن باز لدى الشنقيطى يحدثنا الدكتور عبد الله قائل : كان الوالد رحمه الله تعالى يحب الشيخ ابن باز ويقول : هذا الرجل أمره عجيب ؛ حيث لم أر شخصاً أبصر

(١) راجع ( تعدد الزوجات وتحديد النسل ) : الشيخ عطية محمد سالم ص ١٣ - سلسلة (الرسائل

المدنية) - الكتاب رقم (٩) - الطبعة ١ - دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٥/١ ( من المقدمة ) .

(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

• أضواء البيان : الشنقيطى ١ / ٥ - ٧ ( من المقدمة ) .

• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ٧٧/١ ، ١٨٢ (بتصرف) .

• مجلة التوحيد : ص ٥١ - السنة ٢٩ - العدد ١١ - ( عدد خاص ) - إصدار : جماعة أنصار

السنة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ = يناير ٢٠٠١ م .



بعلم الفرائض منه، ثم قال لى : كنت يوماً أبحث فى (سُنن أبى داود) عن حديث ، فزارنى الشيخ عبد العزيز بن باز وقال لى : افتح الكتاب صفحة كذا ؛ فوجدت الحديث ، فجزاه الله تعالى خيراً<sup>(١)</sup> .

#### ٤ - الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

كان أحد الأعضاء البارزين فى (هيئة كبار العلماء) فى المملكة العربية السعودية ، وأستاذًا بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم ، وقد صاحب الشنقيطى فى الرياض أثناء تدريسه فى معاهدها وكلياتها المختلفة ، بل ودرس على الشنقيطى فى المعهد العلمى فى الرياض ، ثم فى كلية الشريعة بها .

وطيلة حياته لم يقم الشيخ العثيمين إلا بمنزله المتواضع ببلدته (عُنَيْزَة) بالمنطقة الشرقية ، حيث كان يقصده طلاب العلم من كل حَدَبٍ وَصَوْبٍ من داخل المملكة وخارجها ، وقد عُبِّدَتْ أقدامهم الطريق الترابية الموصلة إلى بيته هذا الذى كان مبنياً من الطوب اللبن ، أما غير هذا البيت من الأبنية الحديثة والقصور الفاخرة مما كان يُهدَى إلى الشيخ من قِبَلِ أولى الأمر فى البلاد ؛ فقد جعله كله لطلاب العلم وباحثيه على السواء .

وهو فى زهده هذا يذكرنا صاحبه وشيخه الشنقيطى الذى كان يسير على نفس الدرب ، ويتتهج ذات السبيل ؛ ابتغاء وجه الله تعالى ، وهو الأمر الذى ظل يذكره له ، ويثنى عليه خيراً ، صاحبه وتلميذه العثيمين حتى أواخر حياته حيث كانت وفاته يوم الأربعاء ( ١٥ - ١٠ - ١٤٢١ هـ ) الموافق ( ١٠ - ١ - ٢٠٠١ م ) بعد رحيل الشنقيطى بقرابة ثمانية وعشرين عاماً<sup>(٢)</sup> .

### المطلب الثانى

### أقرانه الباقون

ونكتفى بذكر أبرزهم من جِلَّة العلماء الآن ألا وهو :

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٢) راجع فى ذلك كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٤ .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
- مجلة التوحيد : ص ٥١ - السنة ٢٩ - العدد ١١ - (عدد خاص) - إصدار : جماعة أنصار السنة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ = يناير ٢٠٠١ م .



• الشيخ حماد الأنصاري :

وقد صاحب الشنقيطي على مدار سبعة عشر عاماً ، منها عامان في دار العلوم والحرم النبوي الشريف عامي ( ٦٩ / ١٣٧٠ هـ = ٤٩ / ١٩٥٠ م ) ثم سبعة أعوام في الرياض تدرّساً في معاهدها وكلياتها المختلفة ، بل ومجاوراً له في السكن من عام ( ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م ) حتى عام ( ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م ) وهو العام الذي افتتحت فيه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ؛ حيث انتقل إليها الشنقيطي منذ البداية ، ثم لحق به الشيخ الأنصاري من عام ( ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م ) مدرساً معه في نفس الجامعة على مدار ثمانية أعوام حتى وفاة الشنقيطي عام ( ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م )<sup>(١)</sup> .

والشيخ الأنصاري كان من أبرز علماء الحديث في الجامعة الإسلامية خاصة ، ولا يزال كذلك بالمدينة المنورة عامة ، كما أن مكتبته الخاصة لا تزال عامرة بأنفس المخطوطات وأندرها ، فضلاً عن آلاف التصانيف التي تند عن الحصر في مختلف فروع العلم وفنونه ، والمكتبة مفتوحة أمام طلاب الشيخ خاصة ، وغيرهم من طلاب عامة من شتى أنحاء العالم ، ولكن حسب توجيهات الشيخ وإرشاداته .

\* \* \*

وبالإضافة إلى هؤلاء العلماء كثيرون غيرهم من أمثال : عبد العزيز آل صالح إمام وخطيب الحرم النبوي الشريف ، وعبد اللطيف آل الشيخ حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهّاب مدير معاهد وكليات المملكة ، وعبد الله الزاحم رئيس القضاء الشرعي بمنطقة المدينة المنورة ، وأخيراً محمد بن إبراهيم آل الشيخ الحفيد الثاني للشيخ محمد بن عبد الوهّاب مفتي الديار السعودية آنذاك .

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص





## المبحث الثاني معاصروه

ويتنظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١ - المطلب الأول : الملوك .
- ٢ - المطلب الثاني : الأمراء .
- ٣ - المطلب الثالث : الأديباء .



ونعنى بهم معاصريه من غير أقرانه من العلماء السالف ذكرهم ، ويشملون هنا كلاً من الملوك والأمراء والأدباء الذين اقتربوا من الشنقيطى وقربوه إليهم ؛ فأنزلوه منزلته ، وعرفوا له قدره ؛ وبهذا يخرج كلٌّ من عاصره من غير الأصناف المشار إليها هنا ، سواء من تلامذته أو غيرهم ممن صحبوه فى حله وترحاله عامة ، ورحلاته العلمية والعلاجية خاصة ، فإن هؤلاء وأولئك يندون عن العَدِّ والإحصاء ، ويستعصون على الحصر والاستقصاء ، وهذا ما لا يقصد إليه البحث ، وليس موضعه ؛ ومن ثم فإننا نستطيع ذكر معاصريه الذين قصدناهم بحسب ترتيبهم الزمنى من خلال المطلبين التاليين :

### المطلب الأول

#### الملوك

وقد عاصره منهم أربعة ملوك راحلين ، عرفوا له قدره ، ولجأوا إلى مشورته ، وأعملوا رأيه ألا وهم :

١ - الملك عبد العزيز<sup>(١)</sup> :

وهو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود الذى تولى الحكم فى البلاد عام (١٣١٩ هـ = ١٩٠١ م) والمتوفى بمدينة الرياض فى حياة الشنقيطى عام (١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م)<sup>(٢)</sup> .

(١) وهو غير جده الملك عبد العزيز الذى فتح الرياض عام (١١٨٧ هـ = ١٧٧٣ م) بعد أن أخرج منها (دهام بن دواس) الذى قرَّ هارباً ، ثم كان أن قضى الملك عبد العزيز نحبه وهو ساجد على أثر طعنة جنجر نافذة بيد رجل من الشيعة العراقية كان متنكراً فى صورة درويش ، حتى إذا قربه الملك إليه وأكرمه ؛ فعل فعلته وكان عندئذ ما كان فى رجب الحرام من عام (١٢١٨ هـ = ١٨٠٣ م) .

وقد جاء هذا انتقاماً من الملك عبد العزيز الذى كان قد أمر ابنه وولى عهده الأمير سعود بغزو العراق عام (١٢١٥ هـ = ١٨٠٠ م) حيث هدم قبة قبر الحسين عليه السلام فى كربلاء بعد أن أنزل بشيعتها خسائرها هائلة .

راجع تفصيل ذلك فى :

• الشيخ محمد بن عبد الوهاب : لأحمد بن حجر آل أبو طامى قاضى المحكمة الشرعية بقطر ص ٢٧ - الطبعة ١ - طبع وتوزيع وإهداء الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

(٢) راجع تاريخ حكمه للبلاد فى :

• أطلس العالم الإسلامى : جمع وإعداد مجموعة من المتخصصين جغرافياً وتربوياً بإشراف : دة . دولت أحمد صادق أستاذة الجغرافيا البشرية ص (ب) من المقدمة - الطبعة ١ - دار البيان العربى - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .



وكان الشنقيطي قد رغب في جوار رسول الله ﷺ في المدينة المنورة قائلاً : ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله ﷺ وقد تم له ما أراد بأمر من جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله بداية من عام (١٣٦٩ هـ = ١٩٤٩ م) وليستمر الدرس قرابة ربع قرن من الزمان حتى وفاة الشنقيطي عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

كما كان الشنقيطي أول مَنْ ساهم في تأسيس وإنشاء النهضة العلمية الحديثة بالرياض بناءً على رغبة وتكليف الملك عبد العزيز له بذلك ، وقد بلغ تقدير الملك عبد العزيز للشنقيطي أن منحه الجنسية ، بل وأكثر من ذلك عندما منحه أمراً ملكياً خاصاً يمنح بمقتضاه تلك الجنسية لكل مَنْ ينتمى إليه ، بل وجميع مَنْ في كفالتة ؛ وذلك ثقةً به ، وإكراماً له<sup>(١)</sup> .

## ٢ - الملك سعود :

وهو سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود والذي تولى حكم البلاد عام (١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م) عقب وفاة أبيه ، وحتى تنازله عن العرش لأخيه الملك فيصل عام (١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م)<sup>(٢)</sup> .

وقد واصل الملك سعود نهج أبيه الملك عبد العزيز في إكرام الشنقيطي وتقديره ، بل وإعمال رأيه ، والنزول على رغبته ؛ إلى الحد الذي قَبِلَ معه التنازل عن عرش البلاد لأخيه الملك فيصل نزولاً على رغبة كبار علماء البلاد الذين أنابوا الشنقيطي ليلبغ عنهم تلك الرغبة للملك سعود ؛ فكان لحكمة الشنقيطي وقوة حجته ، فضلاً عن علو قدره ومكانته ؛ أبلغ الأثر وأعظمه في استجابة الملك سعود لذلك ؛ إثارةً منه لمصلحة البلاد ، وحفاظاً على مقدسات المسلمين<sup>(٣)</sup> .

## ٣ - الملك فيصل :

وهو فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود والذي تولى

(١) راجع تفصيل ذلك في كل من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ٣٧/١ ، ٤٣ ، ٤٧ ( من المقدمة ) .  
• ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جميع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٢ .

(٢) راجع تاريخ حكمه للبلاد في :

• أطلس العالم الإسلامي : إشراف دة . دولت أحمد صادق ص (ج) من المقدمة .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٨٥ .



حكّم البلاد بعد تنازل أخيه الملك سعود له عن العرش عام (١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م)<sup>(١)</sup> .  
وقد ظل ملكاً على البلاد منذ ذلك التاريخ وحتى نالت منه يدُ آئمة غادرة لشاب غير  
مستول من الأسرة المالكة ؛ وليقضى بذلك نجبة على الفور عام (١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م)  
ولتفقد أمتنا الإسلامية برحيله واحداً من خيرة أبنائها العظام ، وأبرز حكامها الأعلام<sup>(٢)</sup> .  
وأما تقدير الملك فيصل للشنقيطي فلم يكن أقل شأنًا عن والده الملك عبد العزيز وأخيه  
الملك سعود ؛ بل ظل للشنقيطي في عهد الملك فيصل ما له من المكانة والتقدير في شتى  
المحافل العلمية عامة ، وفي كل من رابطة العالم الإسلامي والحج بمكة المكرمة ، وكذا  
بالجامعة الإسلامية والحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة خاصة .

ثم توج الملك فيصل تقديره للشنقيطي بأن كلفه برئاسة لجنة من كبار العلماء للإشراف  
على إصدار طبعة معتمدة من المصحف الشريف بالمدينة المنورة برواية ورش عن نافع من  
طريق أبي يعقوب الأزرق ، وذلك قبل رحيل الشنقيطي بعام واحد وقبل رحيل الملك فيصل  
بثلاثة أعوام .

وإلى هذا يشير آخر هذه الطبعة بما نصه : بأمر من صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد  
العزيز آل سعود أطال الله عمره ، أُلِّفَتْ لجنة من كبار علماء المسلمين في المدينة المنورة  
برئاسة سماحة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، وضبطت هذه النسخة على  
قراءة ورش عن نافع ، من طريق يوسف أبي يعقوب الأزرق عن ورش عن نافع ، وهو  
أصح الحروف وأثبتها في قراءة ورش عن نافع .

وكان لصاحب الجلالة الملك فيصل الفضل في إظهار هذه الطبعة المصححة من جميع  
وجوهها ، سواء من ناحية ضبط القراءة أو ضبط الخطوط ، إلى حيز الوجود ، وذلك في  
المدينة المنورة في تاريخ الثامن عشر من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة بعد الألف من  
الهجرة النبوية ، حيث أشرف على تصحيح هذه النسخة الشيخ محمد الأمين بن محمد  
المختار الشنقيطي وصحح ما فيها من الخطأ ، ثم توقيع الشنقيطي بخط يده : ( محمد  
الأمين ) وبعده الناشرون : دار الكتاب اللبناني<sup>(٣)</sup> .

(١) راجع تاريخ حكمه للبلاد في :

• أطلس العالم الإسلامي : إشراف دة . دولت أحمد صادق ص (د) من المقدمة .

(٢) كما طالعنا بذلك في حينه وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية من عربية وعالمية في مصر  
وخارجها .

(٣) انظر في ذلك الصفحات الداخلية الأخيرة من :

• المصحف الشريف برواية ورش عن نافع : الطبعة ١ - دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان





#### ٤ - الملك محمد الخامس :

وهو جدُّ الملك الحالي محمد السادس الذي اعتلى عرش المملكة المغربية عقب وفاة والده الملك الحسن الثاني في غضون عام ( ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م )<sup>(١)</sup> .

وقد عرف الملك محمد الخامس للشنقيطي قدره ومنزلته ؛ حيث تجلّى ذلك واضحاً عندما زار الرياض ، ثم استأذن آنذاك في صحبة الشنقيطي إلى المدينة المنورة ؛ ومن ثم فقد صحبه الشنقيطي تقديراً وإكراماً ، بل وألقى بحضرة الملك محاضرة قيمة بالحرم النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وقد جاءت هذه المحاضرة بعنوان قول الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ الآية<sup>(٢)</sup> .

### المطلب الثاني

### الأمراء

وقد عاصره ثلاثة منهم كلهم عرفوا له قدره وعلمه ؛ فأكرموا وفادته وأحسنوا معاملته منذ بداية مقدمه إلى المملكة لأداء حجة الإسلام عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وحتى وفاته ، وهؤلاء الأمراء بترتيبهم الهجائي هم :

#### ١ - الأمير تركي السديري :

وكان أمير منطقة (أبها) آنذاك ، وقد التقى به الشنقيطي مع أخيه الأمير خالد السديري كما سيأتي ذكره الآن .

(١) كما طالعنا بذلك في حينه وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية من عربية وعالمية في مصر وخارجها .

وانظر في ترجمة الملك محمد الخامس :

• الجاش الربيط في النضال عن مغربية شنجيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط : محمد الإمام ابن ماء العينين الشريف الإدريسي الشنقيطي ص (ب) - من المقدمة - الطبعة ١ - سلسلة (مكتبة صحراء المغرب) - الكتاب رقم (١) - مطبوعات دار العلم - رباط الفتح - المغرب - ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م .

(٢) المائة : ٣ - وراجع في ذلك كلاً من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ٤٦/١ ، ٥٥ ( من المقدمة ) .  
• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٨/١ .



## ٢ - الأمير خالد السديري :

وكان أمير منطقة (تبوك) آنذاك ، وقد التقى به الشنقيطي مع أخيه الأمير تركي السالف ذكره ، وذلك أثناء حجه الأول عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وقد كان سبب ذلك اللقاء مذاكرة أدبية حول بيت شعرٍ لجرير يهجو فيه الأخطل وقومه بني تغلب ، ولم يسعف الأميرين في ذلك سوى الشنقيطي الذي وجداه ساحلاً لا بحر له .

وعن هذا اللقاء يحدثنا الشنقيطي نفسه قائلاً : وفي يوم عرفة بقرب مسجد (نمرة) مررنا مصادفة من غير قصد على خيمة من خيام الحجيج فيها الأميران الساميان اللذان هما أخوان وهما : الأمير السامي تركي أمير (أبها) السديري ، والأمير السامي أخوه خالد السديري أمير (تبوك) .

فجلسنا قليلاً في ظل الضحى من خيمتهم ننتظر رفقتنا ، فأوونا وأكرمونا غاية الإكرام ، وأظهروا لنا السرور بالمعارفة معنا ، وتذاكرنا معهم مذاكرة أدبية ، وسألنا الأمير خالد المذكور عن معنى قول جرير في شعره :

هَلْ تَتْرُكُنَّ إِلَى الْقَسِيِّنَ هِجْرَتَكُمْ      وَمَسَحَهُمْ صُلْبَهُمْ رَحْمَنَ قُرْبَانَا

وعن إعراب (قربانا) فقلنا له : هذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الأخطل التغلبي وقومه ، ويعيرهم بدين النصرانية ، وذكرنا له القصيدة ومعنى البيت وإعراب الكلمة<sup>(١)</sup> .

## ٣ - الأمير عبد الله بن عبد الرحمن :

وهو شقيق الملك عبد العزيز السالف ذكره، وكان من أشد الناس حباً وتقديراً للشنقيطي ؛ إلى الحد الذي جعله الشيخ عطية من أحق الناس تعزية في شخص شيخه الشنقيطي<sup>(٢)</sup> .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٧٠ - الطبعة ١ - دار الشروق - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

والبيت المذكور من قصيدة طويلة يبلغ عدد أبياتها اثنين وسبعين بيتاً ، وقد ذكرها الشنقيطي من حفظه على الفور بدءاً بمطلعها الذي يقول فيه جرير :

بَانَ الْخَلِيْطُ وَلَوْ طُوِّعَتْ مَا بَانَ      وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا  
حَى الْمَنَازِلِ إِذْ لَا نَبْتَغِي بَدَلَا      بِالْدَارِ دَارًا وَلَا الْجَيْرَانَ جِيرَانَا

إلى أن يختمها بقوله :

هَلْ تَتْرُكُنَّ إِلَى الْقَسِيِّنَ هِجْرَتَكُمْ      وَمَسَحَهُمْ صُلْبَهُمْ رَحْمَنَ قُرْبَانَا  
لَنْ تَدْرِكُوا الْمَجْدَ أَوْ تَشْرُوا عِبَاءَ تَكُمُ      بِالْحَزِّ أَوْ تَجْعَلُوا التَّنُومَ ضُمْرَانَا

(٢) حلية طالب العلم : د. بكر بن عبد الله أبي زيد (وكيل وزارة العدل السعودية) - ص ١٢ - الطبعة

٢ - دار الحرية للطبع والنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٩ هـ =

١٩٨٩ م .



ومما يذكر أن الأمير عبد الله قد أهدى الشنقيطي بيتاً في الطائف ، كما أذن للبنك الأهلى بالمدينة المنورة أن يعطيه ما يطلب من المال ، غير أن الشنقيطي ردَّ هذا وذاك ، ولم يقبل شيئاً منهما ؛ وذلك لما عُرِفَ عنه من زهده فى الدنيا ، وعدم حاجته إليها<sup>(١)</sup> .

### المطلب الثالث

## الأدباء

ونكتفى منهم بذكر أبرزهم من حيث شدة قربه من الشنقيطي ، وطول ملازمته له ، ألا وهو :

### • الأديب العبودي :

وهو الأديب الأريب محمد ناصر العبودي الذى كان يشغل منصب الأمين العام للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة آنذاك ؛ ولطول صحبته للشنقيطي ، وكثرة اجتماعهما معاً ؛ نراه يستعيد ذكرى تلك الجلسات العديدة التى كانت تضمهما فى مجلس الجامعة قائلاً :

وَكُنَّا كُنْدُمَانِي جَذِيمَةً حَقْبَةً      مِنْ الدَّهْرِ ؛ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَعَا  
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا ؛ كَأَنِّي وَمَالِكَا      لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

وهكذا يجتمع أقران الشنقيطي وأنداده مِمَّنْ يماثلونه فى العلم والفضل ، مع معاصريه من الملوك والأمراء والأدباء ممن اقتربوا منه وتعاملوا معه ؛ حيث يجتمع هؤلاء وأولئك من راحلين وباقين فضلاً عن غيرهم ، فى إنزال الشنقيطي منزلته ، وقدرهم إياه حقَّ قدره ؛ ولا غرو ؛ فتلكم مكانة العلماء العاملين ، وذلكم تقدير الأمة لهم ، على مرَّ العصور ، وتعاقب الدهور .

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص

١٩٨ .

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٨٢ .



## الفصل الثالث

### تلامذته

#### من أقرانه و من الشناقطة و من غير الشناقطة

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

- ١ - المبحث الأول : تلامذته من أقرانه .
- ٢ - المبحث الثاني : تلامذته من الشناقطة .
- ٣ - المبحث الثالث : تلامذته من غير الشناقطة .





جلس الشنقيطى لتدريس فنون العلم وفروعه المختلفة قرابة أربعين عاماً ، منها حوالى ثمانية أعوام فى بلاده شنقيط منذ أن أتم مرحلة الطلب فى الثلاثين من عمره تقريباً ، وحتى خروجه من بلاده لحجة الإسلام وهو ابن ثمانية وثلاثين عاماً فى أول رحلة له إلى بيت الله الحرام عام ( ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م ) .

وعقب فراغه من الحج استقر به المقام ببلاد الحجاز ، حيث أخذ فى مواصلة عطائه على مدار ثمانية وعشرين عاماً بدأها بالتدريس فى كل من دار العلوم والحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة ؛ ثم فى المعهد العلمى وكليتى الشريعة واللغة بالرياض ، ثم مرة أخرى فى كل من الجامعة الإسلامية منذ افتتاحها عام ( ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م ) والحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة ، حيث ظل يدرس بهما حتى وفاته عام ( ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م ) .

ومن ثم ؛ فقد تتلمذ عليه خلق كثيرون ، نهلوا من علمه ، وعُبوا من معينه ، سواء فى بلاده التى كان يمثل فيها مدرسة متنقلة ، بل جامعة سيارة لما لا يعد ولا يحصى من طلابه النابهين فى سائر العلوم ، وشتى الفنون ، بالإضافة إلى تخريجه خمس عشرة دفعة من طلاب دار العلوم بالمدينة المنورة ، والمعهد العلمى وكليتى الشريعة واللغة بالرياض ، وكذا تخريجه ثلاث عشرة دفعة من طلاب الجامعة الإسلامية وحدها بالمدينة المنورة .

فضلاً عن تلامذته الذين درسوا عليه فى غير المدارس النظامية سواء فى بيته من خاصة طلابه بالرياض والمدينة المنورة ، أو من غيرهم فى الحرم النبوى الشريف من زائرى رسول الله ﷺ أثناء العمرة والحج ، أو من المقيمين فى المدينة المنورة من مجاورى رسول الله ﷺ .

وقد بلغ من حب الشنقيطى للتعليم والتدريس أن أثرهما على التفرغ للتأليف والتصنيف ، وهذا ما يشير إليه عبد الرحمن السديس بقوله : عرض الشيخ عطية وفقه الله على شيخه الشنقيطى رحمه الله التفرغ للتأليف وترك التدريس بالجامعة الإسلامية ؛ فأجابه الشيخ قائلاً : (إن هؤلاء التلاميذ فيران قمره ، يأخذون العلم منا ، ثم ينشرونه فى الآفاق) فقد شبههم بالفئران فى الليلة القمرية ؛ حيث يتجهون إلى نواح كثيرة ، وأماكن متعددة .

وهذا من بعد نظره رحمه الله ؛ فقد كانت الجامعة الإسلامية تضم طلاباً من جميع دول العالم الإسلامى وغير الإسلامى ، أخذوا العلم وانتشروا فى سائر بلاد المعمورة ،



حتى إن الشيخ عطية يحدثني أنه لقي عدداً غير قليل منهم في بعض دول جنوب شرق آسيا<sup>(١)</sup> .

وبهذا تتضح لنا تلك الكثرة الهائلة ، وذلك العدد الضخم ، من طلاب العلم وباحثيه ، ممن تلمذوا على الشنقيطي ، وأخذوا عنه ؛ بما لا يحصيه قلم مستوعب ، ولا يجمعهم كتاب حافظ ؛ لذا فسوف نكتفي إزاءهم بذكر أشهرهم تبييناً بهم على غيرهم ، بدءاً بتلامذته من أقرانه ، ثم تلامذته من الشناقطة ، وأخيراً تلامذته من غير الشناقطة ، وذلك من خلال المباحث الثلاث التالية :

---

(١) راجع في ذلك ( ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٣ (بتصرف) .



## المبحث الأول

### تلا مدته من أقرانه

ويتنظم المطالب الخمسة التالية :

- ١ - المطلب الأول : الشيخ حمّاد الأنصاري .
- ٢ - المطلب الثاني : الشيخ عبد العزيز بن باز .
- ٣ - المطلب الثالث : الشيخ عبد العزيز آل صالح .
- ٤ - المطلب الرابع : الشيخ عبد الله الزاحم .
- ٥ - المطلب الخامس : الشيخ محمد بن صالح العثيمين .



وكلهم من جِلَّةِ العلماء وأكابرهم ؛ ومع ذلك فقد أخذوا عن الشنقيطي ودرسوا عليه جملة من العلوم الرئيسة ، والتي تمثلت في كل من : ( التفسير - الأصول - اللغة - المنطق - آداب البحث والمناظرة ) وذلك لما لمسوه من تضلعه وعلو كعبه في تلك العلوم وغيرها التي قلما تجتمع لغيره ؛ ومن ثم لم يمنعمهم ما عُرِفَ عنهم من علم وفضل من أن يحرصوا أشد الحرص على ملازمة الشنقيطي والاستفادة منه ، على الرغم من كونهم جميعاً أقرانه وأنداده في شرف حمل العلم ، وأمانه تدريسه لطلابه وباحثيه على السواء .

ونكتفي منهم بذكر أبرزهم مِمَّنْ تتلمذوا عليه بحسب ترتيبهم الهجائي من خلال المطالب الخمسة التالية :

### المطلب الأول

#### الشيخ حماد الأنصاري

حيث التقى بالشنقيطي قبيل الحج عام ( ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م ) بمكة المكرمة ، ثم بعد الحج بالمدينة المنورة حيث لازم درسه في التفسير في دار العلوم والحرم النبوي الشريف عامي ( ١٣٧٠ / ٦٩ هـ = ١٩٥١ / ٥٠ م ) ثم جاوره في الرياض من عام ( ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م ) إلى عام ( ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م ) حيث نُقِلَ إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد لحق به الشيخ حماد الأنصاري عام ( ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م ) وظل ملازمًا له فيها وفي الحرم النبوي الشريف حتى وفاة الشنقيطي عام ( ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م )<sup>(١)</sup> .

ومما أخذه الشيخ حماد على الشنقيطي علما التفسير والمنطق ، وهو إذ ذاك أستاذ يُدرِّسُ معه للطلاب ، وفي ذات الوقت تلميذ له ، يتلقى عنه ، ويأخذ عليه .

### المطلب الثاني

#### الشيخ عبد العزيز بن باز

حيث أخذ على الشنقيطي (شرح سلّم الأخرى) في فن المنطق ، كما كان يحضر له حلقة التفسير في الحرم النبوي الشريف على مدار خمسة أعوام من عام ( ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م ) وحتى وفاة الشنقيطي عام ( ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م ) والشيخ ابن باز إذ ذاك من

(١) راجع تفصيل ذلك في :

• ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

ص ٢١٣ .





أكابر العلماء وأبرزهم ، كما كان نائباً لرئيس الجامعة الرسلامية ، ثم رئيساً لها بالمدينة المنورة<sup>(١)</sup> .

### المطلب الثالث

#### الشيخ عبد العزيز آل صالح

حيث كان إمام الحرم النبوي الشريف، ورئيس محاكم المدينة المنورة، وأحد العالمين اللذين أوصى الأمير خالد السديري أمير (تبوك) آنذاك بضرورة لقاء الشنقيطي بهما في المدينة المنورة .  
ومما درسه الشيخ آل صالح على الشنقيطي علما الصرف والبيان ، فضلاً عن شدة قربه منه وملازمته له في كل من : معهد القضاء العالي بالرياض على مدار سبع سنوات دراسية كاملة منذ افتتاحه عام ( ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م ) ، وفي هيئة كبار العلماء بالرياض على مدار اثنين وعشرين عاماً منذ تشكيلها عام ( ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م ) فضلاً عن ملازمته له بالمدينة المنورة حتى وفاته عام ( ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م )<sup>(٢)</sup> .

### المطلب الرابع

#### الشيخ عبد الله الزاحم

وكان إمام الحرم النبوي الشريف ، ورئيس محاكم المدينة المنورة ، والعالم الثاني الذي أوصى الأمير خالد السديري بضرورة لقاء الشنقيطي به مع صاحبه الأول الشيخ عبد العزيز آل صالح<sup>(٣)</sup> .

وقد شارك الشيخ الزاحم صاحبه الشيخ ابن صالح في دراستهما على الشنقيطي ، فضلاً عن كونهما أقرب الناس إليه ، وأكثرهم مجالسة معه ، وأدومهم ملازمة له<sup>(٤)</sup> وهما إذ ذاك من أكابر العلماء وجلتهم ، بالإضافة إلى توليها قضاء المدينة المنورة ، فضلاً عن إمامتهما في الحرم النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وفي هذا من الفضل ما فيه ، مما لا يدانيه غيره ، ولا يرقى إليه سواه .

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٣ (بتصرف) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٣٦/١ - ٥١ ( من المقدمة بتصرف ) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٣٦/١ - ٣٧ ( من المقدمة بتصرف ) .

(٤) وقد أشار إلى ذلك الدكتور عبد الله الشنقيطي في محاضراته المسجلة عن والده بعنوان : ( الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين ) .



### المطلب الخامس

### الشيخ محمد بن صالح العثيمين

حيث كان أحد الأعضاء البارزين في ( هيئة كبار العلماء ) في المملكة العربية السعودية ، إلى جوار عمله كأستاذ بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم .

ومما درسه على الشنقيطي علم الأصول ، وعلم المنطق ، فضلاً عن آداب البحث والمناظرة ، وذلك في كل من المعهد العلمي وكلية الشريعة أثناء تدريس الشنقيطي بهما في الرياض ، وذلك من عام ( ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م ) وحتى عام ( ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م ) الذي انتقل فيه الشنقيطي للتدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ اليوم الأول لافتتاحها من ذلك العام<sup>(١)</sup> .

---

(١) راجع في ذلك كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٤ .
- الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي ( محاضرة مسجلة ) .



## المبحث الثاني

### تلامذته من الشناقطة

وينتظم المطالب الأربعة التالية :

- ١ - المطالب الأول : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى .
- ٢ - المطالب الثانى : أحمد بن الطالب الأمين الجكنى الشنقيطى .
- ٣ - المطالب الثالث : أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكنى الشنقيطى .
- ٤ - المطالب الرابع : بقية تلامذته من الشناقطة .



ما إن وصل الشنقيطي بلاد الحجاز عام ( ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م ) واستقر بها ؛ حتى بدأ طلاب العلم الشناقطة في التوافد عليه ، وبعضهم كان قد سبقه إلى البلاد ، في حين جاء معه البعض الآخر أو لحق به فيما بعد .

غير أنه قد تزايد عددهم بعد افتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ( ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م ) حيث كان الهدف من إنشائها تعليم أبناء المسلمين ، بصرف النظر عن جنسياتهم وأقطارهم ، وكان من حسن حظهم أنهم وجدوا الشيخ الأمين رحمه الله مدرساً بهذه الجامعة ؛ فلأزموه دروسه في الجامعة ، بل وخارجها أيضاً .

ويحدثنا الشيخ الحسين بن عبد الرحمن أبرز الطلاب الشناقطة القدامى الذين درسوا على الشنقيطي ولأزموه منذ عام ( ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م ) وحتى وفاته عام ( ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م ) عن سلوك شيخه مع طلابه قائلاً : إن شيخنا محمد الأمين رحمه الله كان يُسكِننا في حجرات بيته ، وينفق علينا من ماله الخاص ، فضلاً عما يقوم به من تعليم وتربية ، وقد ظللنا كذلك حتى تخرجنا مع مَنْ تخرج من طلاب الأقطار الإسلامية الأخرى<sup>(١)</sup> .

وفيما يلي نُعرِّفُ ببعض منهم تبييناً بهم على غيرهم ، وذلك بحسب ترتيبهم الهجائي من خلال المطالب الأربعة التالية :

### المطلب الأول

#### أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي<sup>(٢)</sup>

ولد في شنقيط عام ( ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٥ م ) ثم رحل فيما بعد إلى الحجاز ليأخذ العلم على الشنقيطي الذي أجازته في كل من التفسير والأصول واللغة العربية .

عمل مدرساً في الحرم المكي ثم أُحيل إلى التقاعد عام ( ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م ) فرجع إلى بلاده ليستقر بها ؛ حيث يعد أبرز الدعاة السلفيين المعاصرين هناك ، بل وأكثرهم نشاطاً ، وأشدهم إنكاراً للبدع ، ولا سيما بدع مَنْ يدَّعون التصوف وينتسبون إليه .

ومن آثاره العلمية : (إكمال تحفة الألباب شرح الأنساب - ومواهب الجليل على مختصر خليل - وإعداد المنهج للاستفادة من المنهج في قواعد الفقه المالكي) .

(١) السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩٢ ، ٤١٣ .

(٢) انظر تفصيل ترجمته في :

• السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩٥ .





## المطلب الثاني

### أحمد بن الطالب الأمين الجكنى الشنقيطي

وعنه يتحدث شيخه الشنقيطي في معرض استضافة تلميذه له أثناء رحلته إلى الحج فيقول : فنزلنا عند تاجر منا ، طيب الشمائل والأخلاق ، اسمه : أحمد بن الطالب الأمين ، وهو من أخص إخواني وتلامذتي ؛ فبالغ في إكرامنا ، وأهدى لنا ثياباً ، ودفع عنا أجرة السيارة إلى بلد (مبتي) التي بادرنا السفر إليها ، وقد ركب معنا أخونا أحمد المذكور في السيارة<sup>(١)</sup> .

## المطلب الثالث

### أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكنى الشنقيطي<sup>(٢)</sup>

ولد في شنقيط أول العقد الخامس من القرن الرابع عشر الهجري وكان أبوه إذ ذاك رئيس قبيلته ورئيس المحاكم الشرعية ، ولما توفي أبوه بعد المرحلة الابتدائية أخذ يطلب العلم بهمة عالية ، حتى إذا أتم دراسته ؛ سافر آنذاك لأداء فريضة الحج عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) .

وهناك لازم شيخه وابن عمه الشنقيطي<sup>٣</sup> وصار من أخص تلامذته ، بل ومن أكثرهم

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٩٠ .

والمقصود هنا بقوله : ( منا ) أي من نفس قبيلة الشنقيطي ( بنى جاكان ) فهو جكنى مثله ، غير أن أحمد بن الطالب الأمين كان إلى جوار طلبه العلم يعمل بالتجارة في بلدة تسمى (بمكو أو بمأكو) بجمهورية (مالي) حيث نزل عليه شيخه الشنقيطي ومن معه آنذاك ، ولا تبعد تلك البلدة كثيراً عن بلدة (مبتي) التي سافر إليها الشنقيطي مع صحبه يرافقهم تلميذه المذكور داخل حدود الجمهورية نفسها .

ولزيد من التعريف بـ (بمكو) و (مبتي) بجمهورية (مالي) انظر :

• الأطلس العربي : ص ٤٧ (خريطة إفريقيا السياسية) - ط ٥ - طبع ورسم إدارة المساحة العسكرية - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

(٢) انظر تفصيل ترجمته في كل من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ٤٥/١ (من المقدمة) .

• ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٥ .

• نثر الورود على مراقي السعود : الشنقيطي - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي ٢٣/١ - نشر : محمد محمود محمد الخضر القاضي - ط ١ - دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .



انتفاعاً بعلمه ؛ حتى إنه طلب من شيخه أن يمليه شرحاً على (مراقى السُّعود لمبتغى الرُّقى والصُّعود) في أصول المالكية ، وقد أجابه الشنقيطي إلى طلبه بما يسمى (نثر الورود على مراقى السُّعود) غير أنه ترك ما يقرب من خمس الكتاب لم يشرحه ؛ لضيق وقته ، وكثرة مشاغله .

وقد ظل أحمد بن محمد الأمين يعمل مدرساً بالحرم المكي إلى أن أُحيل إلى التقاعد عام (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) ومن آثاره العلمية : ( مواهب الجليل من أدلة خليل في أربعة مجلدات - تحقيق وتكملة عمود النسب في أنساب العرب في ثلاثة مجلدات - اختصار زهر الأفتان على حديقة ابن الونان في الأدب - نظم في علم البلاغة في ثمانمائة بيت - شرح لمنظومة عمته أم الخيرات في معجزات النبي ﷺ - نظم له في أمهات النبي ﷺ - شرح على لامية الأفعال - وأخيراً تهذيب لشرح محمد الأمين بن أحمد زيدان على المنهج في قواعد الفقه المالكي) .

#### المطلب الرابع

#### بقية تلامذته من الشناقطة

أما بقية تلامذته من الشناقطة فهم من الكثرة والتعدد والانتشار ؛ بحيث لا يسعنا هنا سوى أن نشير إلى أسماء البارزين منهم ، دون تناولهم بالتعريف ، والذي لا يفى به إلا سفر ضخم ، وهو ما لا يقصد إليه البحث ، وليس بموضعه ، وفيما يلي قائمة بأسمائهم بحسب ترتيبهم الهجائي ، مع الإحالة على مصادر تراجمهم على النحو التالي :

- ١ - إبراهيم بن عثمان .
- ٢ - د . بابا بن بابا بن آده الجكني .
- ٣ - التلميذ بن محمود .
- ٤ - الحسين بن عبد الرحمن .
- ٥ - د . سيد محمد ساداتي .
- ٦ - مأمون محمد أحمد بن أمينوه .
- ٧ - محفوظ بن سيدات .
- ٨ - محمد أحمد دادح بن الشيخ .
- ٩ - محمد أحميد بن عمر .
- ١٠ - محمد الأمين بن الحسين .
- ١١ - د . محمد الخضر بن الناجي بن ضيف الله الجكني .
- ١٢ - د . محمد ولد سيدى ولد حبيب ( ابن عم شيخه الشنقيطي ) .
- ١٣ - محمد عبد الله بن أحمد مزيد .
- ١٤ - د . محمد عبد الله بن الصديق .
- ١٥ - د . محمد عبد الله بن عمر .
- ١٦ - د . محمد بن عمر بن حوية الجكني .



- ١٧ - د . محمد بن ماديك .
- ١٨ - د . محمد بن محمد المختار الجكني .
- ١٩ - د . محمد المختار بن سيدي محمد .
- ٢٠ - د . محمد يعقوب بن طالب عبيدي .
- ٢١ - د . محمود محمد الأمين باب .

وكلهم من أهل العلم والفضل الذين يَشْرَفُونَ بحمل أمانة العلم وتدريسه لأجيال متلاحقة من الطلاب والباحثين ، سواء في بلادهم شنقيط بعد رجوعهم إليها ، أو في بلاد الحجاز حيث لا زال أكثرهم يُدرِّسُ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، فضلاً عن عمل بعضهم بالقضاء الشرعي والإفتاء بدولة الإمارات العربية المتحدة خاصة ، وغيرها من حواضر الإسلام ، ودياره العامرة عامة<sup>(١)</sup> .

---

(١) راجع تفصيل تراجمهم في كل من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٢ - ٢٢٠ .
- الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .
- السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩١ - ٤٤٤ .
- نثر الورود على مراقى السعود : شرح الشنقيطي - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدي ولد الحبيب ١٧/١ - ٢٢ .



### المبحث الثالث

## تلامذته من غير الشناقطة

وينتظم المطالب الأربعة التالية :

- ١ - المطالب الأول : الدكتور بكر أبى زيد .
- ٢ - المطالب الثانى : الشيخ عطية محمد سالم .
- ٣ - المطالب الثالث : الشيخ محمد المجذوب .
- ٤ - المطالب الرابع : بقية تلامذته من غير الشناقطة .





وهم كأسلافهم من تلامذته من الشناقطة ، من حيث الكثرة والتعدد ، وكذا العلم والفضل ، وفيما يلي نُعرِّف أيضاً ببعض منهم تبييناً بهم على غيرهم ، وذلك بحسب ترتيبهم الهجائي من خلال المطالب الأربعة التالية :

### المطلب الأول

#### الدكتور بكر أبو زيد

وهو بكر بن عبد الله أبى زيد وكيل وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية ، وأخص تلامذة الشنقيطى من أهل الحجاز ، وأكثرهم ملازمة له على مدار عشرة أعوام كاملة ، كما لم يتخلف يوماً واحداً عن حلقة تفسير شيخه للقرآن الكريم أثناء شهر رمضان المعظم من كل عام فى الحرم النبوى الشريف .

ومن العلوم التى حصلها عليه الأصول وآداب البحث والمناظرة من خلال دروس شيخه الخاصة فى المسجد والمنزل ، أما علم الأنساب فهذا ما تفرد بتحصيله الدكتور بكر دون سائر تلامذة شيخه من خلال كتابى ابن عبد البر المعروفين بـ : (القصص والأمم ، فى معرفة أنساب العرب والعجم ، وأول من تكلم بالعربية من الأمم ) و (الإنباه على قبائل الرواة) حيث قيّد على ذلك بعض التحريرات والتعليقات ، من نكات شيخه وضوابطه العلمية .

والى هذا التفرد يشير الشنقيطى نفسه فى خطابه إلى تلميذه بكر قائلاً : ما أخذ عنى علم الأنساب فى هذه البلاد غيرك<sup>(١)</sup> .

ويحدثنا الدكتور عبد الله عن تلمذة الدكتور بكر على والده الشنقيطى قائلاً : ومن أكثر من لازم الشيخ من طلابه بكر أبى زيد صاحب التصانيف الكثيرة ، ولم يأخذ على الشيخ فى هذا البلد من علم النسب غيره ، وقد كان بكر يقرأ كثيراً ثم يأتى إلى الشيخ يصحح عليه ويستفيد منه ؛ حتى أنه كان يجلس مرة فى آخر الحرم النبوى الشريف وكنت معه آنذاك صغيراً ، وقد قال له الشيخ وقتها كلاماً فى حديث : «الطلاق مرتان» ثم قال : البخارى هو الذى فهم الحديث ، أما أنا والحافظ ابن حجر فلسنا فاهمين للحديث !!

فذهبت إلى بكر أبى زيد وقلت له : ماذا كان يقول لك الشيخ من أنه هو والحافظ ابن حجر لم يفهما الحديث ، والذى فهمه تماماً هو البخارى ؟! فقال بكر : نعم أتذكر ، ولكننى نسيت !! فبحثنا معاً عن شىء يكون مسجلاً بهذا الصدد عند أحد من طلاب الشيخ

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص

٢١٥ - ويقصد بقوله : (هذه البلاد) أى بلاد الحجاز عامة ، والمدينة المنورة خاصة .



القسم الأول : الباب الثاني : مسيرته العلمية \_\_\_\_\_ الفصل الثالث : تلامذته من أقرانه ومن الشناقطة ومن غير الشناقطة

هنا أو هناك ؛ لكن مع الأسف لم نجد شيئاً من هذا ؛ لذا كان بكر أبو زيد كثير الاستفادة من الشيخ<sup>(١)</sup> .

ومن ثم ؛ فقد دلَّ هذا البحث من الدكتور بكر مع ابن شيخه على حرصه على تسجيل كل ما يسمعه من شيخه ؛ بحيث لا يفوته منه شيء ، حتى ولو كان يسيراً أو عابراً ؛ فإنه بالنسبة إليه يعنى الشيء الكثير .

ومن آثاره العلمية : (كتاب حليّة طالب العلم) الذى ذكر فيه خبر لقائه وتلمذته على شيخه الشنقيطى<sup>(٢)</sup> .

## المطلب الثانى

### الشيخ عطية محمد سالم<sup>(٣)</sup>

هو عطية محمد سالم عطية سالم الذى كان يعمل قاضياً بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة ثم قاضياً للتمييز بها ، كما ظل يُدرّس بالحرم النبوى الشريف حتى قبيل وفاته يوم الاثنين ( ٦ - ٤ - ١٤٢٠ هـ ) الموافق ( ١٩ - ٧ - ١٩٩٩ م ) .

ولد الشيخ عطية بقرية (المهديّة) من أعمال (الشرقية) إحدى محافظات الوجه البحرى بمصر عام (١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م) غير أنه هاجر إلى المملكة العربية السعودية فى ريعان الشباب ليبدأ هناك على الفور مرحلة التحصيل والطلب ، والتي يمكننا تقسيمها إلى ثلاث مراحل دراسية متعاقبة هى :

#### ١ - الدراسة الخاصّة :

حيث الحلقات العلمية المختلفة فى الحرم النبوى الشريف ، والتي تكاد تتوارى من حياة

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٢) راجع فى ذلك :

• حليّة طالب العلم : د. بكر بن عبد الله أبو زيد (وكيل وزارة العدل بالسعودية) ص ١٢ - الطبعة ٢ - دار الحرية للطبع والنشر والتوزيع - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

(٣) راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب /٢ (٢٠١ - ٢٢٦) - الطبعة ٣ - (طبع دار

النفاثس ببيروت لبنان) - (نشر دار الاعتصام بالقاهرة) - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

• مجلة التوحيد : ص ٥١ - السنة ٢٩ - العدد ١١ - (عدد خاص) - إصدار : جماعة أنصار

السنة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ = يناير ٢٠٠١ م .

• ضمن رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .



المسلمين اليوم ، إلا في بعض حواضر الإسلام كحلقات الأزهر الشريف بمصر ، والقائمة على مدار ألف عام ولا تزال حتى اليوم .

## ٢ - الدراسة النظامية :

حيث معاهد ودور العلم الحكومية ؛ بقصد نيل المؤهلات العلمية المختلفة ، والتي بدأها الشيخ عطية بالثانية الثانوية بالمعهد العلمي بالرياض عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) ومنه إلى كليتي الشريعة واللغة اللتين تخرج فيهما بعد ذلك .

## ٣ - الدراسة الجامعة :

وهي تلك التي أخذها على شيخه الشنقيطي ، وتميزت آنذاك بأنها جمعت الدراستين السابقتين الخاصة والنظامية معاً ؛ ومن ثم طاب لنا وصفها بـ : (الدراسة الجامعة) .

ونترك الحديث للشيخ عطية ليصف لنا هذه الدراسة على شيخه قائلاً : بيد أن الدراسة التي جمعت بين الخاصة والنظامية ، وامتازت على سائر الدراسات المختلفة فهي ملازمتي فضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي على مدى اثنين وعشرين عاماً ، لا أكاد أفارقه في حل ولا ترحال ؛ حتى رحلته إلى الحج ، ورحلته إلى دول إفريقيا .

وكانت تلك الملازمة فرصة العمر للتحصيل ؛ إذ كنت أستفيد منه بيان ما أُشكِلَ على من المقررات النظامية ، وأتوسع في مدارسها سواها ، ومن الدروس التي حضرتها عليه : التفسير وأصوله ، وأصول الفقه والبلاغة ، وأدب البحث والمناظرة ، والفرائض ، ومقدمات في المنطق ، وبخاصة مبحث التصور والتصديق .

وأهم من هذا كله : الجانب المسلكي من حياته الفاضلة ، فإني وإن لم أستطع مجاراته ؛ فإني لم أُحرَمَ الإفادة منه ، والحمد لله<sup>(١)</sup> .

وأما عن آثار الشيخ عطية العلمية فهي من الكثرة والتنوع بحيث تكفي الإشارة إليها على النحو التالي :

## أ - آثاره المطبوعة :

وتشمل مراجعاته وتعليقاته على مؤلفات شيخه الشنقيطي مثل : مراجعة تفسير (أضواء البيان) وعمل فهارسه الفنية المختلفة، وكذا مراجعة كل من : رسالة الناسخ والمنسوخ ، وكتاب دفع إيهام الاضطراب ، وجمع مذكرة أصول الفقه ، وأخيراً : تقديمه وتعليقه على كتاب (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ٢/٢٠٢ .



كما تشمل آثاره المطبوعة ما له من المؤلفات الخاصة مثل : ترجمته لشيخه ، و ( تمة تفسير أضواء البيان )<sup>(١)</sup> والرق : معاملته وحقوقه في الإسلام ومقارنة بينه وبين النظم والقوانين الأخرى ، وأخيراً : سلسلة الرسائل المدنية التي وصلت إلى اثني عشر كتاباً في مختلف البحوث الفقهية والعلمية<sup>(٢)</sup> .

ب - آثاره المسموعة :

وتشمل مجالسه القضائية والعلمية ، وحلقات تدريسه المنتظمة في الحرم النبوي الشريف ، وكذا محاضراته ومؤتمراته العلمية التي يدعى إليها داخل المملكة وخارجها ، وأخيراً : أحاديثه العديدة في مختلف وسائل الإعلام السعودية والعربية .

ج - آثاره الشعرية :

ومعظمها في رثاء شيخه كما أسلفنا ذلك من خلال حديثنا عن وفاة الشنقيطي وراثته وحسن خاتمته .

### المطلب الثالث

### الشيخ محمد المجذوب

حيث كان يعمل مدرساً بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وهو صاحب كتاب : (علماء ومفكرون عرفتهم) والذي ترجم فيه لشيخه الشنقيطي ، حيث ذكر أنه صاحب شيخه تلميذاً وزميلاً بالجامعة الإسلامية على مدار أحد عشر عاماً منذ معرفته به عام ( ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م ) وحتى وفاته عام ( ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م ) .

(١) كما سيأتي ذكر ذلك مفصلاً من خلال تناولنا لتفسير (أضواء البيان) للشنقيطي ضمن الحديث عن آثاره العلمية في موضعه من البحث .

(٢) وقد صدرت هذه السلسلة في طبعها الأولى عن مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة عام (١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م) وجاءت تحت العناوين التالية :

التراويح أكثر من ألف عام في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام - مع الرسول ﷺ في رمضان - تحريم نكاح المتعة لأبي الفتح المقدسي : تحقيق وتخريج - زكاة الحلي على المذاهب الأربعة - تعريف عام بعموميات الإسلام - منهج الإسلام في كيفية المؤاخاة والتحكيم بين المسلمين - أصول الخطابة والإنشاء - معالم على طريق الهجرة - تعدد الزوجات وتحديد النسل - رمضانيات من الكتاب والسنة - آداب زيارة المسجد النبوي والسلام على رسول الله ﷺ - وأخيراً : مع الرسول ﷺ في حجة الوداع .





هذا فضلاً عن مواظبته على دروس شيخه في التفسير بالحرم النبوي الشريف ، وكذا مجالسه العلمية لخاصة طلابه الذين كانوا يدرسون عليه بمنزله بالمدينة المنورة<sup>(١)</sup> .

وقد ظل الشيخ المجذوب يذكر شيخه الشنقيطي ويثنى عليه خيراً حتى قبيل وفاته يوم الاثنين ( ١ - ٣ - ١٤٢٠ هـ ) الموافق ( ١٤ - ٦ - ١٩٩٩ م ) بعد رحيل شيخه بقرابة سبعة وعشرين عاماً<sup>(٢)</sup> .

### المطلب الرابع

### بقية تلامذته من غير الشناقطة

أما بقية تلامذة الشنقيطي من غير الشناقطة فهم من الكثرة والتعدد والانتشار ؛ بحيث لا يسعنا هنا سوى أن نشير إلى أسماء البارزين منهم ، دون تناولهم بالتعريف ، والذي لا يفى به إلا سفر ضخم ، وهو ما لا يقصده البحث ، وليس موضعه ، وفيما يلي قائمة بأسمائهم بحسب ترتيبهم الهجائي ، مع الإحالة على مصادر تراجمهم على النحو التالي :

- ١ - إحسان إلهي ظهير .
- ٢ - صالح اللحيدان .
- ٣ - صالح بن هلابي .
- ٤ - عبد الحميد أبي زيد .
- ٥ - د . عبد العزيز قارى .
- ٦ - عبد الله بن جبرين .
- ٧ - عبد الله الزايد .
- ٨ - عبد الله بن غديان .
- ٩ - د . عبد الله قادري .
- ١٠ - عبد المحسن عبّاد .
- ١١ - د . محمد ربيع مدخلي .

وكلهم من أهل العلم والفضل الذين يَشْرُفُون بحمل أمانة العلم وتدريسه لأجيال متلاحقة من الطلاب والباحثين ، سواء في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، أو في جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، فضلاً عن عضوية كثير منهم بـ ( هيئة كبار العلماء ) وكذا ( اللجنة الدائمة للإفتاء ) بالمملكة العربية السعودية .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب - ( ١٧١ / ١ - ١٩١ ) - حيث استغرقت هذه الترجمة عشرين صحيفة يتصدرها أنموذج خطي بيد الشنقيطي ، وقد جاء ترتيبه العاشر بين ترجمات عشرين عالماً ضمهم الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) مجلة التوحيد : ص ٥١ - السنة ٢٩ - العدد ١١ - ( عدد خاص ) - إصدار : جماعة أنصار السنة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ = يناير ٢٠٠١ م .



هذا بالإضافة إلى عمل الآخرين منهم على مختلف مواقعهم من المسئولية العلمية والدعوية ببلادهم المختلفة على امتداد حواضر الإسلام ، ودياره العامرة<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

### ● ملاحظات حول تلامذة الشنقيطي :

١ - لقد استثنينا من تلامذته كلاً من ابنه : الدكتور محمد المختار والدكتور عبد الله الأستاذين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة<sup>(٢)</sup> فهما ولداه ، أحب الناس إليه ، وأقربهم إلى قلبه ؛ ومن ثم فلا يفتقر مقام أبوته لهما إلى دليل يبرهن على بدهة تلمذتهما عليه .

وإلى خصوصية تلك التلمذة ، وبعض ملامحها ، يشير الدكتور عبد الله قائلاً : وأكثر ما استفدت من الوالد رحمة الله عليه أني درست عليه في صيف أحد الأعوام حوالي ثلاثين آية لمدة ثلاثة أشهر ، حيث كان يعطيني كل يوم كلمة واحدة يشرحها لي لغة وإعراباً وحكماً ؛ حتى إنني جلست آنذاك تسعين يوماً من : «آلَم» في أول البقرة حتى قول الله تعالى فيها : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴿ بما يعادل ربع جزء تقريباً<sup>(٣)</sup> .

وفي الحقيقة كانت هذه هي أنفع قراءة قرأتها على الشيخ ؛ فبالرغم من قلة مدتها ؛ إلا أنها كانت تمثل منهجاً كاملاً من حيث كونها دراسة معمقة وجردية<sup>(٤)</sup> .

٢ - إن تلامذة الشنقيطي من أقرانه السالف ذكرهم ليعُدُّون من جلة العلماء وأكابرهم ، وهم مع تصريحهم بتلمذتهم عليه كقولهم : ( شيخنا العالم القرآني الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عليه رحمة الله ) ومع ما يبدو ما في ذلك القول من بالغ تواضعهم وجم أدبهم ؛ إلا أن الأمر لا يخلو من الاستفادة المتبادلة بينه وبينهم .

(١) راجع تفصيل تراجمهم في كل من :

● ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٢ - ٢٢٠ .

● الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي ( محاضرة مسجلة ) .

● السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩١ - ٤٤٤ .

● منسك الإمام الشنقيطي : (د. عبد الله الطيار) مع (د. عبد العزيز الحجيلان) ٢٨/١ - ٣٠ .

(٢) راجع التعريف بهما ص من هذا البحث .

(٣) البقرة : ٣٠ - وبهذه الآية يصير ربع الجزء الأول بحاجة إلى ثلاث عشرة آية حتى يتم بنهاية نصف

الحزب الأول عند قول الله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ﴾ البقرة : ٤٣ .

(٤) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي ( محاضرة مسجلة ) .



ومن ثم ؛ فقد كانت هذه التلمذة مزدوجة بينه وبينهم ، فكما استفادوا منه بعض العلوم ، فقد أفاد منهم أخرى ؛ حتى غدا كل منهما للآخر أستاذاً تلميذاً ، وتلميذاً أستاذاً ، وهذا ما يشير إليه تلميذه الشيخ عطية بقوله : وهنا كلمة يجب أن تقال للحقيقة ولطلبة العلم خاصة ، ونضعها في ميزان العدالة وقانون الإنصاف : لقد كان لجلوس الشيخ رحمه الله فائدة مزدوجة ؛ حيث استفاد وأفاد ، واستفادته في هذا أمر حتمي ، ومنطقه علمي<sup>(١)</sup> .

٣ - يعد الشيخ عطية محمد سالم أخص تلامذة شيخه الشنقيطي ، بل أقربهم إلى قلبه ، وأخلصهم إلى نفسه ؛ حيث حظى من شيخه بما لم يحظ به غيره ؛ وهذا ما يحدثنا عنه الشيخ عطية نفسه قائلاً : لقد أكرمني الله بصحبته ، وطول ملازمته ليل نهار ، وكثرة مرافقته في الظعن والأسفار ، داخل المملكة وخارجها ، وسمعت منه رحمه الله الشيء الكثير والكثير جداً ، إنه لشيخى ، وأعز على من والدى ، إنه حقاً والدى حسناً ومعنى ؛ فقد وجدت منه العناية والرعاية كأشد ما يرعى الوالد ولده ، مما يطول ذكره ، ولا ينسى فضله<sup>(٢)</sup> .

ومن ثم ؛ فقد كان أن خصصنا الشيخ عطية دون سائر تلامذة الشنقيطي بشيء من بسط القول إزاء ترجمته والتعريف به ؛ وذلك لما له من خصوصية هذه الحظوة ، وعمق تلك العلاقة ، التي ربطته بشيخه على مدار سني حياته .

وفى الجملة : فإن الشيخ عطية يشير إلى وفرة تلامذة شيخه ، وانتشارهم في الآفاق ، على مختلف مواقعهم من المسئولية ، سواء في المملكة العربية السعودية أو خارجها ؛ الأمر الذي لا يمكن معه حصرهم ، ومن ثم استقصاؤهم وجمعهم .

وفى هذا يقول الشيخ عطية ما نصه : لقد كان لتدريس فضيلة الوالد الشيخ محمد الأمين رحمه الله ، سواء رسمياً في المعهد العلمي بالرياض ، أو كليتي الشريعة واللغة بها ، وكذلك تدريسه في مسجد الشيخ بالرياض<sup>(٣)</sup> أو المسجد النبوي الشريف بالمدينة

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٣٧/١ ( من المقدمة ) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ١٣/١ ( من المقدمة ) .

(١) ويقصد به : ( مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ) مفتى الديار السعودية آنذاك ، وإليه مرجع الهيئات الإسلامية الكبرى بها ، كما كان يعرف بـ ( المفتى الحفيد ) لكونه حفيد الشيخ محمد ابن عبد الوهَّاب ، وقد كان مسجده الواقع بمنطقة (دُخْنَه) بالرياض يمثل جامعة إسلامية عالمية يلتقى فيها كل من العلماء والطلاب على السواء من شتى أنحاء المعمورة لتدريس مختلف فنون العلم وفروعه ، وكان الشنقيطي من أبرز هؤلاء العلماء آنذاك .



المنورة ، وكذا تدرسه في منزله بالرياض ومكة والمدينة ؛ فقد كان لهذا كله أثر طيب ، ونتائج حسنة ؛ بحيث لا يسع متحدثاً أن يتحدث عنها بقدر ما تحدثتُ هي عن نفسها ، وذلك في أعمال كافة المتخرجين المنتشرين في أنحاء المملكة من المُبرزين في أعمالهم ، بل وفي أعلى المناصب في كافة الوزارات المختلفة .

ومن ثم ؛ فلا يستطيع إنسان أن يحصر تلامذة الشيخ رحمه الله ؛ لوفرة من أخذوا عنه ، وبخاصة في كل من جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وكذلك المسجد النبوي الشريف ؛ إلا أن هناك الخصوصيات من بنى عمومته ، فضلاً عن الأشخاص الذين لازموه الزمن الطويل في حله وترحاله ، واستفادوا من تلك المرافقة والرحلات .

ولذا ؛ لا يغالي من يقول : إن كل من تَخَرَّجَ أو يَتَخَرَّجُ ، فهو إما تلميذ للشيخ ، أو تلميذ لتلاميذه ؛ فهم بمثابة أبنائه وأحفاده ، وكفى<sup>(١)</sup> .

---

= راجع تفصيل ذلك في كل من :

- أضواء البيان : الشنقيطي ٤٢/١ - ٤٥ ( من المقدمة ) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٨٥ .
- ضمن رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

(١) انظر في ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطي ٤٥/١ - ٤٦ ( من المقدمة ) .
- ضمن رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .





## الفصل الرابع

### نشاطه

## فى بلادہ وخارج بلادہ

ويتنظم المبحثن التالين :

١ - المبحث الأول : نشاطه فى بلادہ .

٢ - المبحث الثانى : نشاطه خارج بلادہ .



## المبحث الأول نشاطه في بلاده

وينتظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : **الدرس والفتيا .**
- ٢ - **المطلب الثاني : القضاء .**



يعدُّ نشاط الشنقيطي ببلاده يسيراً محدوداً إذا ما قيس بما كان منه بعد خروجه منها وعزمه على البقاء بأرض الحجاز ، والتي بلغ بها ذروته ، ووصل فيها إلى غايته ومداه .  
وقد تمثل نشاطه ببلاده فيما كان يقوم به من أعمال تميزه عن سائر علمائها ، وذلك من خلال اضطلاعاه بالدرس والفتيا والقضاء<sup>(١)</sup> وهذا ما يتبين لنا من خلال المطلبين التاليين :

### المطلب الأول

#### الدرس والفتيا

كان عمل الشنقيطي بالتدريس والإفتاء يمثل مرجع الكافة ببلاده في سائر الشؤون ؛ فقد كان بمثابة المعلم والمفتي ، والواعظ والمرشد ، بل الموجه والمصلح لكل من قصده ، أو لجأ إليه ، من خلال علوم الشرع واللغة بفروعهما المختلفة .

### المطلب الثاني

#### القضاء

وبالرغم من اشتغال الشنقيطي بالدرس والفتيا ، إلا أنه قد اشتهر بالقضاء خاصة ، بل وعُرفَ بالفِرَاسة فيه ، وهذا ما يتضح من خلال ما يلي :

#### • الشيخ القاضي :

كان الشناقطة عظيمى الثقة فى شيخهم وقاضيهم الشنقيطي على الرغم من وجود الحاكم الفرنسى فى البلاد آنذاك<sup>(٢)</sup> الأمر الذى دفع مواطنيه ليفدوا إليه من مختلف أنحاء البلاد ،

(١) راجع فى ذلك بتصرف واسع كلاً من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ٣٤/١ ( من المقدمة ) .

• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٦/١ .

(٢) حيث كانت بلاد شنقيط تروح آنذاك تحت نير التبعية الفرنسية ، وقد ظلت على تلك الحال حتى نالت استقلالها التام عن فرنسا عام ( ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م ) غير أنها ظلت ضمن دول الاتحاد الفرنسى الأفريقى المعروف بـ (الكومنولث) وفى (١٨ من جماد الأول ١٣٨١ هـ = ٢٧ من أكتوبر ١٩٦١ م) انضمت موريتانيا رسمياً إلى (الأمم المتحدة) ثم إلى (جامعة الدول العربية) فى (٢ من ذى القعدة ١٣٩٣ هـ = ٢٦ من نوفمبر ١٩٧٣ م) ثم كان أن انفصلت عن (الكومنولث) لتصير عضواً فى (اتحاد المغرب العربى) الذى يضم كلاً من (ليبيا والجزائر والمغرب) وذلك فى (جماد الثانى ١٤٠٩ هـ = فبراير ١٩٨٩ م) برعاية ملك المغرب الراحل الحسن الثانى .

راجع المزيد عن مسيرة موريتانيا السياسية منذ الحرب العالمية الثانية عام ( ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٥ م )

وحتى تم لها ما أرادت ، وذلك فى كل من :



فيذهبون إليه حيث يكون نازلاً مهما كلفهم ذلك من النفقة والمشقة والوقت ، ويهون عليهم هذا كله في سبيل قضائه بينهم ، وفصله في خصوماتهم .

### • طريقته في القضاء :

كان إذا أتاه الطرفان المختصمان ليقتضى بينهما ؛ يعمد إلى استكتابهما برغبتهما في التقاضى إليه أولاً ، ثم قبولهما حكومته وما يقضى به بينهما ثانياً ، وبعد ذلك يقوم بإثبات الدعوى ، ثم إثبات اعترافات كل خصم على حدة ، وبإزائها ردود الغريم ؛ وبهذا يكون قد جمع بين أركان القضية الثلاثة والتي تشمل نص الدعوى ، ثم اعتراف المدعى ، وأخيراً رد المدعى عليه .

وعقب ذلك يصدر الشنقيطى حكمه في هذه الخصومة أو تلك مُعللاً ومؤيداً بالأدلة الشرعية التي يستقيها غالباً من مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى السائد في بلاده شنقيط خاصة ، وبلاد الغرب الأفريقي عامة<sup>(١)</sup> وحالما يفرغ الشنقيطى من ذلك ؛ يدفع بالدعوى ومعها الردود والحكم إلى الطرفين المتنازعين قائلاً لهما : اذها بها إلى مَنْ شئتما من المشايخ أو الحكام .

### • ثقة المشايخ والحكام في قضائه :

أما المشايخ فلا يكاد يأتى أحدهم حكمُ الشنقيطى في قضية قضاها إلا صدقوا عليها في التو والحال ، وأما الحكام فلا تكاد أيضاً تصلهم قضية حكمَ فيها إلا نفذوا حكمه فور وصوله إليهم دون أدنى شك أو تردد .

هكذا كان قضاء الشنقيطى في كل قضية تُعرضُ عليه ، إلا قضاء الدماء حيث كان لذلك قضاء خاص .

- 
- = موريتانيا الحديثة (أو العرب البيض في القارة السوداء) : محمد يوسف مقلد ص ١٧٣ - ط ١ - دار الكتاب اللبناني - القاهرة - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .
  - العالم بين يديك (موريتانيا) : إسماعيل شوقي ص ١٤٩ - ط ٧ - سلسلة (اقرأ) - العدد ٣٧٩ - دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .
  - جريدة (الشعب) الموريتانية الحكومية التي تصدر في العاصمة (نواكشوط) - ثمان صفحات - العدد ٢٥٠٢ - السفارة الموريتانية بالقاهرة - المستشار الثقافى الشيخ أباً - السبت ٢٠ من رمضان المعظم ١٤٠٨ هـ = ٧ من مايو ١٩٨٨ م .
  - (١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٧٦ .





### • قضاء الدماء :

والمقصود به القصاصُ أو حكمُ الإعدام الذي كان له قضاء خاص به في أنظمة السلطات الفرنسية التي كانت تهيمن على البلاد آنذاك ، حيث يتمثل هذا القضاء الخاص بالدماء في نظر المحاكم الفرنسية في كل ما له صلة بالقصاص أو الإعدام ، وبعد محاكمة ومرافعة واسعة النطاق ، وبعد تمحيص القضية وإنهاء المرافعة ؛ يقضى الحاكم الفرنسي بالقصاص أو الإعدام ، ثم يُعرضُ هذا الحكم على لجنة خاصة تعرف بـ : ( لجنة الدماء ) .

### • لجنة الدماء :

وتألف من عالمين جليلين من كبار علماء الشريعة بالبلاد ، ولا يتم إنفاذ حكم القصاص أو الإعدام إلا بموافقة هذه اللجنة وتصديقها عليه ، وقد كان الشنقيطي أحدَ هذين العالمين المعتمدين في هذه اللجنة على مدار أعوام عديدة .

\* \* \*

### • أهم ما يميز به نشاطه في بلاده :

وبعد : فإنه يتبين لنا مما سبق أن أهم ما يميز نشاط الشنقيطي في بلاده هو فرأسته في القضاء ، تلك الصفة التي يجب توافرها فيمن يضطلع بهذا العبء الثقيل ، والذي يستلزم بالضرورة قدرة خاصة على تمحيص أقوال المتقاضين ، وتفنيدهم ، وكشف ما قد يكون من خداعهم ؛ وذلك بهدف نصفة المظلوم ، والضرب على يدي الظالم بما يستحق من الجزاء .

هذا فضلاً عن الثقة العظمى التي كان يتمتع بها الشنقيطي من قبل المواطنين والمشايخ والحكام على السواء ؛ وليس ذلك إلا لما جربوه عليه من قوة حجته ، ثم عدله ونزاهته .



## المبحث الثاني نشاطه خارج بلاده

ويتنظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : حجه وعزمه على البقاء بالمملكة .
- ٢ - المطلب الثاني : بداية نشاطه بعد حجه واستقراره بالمملكة .



ونقصد به ذلك النشاط العلمى الواسع الذى قام به الشنقيطى منذ أن حلَّ بأرض الحجاز وإلى أن توفى بها ، والذى امتد على مدار ستة وعشرين عاماً من عام ( ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م ) وحتى عام ( ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م ) قضاها فى سائر أرجاء المملكة العربية السعودية بصفة عامة ، وفى كل من الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة بصفة خاصة<sup>(١)</sup> .  
وفيما يلى ذكر نشاطه بأرض الحجاز منذ أن حلَّ بها وإلى أن توفى فيها ، وذلك من خلال المطالبين التاليين :

### المطلب الأول

#### حجه وعزمه على البقاء بالمملكة

ويشمل وصوله المملكة ، وأداءه حجة الإسلام ، ثم سبب عزمه على البقاء بأرض الحجاز :

#### ١ - وصوله المملكة :

وصل الشنقيطى بلاد الحجاز عن طريق البحر ، حيث دخل مدينة (جدة) فى العشر الأوسط من ذى القعدة من عام ١٣٦٧ هـ الموافق للعشر الأوسط من سبتمبر من عام ١٩٤٨ م<sup>(٢)</sup> .

وقد نزل الشنقيطى ومَنْ معه آنذاك فى بيت عمومى خَصَّصَهُ (آل جمجوم) لنزول أهل القطر من الشناقطة ، وبعد أن مكث بـ (جدة) ليلتين من غير أن يجتمع بأحد من أهلها ، إلا برجل سودانى موظف ببعض الشركات هناك اسمه أحمد البكرى ، حيث أحسن إليهم وحملهم إلى (مكة المكرمة) بواسطة رجل طيب من موظفى إدارة الحج اسمه سامى كتيبى .

#### ٢ - أدائه حجة الإسلام :

ركب الشنقيطى من (جدة) بعد صلاة المغرب هو ومَنْ معه ، محرمين مليون قاصدين

(١) راجع فى ذلك بتصرف واسع كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٥ - ٥١ ( من المقدمة ) .
- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٥٤ - ٢٨٤ .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٧ - ١٨٥ .

(٢) انظر مقابلة التقويم الهجرى بالميلادى فى كل من :

- برنامج (تقويم أم القرى) : إصدار ( هـ - م ١ ) .
- برنامج (المؤذن العربى) : إصدار (١٠١) .



البيت الحرام بالبلد الحرام ، ولم يكن نُسكُ الشنقيطي تمتعاً ولا قرآناً ، وإنما كان إفراداً بالحج كما هو الأفضل في مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى ، والذي كان عليه الشنقيطي حتى ذلك الحين .

وإلى هذا يشير بقوله : وكان إحرامنا بالحج مفرداً ، وإنما أحرمتنا إفراداً من غير تمتع ولا قرآن ؛ لأن الإفراد في مذهبنا أفضل من التمتع والقرآن ؛ وأفضلية الإفراد التي هي مذهبنا معاصر المالكية قال بها مالك وأصحابه ، وذلك هو الصحيح من مذهب الشافعي<sup>(١)</sup> .

### ٣ - سبب عزمه على البقاء بالمملكة :

خرج الشنقيطي من بلاده لأداء حجة الإسلام على نية العودة إليها ثانية ؛ غير أن الله تعالى شاء غير مشيئته ؛ حيث بدأت مرحلة جديدة من حياته عندما تجددت نيته على البقاء بالمملكة عامة ، ومدينة رسول الله ﷺ خاصة ؛ وذلك بسبب مدارس أدبية دارت بينه وبين الأمير خالد السديري أمير تبوك آنذاك حول بيت من الشعر قاله جرير ضمن قصيدته التي يهجو بها الأخطل التغلبي وقومه من النصارى ، حيث وجد الأمير خالد من الشنقيطي بحراً لا ساحل له .

وعن تلك المدارس الأدبية يحدثنا الشنقيطي قائلاً : وبعد أن تمت مناسك حجنا جعله الله حجاً مبروراً ، وسعيًا مشكوراً ، أمين أمين ، كان أن مررنا في يوم عرفة بقرب مسجد (نَمِرَة) مصادفة من غير قصد<sup>(٢)</sup> على خيمة من خيام الحجيج فيها الأميران الساميان ، اللذان هما أخوان ، وهما الأمير السامي تركي أمير (أبها) السديري ، والأمير السامي أخوه خالد السديري أمير (تبوك) .

فجلسنا قليلاً في ظل الضحى من خيمتهم ننتظر رفقتنا، فأوونا وأكرمونا غاية الإكرام ، وأظهروا لنا السرور بالمعارفة معنا ، وتذاكرنا معهم مذاكرة أدبية ؛ حيث سألنا الأمير خالد المذكور عن معنى قول جرير في شعره : ( وَمَسْحَهُمْ صَلْبُهُمْ رَحْمَنَ قُرْبَانًا ) وعن إعراب :

(١) وقد توسع الشنقيطي في حشد الأدلة على أفضلية الإفراد بالحج عند المالكية ، مقارنة ذلك بأقوال المذاهب الأخرى ومُفَنِّدًا لها - انظر تفصيل ذلك في كتابه ( رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ) : ص ٢٥٥ - ٢٦٧ .

ومن الجدير بالذكر أن الشنقيطي قد عدل عن المذهب المالكي بعد إقامته بالمملكة واستقراره بها ؛ حيث صار إلى اتباع الدليل دون تعصب إلى أي من المذاهب الأربعة ، وسوف نورد ذلك مفصلاً في موضعه من البحث من خلال حديثنا عن منهجه في عرض الأحكام الفقهية .

(٢) قوله : ( مُصَادَفَةٌ ) فيه نظر ؛ حيث لا يُفَضَّلُ التعبير بهذه الكلمة في مجال الدراسات الشرعية لما قد تُلقَى به من ظلالٍ حول إلغاء القَدَر ، أو الوقوع في صفات الله عزّ وجلّ ؛ وهذا ما لا يجوز =





(قُرْبَانًا) فقلنا له : هذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الأخطل التغلبي وقومه ، ويعيرهم بدين (النصرانية) ثم ذكرنا له القصيدة ، ومعنى البيت ، وإعراب الكلمة<sup>(١)</sup> .

ويعقب الشيخ المجذوب على ذلك قائلاً : وهكذا تعمل المقادير الحكيمة عملها في تحركات الشيخ والإعداد لمصيره الجديد ؛ فإذا بخيمة الشيخ بجوار خيمة الأمير خالد السديري دون علم من أيٍّ منهما ، ودون أن يعرف أحدهما الآخر ، وإذا بالحديث يتدرج بالأمير خالد وجلسائه إلى بعض الشعر ، فلما أشكل هذا البيت<sup>(٢)</sup> على المتحدثين رأوا أن يسألوا جارهم عنه ، وربما دفعهم إلى هذا كلامٌ سبق أن سمعوه من الشيخ يسامر به من معه ؛ فتوسموا فيه العلم ، وكان هذا مقدمة لمسيرة ظلت حتى وفاته<sup>(٣)</sup> .

كما يرصد الشيخ عطية تلميذ الشنقيطي سبب عزم شيخه على البقاء بالمملكة قائلاً : وكان الأمير خالد يبحث مع جلسائه بيتاً في الأدب<sup>(٤)</sup> وهو ذواقة أديب ، وامتد الحديث إلى أن سألوا الشيخ لعله يشاركونهم ؛ فوجدوا بحراً لا ساحل له ، ومن تلك الجلسة وذاك المنزل تعدلت الفكرة<sup>(٥)</sup> بل كانت تلك الخيمة بداية منطلق لفكرة جديدة .

= بحال ؛ لأنه لا يقع في كون الله تعالى إلا ما يريد الله تعالى ، ألا ترى قوله سبحانه : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الإنسان : ٣٠ - فإن لم يكن هناك قصد بشري ، إلا أن هناك دائماً قصداً إلهياً ؛ ومن ثم فلا مجال للمصادفة بحال من الأحوال ، وعليه فالأنسب أن يقال : (قَدْرًا) بدلاً من (صُدْفَةً أو مُصَادَفَةً) .

(١) وتام هذا البيت :

هَلْ تَتَرَكُّنَ إِلَى الْقَسِيِّنَ هَجَرْتَكُمْ      وَمَسَحَهُمْ صَلْبَهُمْ رَحْمَنَ قُرْبَانًا

وهو البيت قبل الأخير من قصيدة طويلة لجرير تبلغ ثلاثة وسبعين بيتاً ، قال في مطلعها :

بَانَ الْخَلِيْطُ وَلَوْ طَوَّعْتَ مَا بَانَا      وَقَطَّعُوا مِنْ حَبَاكِ الْوَصْلِ أَثْرَانَا

انظر هذه القصيدة بتمامها في كل من :

- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٧٠ - ٢٧٣ .
- ديوان جرير : شرح محمد بن حبيب (١/١٦٠ - ١٨٧) - تحقيق : د. نعمان محمد أمين طه - دار المعارف - القاهرة - ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

(٢) ويقصد به بيت جرير المتقدم .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٧٨ (بتصرف) .

(٤) ويقصد به بيت جرير المتقدم كذلك .

(٥) وقصد الشيخ عطية بهذه الفكرة : أي ما كان عليه شيخه الشنقيطي كسائر علماء بلاده من الشناقطة ، حيث كانوا يسمعون الكثير من الدعاية ضد بلاد الحجاز ، والتي تعرف عندهم باسم : (الوَهَابِيَّة) نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب (على غير قياس) . غير أنه سرعان ما تعدلت فكرة الشنقيطي إلى الصواب منذ أن حلَّ بأرض الحجاز عامة ، وبالمدينة المنورة خاصة ، كما سيأتي بيانه بعد قليل .



ولقد أوصاه الأمير خالد إن هو قدم المدينة أن يلتقى بالشيخين عبد الله الزاحم رحمه الله ، وعبد العزيز آل صالح حفظه الله<sup>(١)</sup> وفي المدينة بهما رحمه الله ؛ ومن ثم تجددت نيته في البقاء بهذه البلاد بعد وصوله إليها<sup>(٢)</sup> .

### المطلب الثاني

#### بداية نشاطه بعد حجه واستقراره بالمملكة

ويشمل نشاطه العلمي الموسع الذي بدأه في المدينة المنورة ، ومنها إلى الرياض حاضرة البلاد ، وأخيراً مكة المكرمة ، وفيما يلي نعرض لنشاطه في كل منهما على النحو التالي :

#### • أولاً: المدينة المنورة:

بعد أن فرغ الشنقيطي من مناسك حجة الإسلام ، كان أن قضى عدة أيام بمكة المكرمة قبل أن يتوجه إلى المدينة المنورة قاصداً زيارة مسجد رسول الله ﷺ وفي طيبة الطيبة حرص الشنقيطي أن يلتقى أول ما يلتقى بكل من الشيخين : عبد الله الزاحم ، وعبد العزيز آل صالح رحمهما الله تعالى ؛ وذلك إنفاذاً لما أوصاه به الأمير خالد السديري أمير (تبوك) آنذاك من ضرورة البدء بلقائهما عند مقدمه مدينة رسول الله ﷺ .

وقد جاء لقاء الشنقيطي صريحاً مع الشيخين الزاحم وآل صالح فيما كان يسمعه عن مذهب أهل الحجاز في الفقه ، ومنهجهم في العقيدة ؛ ومن ثم كان الشيخان حكيمين معه في كل ما يعرضانه عليه بهذا الصدد ؛ إلا أن الشيخ آل صالح كان أكثر الشيخين مباحثة مع الشنقيطي ، وأثراهما مناقشة معه ؛ حيث قَدَّمَ له كتاب (المغنى) لابن قدامة كأصل للمذهب الحنبلي ، بالإضافة إلى بعض كتب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية كمنهج للعقيدة .

وبعد فراغ الشنقيطي من قراءة تلك الكتب عن آخرها ، كان أن تعددت اللقاءات وطالت الجلسات ؛ ليجد بهذا مذهباً معلوماً لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل ، ومنهجاً سليماً لعقيدة سلف الأمة كما بينها شيخ الإسلام أحمد بن تيمية .

ومن ثم ؛ فقد تبددت الغيوم ، وتكشفت الأمور ، بعد أن ذهب زيفُ الدعايات ، وظهر معدنُ الحقيقة ؛ والتي على أثرها توطدت العلاقة بين الشنقيطي والشيخ آل صالح ،

(١) كان الشيخ عبد العزيز آل صالح لا يزال حياً آنذاك ، وقد عمَّر بعد الشنقيطي قرابة اثنين وعشرين

عاماً حتى كانت وفاته عام ( ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م ) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي / ١ - ٣٥ - ٣٦ ( من المقدمة ) .



بل كان أن تُوجَّتْ في النهاية بأن تجددت الرغبة المتبادلة بين الطرفين في بقاء الشنقيطي بالمدينة المنورة لإفادة المسلمين<sup>(١)</sup> .

وبهذا يبدأ الشنقيطي سلسلة نشاطه في بلاد الحجاز انطلاقاً من مدينة رسول الله ﷺ في كل من :

### ١ - الحرم النبوي الشريف :

رغب الشنقيطي في هذا الجوار الكريم بالقرب من رسول الله ﷺ وتفسير القرآن الكريم بمسجده الشريف ، معبراً عن ذلك بقوله : (ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله تعالى في مسجد رسول الله ﷺ)<sup>(٢)</sup> وبالفعل فقد تم للشنقيطي ما أراد بأمر من الملك عبد العزيز آل سعود ملك البلاد آنذاك ، والذي على أثره بدأ درسه في التفسير حيث فسَّرَ القرآن الكريم ثلاث مرات منذ ذلك الحين وحتى وفاته .

وهذا ما يخبر به تلميذه الشيخ عطية بقوله : فسَّرَ الشيخ رحمه الله تعالى القرآن في المسجد النبوي وحده ثلاث مرات تقريباً ، وقد سمعته يقول : (ما من آية في المصحف إلا وعندي عنها ما قيل فيها) وقد ظهر ذلك جلياً في (أضواء البيان) بحمد الله تعالى<sup>(٣)</sup> .

ولم يكن جلوس الشنقيطي لتفسير كتاب الله في مسجد رسول الله ﷺ إلا امتداداً للشيخ الطيب<sup>(٤)</sup> وتلامذته من بعده من أولئك العلماء الذين اضطلعوا بشرف التدريس آنذاك بمسجد رسول الله ﷺ الذي يُعدُّ جامعة الإسلام الأولى .

ونَدَعَ المقام للشيخ عطية ليحدثنا عن طبيعة التدريس بالحرم النبوي الشريف ، وليصف لنا درس شيخه الشنقيطي به قائلاً : يعتبر التدريس في المسجد النبوي من أهم التدريس في كبريات جامعات العالم في نشر العلم ، فهو الجامعة الأولى للتشريع الإسلامي ، منذ عهد النبوة وحين كان جبريل عليه السلام يأتي لتعليم الإسلام في مجالس رسول الله ﷺ ومنذ كانت مجالس الخلفاء الراشدين ، وعلماء الصحابة رضی الله عنهم أجمعين ؛ إذ كانت

(١) راجع ذلك بتصرف في (أضواء البيان) : الشنقيطي ٣٦/١ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٧/٨ (الجزء الأول من التتمة بقلم تلميذه الشيخ عطية) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٧/٨ (الجزء الأول من التتمة بقلم تلميذه الشيخ عطية) .

(٤) توفي الشيخ الطيب عام (١٣٦٣ هـ = ١٩٤٣ م) بعد أن نفع الله تعالى بدرسه في التفسير بالحرم

النبوي الشريف ، وذلك قبل أربع سنوات من جلوس الشنقيطي لذات الغرض عام (١٣٦٧ هـ =

١٩٤٨ م) .



المدينة العاصمة العلمية ، بل ظلت محافظة على مركزها العلمي ، حيث لم تخل في زمن من الأزمان من عالم يقوم بحق الله فيها .

ومن هؤلاء العلماء شيخنا الشنقيطي رحمه الله ، حيث كان درسه في التفسير أشبه ما يكون بحديقة غناء ، احتوت أشهى الثمار وأجمل الأزهار ، في تنسيق الغرس وجمال الجداول ، تشرح الصدر ، وتشفى القلب ، وتروق للعين ؛ فيستفيد منه جميع الناس ، ويأخذ كل واحد ما طاب له وما وسعه ، وفي الجملة ، فقد كان نفعه رحمه الله في المسجد النبوي للمقيم والقادم ، للقاصي والداني ، نفعاً عظيماً<sup>(١)</sup> .

## ٢ - الجامعة الإسلامية :

منذ أن فَتَحَت الجامعة الإسلامية أبوابها للدراسة بالمدينة المنورة عام (١٣٨١هـ = ١٩٦١م) والشنقيطي في طليعة الفوج الأول من العلماء الذين تولوا التدريس بها ، بل ظل أحد أعمدتها الأساسية ، وأبرز أعضاء مجلسها المعبرين على مدار اثني عشر عاماً حتى توفى وهو على ذلك<sup>(٢)</sup> .

وعن نشأة هذه الجامعة ودور الشنقيطي فيها يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلًا : إن من يعرف نشأة الجامعة الإسلامية ، وقد عرف الحركة العلمية الحديثة بالرياض ؛ ليقول : إن افتتاح الجامعة قد جاء امتداداً لهذه الحركة ، كما أن المتتبع للحركات العلمية في العالم الإسلامي ليقول : إن افتتاح الجامعة الإسلامية في ذلك التاريخ عناية من الله تعالى ، وتدارك للتعليم الإسلامي حينما أصيبت بعض دور العلم الكبرى بهزات في برامجها ؛ ولعل افتتاح هذه الجامعة بالمدينة المنورة جزء من تحقيق حديث رسول الله ﷺ : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة ، كما تأرز الحية إلى حُجْرِها » الحديث<sup>(٣)</sup> .

ومعلوم أن الإيمان عقيدة وعمل ، وأن العلم قبله ؛ ومن هنا نجد القول بأهمية الجامعة الإسلامية ومدى وجودها بالمدينة المنورة ، وبالتالي مجيء أبناء العالم الإسلامي إليها بهدف

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤١/١ - ٤٢ ( من المقدمة ) .

(٢) حيث كانت وفاة الشنقيطي أثناء رئاسة صديقه وقرينه الشيخ عبد العزيز بن باز للجامعة عام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب) الحج (باب) الإيمان يأرز إلى المدينة (ضمن أحاديث فضائل المدينة) - (طبع بيروت) - وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني ٢٢٣/٨ - حديث رقم (١٨٧٦) - (طبع الأزهرية) - كما أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب) الإيمان (باب) بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يأرز بين المسجدين - (طبع بيروت) .





الدراسة والتربية في هذا الجو الروحي ؛ وبهذا تبرز لنا قيمة العمل في هذه الجامعة برسالتها التربوية بجانب رسالتها العلمية ؛ والتي على أثرها منعت الانتساب إليها دون الحضور بها .

وقد كان لوالدنا الشنقيطي رحمه الله في هذه المجالات اليد الطولى ، والمجهود الأكبر ؛ فلم يدخر وسعاً في تعليم ، ولم يتوان في توجيه ، سواء في دروسه أو أحاديثه أو محاضراته ، وسواء مع الطلاب أو المدرسين ؛ فكان للجميع كالأب الرحيم ، والداعية الناصح الأمين<sup>(١)</sup> .

بل إنه ترك بصماته بارزة على كل من أخذ عنه وتلقى عليه من خريجي هذه الجامعة المباركة ممن لا يُحصون عدداً من تلك الأجيال المتلاحقة من طلاب العلم وباحثيه في شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى<sup>(٢)</sup> .

### ٣- دار الحديث :

وبالإضافة إلى محاضرات الشنقيطي بالجامعة الإسلامية ، وكذا دروسه العامة بالحرم النبوي الشريف ، فقد كان يُدعى لإلقاء العديد من المحاضرات العلمية النافعة ضمن المواسم الثقافية التي تقيمها الجامعة الإسلامية في نهاية كل عام دراسي في دار الحديث التابعة لها بالمدينة المنورة ، والتي تدعو إليها كبار العلماء من المملكة خاصة ، ومن شتى حواضر الإسلام وأمصاره المختلفة عامة<sup>(٣)</sup> .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٦/١ - ٤٨ (من المقدمة بتصرف) .

ولمزيد من التفصيل حول الجامعة الإسلامية ووصف رسالتها التربوية والعلمية ؛ راجع ( علماء ومفكرون عرفتهم ) : محمد المجذوب ١٨٤/١ .

(٣) كانت تضم الجامعة الإسلامية آنذاك طلاباً من تسعين جنسية وهي الآن تضم ما يربو على مائة وإحدى عشرة جنسية ، وهذا ما تنطق به سجلات المقبولين بعمادة شئون الطلاب بالجامعة .

(١) انظر من هذه المحاضرات على سبيل التمثيل لا الحصر كتاب ( محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في موسمها الثقافي للعام الدراسي ٩٣ / ١٣٩٤ هـ = ٧٣ / ١٩٧٤ م ) حيث جاء هذا الكتاب في ثلاثمائة وثمانين صحيفة ، وضم بين دفتيه خمس عشرة محاضرة في مقدمتها محاضرة الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطي والقاضي بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة آنذاك ، والتي تحمل عنوان : ( مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله ) وقد أقيمت ليلة الجمعة ( ٩ من المحرم ١٣٩٤ هـ = ١ من فبراير ١٩٧٤ م ) بعد واحد وعشرين يوماً من وفاة الشنقيطي ، واستغرقت إحدى وثلاثين صحيفة كاملة من صفحات الكتاب المذكور .



٤ - بيته<sup>(١)</sup> :

كان بيت الشنقيطي بالمدينة المنورة بمثابة (المدرسة الخاصة) التي تقتصر فيها دروسه على خواص طلابه من أهل العلم وباحثيه من مختلف أقطار العالم عامة ، والإسلامية منها خاصة ، وقد جعل مواعيد هذه الدروس الخاصة بعد العصر من كل يوم إلا أن تحول دون ذلك ضرورة قاهرة تلجئه إلى تأجيلها أو التغيير المؤقت في مواعيدها لترجع بعد زوال تلك الضرورة إلى سيرتها الأولى .

وتتجلى أهمية هذه الدروس المنزلية ويبرز نفعها في تلك الشروح والمؤلفات التي أملاها الشنقيطي على بعض طلابه ، والتي أفاد منها جمهور الناس ، عوامهم وخواصهم على اختلاف مواقعهم ومستوياتهم<sup>(٢)</sup> .

### ثانياً : الرياض :

يعد نشاط الشنقيطي بالرياض مرحلة وسيطة امتدت على مدار عشر سنوات كاملة منذ مقدّمه إليها من المدينة المنورة عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى رجوعه ثانية إلى المدينة المنورة عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حيث كُفّف بالتدريس في الجامعة الإسلامية منذ أول يوم لافتتاحها من ذلك العام ، وقد ظل يُدرّسُ بهذه الجامعة إلى جانب تدريسه بكل من الحرم النبوي الشريف ، ودار الحديث التابعة للجامعة ، فضلاً عن دروسه المنزلية لخواص طلابه حتى وفاته المنية وهو على ذلك .

غير أنه لحينه الدائم لرسول الله ﷺ فقد كان يحرص على قضاء العطلة السنوية بالمدينة المنورة طيلة السنوات العشر التي قضاها بالرياض ؛ ومن ثم فلم يكن تحول نشاط الشنقيطي من المدينة المنورة إلى الرياض في تلك الفترة إلا بناءً على اختياره للمساهمة في الحركة العلمية الجديدة الحادثة في الرياض آنذاك ، والتي يمكن إيجازها فيما يلي :

### • الحالة العلمية بالرياض :

كانت الرياض عاصمة نجد علمياً وسياسياً ؛ حيث كان يفد إليها الطلاب من شتى

(١) ويحمل هذا البيت رقم ٣ بحارة المغاربة بباب الكومة على مقربة من الحرم النبوي الشريف ، ولا يزال يقطنه حتى الآن الدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشنقيطي .

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٤/١ (بتصرف) .

ومن هذه الشروح التي أملاها الشنقيطي في بيته على خواص طلابه ذلك الشرح المسمى : (نشر البنود على مراقي السعود) في أصول المالكية ، والذي أملاه على تلميذه : أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي - راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .



أنحاء نجد لأخذ العلم وتلقيه على آل الشيخ<sup>(١)</sup> وذلك من خلال المساجد التي كانت تعد مراكز الدراسة والتدريس آنذاك ، إلا الخواص من طلاب سماحة المفتي الذين كانوا يدرسون عليه في بيته ضحى ، حيث كان عماد هذه الدراسة يقوم في الأصيل على التوحيد والفقه والحديث ، إلى جانب السيرة والنحو ، وقد تخرج عليها جُلُّ علماء نجد آنذاك<sup>(٢)</sup> .

### الحركة العلمية الجديدة :

تطورت حلقات التدريس بالمساجد لتأخذ شكلاً أكثر توسعاً وتنظيماً لما عُرِفَ آنذاك بالحركة العلمية الجديدة ، والتي صارت فيما بعد النواة الأساسية للنهضة العلمية الشاملة التي عمت سائر أرجاء الحجاز ، حيث ترعاها العناية الملكية ، وتشرف عليها الكفاءات العلمية .

وعن نشأة هذه الحركة والأهداف المرجوة منها يحدثنا الشيخ عطية على لسان شيخه الشنقيطي قائلاً : كانت نشأتها كما سمعت منه رحمه الله استجابة لرغبة جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله ؛ حيث قال لجماعة من العلماء وهم في مجلسه الخاص : لقد كانت الرياض مليئة بالعلماء ، عامرة بالدروس ، وقد انتقل الكثير منهم إلى رحمة الله ، ولم يخلفهم من يماثلهم ؛ وقد أردت تعاونكم مع سماحة المفتي في تربية جيل من طلبة العلم على العلوم الصحيحة والعقيدة السليمة ؛ فنحن وأنتم مشتركون في هذه المسؤولية .

ومن ثم ؛ فقد كانت هذه النهضة العلمية ترعاها عناية ملكية ، وتقوم عليها كفاءة علمية ؛ حيث تولى إدارة معاهدها الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم ، في حين صارت رئاستها لأخيه سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله<sup>(٣)</sup> .

ولكن ماذا عساه يكون نصيب الشنقيطي من الإسهام في نشاط هذه الحركة آنذاك ؟

والإجابة على هذا السؤال تكمن في تقرير ذلك النشاط المكثف الذي اضطلع به الشنقيطي منذ قيام هذه الحركة عام ( ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م ) وحتى رجوعه إلى المدينة المنورة ثانية عام ( ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م ) حيث توزع نشاطه على مدار عشر سنوات كاملة بين جهات ست شملت كلاً من :

(١) والمقصود بهم آل الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب الذين منهم حفيده سماحة مفتي الحجاز الشيخ محمد إبراهيم بن محمد بن عبد الوهَّاب ، وكذا أخوه سماحة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم الذي كان من كبار علماء البلاد آنذاك .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٢/١ ( من المقدمة بتصرف ) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٣/١ ( من المقدمة بتصرف ) .



١- في المعهد العلمي<sup>(١)</sup> :

افتتحت الإدارة العامة للتعليم بالرياض هذا المعهد العلمي في غضون عام (١٣٧١ هـ = ١٩٤٩ م) وكان يقوم نظام التدريس فيه على اختيار نخبة من كبار العلماء من داخل المملكة وخارجها لتولى مسئولياته والإشراف عليه ، وكان الشنقيطي في طليعة هؤلاء العلماء ، حيث ظل يُدرّسُ مادتي التفسير والأصول على مدار عشر سنوات دراسية كاملة .

٢- في كليتي الشريعة واللغة<sup>(٢)</sup> :

افتتحت هاتان الكليتان عقب افتتاح المعهد العلمي في نفس العام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وكانتا تمثلان آنذاك النواة الأولى للجامعة الإمام محمد بن سعود الحالية بالرياض ، وكان الشنقيطي على رأس العلماء الذين اختيروا آنذاك لتدريس مادتي التفسير والأصول في هاتين الكليتين على مدار عشر سنوات دراسية كاملة .

٣- في معهد القضاء العالي<sup>(٣)</sup> :

استحدث هذا المعهد بالرياض في عام (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م) برئاسة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، إلا أن الشنقيطي كان قد رجع آنذاك إلى المدينة المنورة منذ عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) ليتولى التدريس بالجامعة الإسلامية التي افتتحت أبوابها هناك في ذلك العام .

ومع ذلك ؛ فقد كان يُدعى بين الحين والآخر لإلقاء جملة المحاضرات المطلوبة في مادتي التفسير والأصول اللتين ظل يدرسهما بهذا المعهد حتى وفاته المنية بعد سبع سنوات

---

(١) صُنِّفَت الدراسة تبعاً للحركة العلمية الجديدة الحادثة بالرياض آنذاك على أربع مراحل دراسية متتالية تمثل في :

- القسم التمهيدي : ويبدأ من الرابعة الابتدائية ، ويستمر حتى السادسة الابتدائية .
- القسم الثانوي : ويبدأ بعد السادسة الابتدائية ، ويستمر على مدار ثلاث سنوات كاملة .
- المعهد العلمي : ويعد المرحلة الوسيطة التالية للثانوي والسابقة على الجامعة .
- كليتا الشريعة واللغة : وتعدان آنذاك بمثابة النواة الأولى لجامعة الإمام محمد بن سعود الحالية بالرياض .

راجع في ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطي ٤٣/١ (من المقدمة بتصرف) .

(٢) راجع في ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطي ٤٢/١ (من المقدمة) .

(٣) راجع في ذلك بتصرف كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطي ٤٨/١ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٣/١ .





دراسية كاملة رافقه خلالها كل من صديقيه وقرينيه الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد العزيز آل صالح اللذين كانا يُدْعَيَانِ أيضاً إلى ذات المعهد لنفس الغرض .

#### ٤ - في هيئة كبار العلماء<sup>(١)</sup> :

شُكِّلت هذه الهيئة بالرياض من سبعة عشر عالماً بتاريخ ( ٨ من رجب الفرد الحرام ١٣٩١ هـ = ٢٩ من أغسطس آب ١٩٧١ م ) بموجب الأمرين الملكيين رقمي ( ١/١٣٧ - ١/١٣٨ ) وذلك عقب وفاة شيخ البلاد الحجازية وصاحب فتواها سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المعروف بـ : ( المفتي الحفيد )<sup>(٢)</sup> ومنذ تشكيل هذه الهيئة وحتى اليوم وهي تمثل أكبر هيئة علمية ببلاد الحجاز خاصة ، بل وتعد من كبريات الهيئات الإسلامية في العالم عامة .

وقد كان الشنقيطي أبرز الأعضاء السبعة عشرة بهذه الهيئة منذ تشكيلها وحتى وفاته على مدار عامين كاملين رافقه خلالها الكثير من أصدقائه وأقرانه العلماء من أعضاء تلك الهيئة ، وعلى رأسهم كل من : الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد العزيز آل صالح ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين .

ومما اتسمت به عضوية الشنقيطي في تلك الهيئة سياسته الرشيدة ، وإدارته الحكيمة ؛ مما كان له أكبر الأثر وأعظمه في تحقيق النتائج الحميدة ، والانتهاء إلى العواقب الحسنة ؛ وهذا ما تجلّى واضحاً وشهد له به الجميع أثناء ترأسه إحدى دورات الهيئة ، حيث يشير تلميذه الشيخ عطية إلى ذلك بقوله : لقد سمعت فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح آل صالح حفظه الله<sup>(٣)</sup> وهو عضو فيها ، يقول : ما رأيت قبله أحسن إدارة منه ، مع بُعد نظر في الأمور ، وحسن تدبير للعواقب<sup>(٤)</sup> .

(١) راجع في ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطي ٤٩/١ ( من المقدمة بتصرف ) .
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٧٣ (بتصرف) .

(٢) أي حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهّاب .

(٣) كان الشيخ عبد العزيز آل صالح لا يزال حياً آنذاك ، وقد عمّر بعد الشنقيطي قرابة اثنين وعشرين عاماً حتى كانت وفاته عام ( ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م ) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٠/١ ( من المقدمة ) .



٥ - في مسجد الشيخ<sup>(١)</sup> :

والمقصود به مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المفتي الحفيد ، وهو مسجد كبير مشهور يقع بمنطقة (دُخْنَه) في الرياض ، وكان سماحة المفتي يُدرِّسُ فيه بنفسه مع مَنْ كان يدعوهم من كبار العلماء الذين كانوا يُدرِّسون بالرياض آنذاك ؛ حيث كانوا يلقون دروسهم في مختلف الفنون بهدف إفادة طلبة العلم والعامّة على السواء<sup>(٢)</sup> .

وقد كان الشنقيطي في مقدمة هؤلاء العلماء ، حيث بدأ درسه في قواعد الأصول لكبار الطلاب وخاصتهم ، غير أنه ما لبث أن حضره العوام الذين كانوا يحرصون على ذلك ، ويتوافدون إليه من سائر أطراف الرياض .

الأمر الذي صار معه هذا الدرس الأصولي بمثابة فتح جديد في هذا الفن الذي أفاد منه الخواصُّ والعوامُ على السواء على مدار عشر سنوات كاملة قضّاها الشنقيطي بالرياض من عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) الذي رجع فيه إلى المدينة المنورة للتدريس في الجامعة الإسلامية التي افتتحت هناك في ذلك العام .

٦ - في بيته :

كان بيت الشنقيطي بالرياض أشبه ما يكون بالمدرسة الخاصة التي اقتصر فيها الدراسة على خواصِّ طلابه الذين رافقوه للدراسة عليه على مدار عشر سنوات كاملة قضّاها بالرياض من عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى رجوعه ثانية إلى المدينة المنورة للتدريس بالجامعة الإسلامية التي افتتحت هناك عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) .

ويعد نشاط الشنقيطي في بيته امتداداً لنشاطه العلميّ بمسجد الشيخ بالرياض ، حيث كانت دروسه بالمسجد تتصف بالعمومية في حين تتصف دروسه في بيته بالخصوصية ، وهذا ما يشير إليه تلميذه الشيخ عطية بقوله : ولما كان درس الأصول في المسجد عامّاً ، ومن الطلبة خواصُّ رغبوا آنذاك في درس خاص في بيته رحمه الله ؛ لذا فقد جعل لهم درساً خاصاً بهم بعد العصر ، وبهذا كان بيته رحمه الله كمدرسةٍ سواءً ينال فيها هؤلاء ما كان يناله أبنائهم الآخرين الذين رافقوه للدراسة عليه<sup>(٣)</sup> .

(١) راجع في ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطي ٤٥/١ ( من المقدمة بتصرف ) .
  - علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٤/١ (بتصرف) .
  - ضمن ردّ الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .
- (٢) من هؤلاء العلماء الشيخ عبد الرحمن الإفريقي الذي كان يُدرِّسُ الحديث بهذا المسجد آنذاك .
- (٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٥/١ ( من المقدمة بتصرف ) .



### ثالثاً : مكة المكرمة :

يعد نشاط الشنقيطي بمكة المكرمة نشاطاً موسمياً حيث تمثل في كل من : رابطة العالم الإسلامي التي كان ينتقل إليها ليشترك في اجتماعاتها كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، ثم مشاركته في أعمال مؤتمر الحج السنوي الذي كان يعقد في موسم الحج من كل عام ، هذا بالإضافة إلى بيته الذي كان يقيم فيه بصفة مؤقتة على مدار الأيام القلائل التي يقوم أثناءها بنشاطه المعتاد في كل من مجلس الرابطة ومؤتمر الحج ، وذلك على النحو التالي :

#### ١ - في رابطة العالم الإسلامي :

تعد هذه الرابطة من كبريات الهيئات الإسلامية العالمية التي تُعنى بشئون المسلمين وتسعى لحل مشكلاتهم في سائر أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ، ولا يحكم نشاط هذه الرابطة ولا يبين فلسفة مبادئها التي قامت عليها سوى ما تدعو إليه هاتان الآيتان الكريمتان من كتاب الله تعالى ، أما أولاهما فقول الله تعالى : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ الآية<sup>(٢)</sup> وأما ثانيتهما فقوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> .

وفي ضوء هذا التوجيه القرآني السديد باشر الشنقيطي دوره في هذه الرابطة من خلال عضويته في مجلسها التأسيسي ؛ حيث تجلّت حكمته وسطعت حجته في العديد من المواقف الحرجة التي كادت تعصف بالرابطة وتهوى بها في هوة الخلاف والفرقة .

وعن طبيعة هذا الدور الذي قام به الشنقيطي منذ تأسيس هذه الرابطة وحتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قاتلاً : وفي رابطة العالم الإسلامي كان والدنا الشيخ محمد الأمين رحمة الله تعالى علينا وعليه عضو المجلس التأسيسي ، حيث لم تقلّ خدماته فيه عن خدماته في غيره ، وإنّي لأذكر له موقفاً حدثني به جنب الرابطة مأزقاً كاد أن يدخل عليها شقاقاً وانثلاماً ؛ وذلك حينما قدّم مندوب إيران في الرابطة طلباً يريد فيه اعتراف الرابطة بالمذهب الجعفري ، ومرفقاً معه وثيقة من بعض الجهات العلمية الإسلامية ذات الوزن الكبير التي تؤيده على دعواه وتجيئه إلى طلبه<sup>(٣)</sup> ومن ثم ؛ فإن هم قبلوا طلبه دخلوا مأزقاً ، وإن هم رفضوه واجهوا حرجاً ؛ وعندئذ اقترحوا أن يتولى الأمر فضيلته في جلسة خاصة .

(٢) المائدة : ٢ .

(١) آل عمران : ١٠٣ .

(٣) لم يفصح الشيخ عطية عن تلك الجهات التي أيدت طلب هذا المندوب الإيراني آنذاك .



وقد أجاب طلبهم حيث قال في ذلك المجلس ما نصه : لقد اجتمعنا للعمل على جمع شمل المسلمين والتأليف بينهم وترابطهم أمام خطر عدوهم ، ونحن الآن مجتمعون مع الشيعة في أصولٍ تتمثل في : (الإسلام دين الجميع ، والرسول محمد ﷺ رسول الجميع ، والقرآن كتاب الله تعالى ، والكعبة قبلة الجميع ، والصلوات الخمس ، والصوم ، وحج بيت الله الحرام) كما أننا مجتمعون على تحريم المحرمات من قتل وشرب وزنا وسرقة ونحو ذلك ؛ وهذا القدر كلف للاجتماع والترابط .

غير أن هناك أموراً نعلم جميعاً أننا نختلف فيها وليس هذا مثار بحثها ، فإن رغب العضو الإيراني بحثها واتباع الحق فيها ؛ فليختر من علمائهم جماعة ونختار لهم جماعة ، فيبحثون ما اختلفنا فيه ، ويُعلن الحق ويلتزم به ، أو يسحب طلبه الآن .

فما كان من الجميع إلا أن أقر قوله ، وما كان من العضو الإيراني إلا أن سحب طلبه<sup>(١)</sup> .

## ٢ - في مؤتمر الحج السنوي :

ليس من شك في أن هذا المؤتمر السنوي يُعدُّ بمثابة الاجتماع العالمي الذي يعقد في موسم الحج من كل عام بالبلد الحرام ، والذي تُبحث فيه شئون المسلمين ، وينظر من خلاله فيما يطرأ على مجتمعاتهم من أمور جديدة وقضايا معاصرة ؛ الأمر الذي يستلزم اجتماع علماء الأمة ، والتنسيق بين جهودهم ؛ لإنتاج الحلول المناسبة والاتفاق على كلمة سواء ؛ بما يعود في النهاية على جموع المسلمين بالخير الوفير ، والنفع العميم ، وهو بعض ما عناه الحق سبحانه في قوله تعالى : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴿٢٨﴾ آيَاتان<sup>(٢)</sup> .

ويأتي الشنقيطي على رأس هؤلاء العلماء الذين يشاركون في أعمال مؤتمر الحج السنوي ؛ حيث كانت تتوافد إليه جموع الحجاج من قاصدي البيت الحرام لحضور مجالسه وسماع محاضراته ، بل والأخص من ذلك ما يذكره الشيخ المجذوب بقوله : وهناك وفود الحجاج الذين يتدفقون على المدينة المنورة لزيارة رسول الله ﷺ وبينهم رجال العلم والفكر الذين لا يرون مندوحة عن الإمام بالجامعة الإسلامية وزيارة بعض فصولها الدراسية للاطلاع على نشاط هذه المؤسسة العالمية الحديثة ، وقلما يحضر وفد من هؤلاء

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١ / ٥٠ - ٥١ ( من المقدمة بتصرف ) .

(٢) الحج : ٢٧ - ٢٨ ( آيتان ) .





الزوار إلى الجامعة ثم لا يشهد محاضرات الشيخ بها ، فضلاً عن دروسه بالحرم النبوي الشريف<sup>(١)</sup> .

٣ - في بيته<sup>(٢)</sup> :

اتخذ الشنقيطي هذا البيت ليقوم فيه بصفة مؤقتة على مدار الأيام القلائل التي كان يقوم خلالها بنشاطه المعتاد وأعماله الدورية في كل من المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، ومؤتمر الحج السنوي العالمي الذي كان يُعقد في موسم الحج من كل عام .

وعلى الرغم من تواجد الشنقيطي المؤقت في بيته آنذاك ؛ إلا أن هذا البيت ما كان ليفرغ بحال من الأحوال من جيرانه وزائريه من طلاب العلم خاصة ، وجموع المسلمين عامة ؛ والذين كانوا يحرصون على ملازمة الشنقيطي والإفادة من علمه أثناء فترات إقامته القصيرة ما بين الحين والحين بالبلد الحرام .

بل وقد بلغت ملازمتهم له إلى حد مرافقته في سيارته الخاصة ذهاباً لأداء الصلاة في البيت الحرام وإياباً منه إلى بيته ، كما بلغ حياؤه منهم وكرمه لهم الحد الذي جعل ابنه الدكتور عبد الله يترجل ماشياً في أغلب الأحيان من وإلى الحرم لعدم وجود مكان له في سيارة والده الذي كان دائماً ما يقول له : يا ولدي من العيب أن تُنزل أحداً من السيارة ؛ لأن السيارة لمن سبق إليها<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٤/١ ( بتصرف ) - و جدير بالذكر أن محاضرات الفصل الدراسي الجديد كانت تبدأ بالجامعة الإسلامية بعد الحج مباشرة ، ولا تزال كذلك حتى اليوم .

(٢) ويقع هذا البيت بجبل (بُومَطَشْش) بحى (العزيرية) بمكة المكرمة ، وقد اضطر الشنقيطي إلى شراء هذا البيت بعد أن واجه موقفاً حرجاً بخصوص البيت الذي كان يؤجره من قبل ؛ حيث طالبه صاحب البيت آنذاك بالخروج من بيته لأنه يعتزم الانتفاع به وعدم تأجيره بعد ذلك اليوم ، غير أن الوقت كان ليلاً ولم يهمله صاحب البيت حتى الصباح ؛ الأمر الذي اضطر الشنقيطي لثني بيت تلك الليلة في الشارع لعدم وجود أماكن فارغة بأى من الفنادق المزدحمة عن آخرها آنذاك ، ومن تلك الليلة رأى الشنقيطي أن هذا لا يليق بأهل المروءة فقرر شراء قطعة أرض بمكة والمدينة وبنى عليهما بيتين قائلاً : هذا يعينني على العمرة والحج وهذا يعينني على المدينة ، وغير هذا لا أريده .

• راجع في ذلك ( الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين ) : د. عبد الله الشنقيطي ( محاضرة مسجلة ) .

(٣) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي ( محاضرة مسجلة ) .



## ملاحظات حول نشاط الشنقيطي ببلاده وخارجها :

كما سبق تبين لنا جملة من الملاحظات التي ترد على نشاط الشنقيطي العلمي الذي بدأه ببلاده شنقيط ثم واصل عطائه فيه بعد أن استقر به المقام ببلاد الحجاز وحتى وفاته بها ، حيث يمكننا إيجاز تلك الملاحظات فيما يلي :

١ - بدأ الشنقيطي نشاطه ببلاده وهو في الثلاثين من عمره تقريباً عندما بلغ نصاب العلم وأتم مرحلة الطلب عام (١٣٥٥ هـ = ١٩٣٥ م) وقد ظل يواصل العطء ببلاده على مدار اثني عشر عاماً حان خروجه منها وهو في الثانية والأربعين من عمره في رحلة الحج إلى بيت الله الحرام عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) .

وفي بلاد الحجاز استقر به المقام حيث بلغ نشاطه ذروته وأخذ مداه على مدار ستة وعشرين عاماً انتهت بوفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) ومن ثم ؛ فإننا نخلص إلى أن نشاط الشنقيطي ببلاده يعد يسيراً محدوداً من حيث طبيعته ومدته إذا ما قيس بما كان منه بعد خروجه منها واستقراره ببلاد الحجاز .

٢ - تمثل المدينة المنورة المنطلق الأول ، والمركز الرئيس لنشاط الشنقيطي ببلاد الحجاز ؛ حيث قضى بها ستة عشر عاماً منها أربعة أعوام في البداية منذ وصوله البلاد عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وحتى مغادرته إلى الرياض عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) ثم اثنا عشر عاماً متصلة بعد عودته من الرياض عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) وحتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

على أنه كان يحرص طيلة الأعوام العشرة التي قضاها بالرياض على قضاء العطلة السنوية بالمدينة المنورة لحينه الدائم لرسول الله ﷺ ومن ثم ؛ فإننا نخلص إلى أن المدينة المنورة كانت بمثابة المقر الدائم لنشاط الشنقيطي بها خاصة وببلاد الحجاز عامة أما الرياض فكانت تمثل المرحلة الوسيطة أو البينية من هذا النشاط ، في حين كانت مكة المكرمة المرحلة الانتقالية أو الموسمية منه .

٣ - بالرغم من نشاط الشنقيطي المكثف في كل من المدينة المنورة والرياض ومكة المكرمة من خلال دور العلم ومعاهده الكبرى فضلاً عن الحرمين الشريفين ؛ إلا أنه كان يحرص دائماً على أن يكون في بيته في تلك المدن الثلاث بمثابة المدرسة الخاصة التي تقتصر فيها الدراسة على خواص طلابه الراغبين في الاستزادة والتحصيل .

وقد عمَّ نفعُ هذه الدروس المنزلية الخاصة وتجلَّتْ فائدتها في بعض الشروح التي أملاها



الشنقيطيّ عليّ أحد خواصّ طلابه آنذاك<sup>(١)</sup> ؛ ومن ثمّ فإننا نخلص إلى أن (البيت) كان يمثل حجر الزاوية في فكر الشنقيطيّ من حيث موقعه وأهميته في طلب العلم وتحصيله ؛ وليس هذا بمستغرب على عالم كالشنقيطيّ درجَ منذ نعومة أظفاره على هذا النهج الذي فتح عليه عينيه في بيوت أخواله والتي كانت تمثل له آنذاك ( المدرسة الأولى الأهلية ) حيث شيوخه الأقربون ومعلموه الأوائل من أهله وذويه .

---

(١) وهو تلميذه أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكني الشنقيطيّ الذي طلب من شيخه الشنقيطيّ أن يملّيه شرحاً على (مراقى السعود) في أصول المالكية ، وقد أجابه إلى طلبه بما سُمّي (نثر الورود على مراقى السعود) .



الفصل الخامس  
رحلاته  
للحجّ والدعوة والعلاج

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

- ١ - المبحث الأول : رحلة الحج .
- ٢ - المبحث الثاني : رحلة الدعوة .
- ٣ - المبحث الثالث : رحلة العلاج .





تنازعت رحلات الشنقيطي ثلاثة مقاصد ارتبط كل قصد منها برحلة من رحلاته الثلاث التي قام بها على امتداد سنين حياته ، أما أولى هذه الرحلات فكانت من مسقط رأسه ببلاده شنقيط إلى بيت الله الحرام بقصد الحج ، وأما رحلته الثانية فكانت من مهاجره بالمدينة المنورة إلى عشرة من الأقطار الإسلامية بقارة إفريقيا بقصد الدعوة ، ثم كانت رحلته الثالثة والأخيرة من المدينة المنورة أيضاً إلى كل من مصر وأوروبا بقصد العلاج .

وفيما يلي إيجاز الحديث عن هذه الرحلات الثلاث وطبيعة كل منها من خلال المباحث

الثلاثة التالية :



## المبحث الأول رحلة الحج<sup>١٤</sup>

ويتنظم المطالب الخمسة التالية :

- ١ - المطالب الأول : السبب الباعث على هذه الرحلة .
- ٢ - المطالب الثاني : زمن هذه الرحلة ومدتها .
- ٣ - المطالب الثالث : وسائل الانتقال في هذه الرحلة .
- ٤ - المطالب الرابع : الأقطار التي شملتها هذه الرحلة .
- ٥ - المطالب الخامس : طابع هذه الرحلة العلمي والأدبي .



تختلف رحلة الشنقيطى هذه اختلافاً بيناً عن غيرها من سائر الرحلات الأخرى التى يقوم بها غيره من الرّحالة والعلماء إلى شتى بقاع الأرض ومختلف جناباتها ، وهذا ما نحاول أن نعرض له من خلال المطالب الخمسة التالية :

### المطلب الأول

#### السبب الباعث على هذه الرحلة

أما السبب الباعث على هذه الرحلة فظاهرٌ جليٌّ حيث يتمثل فى عزم الشنقيطى آنذاك على أداء حجة الإسلام المكتوبة ؛ وذلك امثالاً لأمر الله عز وجلّ واتباعاً لسنة رسوله ﷺ وهذا ما يشير إليه الشنقيطى ذاته بقوله : كان مما أنزل عليه صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ الآية (١) فقد بلغنا هذا وآمنا بكل ما فيه ، واتممرنا بأوامره وانتهينا بنواحيه ؛ فهو النور المبين والحبل المتين (٢) وقد جعلناه فى أمور ديننا دليلاً ؛ فتحركنا من مسقط الرأس بقول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ الآية (٣) .

جعلنا الله ممّن يأتّمر بالأوامر ، وينزجر بالزواجر ، فامثال هذه الآية الكريمة جَسْمَنًا هذا السفر المبارك السعيد ، حتى أتينا من مكان بعيد ؛ فيها نهضنا هذه النهضة السريعة ، لا بقول عمر بن أبى ربيعة :

إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ أَقَمْتَ لَهَا      مَاذَا أَخَذْتَ بِتَرْكِ الْحَجِّ مِنْ ثَمَنٍ؟ (٤)

(١) الأنعام : ١٩ .

(٢) وَوَصَفُ الْقُرْآنُ بِحَبْلِ اللَّهِ الْمُتِينِ جَاءَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جِزْءٍ مِنْ حَدِيثِ طَوِيلٍ قَالَ فِيهِ : « هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمُتِينِ ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ » وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى يَصِفُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ : « كِتَابُ اللَّهِ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَمْدُودُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ » - وَقَدْ سَبَقَ تَخْرِيجُ الرَّوَايَتَيْنِ ص ٥ هـ ٢ مِنْ هَذَا الْبَحْثِ .

(٣) آل عمران : ٩٧ .

(٤) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٤٠ .

ورد هذا البيت فى الأصل بلفظ : ( أَوْ نَعِمْتَ لَهَا - فَمَا أَخَذْتَ ) بدلاً من : ( أَوْ أَقَمْتَ لَهَا - مَاذَا أَخَذْتَ ) - انظر ( شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة ) : لمحمد محبى الدين عبد الحميد ص ٢٨٤ - الطبعة ٢ - ( مطبعة السعادة ) مع ( المكتبة التجارية الكبرى ) - القاهرة - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .



## المطلب الثاني

### زمن هذه الرحلة ومدتها

خرج الشنقيطي من مسقط رأسه ببلاده شنقيط بعد فجر يوم السبت الثامن من جمادى الآخرة من عام سبعة وستين وثلاثمائة وألف للهجرة ( ٨ - ٦ - ١٣٦٧ هـ ) الموافق ( ١٧ - ٤ - ١٩٤٨ م ) قاصداً بلاد الحجاز التي دخلها آنذاك عن طريق ميناء جدة السعودي ضحى يوم الاثنين السابع عشر من ذى القعدة من العام نفسه ( ١٧ - ١١ - ١٣٦٧ هـ ) الموافق ( ٢٠ - ٩ - ١٩٤٨ م ) وهذا ما يشير إليه من خلال حديثه عن يوم خروجه من بلاده ، ثم يوم وصوله الحجاز عن طريق ( ميناء جدة السعودي ) قادماً من ( ميناء سواكن السودان المصري )<sup>(١)</sup> .

(١) يجرى على لسان الشنقيطي قوله : ( السودان المصري ) تعبيراً به عن ( السودان الشرقي ) أو ( جمهورية السودان الديمقراطية ) المتاخمة لمصر من الناحية الجنوبية بشرق أفريقيا ؛ وذلك اتباعاً منه للمصادر الأفريقية التي درجت على هذا الوصف تمييزاً له عن ( السودان الغربي ) الذي تسكنه الشعوب السودان من الزنوج وغيرهم في غرب القارة الأفريقية والتي يطلق عليها ( أفريقيا الغربية ) أو ( القارة السوداء ) أو ( عالم الملونين ) .

ومن الجدير بالذكر أن ( السود أو السودان ) يتشرون بكثرة في شنقيط أو موريتانيا ويشملون ( اللّحمّة ) وهم العبيد والحرفيون من الزنوج السود ، بالإضافة إلى ( الحراطنة ) وهم المعتقون من الرق من البيضان ذوى الأصل الأسود أو السودان ذوى الأصل الأبيض نتيجة للتزاوج بينهما .  
وفى مقابل هؤلاء يأتي ( البيض أو البيضان ) الذين تسكن قلة منهم في وسط وجنوبى موريتانيا على ضفاف نهر السنغال فى الحدود الفاصلة بين البلدين ، ويشملون ( بنى حسان ) وهم العرب البيض من المحاربين ، بالإضافة إلى ( الزوايا ) وهم العلماء البيض من السادة الذين منهم الشنقيطي وقومه ( بنوجاكان ) .

راجع تفصيل ذلك فى كل من :

- الجأش الربيط : محمد الإمام بن ماء العينين ص ٢٧ .
- جمهورية موريتانيا الإسلامية : عبد البارى النجم ص ٦٥ .
- العالم بين يديك (موريتانيا) : إسماعيل شوقى ص ١٤٩ .
- معجم قبائل العرب : عمر رضا كحالة ٣/ ١١٢٣ .
- من أعلام الفكر الإسلامى فى البصرة : الدليشى الخالدى ص ٢٣ .
- موريتانيا الحديثة : محمد يوسف مقلد ص ٤١ - ٧٩ .
- الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٤٧٥ .
- موريتانيا: عبد الله عنان ص ٢٤ - مجلة العربى - العدد ٢٥ - السنة ٢ - الكويت - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .
- مظاهر الوعى القومى عند مثقفى شنقيط : أحمد ولد الحسن ص ١١٢ - مجلة المستقبل العربى - العدد ٧٢ - السنة ٢ - لبنان - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .





أما يوم خروجه من بلاده فيذكره بقوله : كان يوم الخروج لهذه القاعدة الكبيرة<sup>(١)</sup> لسبع مضمين من جمادى الآخرة من سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف ، أمنا الله من الأمام والخلف<sup>(٢)</sup> .

وأما يوم وصوله (ميناء جدة) بعد قضاء ما جملته ستة أيام منذ تحركه من (ميناء سواكن) في بداية العشر الأوسط من ذي القعدة من العام نفسه فيذكره بقوله : سافرنا من تلك الليلة في العشر الأوسط من ذي القعدة من سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف ، فسرنا متوجهين تلقاء (سواكن) فبتنا دونها ، وجئناها من الغد في المقييل ، ثم بعد لأيٍ تحصلنا على الجوازات والتذاكر بعد أن سلمنا الرسوم المقررة ، ثم مكثنا في محل النظر في (صحة الحجاج) ثلاثة أيام ، ثم ركبنا في السفينة متوجهين إلى (جدة) فمكثت بنا يوماً وليلة في البحر ، ثم نزلنا من الغد في جدة<sup>(٣)</sup> .

وبهذا يتبين لنا أن هذه الرحلة قد استغرقت ما يقرب من مائة وستين يوماً هجرياً أو ما يعادل مائة وأربعة وخمسين يوماً ميلادياً منذ خروج الشنقيطى من بلاده في (٨ - ٦ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (١٧-٤-١٩٤٨ م) وحتى وصوله الحجاز في (١٧-١١-١٣٦٧ هـ) الموافق (٢٠-٩-١٩٤٨ م) .

### المطلب الثالث

### وسائل الانتقال في هذه الرحلة

كانت هذه الرحلة بريةً في أغلب مراحلها حيث شملت منذ بدايتها سائر وسائل الانتقال المعروفة من إبل وسيارات وقطارات بالإضافة إلى التَّرجُل أو السير على الأقدام كما لا يخفى ؛ حتى إذا ما وصل الشنقيطى ميناء سواكن<sup>(٤)</sup> ركب البحر في طريقه إلى جدة التي وصلها بعد يوم وليلة هو ومن معه من مرافقيه آنذاك .

(١) ويقصد بها حجة الإسلام المتمثلة في الحج الأكبر (الركن الخامس من أركان الإسلام ، أو القاعدة الخامسة من قواعده) .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٥٤ .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٥٤ (بتصرف) .

(٤) يقع (ميناء سواكن) بجوار نظيره (ميناء بورسودان) على الساحل الغربى للبحر الأحمر بجمهورية السودان الديمقراطية ، وفى مقابله تقريباً يقع (ميناء جدة) على الساحل الشرقى للبحر الأحمر بالمملكة العربية السعودية - انظر موقع الميناءين بالسودان والسعودية على الترتيب فى كل من :

• أطلس العالم الإسلامى : دة . دولت أحمد صادق وآخرون ص ٩٦ - ص ٧ .

• الأطلس العربى : المساحة العسكرية بالقاهرة ص ٢٥ - ص ٣٥ .

• الأطلس المدرسى : د . محمد صبحى عبد الحكيم وآخرون ص ٢٣ - ص ٣٠ .



وعن سبب إثارة الشنقيطى لأن تكون رحلته إلى الحج رحلة برية يرجع الشيخ المجذوب ذلك إلى أمرين اثنين يذكرهما بقوله : لعل ذلك عائد إلى أمرين : أحدهما أفتت ظهور الإبل التى قضى معها العشرات من سنين حتى خالطت آثارها كيانه ؛ بل بعد استقراره فى مدينة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه واستعماله السيارة فى تنقلاته ؛ فإنه لا يبارحه الحنين إلى ذلك العهد ، وما أدرى كم من حجة أداها على متن البعير ، صاحى الرأس للشمس التى طالما ألفتها فى صحراء شنقيط . أما ثانى التعليلين : فلا أستبعد أن يكون مرده رغبة الشيخ الأمين فى لقاء العلماء ، وتعرف معالم الديار الإسلامية التى تقتضيه الرحلة الطويلة أن يتخذها عمراً<sup>(١)</sup> .

غير أننا نرجح ثانى التعليلين الذى لم يستبعده الشيخ المجذوب ؛ وذلك لأنه يتفق والطابع العلمى لهذه الرحلة<sup>(٢)</sup> والتى تهدف فى المقام الأول إلى التعرف الشنقيطى على طبيعة وأحوال تلك الأقطار الأفريقية التى يمر عليها فى طريق رحلته لإمكان نشر الدعوة بين شعوبها وإفادتهم علمياً ، وذلك فضلاً عن إثراء لغة الحوار والمناظرات العلمية بين الشنقيطى من جانب وعلماء تلك الأقطار من جانب آخر ، ولا يخفى ما فى ذلك من منافع سامية ، وفوائد جمة .

### المطلب الرابع

#### الأقطار التى شملتها هذه الرحلة<sup>(٣)</sup>

بلغ عدد هذه الأقطار ستة أقطار أفريقية بدأت بدولة السنغال ، ثم مالى ، والنيجر الفرنسى ، ونيجيريا الإنجليزية ، وتشاد الفرنسية ، وأخيراً السودان المصرى ، وذلك باستثناء بلاده شنقيط التى خرج منها بقارة أفريقيا ، وكذا المملكة العربية السعودية التى وصلها بقارة آسيا .

وقد آثرنا تسمية هذه الأقطار الستة بذات أسمائها التى أوردها الشنقيطى حيث ذكر بعضها مقروناً بجنسية مستعمريها آنذاك قبل أن يتم تحريرها واستقلالها مثل قوله : (النيجر الفرنسى ، ونيجيريا الإنجليزية ، وتشاد الفرنسية) فى حين ذكر آخرها بدلالة القطر المجاور له مثل قوله : (السودان المصرى) وليس ذلك إلا لتمييز هذه الأقطار والدلالة عليها بما

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٧/١ .

(٢) كما سيأتى بيان ذلك بعد قليل من خلال حديثنا عن فقه هذه الرحلة وطابعها العلمى .

(٣) قد تتبعنا هذه الأقطار فى مواضعها المتفرقة على مدار خمسين صفحة من كتاب الشنقيطى المسمى

(رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) والبالغ مائتين وأربعاً وثمانين صفحة .



يزيل اللبس ويرفع الخلط بينها وبين غيرها بما يشابهها من الأقطار الأفريقية الأخرى<sup>(١)</sup> .

### المطلب الخامس

#### طابع هذه الرحلة العلمية والأدبي

تضمنت هذه الرحلة مباحث عديدة ومسائل جلية في مختلف العلوم الشرعية واللغوية التي أجاب بها الشنقيطي إثر ما كان يُوجَّهُ إليه من أسئلة أو يُجرى معه من محاورات على امتداد رحلته هذه من بدايتها وحتى نهايتها .

الأمر الذي ميَّزَ هذه الرحلة عن غيرها من الرحلات الأخرى بذلك الطابع العلمي والأدبي الذي تجلَّى من خلاله فقه الشنقيطي ، والذي سنعرض له من خلال حديثنا عن كتابه المسمى ( رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ) ضمن آثاره العلمية ومؤلفاته .

---

(١) ومن ذلك اللبس ما قد يحدث بين كلمتي (نيجر) و (نيجيريا) بل وأشهر من ذلك ما يُفرَّقُ به الجغرافيون بين ثلاث حالات تتعلق بدولة غينيا حيث يقولون : (غينيا) ثم (غينيا بيساو أو البرتغالية) وأخيراً (غينيا الاستوائية) - وانظر في ذلك خارطة (أفريقيا السياسية) في كل من :

• أطلس العالم الإسلامي : دة . دولت أحمد صادق وآخرون ص ١١٧ .

• الأطلس العربي : المساحة العسكرية بالقاهرة ص ٤٧ .

• الأطلس المدرسي : د. محمد صبحي عبد الحكيم وآخرون ص ٤١ .

ومن ذلك أيضاً تفریق الشنقيطي على عادة المصادر الأفريقية بين (السودان المصري) الذي يعنى (السودان الشرقي) أو (جمهورية السودان الديمقراطية) المتاخمة لجنوب مصر بشرق أفريقيا ، وبين (السودان الغربي) الذي تسكنه الشعوب السوداء من الزنوج وغيرهم في دول غرب أفريقيا .



## المبحث الثاني

# رحلة الدعوة

ويتنظم المطالب الخمسة التالية :

- ١ - المطالب الأول : السبب الباعث على هذه الرحلة .
- ٢ - المطالب الثاني : زمن هذه الرحلة ومدتها .
- ٣ - المطالب الثالث : وسائل الانتقال في هذه الرحلة .
- ٤ - المطالب الرابع : الأقطار التي شملتها هذه الرحلة .
- ٥ - المطالب الخامس : طابع هذه الرحلة العلمي والأدبي .





تأتى هذه الرحلة فى إطار قيام الشنقيطى بواجبه المنوط به تجاه خدمة هذا الدين ، والذي يحتم عليه تبيانه لما أشكَلَ منه على أبنائه ، بل ودفاعه عما اتُّهمَ به من أعدائه ، وذلك من خلال تلك البراهين الساطعة ، والأدلة الناصعة ، التى يستدعيها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وهذا ما نحاول أن نعرض له من خلال المطالب الخمسة التالية :

### المطلب الأول

#### السبب الباعث على هذه الرحلة

أما السبب الباعث على هذه الرحلة فيأتى فى إطار سياسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التى ترمى إلى نشر الدعوة وتدعيمها بين شعوب الدول الإسلامية عامة ، والأفريقية منها خاصة ، وهذا هدفها الخاص الذى يبلوره (شعارها الرسمى) المتمثل فى قول الله تعالى : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الآية<sup>(١)</sup> حيث تبنى من خلال هذا المنهج أجيال متلاحقة من طلاب العلم الذين يضطلعون بنشر الدعوة فى بلادهم عند عودتهم إليها إثر انتهاء دراستهم وتمام إعدادهم .

وأما الهدف العام لهذه الجامعة فيتمثل فى تدعيمها هؤلاء الدعاة ومساندتها لهم فى إطار سياسة الجامعة التى تقوم على إيفاد بعثات سنوية دائمة من كبار علمائها لمتابعة هؤلاء الدعاة وحل المشكلات التى تعترض الدعوة فى بلادهم ؛ وذلك انطلاقاً من قول الله تعالى : ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> .

وعليه ؛ فقد كان الشنقيطى على رأس بعثة الجامعة الموفدة إلى قارة أفريقيا للاضطلاع بهذه المهمة الجليلة ، وإلى هذه البعثة يشير تلميذه الشيخ عطية قائلًا : إذا كانت الجامعة الإسلامية قد فتحت للبلاد<sup>(٣)</sup> نوافذ تطل منها على العالم الإسلامى كله ، وجعلت من حق أولئك الأبناء ما يجب لهم من رعايتهم ، ومن حق تلك الأقطار ما يلزم لها من تقوية أواصر الروابط معها ؛ لذا فقد كانت فكرة إرسال بعثات إلى الأقطار الإسلامية عامة والأفريقية منها خاصة ، على رأس أولويات الجامعة التى تهدف إليها سياستها الثابتة ، وترمى إليها خطتها الدائمة<sup>(٤)</sup> .

(٢) آل عمران : ١٠٤ .

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٣) ويقصد بها المملكة العربية السعودية .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٨/١ ( من المقدمة بتصرف ) .



## المطلب الثاني

### زمن هذه الرحلة ومدتها<sup>(١)</sup>

خرج الشنقيطى من المدينة المنورة فى بداية العطلة السنوية للجامعة الإسلامية من عام خمسة وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة ( ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م ) على رأس بعثة الجامعة آنذاك إلى قارة أفريقيا ، وقد استغرقت هذه الرحلة أكثر من شهرين عاد بعدها الشنقيطى ومرافقوه إلى المدينة المنورة مرة ثانية فى نفس العام .

## المطلب الثالث

### وسائل الانتقال فى هذه الرحلة

كانت هذه الرحلة جوية فى أغلب مراحلها إلا فى بعض المراحل البرية التى كان ينتقل فيها الشنقيطى ومرافقوه بالسيارة داخل الأقطار التى شملتها هذه الرحلة بصحبة ولادة الأمر وكبار المسئولين فيها .

ويشهد لهذا ما أصرَّ عليه أحدُ الحكام الأفارقة فى هذه الأقطار من مرافقة الشنقيطى وعدم مفارقتة فى حله وترحاله إلى درجة أنه كان يحمله فى سيارته الخاصة التى يقودها بنفسه إلى الأماكن المُعدَّة للزيارة ، بل ظل هذا الحاكم على هذه الحال حتى غادر الشنقيطى حدود بلاده ؛ وذلك حتى يُخفى عنه حقيقة الحكم الجائر الذى كان يمارسه فى بلاده ، وفى هذا ما فيه من هيبه الشنقيطى لدى هؤلاء الحكام ، فضلاً عن اهتمامهم به ، وتقديرهم له .

## المطلب الرابع

### الأقطار التى شملتها هذه الرحلة

بلغ عدد هذه الأقطار تسعة أقطار أفريقية بدأت بجمهورية السودان الديمقراطية ، والنيجر ، ونيجيريا ، وداهومى<sup>(٢)</sup> ومالى ، وساحل العاج<sup>(٣)</sup> وغينيا<sup>(٤)</sup> والسنغال ، ثم

(١) راجع فى ذلك ( ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى ) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٧٤ .

(٢) وهى ما تعرف الآن بدولة (بنين) بالغرب الأفريقى كما هو مبين بـ ( أطلس العالم الإسلامى ) : دة . دولت أحمد صادق وآخرون ص ١١٦ .

(٣) وهى ما تعرف الآن بدلة ( كوت دى فوار ) بالغرب الأفريقى كما هو مبين بـ ( الأطلس العربى ) : المساحة العسكرية بالقاهرة ص ٤٧ .

(٤) وهى غير ( غينيا بيساو أو البرتغالية ) وكذا ( غينيا الاستوائية ) كما سبق تفصيل ذلك ص من هذا البحث .



انتهت بجمهورية موريتانيا الإسلامية حيث مسقط رأس الشنقيطي ، وذلك باستثناء مهاجره بالمملكة العربية السعودية التي بدأ منها الشنقيطي رحلته ، وكذا جمهورية السودان الديمقراطية التي مر بها ثانية حسبما كان يتطلبه طريق عودته آنذاك إلى المملكة .

إلا أن الشيخ عطية تلميذ الشنقيطي قد ذكر أن هذه الرحلة قد شملت عشرة أقطار بدأت بالسودان وانتهت بموريتانيا الموطن الأول لشيخه ، وقد وافقه في ذلك الشيخ محمد المجذوب<sup>(١)</sup> .

ولما اكتفيا بالإشارة إلى عدد هذه الأقطار دون تسميتها<sup>(٢)</sup> فقد دفعني هذا إلى استيضاح الأمر من الشيخ عطية الذي أجابني بما نصه : وأما عن تسمية هذه الدول العشر التي مرَّ بها فضيلته رحمة الله تعالى علينا وعليه في رحلة أفريقيا ، فالواقع أنها بدأت بالسودان ، ثم نيجيريا ، والنيجر ، ومالي ، والسينجال<sup>(٣)</sup> وموريتانيا ، ثم داهومي ، وساحل العاج ، وغينيا ، ثم العودة إلى السودان ، فالمملكة مرة أخرى<sup>(٤)</sup> .

• غير أنه يلاحظ على هذه الإجابة أمران :

١ - أن عدد هذه الأقطار تسعة أقطار كما قررنا من قبل ، وليست عشرة كما ذكر الشيخ عطية ؛ إلا أن يكون قد عدَّ المملكة ضمن هذه الأقطار ، أو عدَّ السودان مرتين ذهاباً وإياباً .

وكلا الأمرين لا يتفق مع ما ذكره من قبل أن هذه الرحلة قد بدأت بالسودان وانتهت بموريتانيا ؛ مما يفهم منه أن المملكة ليست داخله عنده في حساب هذه الأقطار ، كما أنه عدَّ السودان مرة واحدة لا مرتين ؛ وبهذا يتأكد ما ذهبنا إليه من أن هذه الرحلة قد شملت تسعة أقطار لا عشرة .

(١) راجع في ذلك كلاً من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ٤٨/١ ( من المقدمة ) .

• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٨٤ .

(٢) بل ولم ترد تسمية هذه الأقطار عند غيرهما كذلك .

(٣) وتكتب أيضاً (السنغال) و (السينغال) و (السينكال) و (السانكال) كما تعرف كذلك بـ (بلاد إندر) -

راجع في ذلك كلاً من :

• الوسيط في تراجم أدياء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطي ص ٣٦٦ - ص ٤٢٢ .

• ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية : يحيى بن البراء ص ٥ .

(٤) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .



٢ - أن ترتيب الأقطار الذي ذكره الشيخ عطية يقتضى توسط موريتانيا بينها ، وهذا ما يخالف قوله بوقوع موريتانيا فى نهاية هذه الرحلة لا منتصفها .

كما أن الترتيب الذى ذكره لا يتفق مع الترتيب الجغرافى لمواقع هذه الأقطار وتجاور بعضها من بعض كما بينا ذلك من واقع الخارطة السياسية لقارة أفريقيا ؛ بل إن الترتيب الذى ذكرناه يقتضى البدء بالسودان والانتهاؤ بموريتانيا ، وهذا ما يتفق مع قول الشيخ عطية من أن هذه الرحلة قد بدأت بالسودان وانتهت بموريتانيا .

### المطلب الخامس

#### طابع هذه الرحلة العلمى والأدبى

أشار الشيخ عطية إلى ذلك على وجه الإجمال ، حيث نوه بما حوته رحلة شيخه هذه من مباحث علمية عديدة ، وقضايا أدبية مفيدة .

وهذا ما يحدثنا عنه قائلاً : كان لهذه البعثة فى تلك البلاد أعظم الأثر ، وأذكر فى مجلس من أفاضل البلاد بموريتانيا فى حفل تكريم للبعثة وكّل إلى رحمه الله كلمة الجواب<sup>(١)</sup> فكان منها : (إن الذكريات لتتحدث ، وإنها لساعة عجيبة أدارت عجلة الزمان ؛ حيث نشأ الشيخ فى بلادكم ثم هاجر إلى الحجاز ، ثم ها هو يعود إليكم على رأس وفد ورتاسة بعثة ، فبعد أن نبتت غرسة علمه هنا عندكم ، ذهب إلى الحجاز فنمت وترعرعت ، وامتدت أغصانها حتى شملت بوارف ظلها بلاد الإسلام شرقاً وغرباً ؛ وها نحن فى موطنه نجنى ثمار غرسها ، ونستظل بوارف ظلها ) حقاً ؛ لقد كانت هذه الرحلة حلقة اتصال ، وتجديد عهد ، وإحياء لمعالم الإسلام<sup>(٢)</sup> .

كما أشار الشيخ محمد المجذوب إلى شىء من هذا بقوله : لقد حفلت هذه البعثة بالكثير من نشاط الشيخ رحمه الله ، حيث كان موضع الحفاوة البالغة من حكام تلك الأقطار وعلمائها ، ولم يدعُ بلدًا من تلك الدول إلا بذل فيها من علمه ما أخذ بالألباب<sup>(٣)</sup> .

ويشهد لهذا رد الفعل الذى أحدثته إجابات الشنقيطى المفصلة ، وروده المستفيضة ،

(١) ويقصد بكلمة الجواب : أى كلمة الرد على ترحيب أفاضل موريتانيا وعلمائها ، بل وشكرهم على

حفاوتهم البالغة بشيخه الشنقيطى ومرافقيه .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٩/١ ( من المقدمة بتصرف ) .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٤/١ (بتصرف) .





على جملة المسائل العلمية التي وجهت إليه ، وخاصة ما كان منها في مسقط رأسه بقرية (قرو) ببلاده موريتانيا ؛ حيث علقَ قاضي القرية على ذلك بقوله : لم يبقَ لأحد هنا كلام فقد ظهر الحق ، ولا سؤال فقد زال اللبس ، وإن الحضور بين أحد رجلين : عالم فقد عرف الحق فلم يبقَ له سؤال ، وجاهلٍ فلا يحق له أن يسأل<sup>(١)</sup> .

ولأهمية هذه الإجابات ، وفائدة تلك المحاضرات ؛ فقد أكد الشيخ عطية احتفاظه بها وعزمه على إخراجها ، حيث أشار إلى ذلك بقوله : وكان له رحمه الله العديد من المحاضرات والمحادثات التي سُجِّلت كلها في أشرطة لا تزال محفوظة عندي ، وإنى لأمل أن أوفق لنقلها وطبعها إتماماً للفائدة إن شاء الله تعالى<sup>(٢)</sup> .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤١/١ ( من المقدمة ) .

وجدير بالإيضاح أن المقصود بقول قاضي قرية قرو : (وجاهلٍ فلا يحاق له أن يسأل) أي لن يحتاج الجاهل للسؤال ؛ لأنه تم له ما أراده من المعرفة بدون سؤال ؛ وإلا فالأصل أن من حق الجاهل أن يسأل أهل العلم عما يجهله ؛ امثالاً لأمر الله تعالى : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل : ٤٣ - الأنبياء : ٧ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٩/١ ( من المقدمة ) .

ونحن بدورنا نأمل أن يوفقَ الشيخ عطية لذلك ، حيث لم ترَ هذه الآثار النور حتى الآن ، وعساه أن يكون قريباً .



## المبحث الثالث

### رحلة العلاج

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

- ١ - المطلب الأول : السبب الباعث على هذه الرحلة .
- ٢ - المطلب الثاني : زمن هذه الرحلة ومدتها .
- ٣ - المطلب الثالث : وسائل الانتقال في هذه الرحلة .
- ٤ - المطلب الرابع : الأقطار التي شملتها هذه الرحلة .
- ٥ - المطلب الخامس : موقفه من هذه الرحلة ورأيه فيها .



تختلف هذه الرحلة عن سابقتها من حيث الشكل والمضمون ، فضلاً عن موقف الشنقيطي منها ورأيه فيها ، وهذا ما نحاول أن نعرض له من خلال المطالب الخمسة التالية :

### المطلب الأول

#### السبب الباعث على هذه الرحلة

لا يخفى أن هذا السبب ظاهر جليّ حيث تمثل في سفر الشنقيطي بقصد علاجه من جملة الأمراض التي كانت تعتريه ، بل وصار يعاني آلامها الشديدة في أخريات حياته ، غير أنه لم ترد أية إشارة عن طبيعة هذه الأمراض أو أسمائها ، اللهم إلا (حساسية الشنقيطي ضد البنسلين) كما سيأتي تفصيل ذلك من خلال حديثنا عن وفاته وراثته وحسن خاتمته .

### المطلب الثاني

#### زمن هذه الرحلة ومدتها

بدأت سلسلة أسفار الشنقيطي للعلاج في غضون عام ثمانية وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة بعد الحج ( ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م ) وذلك على وجه التقريب ، ثم تكررت تلك الرحلات العلاجية أكثر من مرة على فترات مختلفة .

وهذا ما يفهم من الإشارة الضمنية لتلميذه وابن عمه الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطي في قوله : وكان من من الله على أنى ذهبت إلى الحجاز سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وألف ، وبعد انتهائي من فريضة الحج بدأ لى أنى لابد أن أقرأ ( مراقى السعود ) ولما هممت بقراءته على الشيخ ، فإذا به مشغول جداً فى تأليف (أضواء البيان) والتدريس فى (الجامعة الإسلامية) والتدريس فى (الحرم النبوى) مع ما يعتريه من الأمراض التى أبلجته إلى السفر للعلاج أكثر من مرة<sup>(١)</sup> .

ومع أنه لم يرد أى تحديد لعدد هذه الرحلات أو مددها إلا أن الشنقيطي كان يُقدّم على ذلك كلما دعت الضرورة ، كما كان يرجع إلى المدينة المنورة على الفور عندما كانت تسمح حالته الصحية بذلك .

أما آخر أسفار هذا العلاج فقد كان قبيل الحج من عام ثلاثة وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م ) وفور رجوعه من سفره هذا قام بأداء مناسك الحج من العام نفسه ، ثم كان أن اخترمته المنية ووافاه الأجل بعد الحج بأيام قلائل .

(١) نثر الورود على مراقى السعود : الشنقيطي - تحقيق وإكمال لتلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطي ١١/١ .



### المطلب الثالث

#### وسائل الانتقال في هذه الرحلة

كانت رحلات الشنقيطي للعلاج جوية في جميع مراحلها إلا من بعض التنقلات البرية الداخلية التي كانت تقتضيها طبيعة العلاج تحت الإشراف الطبي الكامل ، وفي ظل الرعاية الصحية اللازمة .

### المطلب الرابع

#### الاقطار التي شملتها هذه الرحلة

شملت رحلة علاج الشنقيطي كلاً من مصر وأوروبا اللتين سافر إليهما أكثر من مرة لهذا الغرض ، وهذا ما أشار إليه تلميذه وابن عمه الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطي بقوله : لقد ألبأته الأمراض التي كانت تعتريه إلى الذهاب إلى مصر وأوروبا أكثر من مرة<sup>(١)</sup> .

أما رحلاته العلاجية إلى مصر فقد كان فيها نزيل حاضرتها حيث القاهرة بالتحديد ، وقد صحبه في بعضها تلميذه وابن قبيلته الدكتور بابا بن بابا بن آده الجكنى الشنقيطي<sup>(٢)</sup> .

في حين كانت رحلاته العلاجية إلى أوروبا تنحصر في بريطانيا التي كان فيها نزيل حاضرتها حيث لندن بالتحديد ، غير أنه لم يرد أي ذكر بشأن مرافقيه آنذاك<sup>(٣)</sup> .

### المطلب الخامس

#### موقفه من هذه الرحلة ورأيه فيها

ليس من شك في أن الذي حمل الشنقيطي بصفة عامة على السفر للعلاج بكل من القاهرة ولندن هو تلك الضرورة الملحة التي ألبأته إلى ذلك رغماً عنه .

---

(١) نثر الورود على مراقي السعود : الشنقيطي - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنى الشنقيطي ١١/١ .

(٢) راجع في ذلك ( ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢٠٠ .

(٣) راجع في ذلك ( ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢٠٢ .





فإذا جئنا إلى موقفه من سفره إلى لندن ورأيه في ذلك بصفة خاصة ؛ فإننا نجد حالة من عدم الرضا عن سفره إلى تلك البلاد لكونها ليست من ديار الإسلام؛ بل قد دفعه ورعه إلى جعل هذا السفر بمنزلة الإثم الذي يلزمه التكفير عنه ، لا بطاعة عادية ، وإنما بحج أكبر ، وهذا ما يحدثنا به تلميذه وابن قبيلته أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطي قائلاً ما نصه : راجعت الشيخ رحمه الله في ترك الحج في السنة التي توفى فيها نظراً لسوء صحته ؛ فقال : دَعُ عَنْكَ المحاولة ! فإن سفرى إلى لندن أريد الشفاء بها ؛ لا بد أن أكفر عنه بحج<sup>(١)</sup> .

لكن الأمر يختلف تماماً بالنسبة لقناعته الكاملة ورضاه التام عن سفره إلى القاهرة بلد الأزهر الشريف الجامع والجامعة ، كعبة العلم والعلماء العاملين ، وحاضرة ديار الإسلام والمسلمين .

\* \* \*

### ملاحظات حول رحلات الشنقيطي :

تشابه رحلات الشنقيطي في بعض الخصائص وتختلف في بعضها الآخر ، وهذا ما نحاول رصده من خلال جملة الملاحظات التالية :

#### ١ - الطابع العلمى :

بالرغم من إقدام كثير من الأدباء على تسجيل وقائع رحلاتهم من خلال ذلك الأسلوب الأدبى الذى يتوزع بين القصص تارة والخيال تارة أخرى ، والذى يعمدون من ورائه إلى الحديث عن أحوال البلاد والعباد من حيث وصف عاداتها وتقاليدها ، ورصد طرائفها وغرائبها .

وبالرغم من إحجام كثير من العلماء عن تسجيل وقائع رحلاتهم إلا من الشئ اليسير الذى لا يكاد يُبينُ ، ومن خلال ذلك الأسلوب العلمى الذى يعبرون به عن بعض الذكريات التى تحملها خواطرهم ، والتى قد يعدو جلُّها طيُّ النسيان؛ مما يجعل من الصعوبة على الباحثين بمكان أن يتناولوها بالبحث والتحليل ، ويجلُّوا ما بها من مسائل عديدة ، وقضايا مفيدة .

إلا أنه باستثناء رحلة العلاج ؛ فقد جمعت رحلات الشنقيطي للحج والدعوة بين العلم

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس



والأدب ، وذلك من خلال الأسلوب العلمي المتأدب الذي يسوق المسألة العلمية في حلة أدبية ، كما يعرض للقضية الأدبية معتمدة على حقيقة علمية ؛ وهذا ما جعل رحلات الشنقيطي بما حوته من علم وأدب مغايرة لما عداها من الرحلات الأخرى التي تنضوي تحت أحدهما دون الآخر فتكون علمية تارة ، وأدبية تارة أخرى .

ومن ثم يحدد لنا الشيخ عطية موقع رحلات شيخه من ذلك قائلاً : يغلب على أساليب الرحلات وموضوعاتها أن يكون مبناهما عرضاً خطاً السير من منطلق صاحبها إلى متناه ، وتسجيل معالم الطريق وأحداث المسير ، وما جرى لصاحبها من أحداث تسر أو تمزن ، وتضحك أو تبكي ، وقلما تشتمل على مجالس أدبية أو مباحث علمية .

وبين أيدينا من أشهر الرحلات رحلة ( ابن بطوطة ) ورحلة ( ابن جبير ) وكلاهما رحل من المغرب إلى الحجاز وعاد إلى بلده فلم أجد فيهما من المجالات العلمية أكثر من عرض لمشاعر الحج .

ولم أقف على رحلة عُنيتُ بمسائل علمية ، أو مجالس العلماء ، ومباحث دقيقة وجليلة ، اللهم إلا رحلة (النايلسي) إلى المدينة ؛ فقد بسط فيها مباحث فقهية ، وأحاديث نبوية ، وإن كانت لم تتعرض لشيء من المعقول كالمنطق والأصول ، كما كانت مباحثها كلها في المدينة المنورة ، وكذا رحلة (أبي علي القالي) .

ولأن أدب الرحلات فن متميز ؛ لذا فإنه يتطلب قدرة على التعبير ، ودقة في التصوير ، حيث يصف المواقع والمواقف وما يمر له مما يستحق التسجيل بوضوح العبارة ؛ حتى يجعله كالمحسوس المدرك بالإشارة ، مع حسن الاختيار وذوق فيما يختار ، ويبرز ما شاهد من مرئيات بأدق وأصدق العبارات ؛ مما يتطلب ذوقاً حساساً ، وحساً ذواقاً ، ولا يقوى على ذلك إلا عالم أريب ، أو مثقف أديب .

وقد اجتمع كل ذلك لصاحب هذه الرحلة رحمه الله تعالى ؛ فجاءت سلسة الأسلوب ، شيقة الحديث ، عذبة الألفاظ ، كما جمعت من الطُرفِ أطيبها ، ومن الحقائق العلمية أدقها ، ومن المؤانسات الشعرية أعذبها ، بل ربما اشتملت على ليالٍ نابغية<sup>(١)</sup> وساعاتٍ

(١) ويقصد بها ليالي النابغة الذبياني في محنته المشهورة التي قاسى ويلاتها ، وتجرع آلامها ؛ من جراء غضب النعمان بن المنذر أمير الحيرة عليه ؛ حيث لم يكن أمام النابغة آنذاك من سبيل لإبداء الندم ، وطلب الصفح ؛ سوى أن ينشئ قصيدته المعروفة التي يسترضى بها النعمان ، والتي يقول فيها :

أَتَانِي - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنْكَ لَمْتَنِي      وتلك التي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأُقَشِّبُ =



ذهبية ، شأن كل رحالة عظيم الشأن ، يلقي المخاطر ، ويجازف ويغامر ، ويقابل كل ظرف وحال ، بما يناسبه من صبر وتحمل ، واستئناس وتجميل .

فهي بحق كحديقة غناء بها غروس مورقة ، وزهور ناعمة ، وثمار يانعة ، وقد تجدد فيها أشواكاً بارزة ، وأحجاراً صلدة ، وجداول باسمة ، ورمالاً جائمة ؛ فتكتمل الصورة الطبيعية التي تمتع النظر ، وتثير الفكر ، وتورث العبر ، ويجد كل ذي طبع ما يلائمه ، وكل ذي رغبة ما يوافقه ، وهي بحق ممتعة كل قارئ ، مهما اختلفت العادات ، أو تنوعت الاتجاهات ، أو تعددت الاختصاصات من : (تفسير وأصول وفقه وعقائد ونحو وأدب ومنطق وتاريخ وبيئة وطبيعة) مما يراه القارئ بنفسه ، ويدركه بحسه<sup>(١)</sup> .

## ٢ - تباعد الأزمنة واختلاف المآد:

اختلفت رحلات الشنقيطي الثلاث فيما بينها من حيث تاريخ كل منها والفترة التي استغرقتها ، أما رحلته الأولى للحج فقد بدأت في (٨ - ٦ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (١٧ - ٤ - ١٩٤٨ م) من بلاده شنقيط في طريقه إلى بلاد الحجاز التي وصلها بعد قرابة مائة وستين يوماً هجرياً أو ما يعادل مائة وأربعة وخمسين يوماً ميلادياً في (١٧ - ١١ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (٢٠ - ٩ - ١٩٤٨ م) .

وبعد ثمانية عشر عاماً هجرياً كاملاً جاءت رحلته الثانية للدعوة بقارة أفريقيا على رأس بعثة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والتي بدأت مع العطلة السنوية للجامعة عام (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م) واستغرقت أكثر من شهرين بقليل .

ولم تمر إلا ثلاثة أعوام على وجه التقريب حتى بدأ رحلته الثالثة والأخيرة للعلاج في غضون عام (١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م) والذي اضطره للسفر إلى القاهرة ولندن أكثر من مرة

=  
فَبِتُّ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ فَرَشْتَنِي      هِرَاسًا بِهِ يُعَلَى فِرَاشِي وَيُقَشَّبُ  
حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً      وَلَيْسَ وِرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ

• انظر تلك الأبيات بترتيبها المذكور في (ديوان النابغة الذبياني) = ص ٧٢ - تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٥٢) - دار المعارف - القاهرة - (د. ت) .

وقد شبه الشيخ عطية بعض ليالي رحلة شيخه الشنقيطي إلى الحج بليالي النابغة الذبياني لجامع النَّصَبِ والتعب ، مع اختلاف الهدف والسبب .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٥ (من المقدمة) .



على مدار خمس سنوات حتى قبيل الحج الذي توفي بعد أن أدى مناسكه بأيام قلائل من عام ( ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م ) .

### ٣ - موقع موريتانيا من رحلاته :

ونقصد به موقع بلاد الشنقيطي الذي احتلته ، وحيزها الذي شغلته من رحلاته ، ونصيبتها من نشاطه فيها ، فهي وإن جاءت في مقدمة رحلته الأولى بحكم خروجه منها إلى بلاد الحجاز للحج ؛ إلا أنه حرص كل الحرص على أن يعود إليها ثانية بعد ثمانية عشر عاماً ليختم بها رحلته للدعوة في أفريقيا على رأس بعثة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

وفي هذا ما فيه من الأصالة والوفاء لموطنه الأول عامة ، ولسقط رأسه بقرية (قرو) خاصة ؛ والتي كان لزيارته لها ، واجتماعه بأهلها ، عوامهم وخواصهم ، علمائهم وفضلائهم ، أكبر الأثر وأعظمه في جلاء عقولهم ، وشفاء قلوبهم ؛ إلى الحد الذي لخصه قاضيهم بلسانه ، وترجمه بإحساسه ، من خلال تعقيبه على محاضرة الشنقيطي ، ورد فعله إزاءها .

### ٤ - تسعة أقطار لا عشرة :

على الرغم من أن كل الذين أشاروا إلى رحلة الشنقيطي للدعوة قد وافقوا تلميذه الشيخ عطية في أنها شملت عشرة أقطار دون تسميتها<sup>(١)</sup> إلا أننا نعود فنؤكد أنها تسعة أقطار لا عشرة ، وهذا ما عرضنا لبيانه بالتفصيل قبل قليل .

أما اشتراك بعض هذه الأقطار في زيارة الشنقيطي لها في رحلته للدعوة بأفريقيا كما مرَّ عليها في رحلته للحج من قبل فتتخصر في ستة منها هي : (جمهورية السودان الديمقراطية ، والنيجر ، ونيجيريا ، ومالي ، والسنغال ، ثم بلاده موريتانيا) أما الثلاثة الأخرى وهي : داهومي (أو بنين) وساحل العاج (أو كوت دى فوار) وغينيا ، فقد شملتها رحلته الثانية دون الأولى .

(١) وعن وافقوا الشيخ عطية في ذلك نذكر كلاً من :

- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس في كتابه (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي) : ص ٧٤ .
- الطيب بن عمر بن الحسين في كتابه (السلفية وأعلامها في موريتانيا) : ص ٣٧١ .
- الدكتور عبد الله الطيار مع الدكتور عبد العزيز الحجيلان في كتابهما (منسك الإمام الشنقيطي) : ٢٤/١ .





## ٥ - المرافقون :

لم يشر الشنقيطي إلى مرافقيه إلا في رحلته للحج حيث عبّر عن ذلك بضمير (نا) لجماعة الفاعلين كقوله : (خرجنا وارتحلنا وبتنا وركبنا ونزلنا) دون تسمية أيّ منهم<sup>(١)</sup> .

أما رحلته للدعوة بأفريقيا فقد رافقه فيها كل من تلامذته : الشيخ عطية محمد سالم ، والشيخ محمد أمان من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والشيخ سيد الأمين المامى الجكنى الشنقيطي من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة<sup>(٢)</sup> .

ثم كان مرافقه في رحلة علاجه بالقاهرة تلميذه وابن قبيلته الدكتور بابا بن بابا بن آده الجكنى الشنقيطي<sup>(٣)</sup> غير أننا لا ندرى كم مرة رافق فيها شيخه ، كما لا ندرى خبراً عن علاج الشنقيطي في لندن ومرافقيه فيها .

## ٦ - عدد الحجّات :

يتبين لنا من خلال سيرة الشنقيطي مواظبته على أداء مناسك الحج كل عام بما جملته ست وعشرون حجة على مدار ستة وعشرين عاماً هجرياً قضاها بأرض الحجاز منذ وصوله إليها قادماً من بلاده لأداء حجة الإسلام الأولى عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وإلى أن توفي بها عقب أدائه مناسك حجه الأخير عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

ويقوم على هذه المواظبة شاهدان :

أولهما : تكليف الشنقيطي بالمشاركة في أعمال (مؤتمر الحج السنوي العالمي) الذي يجتمع من خلاله مع كبار علماء الأمة للبحث في شئون المسلمين ، والنظر فيما يستجد على مجتمعاتهم من مسائل ملحة وقضايا مهمة ؛ الأمر الذي يستلزم اتفاقهم على كلمة سواء بشأن إنتاج الحلول المناسبة التي تعود في النهاية على جموع المسلمين بالخير الوفير ، والنفع العميم .

وثانيهما : إصرار الشنقيطي على أداء مناسك حجه الأخير عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م)

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٤٠ - ص ٢٥٤ - ص ٢٥٥ .

(٢) راجع في ذلك كلاً من :

• ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن السديس بن عبد العزيز ص ٧٤ .

• السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٧١ هـ ١ .

(٣) انظر ( ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢٢٠ .



على الرغم من معاناته الآلام المبرحة الناجمة عن جملة الأمراض التي كانت تعتريه ، والتي كان قد رجع لتوّه من (لندن) في رحلة علاجه الأخيرة منها ؛ حتى إنه رفض مراجعة تلميذه أحمد بن أحمد الشنقيطي التي يرجوه فيها أن يترك الحج من عامه هذا لشدة مرضه وألمه ، إلا أنه أنفذ حجه الذي كان يريد .

#### ٧ - التدوين :

حظيت رحلة الشنقيطي للحج بتدوينه لها حيث ضمّنها كتابه (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) والذي ستناوله من خلال عرضنا لآثاره العلمية ومؤلفاته .

أما رحلة الدعوة إلى القارة الأفريقية فلا تزال مسجلة على أشرطة حتى الآن طرفاً تلميذه الأول ومرافقه فيها الشيخ عطية محمد سالم الذي كان قد أشار قبل موته إلى أمله في أن يُوقَّق لإخراجها لتتم بها الفائدة ويعمّ بها النفع<sup>(١)</sup> .

وأما رحلة العلاج فلم يرد أي تفصيل بشأنها اللهم إلا على سبيل الإشارة فحسب .

وليس من شك في أنه يحدّوثنا ذات الأمل الذي كان يراود الشيخ عطية في تدوين وإخراج الرحلتين الأخريين للدعوة والعلاج ؛ حتى تكتمل سلسلة رحلات شيخه التي بدأها برحلة الحج ، ولن يعدم طلاب العلم لذلك من فائدة ، ولن يُحرّموا به من نفع ؛ فعساه أن يكون قريباً .

\* \* \*

**وفي الجملة :** فإن الناظر في رحلات الشنقيطي يتبين له أنه مُقلٌّ منها إذا ما قيس بغيره من العلماء والأدباء ، فضلاً عن غيرهم من الرّحّالين والجوّالين ، مما تمثل لهم كثرة الأسفار همّهم الأول ، وقد يكون الأخير .

فحياة مديدة ، وسنون عديدة ، تستغرقها رحلتان فقط ؛ لحرىُّ بصاحبها أن يُعدَّ من جملة المقلّين ، وذلك باستثناء رحلة العلاج التي اضطر إليها الشنقيطي اضطراراً ، على خلاف رحلتيه الأخريين للحج والدعوة اختياراً .

(١) وجدير بالذكر أن تلميذ الشنقيطي ومرافقه الثاني في تلك الرحلة الشيخ سيد الأمين المامي الشنقيطي قد أشار إلى بعض وقائعها وآثارها من خلال انطباعاته الذاتية في كتابه المسمى (لمحات فيصلية من أعمال الدعوة الإسلامية في القارة الأفريقية) : ص ٥٣ - الطبعة ٢ - مكة المكرمة - ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .



غير أن ذلك راجع فيما نرى إلى كثرة رحلاته الداخلية ببلاد الحجاز بصفة عامة ، وكل من الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة بصفة خاصة ؛ الأمر الذي لم يترك له نشاطه فيها فرصة لكثرة رحلاته وأسفاره بعيداً عنها ؛ خاصة أن حاجة الحجاز إليه في الداخل أكثر من حاجة غير الحجاز إليه في الخارج .

كما أن في الحج بصفة خاصة ، وفي الجامعة الإسلامية والحرم النبوي بصفة عامة ، كانت تتوافد إليه جموع المسلمين من حجاج ومعتمرين ، وباحثين ودارسين ؛ على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، من كل حدب وصوب ، وكل فج عميق ؛ ليستمعوا لدرسه ، ويفيدوا من علمه ، وفي هذا ما فيه للشنقيطي من العوض عن أسفاره ، والغنية عن رحلاته .



## الفصل السادس

### مؤلفاته

## الموجودة والمفقودة والمنسوبة

وينتظم المباحث السبعة التالية :

- ١ - المبحث الأول : مؤلفاته المخطوطة .
- ٢ - المبحث الثاني : مؤلفاته المطبوعة .
- ٣ - المبحث الثالث : مؤلفاته المسجلة .
- ٤ - المبحث الرابع : مؤلفاته الشعرية .
- ٥ - المبحث الخامس : مؤلفاته المفقودة .
- ٦ - المبحث السادس : مؤلفاته المنسوبة .
- ٧ - المبحث السابع : حصر مؤلفاته وتصنيفها .





تظل مؤلفات العلماء أدلّ آثارهم العلميّة التي تُعرّفُ بهم ، وترجم عنهم ، معبرة عن أفكارهم ، وشاهدة على آرائهم ، من لدن تدوينهم لها ، وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، وتلكم أهميتها لهم ، وخطورة موقعها منهم ؛ وما أصدق الشاعر حين قال :

وما من كاتبٍ إلا سبّقى كتابته وإنّ فنيته يدها  
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه<sup>(١)</sup>

وبالنسبة للأمة ؛ فإن مؤلفات علمائها تعد ذاكرتها المقروءة ، وسجلها الحافل ، الذي يحفظ تراثها ، ويخلد مآثرها ، ويضع مدوناتها بين أيدي أبنائها من الأجيال المتلاحقة على مرّ العصور وتعاقب الدهور ؛ فيعمدون إليها بالتصنيف والتعريف ، والبحث والتحليل ، ليُجَلُّوا ما بها من علم ، ويكشفوا عما بها من فائدة .

ولعل من أهم الشواهد وأقوى الأدلة على أهمية تدوين تلك المؤلفات في حفظ تراث الأمة ، وإبراز آثار السلف للخلف ؛ أن القرآن والسنة ذاتهما قد تم تدوينهما حتى يظلا بين ظهراني هذه الأمة إلى أن تقوم الساعة ، مع أن لهما ما لهما من فارق الشرف والخصوصية ، والتنزيه عن التمثيل والنديّة ، من حيث تكفل الله بهما وحفظه لهما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الآية (٢) وذكر الله قرآنه ، كما أن سنة نبيه ﷺ بعض وحيه كما في قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ الآيتان (٣) وكما جاء على لسان نبيه ﷺ : « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه » الحديث (٤) .

ولا يخفى هذا على أعداء الله ورسوله من الحاقدين على هذه الأمة ؛ حيث لا يعمدون في بدء اعتداءاتهم الغاشمة على الإسلام والمسلمين إلا إلى تراثها المدون في مؤلفات علمائها ، فإما سلبوها ونقلوها إلى ديارهم ، وإما حرقوها وأبادوها ، وما فعل التتر ببغداد عنا ببعيد !!

ومن هنا ؛ كانت مؤلفات علماء الأمة هي أبقى آثارها العلمية الدالة عليها ، بل وأهمها على الإطلاق ؛ بمالها من الانتشار والاستمرار في مختلف الأعصار والأمصار . وهذا ما يبلور أهمية وحتمية تناولنا لمؤلفات الشنقيطي بالإحصاء والاستقصاء ، فضلاً عن التصنيف والتعريف من خلال المباحث السبعة التالية :

(١) العقد الفريد : لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ٢/٢٠٨ - شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه : ( أحمد أمين - أحمد الزين - إبراهيم الإيباري ) - الطبعة ٢ - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م .

(٢) الحجر : ٩ . (٣) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) .

(٤) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .



المبحث الأول  
مؤلفاته المخطوطة

ويتنظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : مخطوطاته ببلاده شنقيط .
- ٢ - المطلب الثاني : مخطوطاته ببلاد الحجاز .



ومعظمها كان ببلاده شنقيط قل أن يستقر به المقام بأرض الحجاز ، وقد غلب عليها (النظم) الذى يسود متون مختلف العلوم التى يحفظها الشناقطة وَيَدْرُسُونَ شروحها ، وإلى هذا يشير الشيخ المجذوب بقوله : تمثل هذه المؤلفات عدداً من الأراجيز على غرار تلك المنظومات التى شَبَّ شيخنا الشنقيطى على حفظها ودراستها<sup>(١)</sup> .

كما أن هذه المخطوطات قد تنوعت فنونها ، وتعددت علومها ، على النحو الذى يشير إليه الشيخ عطية تلميذ الشنقيطى بقوله : لقد وجدت للشيخ رحمه الله مؤلفات مخطوطة فى الفقه المالكى والمنطق والفرائض وغيرها ، والكل فى محاولة لطبعه إن شاء الله<sup>(٢)</sup> .  
وباستقصاء هذه المخطوطات وحصرها تبين أنها تشمل سَبْعَ مخطوطات ، منها خمس ببلاده شنقيط ، واثنان ببلاد الحجاز كما يلى :

### المطلب الأول مخطوطاته ببلاده شنقيط

#### ١ - الفية المنطق :

وهو نظم فى فن المنطق يربو على ألف بيتٍ بدأه الشنقيطى بقوله :

حَمْدًا لِمَنْ أَظْهَرَ لِلْعُقُولِ      حَقَائِقَ الْمُنْقُولِ وَالْمَعْقُولِ  
وَكَشَفَ الرَّيْنَ<sup>(٣)</sup> عَنِ الْأَذْهَانِ      بَوَاضِحِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ  
وَفَتَّحَ الْأَبْوَابَ لِلْأَلْبَابِ      حَتَّى اسْتَبَانَ مَا وَرَاءَ الْبَابِ<sup>(٣)</sup>

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٧/١ (بتصرف يسير) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٩٧/٩ (الجزء الثانى من التمه) .

(٣) الرين والريون : الصدا الذى يعلو كل شىء ويغطيه ، ومنه قول الله تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ

قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ المطففين : ١٤ - فإذا اشتد الرين صار (طَبَعًا) ومنه قول الله تعالى :

﴿وَطَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهَمَّ لَا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة : ٨٧ - وإذا اشتد الطبع صار (إِقْفَالًا) ومنه قول الله

تعالى : ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ سورة محمد ﷺ : ٢٤ - انظر مادة (رين) فى كل من لسان

العرب : ١٧٩٦/٣ - مختار الصحاح : ص ٢٦٦ - المعجم الوسيط : ٤٠٠/١ .

وقد عبّر الشنقيطى بـ (الرين) هنا للدلالة على كل ما تعيا العقول عن فهم حقيقته ، وتعجز

الأذهان عن إدراك معناه ؛ لغلبته عليها ، واستحكامه بها .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٢/١ (من المقدمة) .



## ٢ - زيادة نظمه على (جز) (البحر) :

وهو نظم مشهور في علوم القرآن لمحمد بن بُوَجَّه المعروف عند الشناقطة بـ (البحر) حيث يتناول فيه كل ما يتعلق بضبط ورسم وتلاوة القرآن ، وذلك من خلال عرضه لكل كلمة متشابهة وردت في القرآن مرة أو أكثر إلى سبع وعشرين مرة ، حيث يفرد لكل منها فصلاً خاصاً بها .

ومن أمثلة ذلك كلمة (أشباع) التي وردت في القرآن مرتين ، فنراه ينظم موضعياً هذين بقوله :

أشباعُ بالعين « فهلُ مِنْ مُدَّكِرٍ »      فى سبأ « مِنْ قَبْلِ إِنْهُمْ » ذُكِرُ

وكان الشنقيطى قد حفظ هذا النظم ودرسه كاملاً فى طفولته ، ثم كانت له زيادة نظم على بعض أبياته كتلك التى زادها على هذا البيت لتوضيح معناه وبيان المراد منه بقوله :

فى سورة (القمر) خَاطِبُ وَأَنْصَبًا      وَجُرَّةٌ وَغَيْبَةٌ فِى (سَبَأ)

ويوضح الشنقيطى بقوله هذا مراد الناظم من أن كلمة (أشباع) قد وردت منصوبة لجماعة المخاطبين فى سورة القمر فى قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ الآية<sup>(١)</sup> فى حين وردت فى سورة سبأ مجرورةً لجماعة الغائبين فى قوله تعالى : ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> .

وهكذا كان نهج الشنقيطى إزاء كل ما كان يحفظه أو يدرسه ويرى أنه بحاجة إلى زيادة فائدة أو زيادة إيضاح كهذا النظم وغيره من النظوم الأخرى فى شتى العلوم ومختلف الفنون<sup>(٣)</sup> .

## ٣ - شرحه على (سَلَّمَ الأَخْضَرِي) :

وهو شرح مُفَصَّل على (سَلَّمَ الأَخْضَرِي) فى فن المنطق كان قد أملاه الشنقيطى على مَنْ طَلَبه منه أثناء إقامته بدولة (النيجر) فى طريق رحلته للحج ، وقد أشار إلى هذا بقوله : وفى مدة إقامتنا عند الحاج (الكيدى توره) جاءنا رجل من أهل العلم من قبيلة تسمى (الطلّابه) اسمه (محمد إبراهيم) وطلب منا أن نبين له معانى (سَلَّمَ الأَخْضَرِي) فى فن المنطق (بدرسٍ شافٍ فأجبتّه ، فكان يكتب ما أملى عليه من إيضاح معانيه ليلاً ونهاراً ؛

(٢) سبأ : ٥٤ .

(١) القمر : ٥١ .

(٣) راجع فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢٢/١ (من المقدمة) .





خوفًا من معاجلة السفر قبل الإتمام حتى أتى على آخره ؛ فجاء ذلك الإملاء شرحًا وافيًا ، وعن غيره كافيًا ، والحمد لله رب العالمين<sup>(١)</sup> .

#### ٤ - نظم في علم الفرائض :

وهو نظم طويل في علم المواريث بدأه الشنقيطي بقوله :

تَرَكَّةُ المِيتِ بَعْدَ الخَامِسِ      مِنْ خَمْسَةِ مَحْصُورَةٍ عَنْ سَادِسٍ  
وَحَصْرُهَا فِي الخَمْسَةِ اسْتِقْرَاءُ      وَابْتِذَانُ الخَصْرِ العَقْلِ بالعَرَاءِ  
أولَهَا الحَقُوقُ بالأَعْيَانِ      تَعَلَّقَتْ : كَالرَّهْنِ أَوْ كَالجَانِي  
وَكزَاةِ التَّمَرِ والجُوبِ      إِنْ مَاتَ بَعْدَ زَمَنِ الوُجُوبِ<sup>(٢)</sup>

#### ٥ - النظم الكبير في فروع مذهب مالك :

وهو رجز طويل يصل عدد أبياته إلى عدة آلاف ، ويختص بالعقود من بيع ورهن وغيرهما ، وقد بدأه الشنقيطي بقوله :

الحَمْدُ لله الذِي قَد نَدَبْنَا      لِأَنَّ نَمِيزَ البَيْعِ عَنِ لَبْسِ الرِّبَا  
وَمَنْ بِالْمُؤَلَّفِينَ كُتِبَا      تَرَكَ أَطْوَادَ الجَهَّالَةِ هَبَا  
تَكْشِفُ عَنْ عَيْنِ الفُؤَادِ الحُجُبَا      إِذَا حِجَابٌ دُونَ عِلْمٍ ضُرِبَا<sup>(٣)</sup>

وقد استشهد الشنقيطي ببعض من هذا الرجز في سياق إقامته الحجة على أن القول المعتبر المقبول إنما هو بينة المشتري لا البائع في كلِّ غائبٍ تمَّ بيعُهُ بالوصف ، لا بالنظر والمعينة ، ولا بالرؤية المتقدمة ، وفي ذلك يقول ما نصه : قال مقيد هذه الرحلة عفا الله عنه في ( نظم الكبير في فروع الإمام مالك ) رحمه الله :

وَالْبَيْعُ إِنْ بِالوصْفِ لَا بالنَّظَرِ      فَالقولُ فِي الصِّفَةِ قولُ المُشْتَرِي<sup>(٤)</sup>

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٩٤ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٢/١ ( من المقدمة ) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٢/١ ( من المقدمة ) .

(٤) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٧١ .



## المطلب الثاني مخطوطاته ببلاد الحجاز

### ١ - الإجابة الصادرة عن صحة الصلاة في الطائفة :

وهو العنوان الذي وضعه الدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطي لرسالة والده هذه والتي يُبين فيها حكم صلاة المسافر بالطائفة لِمَنْ طَلَبَ منه ذلك ، حيث يقول في مقدمتها ما نصه : أما بعد : فقد طلب مني بعض فضلاء إخواننا أن أقيد لهم حروفاً تظهر بها صحة صلاة مَنْ صَلَّى في الطائفة ؛ فأجبتهم إلى ذلك .

وقد بين الشنقيطي وجه استنباط صحة هذه الصلاة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ثم من كلام العلماء على طريقة المناظرة الشرعية الخالية من اللجاج والجدل ، ولا تزال هذه الرسالة في حوزة ابنه الدكتور عبد الله حتى الآن<sup>(١)</sup> .

### ٢ - هل الخلق مروزق من بركته ﷺ او ان للرزق اسبابا اخرى ؟ :

وقد صدر هذا السؤال من أحد أمراء شنقيط حيث أرسله إلى الشنقيطي يريد منه الجواب ؛ ومن ثم فقد أفاض الشنقيطي في الجواب مبيِّناً أن الحكمة التي خُلِقَ من أجلها العالم ورزق إنما هي : ( إلهية ربانية وليس نبوية ) وقد جاءت هذه الرسالة في إحدى عشرة صفحة ، ولا تزال أيضاً في حوزة الدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطي حتى الآن<sup>(٢)</sup> .

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٣٩ .  
(٢) راجع في ذلك ( ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٣٨ .



المبحث الثاني  
مؤلفاته المطبوعة

وينتظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : تفسير (أضواء البيان) خاصة .
- ٢ - المطلب الثاني : بقية مؤلفاته المطبوعة عامة .



وكلها كانت بعد أن استقر به المقام ببلاد الحجاز ، وبلغ عددها خمسة عشر مؤلفاً شملت كتبه ومحاضراته التي صدرت سواء في حياته أو بعد رحيله ، ويأتي في مقدمة هذه المؤلفات تفسيره : ( أضواء البيان ) وهو المعنى في هذا البحث ؛ ومن ثم فقد رأينا أن نبدأ بإفراد الحديث عنه ، ثم نتبعه بقية هذه المؤلفات ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

### المطلب الأول

#### تفسير ( أضواء البيان ) خاصة

وتمام اسمه : ( أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ) وهو أدل أعمال الشنقيطي الموسوعية ، بل يُعدُّ أضخمها وأكملها ، وأعمها وأشملها ، وفيما يلي نُعرِّفُ بهذا التفسير بشيءٍ من التفصيل الذي يناسب موقعه من هذا البحث ، وذلك من خلال تناولنا لكل من :

#### ١ - السبب الباعث على تأليف الأضواء :

جاء تفسير ( أضواء البيان ) إثر سؤال وجهه الشيخ عطية إلى شيخه الشنقيطي أثناء قراءته عليه تفسير سورة البقرة الذي أتمه على مدار عامين كاملين في حلقة الدرس الخاصة التي كانت تعقد يومياً ما بين المغرب والعشاء ببيت الشيخ في الرياض .

وفي هذا يحدثنا الشيخ عطية قائلاً : كانت تلك الدراسة على الشيخ رحمه الله هي رأس مالي في جُلِّ تحصيلي ، وعليها أساس دراستي الحقيقية سواء في المقررات أو غيرها ؛ لأن في سورة البقرة جميع أبواب الفقه ، وعلى مباحثها تنطبق جل قواعد الأصول ، ولا يبعد من يقول : إن ما بعدها من السور يُعتبر تفسيراً لها ، أو أن من أتقن تفسيرها سهَّلَ عليه تفسير ما بعدها ، وقد كانت دراستها سبباً في تأليف كتابي : ( دفع إيهام الاضطراب ) و ( أضواء البيان ) وكل منهما إثر سؤال وجواب<sup>(١)</sup> .

ومع أن الشيخ عطية قد ذكر نص سؤاله الذي أَلَّفَ شيخه على إثره كتابه الأول<sup>(٢)</sup> إلا أنه لم يذكر نص سؤاله الثاني الذي كان سبباً في تأليف شيخه للتفسير .

#### ٢ - طبعاات الأضواء :

ما لبث أن فرغ الشنقيطي من تأليف الجزء السابع من ( أضواء البيان ) حتى سارع كثير

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١٤/١ ( من المقدمة ) .

(٢) وسيأتي ذكر ذلك بعد قليل ضمن حديثنا عن بقية مؤلفات الشنقيطي المطبوعة .





من الأمراء والمحسنيين والهيئات الإسلامية في (المملكة العربية السعودية) إلى طبع هذا التفسير وتوزيعه مجاناً وفقاً لله تعالى على طلاب العلم .

هذا بالإضافة إلى دور النشر الخاصة في كل من (مصر ولبنان) التي تتولى طبع ونشر وتوزيع هذا التفسير كلما نفذ ؛ نظراً لما يلقاه من رواج ملحوظ ، وما يحظى به من قبول ملموس لدى طلاب العلم وباحثيه على السواء .

وفيما يلي نستعرض طبقات هذا التفسير منذ أن صدر في طبعته الأولى في حياة الشنقيطي وحتى طبعته الشرعية السابعة بعد رحيله ، وذلك على النحو التالي :

#### • الطبعة الأولى :

صدرت هذه الطبعة في حياة الشنقيطي عام (١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م) على نفقة صاحب المعالي الشيخ محمد بن عوض بن لادن وفقاً لله على طلبة العلم ، وقد تولت إصدارها مطبعة المدني (المؤسسة السعودية بمصر) بإشراف وتقديم صاحبها ومديرها الأستاذ عليّ صبح المدني .

وقد وقعت هذه الطبعة في سبعة أجزاء بدأت بتفسير (الفاتحة) وانتهت بتفسير (المجادلة) وقد لوحظ خلوها من ترجمة الشنقيطي وكذا خلوها من تصويب الأخطاء المطبعية ، بالإضافة إلى عدم ذكر الجملة الدعائية (رحمه الله) ضمن عنوان التفسير<sup>(١)</sup> .

#### • الطبعة الثانية :

أصدر السلفيون هذه الطبعة التي تحمل رقم الإصدار الخامس عشر لهم ، وجاءت كسابقتها من حيث وقوعها في سبعة أجزاء ، بالإضافة إلى خلوها من كل من : ترجمة الشنقيطي ، وتصويب الأخطاء المطبعية ، والجملة الدعائية (رحمه الله) ضمن عنوان التفسير .

ومع أن هذه الطبعة قد صدرت بدون تاريخ محدد ؛ إلا أن صدورها في حياة الشنقيطي يحصرها ما بين عام (١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م) وهو (تاريخ الطبعة الأولى) وعام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م) وهو (تاريخ وفاة الشنقيطي) .

(١) حيث كان الشنقيطي حياً آنذاك ؛ ومن ثم لم تكتب هذه الجملة الدعائية إلا بعد وفاته ، أما خلوها من ترجمة من ترجمته فلأنه لم يكن يرضى بالكتابة عن نفسه أو كتابة غيره عنه في حياته جرياً على ما يشبه أن يكون فهماً سائداً أو اتفاقاً ضمنياً لدى الباحثين من أن (المعاصرة حجاب) .



• الطبعة الثالثة :

وهي الطبعة الثانية التي أصدرها المدني عام (١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م) بعد وفاة الشنقيطي ، وجاءت في عشرة أجزاء شملت الأجزاء السبعة التي فسرها الشنقيطي ، بالإضافة إلى الجزأين الثامن والتاسع من تنمة تلميذه الشيخ عطية بداية من تفسير (الحشر) وانتهاءً بتفسير (الناس) واللذين وُسِمَا بعنوان : (الأول والثاني من التنمة) واشتملا على (رسالة في الناسخ والمنسوخ) عبارة عن شرح للشنقيطي على عشرة أبيات للسيوطي ، بالإضافة إلى ( فهرس فقهي لكامل أضواء البيان ) من عمل الشيخ عطية .

أما الجزء العاشر والأخير فقد جاء مشتملاً على مؤلفين للشنقيطي هما : ( منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز ) و( دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ) بالإضافة إلى ترجمة الشنقيطي بقلم تلميذه الشيخ عطية .

• الطبعة الرابعة :

صدرت هذه الطبعة عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى ، وقد جاءت كسابقتها تماماً دون أدنى فرق يُذكر ، كما جعلت وفقاً لله على طلبة العلم .

• الطبعة الخامسة :

وهي الطبعة التي اعتمدها هذا البحث ، والصادرة عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) عن المطابع الأهلية للأوقاف بالرياض ، على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبد العزيز ، وفقاً لله تعالى على طلبة العلم .

وقد جاءت هذه الطبعة في عشرة أجزاء ، ولم تخالف سابقتها إلا في موقع ترجمة الشنقيطي التي جاءت في أول الأضواء لا في آخره ، ووُسِمَتْ بعنوان : ( مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله - بقلم تلميذ الشيخ عطية محمد سالم القاضي بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة ) واستغرقت أربعاً وستين صفحة .

أما اعتماد البحث هذه الطبعة فقد جاء بناءً على أنها أوضح وأحسن ، وأنسق وأضبط ، وأدق وأصوب طبعات الأضواء التي صدرت حتى اليوم ، وإن لم تكن أحدثها كما سيأتي بيانه بعد قليل .

هذا فضلاً عن أنها أول طبعة يشتمل عنوانها على تاريخ وفاة الشنقيطي حيث جاء نص



القسم الأول : الباب الثاني : مسيرته العلمية \_\_\_\_\_ الفصل السادس : مؤلفاته الموجودة والمفقودة والمنسوبة

العنوان كالتالى : ( أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن : تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى - المتوفى فى ١٧ - ١٢ - ١٣٩٣ هـ رحمه الله ) .

#### • الطبعة السادسة :

صدرت هذه الطبعة عن مؤسسة (عالم الكتب) ببيروت بلبنان بدون تاريخ ، إلا أنها جاءت بعد الطبعة الخامسة المعتمدة فى هذا البحث ، وليس ثمة فارق بينها وبين الطبعة الثالثة إلا من حيث اشتمالها على (جداول لتصويب الأخطاء المطبعية) بنهاية كل جزء من أجزاء الأضواء العشرة .

#### • الطبعة السابعة :

وهى الطبعة الشرعية الوحيدة التى أصدرها أخونا وصديقنا الأستاذ عبد الفتاح الزينى صاحب مكتبة ( ابن تيمية ) بالطالبيه بالهرم عام (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) وذلك بموجب حصوله على كافة الحقوق الشرعية من ورثة الشنقيطى ليس فيما يتعلق بـ (أضواء البيان) فحسب ، بل وسائر آثاره العلمية الأخرى<sup>(١)</sup> .

وقد جاءت هذه الطبعة فى تسعة أجزاء فقط ؛ حيث اشتملت على الأجزاء السبعة التى فسرها الشنقيطى ، ثم الجزأين الثامن والتاسع ( أو الأول والثانى ) من تمة تلميذه الشيخ عطية ، وتمت طباعتها بمطابع الأهرام التجارية بالقاهرة ، كما اشتملت فى أولها على تقديم موجز استغرق أربع صفحات مهور فى نهايته باسم : (محمد بن أحمد بن إسماعيل عفا الله عنه)<sup>(٢)</sup> .

ومن الملاحظ على هذا التقديم الموجز أمران :

١ - أنه مقتبسٌ جُلُّه ما لم يكن كله من مجموع ما كتبه كل من : الشيخ عطية فى ترجمته لشيخه الشنقيطى ، والشيخ محمد المجذوب فى ترجمته للشنقيطى كذلك<sup>(٣)</sup> .

٢ - أنه يفتقد إلى موضوعية الباحث ، ومنهجية المتخصص ؛ وهذا ما يشهد له استعمال بعض المصطلحات فى غير موضعها ، من حيث اضطرابها فى الدلالة على المعنى

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١ / قبل أ ( طبعة ابن تيمية بالقاهرة ) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١ / أ - د ( طبعة ابن تيمية بالقاهرة ) .

(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

• أضواء البيان : الشنقيطى ١ / ٣ - ٦٤ ( طبعة الرياض ) .

• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١ / ١٧١ - ١٩١ .



المقصود بها في مجال البحوث الشرعية ، ومن أمثلة هذه المصطلحات : وصف الشنقيطي بأنه (من فقهاء المفسرين)<sup>(١)</sup> ثم وصف التفسير بأنه (التفسير السلفي الأثرى الفقهي)<sup>(٢)</sup> .

وهكذا يبدو ضم هذه المصطلحات بعضها إلى بعض لتكوّن عبارات عديمة الدلالة على المعنى الذي وُضِعَتْ له في الاصطلاح ؛ الأمر الذي طبعها بالاضطراب وعدم الدقة ؛ لما يعوزها من التخصص والمنهجية .

### ٣ - عمل الشنقيطي في الأضواء :

فسّر الشنقيطي ثمانى وخمسين سورة بدأت بـ (الفاتحة) وانتهت بـ (المجادلة) حوتها سبعة أجزاء من (أضواء البيان) واستغرقت أربعة آلاف وتسعمائة وخمسة وأربعين صفحة (٤٩٤٥ ص) وذلك باستثناء الجزء العاشر الأخير الذي يُعنى بعلوم القرآن ويشتمل على كتابي : (منع جواز المجاز) و (دفع إيهام الاضطراب) حيث إنهما ليسا من صلب التفسير ، وإن كانا يتعلقان بموضوعه .

### ٤ - عمل التلميذ في الأضواء :

أتم الشيخ عطية محمد سالم تفسير (أضواء البيان) بعد رحيل شيخه الشنقيطي ؛ وذلك استجابة لتكليف الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ، والذي حثه على وجوب إتمام هذا التفسير من حيث انتهى شيخه<sup>(٣)</sup> .

وبناءً على هذا التكليف قام الشيخ عطية بتفسير ست وخمسين سورة بدأت بـ (الحشر) وانتهت بـ (الناس) في الجزأين الثامن والتاسع من (الأضواء) أو الأول والثاني من (التتمة) واللذين استغرقا ألفاً وأربعمائة واثنين وتسعين صفحة (١٤٩٢ ص) .

هذا بالإضافة إلى تلك المراجعة المستوعبة لسائر التفسير ، مع شرح بعض المفردات ، وكذا تحقيق بعض المواضع ، أو التعقيب على أخرى ، ومن أمثلة ذلك ما يلي :

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١/ب ( طبعة ابن تيمية بالقاهرة ) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ١/ج ( طبعة ابن تيمية بالقاهرة ) .

(٣) راجع هذا التكليف في كل من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ٩/٦٩٣ ( طبعة الرياض ) .

• أضواء البيان : الشنقيطي ٩/٧٤٤ ( طبعة عالم الكتب بيروت ) .





• فمثال شرح المفردات :

ذكره معنى (التَّبَان) بضم وتشديد التاء ثم فتح وتشديد الباء أى (السراويل الصغير بمقدار الشَّبرِ الذى يستر العورة)<sup>(١)</sup> .

• ومثال تحقيق بعض المواضع :

تخريجه بيت طرفة بن العبد فى معلقته ، حيث قال : والذى فى معلقته (لهجسٍ خَفِيٍّ) بدلاً من (لِرِكْزِ خَفِيٍّ)<sup>(٢)</sup> .

• وأما مثال تعقيبه على بعض المواضع الأخرى :

فتعليقه على ما ذهب إليه شيخه من وجوب اللؤلؤ والمرجان فى كل من الماء الملح والعذب على السواء وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> حيث علّق على ذلك بقوله : يعتبر ذلك فتحاً من الله ؛ لأنه توصل إليه استنتاجاً ؛ فجاء الواقع يشهد بذلك ، وإن لم يطلع عليه رحمه الله<sup>(٤)</sup> .

هذا بالإضافة إلى قيام الشيخ عطية بعمل الفهارس الفنية لكامل أضواء البيان (الأصل والتممة) كما توضحه النقطة التالية .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٣/٣ ( طبعة الرياض ) فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ يوسف : ٢٤ .

وقد قصر صاحب اللسان (التَّبَان) على السراويل الصغير الذى يستعمله الملاحون ، حيث يكون بمقدار الشَّبرِ الذى يستر عورتهم المغلظة فقط ، وذكر فى ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « صَلَّى رَجُلٌ فِي تَبَّانٍ وَقَمِيصٍ » والعرب تستعمله مُذَكَّرًا وتجمعه على (تَبَّابِين) - انظر مادة (تَبَّن) فى لسان العرب : ٤٢٠ / ١ .

(٢) وفى هذا البيت يصف طرفة قوة سَمِعَ ناقته بقوله :

وَصَادَقْتَا سَمْعَ التَّوَجُّسِ لِلسَّرَى لِهَجْسِ خَفِيٍّ أَوْ لَصَوْتِ مُنَدِّدٍ

أى لها أذنان شديدتا الاستماع أثناء سيرها فى الليل بحيث يمكنها سماع الصوت الخفى فضلاً عن سماعها الصوت المرتفع - انظر معلقة طرفة بن العبد فى ( شرح المعلقات السبع ) : الزوزنى ص ٤٥ - دار بيروت للطباعة والنشر - لبنان - بروت - ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

وفى رواية أخرى : ( لِهَجْسِ خَفِيٍّ ) - انظر ( شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ) : لأبى بكر محمد بن قاسم الأنبارى ص ١٧٧ - تحقيق وتعليق : عبد السلام هارون - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٣٥) - ط ٤ - دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

(٣) الرحمن ٢٢ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٧٤٨ هـ ١ .



## ٥ - فهارس الأضواء :

وكلها من عمل الشيخ عطية تلميذ الشنقيطي ، وتشمل الفهارس الثلاثة التالية :

### • فهارس الأصل :

ونقصد بها فهارس الأجزاء السبعة التي فسَّرَهَا الشنقيطي من ( أضواء البيان ) وشملت ثمانى وخمسين سورة بداية بـ ( الفاتحة ) وانتهاءً بـ ( المجادلة ) واستغرقت أربعة آلاف وتسعمائة وخمسة وأربعين صفحة ( ٤٩٤٥ ص ) وجاء توزيعها كالتالى :

- ١ - الجزء الأول : ويشمل أربع سور من ( الفاتحة ) حتى ( النساء )<sup>(١)</sup> .
- ٢ - الجزء الثانى : ويشمل ست سور من ( المائدة ) حتى ( يونس ) .
- ٣ - الجزء الثالث : ويشمل سبع سور من ( هود ) حتى ( بنى إسرائيل أو الإسراء ) .
- ٤ - الجزء الرابع : ويشمل أربع سور من ( الكهف ) حتى ( الأنبياء ) .
- ٥ - الجزء الخامس : ويشمل سورتين هما ( الحج ) و ( المؤمنون ) .
- ٦ - الجزء السادس : ويشمل أربع عشرة سورة من ( النور ) حتى ( الصافات ) .
- ٧ - الجزء السابع : ويشمل إحدى وعشرين سورة من ( ص ) حتى ( المجادلة ) .

### • فهارس التتمة :

وتشمل فهرس الجزأين الثامن والتاسع من ( أضواء البيان ) أو الأول والثانى من ( تتمة الأضواء ) التي فسَّرَ فيها الشيخ عطية ستاً وخمسين سورة بداية بـ ( الحشر ) وانتهاءً بـ ( الناس ) واستغرقت ألفاً وأربعمائة واثنين وتسعين صفحة ( ١٤٩٢ ص ) وجاء توزيعها كالتالى :

- ٨ - الجزء الثامن من الأضواء ( الأول من التتمة ) : ويشمل تسع عشرة سورة من ( الحشر ) حتى ( الرسائل ) .
- ٩ - الجزء التاسع من الأضواء ( الثانى من التتمة ) : ويشمل سبعة وثلاثين سورة من ( النبأ ) حتى ( الناس ) .

وبهذا يكتمل أضواء البيان ( الأصل والتتمة ) بأجزائه التسعة التى شملت جميع سور

(١) مع الأخذ فى الاعتبار أن هذا الجزء الأول قد حوى فى أوله (ترجمة الشنقيطي) بقلم تلميذه الشيخ عطية ، بالإضافة إلى مقدمة فى (أنواع البيان) وذلك على مدار مائة صفحة كاملة .



القرآن الكريم البالغ عددها مائة وأربع عشرة سورة (١١٤) واستغرقت ستة آلاف وأربعمائة وسبعاً وثلاثين صفحة (٦٤٣٧ ص) على وجه التحديد ، أو ستة آلاف وخمسمائة صفحة (٦٥٠٠ ص) على وجه التقريب .

### • الفهرس الفقهي الكامل الأضواء :

وعن هذا الفهرس الفقهي واطلاع شيخه الشنقيطي على بعض منه في حياته يحدثنا الشيخ عطية قائلًا : ومن فهارس الكتاب فهرس فقهي ( لمواضيع الفقه الموجودة في مواضع متفرقة في جميع أجزائه ، وقد جُمِعَت مرتبة على أبواب الفقه ، ومُبيِّنٌ مرجع كل مسألة بعنوانها في البحث ، مع ذكر السورة والآية ، ثم رقم الجزء والصحيفة ؛ لِيَسْهُلَ تناولها والاستفادة منها ، وذلك تيسيراً على الدارس ، وتوفيراً للوقت ، وكان شيخنا رحمه الله قد اطلع على هذا الفهرس إلى الجزء السادس فاستحسنه ، ولم يمانع في طبعه مع الجزء الأخير من الكتاب<sup>(١)</sup> .

وبالفعل فقد ألحق هذا الفهرس الفقهي بآخر الجزء التاسع الأخير من الأضواء (الثاني من التتمة) واستغرق خمس عشرة صفحة ، حيث تضمن تسعة عشر باباً فقهيًا بالترتيب التالي : (الطهارة والنجاسة - الصلاة - الجنائز - المساجد - الزكاة - الصيام - الحج - البيوع والربا - الإجارة - النكاح - الخُلْع - اللباس والزينة - الأطعمة - الميراث - الوقف - الأيمان والندور - الرق - الجهاد - وأخيراً : القضاء)<sup>(٢)</sup> .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٩٦/٩ - ٧٤١/٩ (الجزء الثاني من التتمة بتصرف يسير) .

(٢) راجع تفصيل هذا الفهرس الفقهي في كل من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ٧٧٤/٩ - ٧٥٦ (طبعة الرياض) .

• أضواء البيان : الشنقيطي ٧٤٥/٩ - ٧٦٠ (طبعة المدني) .

• أضواء البيان : الشنقيطي ٧٤٥/٩ - ٧٦٠ (طبعة عالم الكتب بيروت) .

ومما يجدر الالتفات إليه أن هذا الفهرس الفقهي يتفق في أرقام صفحاته مع سائر طبعات (أضواء البيان) التي تأتي ترجمة الشنقيطي بآخرها كطبعة المدني بالقاهرة ، وطبعة عالم الكتب بيروت ، في حين لا يتفق مع تلك الطبعات التي تأتي ترجمة الشنقيطي بأولها وتستغرق أربعاً وستين صفحة في بداية الجزء الأول مثل طبعة الرياض ، وطبعة مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

ولذا ؛ فإنه يلزم إضافة أربع وستين صفحة إلى كل رقم من صفحات الفهرس الفقهي في طبعتي (المدني وعالم الكتب) وما شابههما؛ حتى تتفق مع ترقيم الطبعات الأخرى (كطبعة الرياض، وطبعة مكتبة ابن تيمية بالقاهرة) وما شابههما؛ الأمر الذي ينبني عليه توحيد صفحات هذا الفهرس الفقهي في سائر الطبعات ؛ تيسيراً للفائدة ، وتوفيراً للوقت .



## المطلب الثاني

### بقية مؤلفاته المطبوعة عامة

وعدها أربعة عشر مؤلفاً نورد التعريف بها بحسب ترتيبها الهجائي التالي :

#### ١- آداب البحث والمناظرة :

يقع هذا الكتاب في جزأين ، ويختص موضوعه بـ (فن المنطق) وقد اقتصر الجزء الأول على (المقدمات المنطقية) في حين تضمن الجزء الثاني (مسائل هذا الفن وقضاياها) ثم ختمه الشنقيطي تحت عنوان (خاتمة حسنة) ذكر فيها ما نصه : وفي الختام نوصي أنفسنا وإخواننا المسلمين بتقوى الله تعالى ، وعدم التهجم على الله تعالى وعلى كتابه بالدعاوى الباطلة ، والتمسك بنور الوحي الصحيح في المعتقد وغيره ؛ لأن السلامة متحققة في اتباع الوحي ، وليست متحققة في غيره :

وَنَهَجُ سَبِيلِي وَأَضِحُّ لِمَنْ اهْتَدَى وَلَكِنِّهَا الْأَهْوَاءُ عَمَّتْ فَأَعْمَتْ

وبهذا الذي ذكرنا تعلم أن مذهب السلف أسلم وأحكم وأعلم ، وقولهم : (مذهب السلف أسلم) إقرار منهم بذلك ؛ لأن لفظ (أسلم) صيغة تفضيل من (السلامة) وما كان يُفضَلُ غيره ويفوقه في السلامة فهو أحكم منه وأعلم ؛ وبه يظهر أن قولهم : (ومذهب الخلف أحكم وأعلم) ليس بصحيح ، بل الأحكم والأعلم هو الأسلم كما لا يخفى<sup>(١)</sup> .

وقد فرغ منه الشنقيطي بالمدينة المنورة يوم الخميس (١٤ - ٥ - ١٣٨٨هـ) الموافق (٨ - ٨ - ١٩٦٨م) ثم أشرف على طبعه ووضع عناوينه تلميذه الشيخ عطية المشرف آنذاك على مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والتي تولت على الفور طبع هذا الكتاب للمرة الأولى ، بل وقررت على طلابها بالفرقتين الأولى والثانية بكلية الدعوة وأصول الدين .

ثم توالى بعد ذلك طبعات هذا الكتاب بجزأيه والبالغ مجموع صفحاتهما مائتين وسبعاً وثلاثين صفحة ، منها ثمان وتسعون في الجزء الأول ، ومائة وتسع وثلاثون في الجزء الثاني<sup>(٢)</sup> .

#### ٢- الإسلام دين كامل :

وهو عنوان المحاضرة التي ألقاها الشنقيطي بالحرم النبوي الشريف بحضرة ملك المغرب

(١) آداب البحث والمناظرة : الشنقيطي ١٣٦/٢ - طبع مكتبة ابن تيمية للطباعة والنشر بالقاهرة - ومكتبة العلم بجدة بالمملكة العربية السعودية - (د. ت) .

(٢) راجع نفس الطبعة السابقة .





الراحل محمد الخامس عند زيارته المدينة المنورة ، وقد دار موضوعها حول تفسير قول الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ الآية<sup>(١)</sup> .

وكان الشنقيطي قد ألقى هذه المحاضرة نزولاً على رغبة ملك المغرب الذي استأذن في صحبة الشنقيطي في طريقه من الرياض إلى المدينة المنورة؛ فرافقه تقديراً وإكراماً، وإلى هذا يشير بقوله : (وبعد فهذه محاضرة ألقيتها في المسجد النبوي بطلب من ملك المغرب)<sup>(٢)</sup> .

وقد ضمّن الشنقيطي تفسير هذه الآية عشر مسائل مهمة جعل عليها مدار الدنيا وخير الآخرة ، حيث قال ما نصه : وهذه الآية الكريمة نص صريح في أن دين الإسلام لم يترك شيئاً يحتاج إليه الخلق في الدنيا ولا في الآخرة إلا أوضحه وبينه كائناً ما كان ، وسنضرب لذلك المثل ببيان عشر مسائل عظام عليها مدار الدنيا من المسائل التي تهتم العالم في الدارين ، وفي البعض تنبيه لطيف على الكل :

(الأولى : التوحيد - الثانية : الوعظ - الثالثة : الفرق بين العمل الصالح وغيره - الرابعة : تحكيم غير الشرع الكريم - الخامسة : أحوال الاجتماع بين المجتمع - السادسة : الاقتصاد - السابعة : السياسة - الثامنة : تسليط الكفار على المسلمين - التاسعة : مشكلة ضعف المسلمين عن مقاومة الكفار في العُدَدِ والعُدَدِ - العاشرة : مشكلة اختلاف القلوب بين المجتمع) وسنوضح علاج تلك المشاكل من القرآن الكريم<sup>(٣)</sup> .

ونزولاً على الرغبة الملحة لطلاب العلم ؛ فقد قام الشنقيطي بتقييد هذه المحاضرة مشيراً إلى ذلك بقوله : وقد طلب مني بعض إخواني تقييدها لنشرها ؛ فلبيت طلبه، راجياً من الله تعالى أن ينفع بها<sup>(٤)</sup> .

وقد طبعت هذه المحاضرة مراراً في حياة الشنقيطي وبعد رحيله، وكان آخرها طبعة (دار الحديث الخيرية) بالمدينة المنورة تحت عنوان : (محاضرة كبيرة الفائدة للشيخ الفاضل محمد الأمين الشنقيطي) وجاءت في كتيب من القَطْع الصغير بلغ عدد صفحاته اثنتين وثلاثين صفحة .

ولما كان حق طبع هذا الكتيب مكفولاً لكل مسلم كما ورد ذلك مدوناً على صفحته الداخلية ؛ لذا فقد قامت (مكتبة ابن تيمية بالقاهرة) بإصداره مصوراً على طبعة (دار الحديث

(١) المائدة : ٣ .

(٢) الإسلام دين كامل : للشيخ الفاضل محمد الأمين الشنقيطي ص ٥ - (محاضرة ألقاها في المسجد النبوي الشريف) - طبعة مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٣) الإسلام دين كامل : الشنقيطي ص ٦ - ٧ .

(٤) الإسلام دين كامل : الشنقيطي ص ٥ .



الخيرية) غير أنها استبدلت بعنوانه عنواناً آخر استوحته من فحوى الآية ألا وهو : ( الإسلام دين كامل ) وهو ذات العنوان الذي اعتمده البحث وعوّل عليه .

### ٣ - بيان الناسخ والمنسوخ :

وتمام اسمه : ( بيان الناسخ والمنسوخ من آى الذكر الحكيم ) وهو عبارة عن رسالة بالغة الإيجاز تقع فى ست صفحات شرح فيها الشنقيطى عشرة أبيات للسيوطى من كتابه : (الإتقان فى علوم القرآن) .

وكان الشنقيطى قد أملاها على تلميذه الشيخ عطية محمد سالم فى (ذى الحجة ١٣٧٣ هـ = يوليو ١٩٥٤ م) والذي يشير إلى هذا بقوله : كنت قد درستها عليه ، وأعطانيها بخطه ، فبيضتها وصححتها عليه ، ثم ألقتها فيما بعد بالتفسير لقوة ارتباطها به<sup>(١)</sup> .

وفيما يلي نص هذه الأبيات العشرة كما نقلها الشيخ عطية عن خط شيخه الشنقيطى ، وكما قرأها عليه :

وأدخلوا فيه آياً <sup>(٣)</sup> ليس تنحصر <sup>١</sup>	قد أكثر الناس فى <sup>(٢)</sup> المنسوخ من عدد
عشرين حررها الحذاق والكبر <sup>٢</sup>	وهاك تحرير آى <sup>(٤)</sup> لا مزيد لها
يوصى لأهليه عند الموت محتضر <sup>٣</sup>	أى التوجه حيث المرء كان وأن
وفدية لمطبق الصوم مشتهر <sup>٤</sup>	وحرمة الأكل بعد النوم مع رقت
وفى الحرام قتال للأولى كفروا	وحق تقواه فيما صح من أثر
وأن يدان حديث النفس والفكر <sup>٥</sup>	والاعتداد بحول مع وصيتها
كفر وإشهادهم والصبر والنفر <sup>٦</sup>	والحلف والحبس للزانى وترك أولى
وما على المصطفى فى العقد محتظر <sup>٧</sup>	ومنع عقد لزان أو لزانية
وأه كذاك <sup>(٥)</sup> قيام الليل مستطر <sup>٨</sup>	ودفع مهر لمن جاءت وآية نج
وآية القسمة الفضلى لمن حضروا	وزيد آية الاستئذان من ملكت

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٩٤/٩ و ٧٠٤ (الجزء الثانى من التتمة) .

(٢) وردت فى الأضواء (من) وصوابها (فى) حتى يستقيم الوزن على بحر البسيط : ( مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن ) .

(٣) وردت فى الأضواء (أبا) وصوابها (آياً) جمع (آية) .

(٤) وردت فى الأضواء (أى) وصوابها (آى) جمع (آية) .

(٥) وردت فى الأضواء (كذلك) وصوابها (كذاك) حتى يستقيم الوزن المذكور .



ويختتم الشيخ عطية شرح شيخه على هذه الأبيات معقباً بقوله : تمت بحول الله رسالة فضيلة الشيخ محمد الأمين المختصرة في بيان أبيات السيوطي الرمزية تقريباً في هذا الفن ، وهي على إيجازها واختصارها كافية شافية للطالب الدارس ، أما المدرس والباحث المدقق والمناقش للأقوال ؛ فإن هناك المطولات لتتمة البحث لبيان إثبات النسخ على منكريه ، وبيان حكمته وأقسامه ، وبيان قوة النسخ من كتاب أو سنة ، ومراتبه من شدة إلى ضعف والعكس ، إلى غير ذلك<sup>(١)</sup> .

#### • ملحوظة حول هذه الرسالة :

على الرغم من أن السيوطي قد ذكر عشرين موضعاً للنسخ تضمنتها أبياته ؛ إلا أن الشنقيطي قد زادها إلى واحد وعشرين موضعاً أثبت النسخ في ثمانية عشر موضعاً ، ونفاه في موضعين ، ثم ذكر الخلاف فيه في موضع واحد ، كما أنه لم يشرح البيتين الأول والثاني لخلوهما من الآيات محل النسخ الذي تضمنته الأبيات الثمانية الأخرى .

وقد صدرت هذه الرسالة في أولى طبعاتها بآخر الجزء التاسع من (الأضواء) والثاني (من التتمة) في (آخر رمضان المعظم ١٣٩٦هـ = آخر سبتمبر ١٩٧٦ م) بعد رحيل مؤلفها .

#### ٤ - دفع إيهام الاضطراب :

وتمام اسمه : (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) ويختص موضوعه بـ (علوم القرآن) ويقع في ثلاثمائة وخمسين صفحة ، وقد صدر لأول مرة مع رسالة أخرى للشنقيطي بعنوان : (منع جواز المجاز في المنزّل للتعبّد والإعجاز) حيث ضمهما الجزء العاشر من (أضواء البيان) من طبعة الرياض عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) وهي ذات الطبعة التي اعتمدها البحث وعول عليها .

وعن السبب الباعث على تأليف الشنقيطي مثل هذا الكتاب في علوم القرآن ، يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلًا : كان سببه سؤالاً عند الدرس عن مدى التوفيق بين قول الله

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٩٩/٩ - ٧٠٤ (الجزء الثاني من التتمة) .

• وراجع نص هذه الأبيات في (الإتقان في علوم القرآن) : للحافظ جلال الدين السيوطي ٧٧/٣ - تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م .



تعالى : ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥)﴾ الآيتان<sup>(١)</sup> مع قوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> ؟ فأجاب رحمه الله باستفاضة ، وذكر لها أمثلة عديدة قائلًا : إن السؤال متنوع ، والمواقف متعددة ؛ فسألته عن تأليف فيها ؟ فقال : لا أعلمه .

فكان رجائي منه أن يؤلف فيه لنفع المسلمين ؛ فوعد خيرًا ثم فعل ، وقد تتبع هذا النوع في القرآن من أوله إلى آخره ، وهو تجربة أولى موفقة ، ولو أعيدت كتابته فإن في القرآن بعض مواطن من موضوع الكتاب<sup>(٣)</sup> .

ثم بين الشيخ عطية ما لموضوع هذا الكتاب من خصوصية في بابه فيقول : وهذا الكتاب من أخص ما كُتِبَ في علوم القرآن ، وموضوعه الجواب عن كل ما يوهم تعارضًا أو اضطرابًا بين بعض آيات القرآن مع بعض ، وهذا وإن كان موضوعه من حيث هو موجود كمفردات ترد في مجالها من التفسير ؛ إلا أنها لم يوجد فيها كتاب قد تتبعها في القرآن كله ، وجمعتها في محل واحد يسهل تناوله ، بل ولا يوجد التنبيه على كل ما جاء فيه في عمومات التفسير<sup>(٤)</sup> .

ويوضح الشيخ محمد المجذوب الهدف من هذا الكتاب قائلًا : ويريد شيخنا الشنقيطي رحمه الله بهذا الكتاب إيضاح ما قد يُشكِل على الغافلين ، وما يثيره بعض المشككين ، من توهم التعارض بين بعض وبعض من آيات الله تعالى<sup>(٥)</sup> .

ثم يحدثنا الشنقيطي ذاته عن المنهج الذي توخاه في هذا الكتاب ، والذي ضمَّنه المقدمة فيقول : أما بعد : فإن مقيد هذه الحروف عفا الله عنه أراد أن يبين في هذه الرسالة ما تيسر من أوجه الجمع بين الآيات التي يُظن بها التعارض في القرآن العظيم ، مرتبًا لها بحسب ترتيب السور ، فيذكر الجمع بين الآيتين غالبًا في محل الأولى منهما ، وربما يذكر الجمع عند محل الأخيرة ، وربما يكتفي بذكر الجمع عند الأولى ، وربما يحيل عند محل الأخيرة ؛ ولا سيما إذا كانت السورة ليس فيها مما يُظنُّ تعارضه إلا تلك الآية ؛ فإنه لا يترك ذكرها والإحالة على الجمع المتقدم<sup>(٦)</sup> .

(١) الصافات : ٢٤ - ٢٥ (آيتان) .

(٢) الرحمن : ٣٩ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٣/١ - ٦٩٥/٩ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٩٥/٩ (تحت عنوان : شكر وتقدير) .

(٥) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٧/١ (بتصرف) .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطي ٣/١٠ .





• ملاحظات حول هذا الكتاب :

وبعد أن عرضنا لسبب تأليف هذا الكتاب ، وعرفنا بموضوعه ، ثم بينا الهدف منه ، وأوضحنا منهج مؤلفه فيه ؛ فإننا نأتى إلى جملة تلك الملاحظات التى ترد على هذا الكتاب ، والتى نرصدها فيما يلى :

١ - أورد الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطى ، وتابعه فى ذلك الشيخ محمد المجذوب من حيث ذكرهما هذا الكتاب ضمن مؤلفات الشنقيطى تحت عنوان : (دفع إيهام الاضطراب عن آى الكتاب) بذكر ( آى ) بدلاً من (آيات) التى نصَّ عليها الشنقيطى نفسه<sup>(١)</sup> .

ومع أن معنى (آى) لا يختلف عن معنى (آيات) من حيث كونهما جمعاً لـ (آية) إلا أن إثبات ما اختاره المؤلف مقدم على إثبات ما اختاره غيره ؛ ومن ثم لزم هذا التنويه من باب ضبط اسم الكتاب وتحريره كما وضعه مؤلفه ، واختاره له .

٢ - تتبع الشنقيطى فى هذا الكتاب كل ما يوهم التعارض فى جميع سور القرآن بحسب ترتيبها فى المصحف عدا اثنتى عشرة سورة هى : (الفاتحة فى أول القرآن) ثم إحدى عشرة سورة بعد المجادلة شملت كلاً من : (الشرح - البينة - التكاثر - الهمزة - الفيل - قريش - الكوثر - المسد - النصر - الإخلاص - الفلق) .

٣ - لم يورد الشنقيطى بعض الآيات التى يوهم ظاهرها التعارض فى مواضعها من سور القرآن ، سواء فى كتابه (دفع إيهام الاضطراب) أو تفسيره (أضواء البيان) بل نراه يورد بعض الإشكال على بعض الآيات فى (الدفع) ولا يورده فى (الأضواء) .

ومن أمثلة ذلك ما أجاب به على ما قد يوهم التعارض من بين قول الله تعالى : ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> وبين كل من قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> .

(١) راجع فى ذلك كلا من :

• أضواء البيان : الشنقيطى ٥٣/١ - ٦٩٥/٩ .

• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٧/١ .

(٢) النور : ٢٦ . (٣) التحريم : ١٠ .

(٤) التحريم : ١١ - وانظر هذا الإشكال وجوابه فى (سورة النور) فى (دفع إيهام الاضطراب عن آيات

الكتاب) المطبوع بآخر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢١٧/١٠ - ٢١٩ .



وأما بعض ما أورده من إشكال في (الأضواء) ولم يورده في موضعه المفروض في (الدفع) فمثاله ما أجاب به على ما قد يوهم التعارض بين قول الله تعالى : ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ الآية<sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ الآية<sup>(٢)</sup> .

وأما دون ذلك من الإشكالات فقد كررها الشنقيطي في كل من (الدفع) و (الأضواء) في مواضعها من سور القرآن ، ومن أمثلة ذلك ما أجاب به على ما قد يوهم التعارض بين قول الله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ الآية<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ الآيتان<sup>(٤)</sup> .

٤ - صدر هذا الكتاب في طبعات أخرى منفصلة عن الجزء العاشر من (أضواء البيان) بطبعة الرياض، ومن هذه الطبعات المنفصلة ( طبعة مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع بالقاهرة ) والتي أصدرها عام (١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م)<sup>(٥)</sup> .

#### ٥ - رحلة الحج إلى بيت الله الحرام :

صدر هذا الكتاب بعد وفاة الشنقيطي في طبعته الأولى عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) عن دار الشروق بجدة بالمملكة العربية السعودية تحت عنوان : ( رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ) بقلم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الجكني<sup>(٦)</sup> .

ويقع هذا الكتاب في مائتين وسبع وثمانين صفحة ، استغرقت منها أحداث هذه الرحلة

(١) سورة محمد ﷺ : ٣٥ .

(٢) الأنفال : ٦١ - وانظر في ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطي ٥٩٦/٧ - ٥٩٩ ( من تفسير سورة محمد ﷺ ) .

(٣) مريم : ٧١ .

(٤) الأنبياء : ١٠١ - ١٠٢ ( آيتان ) - وانظر في ذلك كلا من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ٣٤٨/٤ ( تفسير سورة مريم ) .

• دفع إيهام الاضطراب ( ضمن أضواء البيان ) : الشنقيطي ١٠/١٩٢ - ١٩٣ ( سورة مريم ) .

(٥) انظر كتاب ( دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ) : لصاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي رحمه الله - مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

(٥) انظر (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : بقلم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الجكني - ط ١ - دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

• والجدير بالملاحظة أن يقال : (الجكني الشنقيطي) وليس : (الشنقيطي الجكني) لأن الأصوب تقديم النسب إلى القبيلة (بنو جاكان) على النسب إلى القطر (شنقيط) .



تسعاً وأربعين صفحة ، في حين استغرقت المباحث العلمية جُلَّ الصفحات الباقية والبالغ عددها مائتين وثمانين وثلاثين صفحة ؛ مما يؤكد غلبة الطبيعة العلمية على هذه الرحلة .

وقد قدّم الشيخ عطية لكتاب شيخه هذا بمقدمة شاملة نافعة ، ضمنها موقع هذه الرحلة من أدب الرحلات ، فضلاً عن مغايرتها لأغلب الرحلات المعروفة ، مبيّناً ما اشتملت عليه من المباحث العلمية سواء الشرعية منها أو اللغوية ، ومشيراً إلى براعة شيخه في عرضها واقتداره في تناولها<sup>(١)</sup> .

كما قام الدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشنقيطي بمقابلة هذه الرحلة على أصليها لها ، مشيراً إلى ذلك في نهايتها بقوله : هذا آخر ما كتبه المؤلف رحمه الله تعالى ، وقد فرغنا من مقابلتها على أصليها في ( ٢٥ رجب عام ١٣٩٩ هـ ) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم<sup>(٢)</sup> .

وعن الهدف الذي حمل الشنقيطي على تقييد رحلته هذه فيوضحه في المقدمة بقوله : أما بعد : فليكن في علم ناظره أنا أردنا تقييد خبر رحلتنا هذه إلى بيت الله الحرام ، ثم إلى مدينة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ ليستفاد بما تضمنته من المذاكرة والأحكام ، وأخبار البلاد والرجال ، وما تجوّل فيه الأدباء من المجال ، والغرض الأكبر من ذلك هو تقييد ما أجبنا به عن كل سؤال علمي سألنا عنه في جميع رحلتنا<sup>(٣)</sup> .

وأما منهج الشنقيطي في هذا الكتاب فيوضح لنا معالمة تلميذه الشيخ عطية قائلاً : لقد تميزت هذه الرحلة عن جميع الرحلات بما زخرت به من مباحث غاية في الدقة ، وآية في الروعة ، واشتملت صنوفاً وفنوناً كالروض ، أزهير وأفانين ؛ فنرى الشيخ رحمه الله قد بدأ رحلته بمقدمة رائعة الخيال في براعة الاستهلال ، حيث بينّ الدوافع على السفر ، واقتحام العقبات ، وركوب الخطر ، ومفارقة الأوطان ، وفراق الإخوان ، وهو امثال أمر الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ الآية<sup>(٤)</sup> ثم أخذ يسجل ما ألقى عليه من الأسئلة، وما قدّم عليها من الأجوبة ، بأحسن ما يقال ، في دروس تُشدُّ إليها الرُّحال<sup>(٥)</sup> .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٥ - ١١ ( المقدمة بعنوان : رحلة صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين رحمه الله ) .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٨٤ .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٤٠ ( تحت عنوان : فائدة تقييد رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ) .

(٤) آل عمران : ٩٧ . (٥) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٧ (بتصرف) .



وفيما يلي نعرض لبعض أمثلة تلك المباحث العديدة ، والمسائل المفيدة ، من جملة العلوم الشرعية واللغوية التي احتواها هذا الكتاب ، وذلك على النحو التالي :

### • العلوم الشرعية :

وشملت ثمانية فنون تمثلت في كل من :

#### ١ - التفسير :

مثل تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ الآية<sup>(١)</sup> وقد عرض الشنقيطي من خلال تفسيره هذه الآية لموضعها المتعلق بقصة الغرانيق<sup>(٢)</sup> ثم أزال الإشكال المتوهم بين رسالة النبي ورسالة الرسول<sup>(٣)</sup> .

#### ٢ - علوم القرآن :

وتشمل أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والإسرائيليات ، ومثال ذلك ما ذكره الشنقيطي من سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنْ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> .

#### ٣ - الحديث :

ومثاله ما شرحه الشنقيطي من قول رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود؛ حتى يقول الحجر وراءه اليهودي : يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله » الحديث<sup>(٥)</sup> .

(١) الحج : ٥٢ .

(٢) الغرانيق والغرانقة : الذكور من طيور الماء البيضاء من ذوات الأعناق والقوائم الطويلة ، مثل طيور (الكركي أو الكراكي) وواحداهما : (غرثوق وغرثوق، وغرثيق وغرثيق، وغرثاق، وغرثاق، وغرثاق، وغرثوق) كما يُعبرُ به عن كل أبيض شاب ناعم جميل ، ومنه قول الشاعر :

أَلَا إِنَّ تَطْلَابَ الصَّبَا مِنْكَ ضَلَّةٌ وَقَدْ فَاتَ رِيْعَانُ الشَّبَابِ الْغُرَانِقُ

• انظر مادة (غرثق) في لسان العرب : ٣٢٤٨/٤ .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ١٢٨ - ١٣٧ .

(٤) الرعد : ٣١ - وانظر ( رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ) : الشنقيطي ص ١٢٤ - ١٢٧ .

(٥) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٣٨ - ٢٤٠ .

والحديث المذكور أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الفتن (باب) لا تقوم الساعة حتى يُغبط أهل القبور - وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني ٦٢/١٢ - حديث =





#### ٥ - الأصول :

ومثال ذلك ما ذكره الشنقيطي من الفروق بين كل من ( دلالة الاقتضاء ، ودلالة الإشارة ، ثم دلالة الإيماء والتنبيه ) ومع أنها تندرج جميعها تحت دلالة الالتزام ؛ إلا أن الشنقيطي قد عرض لاختلاف الأصوليين بشأن : هل هي من المنطوق غير الصريح أو من المفهوم؟<sup>(١)</sup>

#### ٥ - الفقه :

ومن ذلك ما فصل فيه الشنقيطي القول بشأن أنساك الحج ، حيث حشد الأدلة على تفضيل الأفراد على كل من التمتع والقِران ؛ وذلك كما يقتضيه مذهب الإمام مالك ، والذي كان عليه آنذاك قبل أن يستقر به المقام ببلاد الحجاز بعد حجه هذا<sup>(٢)</sup> .

#### ٦ - العقيدة :

ومن ذلك ما أورده الشنقيطي بشأن مذهب أهل السنة في آيات الصفات ، حيث بين أنه المذهب الذي يُسَلَّمُ صاحبه من ورطتي التعطيل والتشبيه ، وهو ما كان عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين<sup>(٣)</sup> .

#### ٧ - علم الكلام :

ومن ذلك حديث الشنقيطي عن الصفة النفسية عند المناطقة ، والتي بين أنه لا يدرك بدونها الموصوف ، وكذا حديثه عن تلك العداوة والبغضاء الناشبة بين فرق اليهود والنصارى ، وإقامته الدليل على ذلك كله<sup>(٤)</sup> .

#### ٨ - التاريخ والسير :

ومثال ذلك ما أشار إليه الشنقيطي من قتال المسلمين والتُّرك ، وأن الأدلة تقتضي كونه من أشراط الساعة<sup>(٥)</sup> .

= رقم (٢٩٢٦) - ( طبع الأزهرية ) - كما أخرجه مسلم في صحيحه ( كتاب ) الفتن وأشراط الساعة (باب) لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ؛ فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء - ( طبع بيروت ) .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٤٠ - ٢٤٣ .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٥٥ - ٢٧٠ .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٧٣ - ٨٧ .

(٤) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٤٣ - ٢٤٦ .

(٥) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٤٦ - ٢٥٤ .



## • العلوم اللغوية :

وشملت أربعة فنون تمثلت في كل من :

### ١- النحو :

ومن ذلك تبيان الشنقيطى أن اجتماع الواو والياء فى كلمة واحدة ، وكانت السابقة منهما ساكنة سكوناً أصلياً ليس عارضاً ؛ فإنه يجب قلب الواو ياءً وإدغامها فى الياء ، ومن أمثله : سيّد وأصله (سيّود) وميّت وأصله (ميّوت) وصيّب وأصله (صيّوب) .

وهذا ما بيّنه الشنقيطى من خلال تحقيقه البيتين التالين من ألفية ابن مالك :

إِنْ يَسْكُنِ السَّابِقُ مِنْ وَأَوْ وَيَا      وَأَتَّصَلَا ، وَمِنْ عُرُوضٍ عَرِيَا  
فِيَاءُ الْوَاوِ أَقْلَبَنَّ مَدْغَمًا      وَشَدَّ مُعْطَاً غَيْرَ مَا قَدْ رُسِمَا<sup>(١)</sup>

### ٢- الأدب :

ومن ذلك قصيدة جرير التى يهجو بها الأخطل التغلبى وقومه من النصارى ، والتى بدأها بقوله :

بَانَ الْخَلِيْطُ وَلَوْ طُوِّعْتُ مَا بَانَ      وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا  
حَى الْمَنَازِلِ إِذْ لَا نَبْتَغِي بَدَلًا      بِالْمَدَارِ دَارًا وَلَا الْجِيرَانَ جِيرَانَا

وقد ذكر الشنقيطى تلك القصيدة بكاملها ، ثم شرح البيت الذى سئل عنه ، والذى يُعيرُ جريرٌ به الأخطلَ وقومه بدين النصرانية وبتقربهم وتمسحهم بصلبان النصارى ؛ مدّعين أن فعلهم هذا يقربهم إلى الله ، حيث يقول :

هَلْ تَتْرُكُنَّ إِلَى الْقَسِيِّنَ هِجْرَتَكُمْ      وَمَسَحَهُمْ صَلْبُهُمْ رَحْمَنَ قُرْبَانَا<sup>(٢)</sup>

(١) راجع شرح هذين البيتين فى كل من :

- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ١٣٧ - ١٤٢ .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد ٢٢٧/٤ (باب الإبدال) - الطبعة ٢٠ - دار التراث - القاهرة - رمضان ١٤٠٠ هـ = يوليو ١٩٨٠ م .

(٢) ويقع هذا البيت قبل الأخير من تلك القصيدة البالغ عدد أبياتها اثنين وسبعين بيتاً ، التى ختمها جرير بقوله :

لَنْ تُدْرِكُوا الْمَجْدَ أَوْ تَشْرُوا عِبَاءَ تَكُمُ      بِالْخَزِّ أَوْ تَجْعَلُوا التَّنُومَ ضُمْرَانَا

انظر هذه القصيدة بتمامها فى كل من :

- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٧٠ - ٢٧٦ .



### ٣ - البلاغة :

ومن ذلك مبحثنا الاستعارة والمجاز اللذان تناولهما الشنقيطي بالتحليل والتفصيل<sup>(١)</sup> .

### ٤ - المعاجم :

ومن أمثلتها تأصيل الشنقيطي لكلمة (المُطْرَقَة) واشتقاقها في اللغة، والتي حشد على فصاحتها أدلته من القرآن كما في قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> ومن السنة كما في قول رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا التُّركَ صِغارَ الأعين حُمَرَ الوجوه ذُلْفَ الأنوف كأنَّ وجوههم المِجَانُ المُطْرَقَة ، ولا تقومُ السَّاعَةُ حتى تقاتلوا قومًا نَعَالُهُمُ الشَّعْرُ » الحديث<sup>(٣)</sup> ومن كلام العرب كقول زهير بن أبي سلمى :

أَهْوَى لَهَا أَسْفَعُ الخَدَيْنِ مُطْرَقٌ رِيشَ القَوَادِمِ لَمْ تُنْصَبْ لَهُ الشَّبَكُ<sup>(٤)</sup>

### • ملاحظات حول هذا الكتاب :

بالرغم من عناية كل من الدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشنقيطي ، وكذا الشيخ عطية تلميذ الشنقيطي بهذا الكتاب ؛ إلا أنه تردُّ عليه جملة من الملاحظات التي نرصدها فيما يلي :

= • ديوان جرير : شرح محمد بن حبيب / ١ ( ١٦٠ - ١٦٧ ) - تحقيق : د. نعمان محمد أمين طه - دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٦٩ م .

و ( التَّنُوم ) : نوع من الشجر ينبت في الصحراء ، أوراقه تميل إلى السواد ، وله حبوب دَسَمَة تدقها النساء في البادية ويأخذن من عصيرها دُهْنًا أزرق اللون فيه لزوجة فَيُدِهِنُّ به إذا امْتَشَطْنَ - انظر مادة (تَنَم) في لسان العرب : ٤٥١/١ .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٣٨ - ص ٢٨١ .

(٢) المؤمنون : ١٧ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) الجهاد والسير (باب) قتال التُّرك - وانظر فتح البارى بشرح

صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ٦٣/١٢ - حديث رقم (٢٩٢٨) - ( طبع بيروت ) .

(٤) راجع فى ذلك كلام من :

• مادة (طَرَق) فى لسان العرب : ٢٦٦٤/٤

• رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

• شرح ديوان زهير بن أبى سلمى : صنعة الإمام أبى العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيبانى

المعروف بـ (ثعلب) - ص ١٧٢ - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ضمن سلسلة

(المكتبة العربية) من إصدار : وزارة الثقافة والإرشاد القومى بالجمهورية العربية المتحدة (١٣٦٣ هـ

= ١٩٤٤ م) - الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .



١ - بُعدُ الفارق الزمني بين الفراغ من مقابلة الدكتور محمد المختار لهذا الكتاب على أصله عام (١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م) وبين صدور أول طبعة له عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) حيث مرَّ على ذلك ما يقرب من أربعة أعوام دونما سبب ظاهر لهذا التأخير ؛ رغم الحاجة الماسة إلى الكتاب لدى طلاب العلم وباحثيه .

٢ - أورد الشيخ عطية بعد تقديمه هذا الكتاب ترجمة موجزة لشيخه الشنقيطي بعنوان : (ترجمة حياة موجزة للمؤلف رحمه الله) إلا أن إيجاز هذه الترجمة واختصارها جعلها دون الترجمة الضافية الوافية التي أوردها الشيخ عطية في أول (أضواء البيان)<sup>(١)</sup> .

٣ - مع أن الشنقيطي قد أشار بنفسه إلى رحلته هذه في كتابه : ( منع جواز المجاز في المنزّل للتعبد والإعجاز )<sup>(٢)</sup> ومع أن تلميذه الشيخ عطية قد أشار إلى ذلك أيضاً في ترجمته لشيخه في أول (أضواء البيان)<sup>(٣)</sup> إلا أن الشيخ عطية لم يورد ( كتاب رحلة الحج ) ضمن مؤلفات شيخه الشنقيطي ، لا في ترجمته التامة بـ ( أول أضواء البيان ) ولا في مختصرها بـ ( أول كتاب رحلة الحج ) .

وإذا كان هذا راجعاً إلى مجيء هذه الترجمة عام (١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م) قبل صدور كل من الكتاب والتفسير ؛ إلا أن الشيخ عطية لم يستدرك ذلك بعد صدورهما عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) .

بل إن الشيخ محمد المجذوب قد تابع الشيخ عطية في ذلك ؛ حيث لم يشر إلى ( كتاب رحلة الحج ) ضمن مؤلفات الشنقيطي في ترجمته له للمرة الثالثة عام (١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م) أي بعد صدور هذا الكتاب بثلاثة أعوام<sup>(٤)</sup> .

وذلك على الرغم من إشارته إلى أخبار هذه الرحلة في ترجمته الأولى للشنقيطي بقوله : والمؤسف أننا لا نعرف الكثير عن انطباعات شيخنا الشنقيطي أثناء هذه الرحلة ، ويفهم من محاضرة لتلميذه الشيخ عطية أنه كتب فيها أوراقاً ضمَّنها مباحث جلييلة ، وقد

(١) قارن بين ترجمة الشنقيطي في أول (أضواء البيان) على مدار اثنتين وستين صفحة من القطع الكبير (٣/١ - ٦٤) وبين مختصر هذه الترجمة في أول (كتاب رحلة الحج) بعد المقدمة على مدار سبع وعشرين صفحة من القطع المتوسط (ص ١٢ - ٣٨) .

(٢) منع جواز المجاز في المنزّل للتعبد والإعجاز (ضمن الجزء العاشر من أضواء البيان) : الشنقيطي ٥٢/١٠ ( طبعة الرياض ) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٣٥/١ ( من المقدمة ) .

(٤) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٨/١ - ط ٣ - طبع دار النفائس بيروت - نشر : دار الاعتصام بالقاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .





رَكَّزَ فيها على مشكلات أثارها معه بعض علماء أم درمان في المعهد العلمي بالسودان حول مبحث ( القضايا الموجهة في المنطق ) وقد سمعنا بعض أخبار هذا الحوار منه رحمه الله ، وخلاصته أن بعض الإشكالات في هذا الأمر كانت تعترى أولئك الفضلاء ؛ فكان لحواره معهم يومئذ أثره الطيب في جلائها<sup>(١)</sup> .

٤ - صدر كتاب تحت عنوان : ( مَنْسَكُ الإمام الشنقيطي ) في ثلاثة أجزاء بلغ عدد صفحاتها ألفاً ومائة وإحدى وتسعين صفحة من القطع الكبير ، وقد تَضَمَّنَ هذا الكتاب مسائل الحج والعمرة كما فَصَّلَهَا الشنقيطي في تفسيره ( أضواء البيان ) والتي قام بجمعها والتعريف بها وترتيبها وتحقيقها والتعليق عليها وَوَضَعَ عناوينها وفهارسها ، بالإضافة إلى التعريف الموجز بمؤلفها كل من : الدكتور عبد الله الطيَّار ، والدكتور عبد العزيز الحجيلان ، الأستاذين بقسم الفقه بكلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم بالمملكة العربية السعودية<sup>(٢)</sup> .

وقد نَبَّهْنَا إلى هذا الكتاب لئلا يُتَوَهَّم أنه يختص برحلة الشنقيطي إلى حج بيت الله الحرام ؛ خاصة وأن عنوانه قد جاء مَوْسُومًا بـ : ( مَنْسَكُ الإمام الشنقيطي ) وهو ما قد يُفْهَم منه تعلقه بالرحلة ؛ ومن ثم لزم التنبيه .

#### ٦ - الرُّقُّ : أصله ومشروعيته في الإسلام :

وهو عنوان محاضرة ألقاها الشنقيطي ضمن محاضراته بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والتي عُنِيَتْ بإصدار هذه المحاضرة في كتيب صغير ضمن مطبوعاتها التي تقوم بإهدائها وتوزيعها<sup>(٣)</sup> وقد أشار الشيخ عطية إلى هذه المحاضرة ضمن مؤلفات شيخه

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٧٨ - ط ١ - طبع دار النفائس ببيروت - نشر : دار الاعتصام بالقاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

(٢) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالي :

● مَنْسَكُ الإمام الشنقيطي : للإمام محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي المتوفى في ( ١٧ / ١٢ / ١٣٩٣ هـ ) وهو مجموع من تفسيره ( أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ) - جَمَعَهُ وَرَتَّبَهُ وَحَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ وَوَضَعَ عناوينه وفهارسه وقام بالتعريف به وبمؤلفه كل من : الدكتور عبد الله بن محمد أحمد الطيَّار الأستاذ بقسم الفقه ، والدكتور عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الحجيلان الأستاذ المشارك بقسم الفقه - كلية الشريعة وأصول الدين - فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم - ٣ أجزاء - ط ١ - دار الوطن - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م .

(٣) الرُّقُّ (أصله ومشروعيته في الإسلام) : لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - من مطبوعات وإهداء وتوزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ( د.ت ) .



الذى تناول فيه شبهة الرقيق ، ورفع اللبس عن ادعاء استرقاق الإسلام للأحرار<sup>(١)</sup> .

وجدير بالذكر أن الشيخ عطية قد سلك سبيل شيخه إزاء نفس الموضوع الذى دارت عليه محاضراته بالجامعة الإسلامية ، والتي جاءت بعنوان : ( الرُّقُّ : معاملته وحقوقه فى الإسلام ، ومقارنة بينه وبين النظم والقوانين الأخرى فى معاملته ) ضمن محاضرات الموسم الثقافى السنوى للجامعة الإسلامية<sup>(٢)</sup> .

#### ٧ - المثل العتيا :

وهو عنوان محاضرة ألقاها الشنقيطى فى افتتاحية الموسم الثقافى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ( ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م ) وقد أصدرتها فى كتيب صغير ضمن مطبوعاتها التى تقوم بإهدائها وتوزيعها ، وقد أشار الشيخ عطية إلى هذه المحاضرة ضمن مؤلفات شيخه الذى بينَ فيها المثالية فى العقيدة والتشريع والأخلاق<sup>(٣)</sup> .

#### ٨ - مذكرة اصول الفقه :

وهى شرح على كتاب : ( رَوْضَةُ النَّاظِرِ ، وَجَنَّةُ الْمُنَاطِرِ ) لابن قدامة الحنبلى<sup>(٤)</sup> جمع

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ٥٤/١ ( من المقدمة ) .
- تعدد الزوجات وتحديد النسل : الشيخ محمد عطية محمد سالم ص ١٤ - من المقدمة التى جاءت بعنوان : (الجامعة الإسلامية ورسالتها) - المحاضرة رقم (٨) - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٩) - ط ١ - دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
- (٢) تعدد الزوجات وتحديد النسل : الشيخ عطية محمد سالم ص ١٤ - المحاضرة رقم (٩) .
- (٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٤/١ ( من المقدمة ) .
- (٤) ابن قدامة ت ( ٦٢٠ هـ = ١٢٢٣ م ) :

هو شيخ الإسلام الإمام المجتهد القدوة العلامة موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر المقدسى الجماعى ثم الدمشقى الصالحى الحنبلى ، و(الجماعى) نسبة إلى مولده بقرية (جماعيل) بجبل (نابلس) .

كان إماماً فى التفسير والحديث والأصول وعلم الخلاف والنحو والحساب ، كما كان أوحد زمانه فى الفقه والفرائض ، وقد تفقّه ببغداد على مذهب الإمام أحمد بن حنبل فبرع فيه وأفتى به ، وله مصنّفات عديدة مثلها : (المُغْنَى فى شرح مختصر الحرقى - الكافى - المُقْنَع - جزء فى مسألة العلو - جزء فى الاعتقاد - جزء فى ذمّ التأويل - جزء فى فضل العشر) كما يعدُّ كتابه ( رَوْضَةُ النَّاظِرِ وَجَنَّةُ الْمُنَاطِرِ ) من أشهر المصادر وأكثرها عناية بأصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل خاصة ، مع بيانه لأصول المذاهب الأخرى فى مواطن الخلاف عامة .

وقد عُرف عنه زلهده وورعه وجوده وحيائه وتواضعه ، مع حُسن أخلاقه وجمال سمته ونوره وبهائه ، ثم كثرة عبادته وقوة إتباعه ، وكانت وفاته بمنزله بدمشق يوم عيد الفطر حيث صلّى عليه من =



فيه الشنقيطي بين أصول المذاهب الثلاثة : الحنبلي والمالكي والشافعي ، بالإضافة إلى المذهب الحنفي في مواطن الخلاف<sup>(١)</sup> .

ويوضح لنا الشيخ عطية السبب الباعث على تأليف شيخه هذه المذكرة في هذا الفن قائلاً : في عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) افتتحت الكليات في الرياض ، وقد بدأت آنذاك بكلية الشريعة ، وقرّر فيها كتاب (رَوْضَةُ النَّاظِرِ) للعلامة ابن قدامة من أشهر أئمة الحنابلة ، وقد اختير هذا الكتاب لسعته وملاءمته وعنايته بقواعد مذهب الإمام أحمد رحمه الله ، مع بيانه لأصول بقية المذاهب فيما فيه الخلاف .

ولما كانت دراسة هذا الفن جديدة آنذاك ؛ لذا فقد كان الطلاب يجدونه غريباً وصعباً ، ولا سيما أن الكتاب المقرر بأسلوبه المتقدم ، وتفريعاته الواسعة ، كان لا بد للطلاب من مذكرة عليه تحل إشكاله ، وتكشف غموضه ، وتجمع شتاته ، وتفصل مجمله .

وكان الذي تولى تدريسه هو فضيلة المؤلف حفظه الله<sup>(٢)</sup> ومن ثم فقد أملى هذه المذكرة في السنوات الأولى من تدريسه في الرياض ، غير أن الطلاب ظلوا يتناقلونها فيما بينهم دون أن تطبع لهم إلى أن تخرجت الدفعات الأربع الأولى .

وعندما افتتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) انتقل فضيلة المؤلف إلى الجامعة منذ عامها الأول ، وقد تولى تدريس المادة في نفس الكتاب (رَوْضَةُ النَّاظِرِ) وتناقل الطلاب أيضاً نفس المذكرة<sup>(٣)</sup> .

ولا يخفى الهدف المقصود من تأليف هذه المذكرة، والذي يوضحه الشيخ عطية في

= الغد ودُفِنَ بِسَفْحِ جَبَلِ (قاسيون) من عامة المذكور .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبي ١٦٥/٢٢ - ١٧٣ .
- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ١١٦/١٧ - ١٢٠ .
- التكملة لوفيات النقلة : زكي الدين المنذرى ١٥٨/٥ - ١٥٩ .
- كتاب الذيل على طبقات الحنابلة : للحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي الدمشقي المعروف بابن رجب الحنبلي - (١٣٣/٢ - ١٤٩) - صححه ووقف على طبعه : محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م .
- (١) مذكرة أصول الفقه : تأليف صاحب الفضيلة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (على روضة الناظر للعلامة ابن قدامة) ص ٤ - ٥ (بتصرف ويسير) - الطبعة ١ - من مطبوعات الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م .
- (٢) حيث كان الشنقيطي حياً آنذاك ؛ ومن ثم قال : (حفظه الله) ولم يقل : (رحمه الله) .
- (٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطي ص ٤ - ٥ (بتصرف) .



تقديمه لها بقوله: تحل هذه المذكرة للطلاب إشكال هذا الفن ، وتكشف غموضه ، وتجمع شتاته ، وتُفصّل مجمله ؛ ومن ثم يجدون فيها أكثر ما تصبو إليه نفوسهم ، وتتطلع إليه أفكارهم في فن الأصول ؛ مما يمكن أن تغنيهم عن غيرها ولا يكاد يغني غيرها عنها ، ولا سيما في مواطن الترجيح والمباحث العقلية ؛ حيث يجدونها بعيدة عن تعقيد الفلسفة ، وخالصة من شوائب السفسطة ، وناصعة بنور الحق على هدى الكتاب والسنة وعقيدة سلف الأمة<sup>(١)</sup> .

وليس من شك في أن هذه المذكرة قد تركت أثرها الواضح على الأجيال المتلاحقة من طلاب العلم في بلاد الحجاز خاصة ، والعالم الإسلامي عامة ، وهذا ما يقرره الشيخ عطية بقوله : كانت هذه المذكرة المباركة هي الأساس لجميع المتخرجين في كليات الإدارة العامة للمعاهد والكليات لآل الشيخ<sup>(٢)</sup> بل وقد عمّ نفعها والله الحمد حتى أصبح لطلابها المتخرجين عليها مؤلفات في هذا الفن ضمن مقررات المعاهد العلمية التي درسوا فيها ، بالإضافة إلى معهد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومعاهد أخرى ثانوية خارج بلاد الحجاز<sup>(٣)</sup> .

شرح الشنقيطي في هذه المذكرة كتاب (رَوْضَةُ النَّاظِرِ) لابن قدامة من خلال أربعة أقسام موزعة على مقررات أربع سنوات دراسية جاء بيانها على النحو التالي :

١ - مقرر السنة الأولى : ويشمل حقيقة الحكم وأقسامه ، ثم باب أدلة الأحكام وأولها القرآن الكريم .

٢ - مقرر السنة الثانية : ويشمل السنة وهي ثانی الأدلة ، ثم الإجماع وهو ثالث الأدلة مع تعريفه لغةً وشرعاً ، وتقسيمه إلى قَطْعِيٌّ وَظَنِّيٌّ .

٣ - مقرر السنة الثالثة : ويشمل اللغة من حيث تقسيم الكلام ، ثم مسألة الأمر يقتضى الفور ، وأخيراً باب الفحوى والإشارة .

٤ - مقرر السنة الرابعة : ويشمل القياس ، ثم الاجتهاد والتقليد ، وأخيراً تختتم المذكرة بملحق يتعلق بمبحث القياس .

ولشدة حاجة طلاب العلم إلى هذه المذكرة ، وما تحويه من المسائل الأصولية المهمة ؛ فقد قام الشيخ عطية بجمعها قائلاً : لما كانت هذه المذكرة متناثرة الأطراف لدى الطلاب ،

(١) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطي ص ٥ - ٦ .

(٢) ويقصد به سماحة مفتي الحجاز الأسبق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، حفيد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطي ص ٥ .





بحيث لا تكاد توجد مجتمعة عند أحدهم ؛ لذا فقد لَمَسْتُ فيها من مهام هذا الفن وتوجيهات قضاياه ما حَمَلَنِي على جمعها كلها والعناية بها<sup>(١)</sup> .

ويعود الشيخ عطية إلى مراجعة هذه المذكرة تمهيداً لطبعها من قِبَلِ الجامعة الإسلامية التي رغبت في هذا ؛ حيث يقول ما نصه : وقد رغبت الجامعة الإسلامية في جمعها مكتملة بعد تحقيقها وتدقيقها وتصحيحها على فضيلة المؤلف حفظه الله<sup>(٢)</sup> لتكون أثراً من آثارها المجيدة ، فكان ذلك نعمة متجددة لي بدراستها وإتقانها ، وها هي بين يدي الطلاب<sup>(٣)</sup> .

وبالفعل فقد صدرت هذه المذكرة في طبعتها الأولى عام (١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م) في حياة مؤلفها الشنقيطي ضمن مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجاءت في ثلاثمائة وثمان وستين صفحة بتقديم جامعها الشيخ عطية تلميذ المؤلف ، وهي ذات الطبعة التي اعتمدها البحث وعود عليها .

#### ملاحظات حول هذه المذكرة :

وبعد التعريف بهذه المذكرة ومحتواها ، وبيان السبب الباعث للشنقيطي على تأليفها ، وكذا هدفها الذي توخاه منها ؛ فإنه تَرَدُّ عليها جملة من الملاحظات التي نرصدها من خلال :

١ - على الرغم من أن كتاب ( رَوْضَةُ النَّاظِرِ وَجُنَّةُ الْمُنَاطِرِ ) لابن قدامة يُعْنَى بأصول المذهب الحنبلي ، إلا أنه قد تأثر بأصول المذهب الشافعي ، ثم جاءت المذكرة متأثرة بدورها بأصول المذهب المالكي ، ومقارنة بأصول المذهب الحنفي في مواطن الخلاف .  
وجمع المذكرة لأصول هذه المذاهب الأربعة هو ذات ما يشير إليه الشيخ عطية بقوله :  
والجدير بالذكر أن الكتاب المقرر ( رَوْضَةُ النَّاظِرِ ) متأثر كثيراً بكتاب ( الْمُسْتَصْفَى ) للغزالي<sup>(٤)</sup>

(١) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطي ص ٥ .

(٢) حيث كان الشنقيطي حياً آنذاك كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطي ص ٥ .

(٤) أبو حامد الغزالي ت ( ٥٠٥ هـ = ١١١٢ م ) :

هو الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمان ، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي ، تفقه على إمام الحرمين ، وبرع في علوم كثيرة ، وفنون عديدة ؛ حتى إنه ساد في شببته ، فدرّس في (النظامية) ببغداد ، وكان يحضر له رؤوس العلماء في وقته آنذاك كابن عقيل وأبي الخطاب من أئمة الحنابلة ، وقد تعجبوا من فصاحته وذكائه واطلاعه .



فى أصول الشافعية ، وهذه المذكرة متأثرة أيضاً بـ ( مَرَاقِي السُّعُود ) فى أصول المالكية<sup>(١)</sup> وبهذا التأثير المزدوج تكون تلك المذكرة مفيدة أصالةً فى المذاهب الثلاثة : الحنبلى والشافعى والمالكي ، وأيضاً فى المذهب الحنفى فى مواطن الخلاف حينما تتعرض له<sup>(٢)</sup> .

وهذا خلاف ما قد يفهم من أن هذا الكتاب (رَوْضَةُ النَّاظِرِ) لابن قدامة ، وشرح الشنقيطى عليه فى (مذكرة أصول الفقه) إنما يختصان فقط بأصول المذهب الحنبلى ؛ ومن ثم لزم التنبيه .

٢ - شَرَحَ الشنقيطى فى هذه المذكرة كتاب (رَوْضَةُ النَّاظِرِ) كاملاً إلا مقدمة مؤلفه ابن قدامة ، وهذا ما يبينه الشيخ عطية بقوله : شملت هذه المذكرة ( روضة الناظر ) كلها ما عدا المقدمة المنطقية التى افتتح بها المؤلف كتابه ، والمتضمنة ما لا بد منه من اصطلاحات المتكلمين المتداخلة لهذا الفن ؛ وذلك تسهيلاً لفهمها ، ومسيرة لمنهج دراستها ، وقد شملت مباحث : (الحد والبرهان ، وأنواع الدلالة ، ثم أقسام القضايا) ونحو ذلك مما لم تتعرض له هذه المذكرة<sup>(٣)</sup> .

٣ - اختتم ابن قدامة كتابه (روضه الناظر) وتابعه الشنقيطى فى شرحه عليه فى (مذكرة أصول الفقه) بمبحث القياس ، غير أن الشيخ عطية قد أثبت بنهاية المذكرة (مُلْحَقًا) بهذا المبحث كان قد سَجَلَهُ ونقله عن شيخه الشنقيطى ، وهذا ما يوضحه بقوله : مُلْحَقٌ

= خرج عن الدنيا بالكلية وأقبل على أعمال الآخرة ، فكان يرتزق من النَّسْخ ، وقد رحل إلى الشام فأقام بدمشق حيناً ، ثم رحل إلى بيت المقدس مدة صَنَّفَ خلالها كتابه الشهير ( إحياء علوم الدين ) ومن مصنفاته الأخرى العديدة : ( البسيط - الوسيط - الوجيز - الخلاصة - المستصفى - المنحول - اللباب - المتحل فى الجدل - تهافت الفلاسفة - مَحَكَّ النظر - شرح الأسماء الحسنى - المنقذ من الضلال ) وغيرها .

وقد ابتنى رباطاً له فى داره ببلده (طوس) وغرس فيها بستاناً أنيقاً ، ثم أقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح ، وقد ظل على حاله تلك حتى كانت وفاته الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة من العام المذكور .

انظر تفصيل ترجمته فى كل من :

• وفيات الأعيان : لابن خلكان ٢١٦/٤ - ٢١٩ .

• سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى ٣٢٢/١٩ - ٣٤٦ .

• طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين السبكي ١٩١/٦ - ٣٨٩ .

• البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ٢١٣/١٦ - ٢١٥ .

(١) سيأتى التعريف به ضمن حديثنا عن شرح الشنقيطى عليه المسمى : (نثر الورود على مراقي السعود)

فى أصول فقه المالكية ص من هذا البحث .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ ( بتصرف يسير ) .



لمبحث القياس كنت قد سجّلته من دروس فضيلة الوالد الشيخ محمد الأمين الشنقيطى فى المسجد النبوى فى (رمضان عام ١٣٨٩ هـ = نوفمبر عام ١٩٦٩ م) فى التفسير عند قول الله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ الآية (١) .

وقد ناقش فيه فضيلته إثبات القياس على منكريه ، وأورد أقسامه وأمثله العديدة ؛ مما لا يتسع له محله من الكتاب المقرر ، ولا يستغنى عنه طالب لإيضاحه وشموله ، وقد دونته وصححته على فضيلته ، ثم عرّض بعد ذلك على سماحة رئيس الجامعة (٢) فارتأى طبعه مع هذه المذكرة تعميماً للفائدة (٣) .

٤ - صدرت هذه المذكرة فى عدة طبعات أخرى بعد ذلك نذكر منها هاتين الطبعتين الأولى : وهى طبعة المدرسة السلفية ، وقد كتب عليها ( حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ) وهذا ما لم نعهده على مؤلفات الشنقيطى ألبتة !! بل ويخالف المبدأ الذى التزمه فى عدم التكسب بتلك المؤلفات التى جعلها لوجه الله الكريم ؛ خدمة لطلاب العلم وباحثيه ، والثانية : وهى طبعة المكتبة السلفية ، والتى قام بنشرها صاحبها محمد عبد المحسن الكتبى بالمدينة المنورة ، وقد لوحظ صدور هاتين الطبعتين بدون تاريخ ، فضلاً عن عدم ذكر موطن الأولى منهما .

#### ٩ - المصالح المرسلّة :

وهو عنوان المحاضرة التى ألقاها الشيخ عطية نيابة عن شيخه الشنقيطى ضمن محاضرات الموسم الثقافى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م) (٤) ، والتى أشار إليها ضمن مؤلفات شيخه بقوله : لقد بين رحمه الله فى هذه المحاضرة ضابط استعمال المصالح المرسلّة بين الإفراط والتفريط (٥) .

وقد قامت الجامعة الإسلامية بطبع هذه المحاضرة فى كتيب صغير بلغ عدد صفحاته

(١) الأعراف : ١٢ .

(٢) والمقصود به الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ، الذى كان رئيساً للجامعة الإسلامية آنذاك .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٣٤١ ( بتصرف يسير ) .

(٤) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٣٧ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥٤ ( من المقدمة ) .



سبع عشرة صفحة ضمن مطبوعاتها التي تقوم بإهدائها وتوزيعها<sup>(١)</sup> .

#### ١٠ - المنظوم وشرحه في فن المنطق :

جاء ذكر هذا الكتاب على لسان الشنقيطي عقب ذكره مبحث (السبّر والتقسيم) عند المناطقة بقوله :

والسبّر والتقسيم عند المناطقة هو الشرطي المنفصل ، وهو ثلاثة أقسام ؛ لأن الشرطية المنفصلة التي يتركب منها الشرطي المنفصل ثلاثة أقسام ، وقد حررنا هذه المباحث في كتابنا : ( المنظوم وشرحه في فن المنطق )<sup>(٢)</sup> .

#### • ملاحظات حول هذا الكتاب :

١ - بالرغم من إشارة الشنقيطي السابقة إلى كتابه هذا ؛ إلا أن تلميذه الشيخ عطية لم يورده ضمن مؤلفات شيخه عند ترجمته ، بل وقد تابعه الشيخ محمد المجذوب في ترجمته للشنقيطي كذلك<sup>(٣)</sup> .

٢ - طُبِعَ هذا الكتاب طبعة تعليمية في حياة مؤلفه اقتصرت على طلاب جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، والذين درّسَ لهم أستاذنا الدكتور الحسيني أبي فرح هذا الكتاب من خلال مادتي : ( المنطق ) و ( الرد على المناطقة ) عام ( ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م )<sup>(٤)</sup> . ومنذ ذلك الحين لم يطبع هذا الكتاب طبعة تجارية يمكن من خلالها نشره خارج بلاد الحجاز بعيداً عن هذا الغرض التعليمي .

٣ - لعل أصل هذا الكتاب مأخوذ عن ( ألفية المنطق ) التي أسلفنا ذكرها ضمن مؤلفات الشنقيطي المخطوطة .

---

(١) المصالح المرسله : محاضرة لفضيلة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي - من

مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ١٧٢ - ١٧٤ .

(٣) راجع في ذلك كلاً من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ١/ ٥٣ - ٥٥ ( من المقدمة ) .

• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٦ - ١٨٨ .

(٤) كما أخبرني بذلك أثناء زيارتي العلمية لفضيلته بمنزله بالقاهرة عصر الجمعة ( ٢٨ - ٥ - ١٤٠٦ هـ )

الموافق ( ٧ - ٢ - ١٩٨٦ م ) فجزاه الله عنى وعن طلاب العلم خير الجزاء .





### ١١ - منع جَوَازِ المَجَازِ :

وتمام اسمه : ( منع جواز المجاز في المنزّل للتعبد والإعجاز ) وهو ما يُعرّفهُ الشيخ عطية بقوله : هو عبارة عن رسالة موضوعها إبطال إجراء المجاز في آيات الأسماء والصفات ، وإيفاؤها على الحقيقة<sup>(١)</sup> .

والسبب الباعث على تأليف الشنقيطي هذه الرسالة في علوم القرآن ، يوضحه تلميذه الشيخ عطية كذلك قائلاً : كان رحمه الله قد كتبها ردّاً على مناقشات أثرت حول آيات الصفات ، وما يدور فيها من نقاش بين مذهبي السلف والخلف ، وإتيانها على حقائقها من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل .

وقد بينَ صرفها عن حقائقها بنوع تأويل على أسلوب المجاز في اللغة العربية على ما هو متعارف ؛ فكان القول بالمجاز في اللغة أقوى موجب للتأويل في آيات الصفات ؛ ومن ثم كانت هذه الرسالة لهذا الموضوع<sup>(٢)</sup> .

أما الهدف الذي قصد إليه الشنقيطي بتأليف هذه الرسالة فهو ما جاء على لسانه في قوله : والمقصود من هذه الرسالة نصيحة المسلمين وتحذيرهم من نفى صفات الكمال والجلال ، التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه العزيز ؛ بادعاء أنها مجاز وأن المجاز يجوز نفيه ؛ لأن ذلك من أعظم وسائل التعطيل<sup>(٣)</sup> .

ويزيد هذا الهدف توضيحاً تلميذه الشيخ عطية بقوله : وكان الغرض من هذه الرسالة هو الحفاظ على آيات الصفات من إدخال المجاز ، وعمدة ما فيها : أن المجاز وإن كان أسلوباً لغةً ؛ فليس كلُّ ما جاز لغةً جاز قرآنًا<sup>(٤)</sup> .

كما يضيف الشيخ المجذوب بُعداً آخر للهدف من تأليف الشنقيطي هذه الرسالة فيقول : وغرض شيخنا الشنقيطي من رسالته هذه هو نفى ادعاء المجاز في أسماء الله وصفاته ، وإجراؤها على طريقة السلف ، دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ، كما يفعل بعض المتكلمين الذين يكادون يبطلون كلَّ ما أثبته الله لذاته في الكتاب ، وكلَّ ما أثبته له رسوله ﷺ في الحديث الصحيح<sup>(٥)</sup> .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٣/١ ( من المقدمة ) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٩٤/٩ ( الجزء الثاني من التتمة ) .

(٣) منع جواز المجاز في المنزّل للتعبد والإعجاز ( ضمن الجزء العاشر من أضواء البيان ) : الشنقيطي ٤/١٠ ( طبعة الرياض ) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٩٥/٩ ( الجزء الثاني من التتمة ) .

(٥) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٧/١ .



وقد تضمنت مقدمة هذه الرسالة منهج الشنقيطي فيها ، والذي يبينه قائلاً : **وسميته** ( منع جواز المجاز في المنزّل للتعبد والإعجاز ) **ورتبته** على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة كما يلي :

المقدمة : في ذكر الخلاف في وقوع المجاز في أصل اللغة ، وأنه لا يجوز في القرآن على كلا القولين .

الفصل الأول : في بيان أنه لا يلزم من جواز الشيء في اللغة جوازه في القرآن ، وذكر أمثلة لذلك .

الفصل الثاني : في الجواب عن آيات زعموا أنها من المجاز نحو قول الله تعالى : **﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾** الآية<sup>(١)</sup> .

الفصل الثالث : في الأجوبة عن إشكالات تتعلق بنفي المجاز ونفي بعض الحقائق ، ويشتمل على أمور تتعلق بالموضوع .

الفصل الرابع : في تحقيق المقام في آيات الصفات ، مع نفي المجاز عنها .

الخاتمة : في وجه مناظرة النافي لبعض الصفات بالطرق الجدلية<sup>(٢)</sup> .

وقد وقع هذا الكتاب في اثنتين وستين صفحة ، وصدر في أولى طبعاته مضمومًا إلى كتاب (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) ضمن الجزء العاشر من (أضواء البيان) بطبعة الرياض عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) .

وكان الشنقيطي قد أشار إلى فراغه من جمعه أثناء إقامته بمدينة الرياض ، حيث ذكر ذلك في الخاتمة بقوله :

**وَالْحَقُّ أَبْلَجُ لَا تَزِيغُ سَبِيلُهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ**

وهنا انتهى ما أردنا جمعه بمدينة الرياض المحروسة ، جعلها الله آمنة مطمئنة ، ونرجو الله أن يرزقنا الإخلاص في العمل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل<sup>(٣)</sup> .

(١) الكهف : ٧٧ .

(٢) منع جواز المجاز الشنقيطي ٤/١٠ - ٥ ( طبعة الرياض ) .

(٣) منع جواز المجاز : الشنقيطي ٤/١٠ - ٥ ( طبعة الرياض ) .

وجدير بالذكر أن إقامة الشنقيطي بمدينة الرياض قد امتدت على مدار عشر سنوات منذ عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) الذي افتتحت فيه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والتي انتقل إليها الشنقيطي للتدريس بها في أول أيامها واستمر على ذلك حتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .



• ملاحظتان حول هذا الكتاب :

١ - ذكر الشيخ عطية في نهاية الجزء التاسع من (أضواء البيان) أو (الثاني من التتمة) أن من مؤلفات شيخه رسالة : ( منع جواز المجاز عن المنزّل للتعبد والإعجاز) حيث ذكر (عن) بدلاً من (في) خلافاً لاختيار المؤلف الذي ذكر (في) ولم يذكر (عن)<sup>(١)</sup> .

ومع أن حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض في اللغة ؛ إلا أنه لا يخفى أن إثبات ما اختاره المؤلف مقدم على إثبات ما يختاره سواه ؛ ومن ثم لزم هذا التنبيه .

بل إن الشيخ عطية نفسه قد أثبت اسم الكتاب في مواضع أخرى بذكر (في) بدلاً من (عن) كاختيار شيخه في ذلك<sup>(٢)</sup> .

٢ - صدر هذا الكتاب في طبعات أخرى منفصلة عن الجزء العاشر من (أضواء البيان) بطبعة الرياض ، ومن هذه الطبعات : طبعة مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع بالهرم بالقاهرة عام (١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م)<sup>(٣)</sup> .

١٢ - منهجٌ ودراسات لآيات الأسماء والصفات<sup>(٤)</sup> :

وهو عنوان المحاضرة التي ألقاها الشنقيطي ضمن محاضراته العديدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وذلك في (رمضان المعظم ١٣٨٢ هـ = فبراير ١٩٦٣ م) حيث أصدرتها الجامعة لأول مرة آنذاك ضمن مطبوعاتها ، وجاءت في ست وعشرين صفحة متوسطة ، وقد أشار الشيخ عطية إلى هذه المحاضرة ضمن مؤلفات شيخه بقوله : ومن المحاضرات العديدة ذات المواضيع المستقلة التي طبعت كلها ونفذت محاضرة : (آيات الصفات) التي أوضح فيها رحمه الله تحقيق إثبات صفات الله تعالى<sup>(٥)</sup> .

وقد أعيد طبع هذه الرسالة في ست وعشرين صفحة من قبل دار الاعتصام للطبع

(١) منع جواز المجاز : الشنقيطي ٤/١٠ (طبعة الرياض) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٣/١١ (من المقدمة) .

(٣) منع جواز المجاز في المنزّل للتعبد والإعجاز : لصاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي رحمه الله - مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع - الهرم - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

(٤) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : للشيخ محمد الأمين الشنقيطي - ط ١ - من مطبوعات الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - رمضان المعظم ١٣٨٢ هـ = فبراير ١٩٦٣ م .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٤/١ (من المقدمة) .



والنشر والتوزيع بالقاهرة التي تولت إصدارها عدة مرات<sup>(١)</sup> .

وأما الهدف الذي قصد إليه الشنقيطي في هذه الرسالة العقائدية فيتمثل في إباتته عن منهج السلف في الاعتقاد من حيث فهم أسماء الله تعالى وصفاته ، وهذا ما يوضحه في مقدمة الرسالة بقوله : أما بعد : فإننا نريد أن نوضح لكم معتقد السلف ، والطريق المنجى نحو آيات الصفات ، واعلموا أن كثرة الخوض والتعمق في البحث في آيات الصفات ، وكثرة الأسئلة في ذلك الأمر ؛ كل هذا من البدع التي يكرهها السلف<sup>(٢)</sup> .

كما يحدد الشنقيطي الأسس الثلاثة التي ارتكز عليها منهجه في هذه الرسالة فيقول : اعلموا أن مبحث آيات الصفات دلّ القرآن العظيم على أنه يتركز على ثلاثة أسس ، من جاء بها كلها فقد وافق الصواب وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح ﷺ ومن أخلّ بواحدٍ من تلك الأسس الثلاثة فقد ضلّ ، وكل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها قرآن عظيم كما يلي :

• أما أول هذه الأسس : فهو تزويه الله جلّ وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين ، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾<sup>(٥)</sup> .

• وأما ثانی هذه الأسس : فهو الإيمان بما وصف الله به نفسه لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله : ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ الآية<sup>(٦)</sup> والإيمان بما وصفه به رسول ﷺ لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذي قال في حقه : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ الآيتان<sup>(٧)</sup> .

• وأما ثالث هذه الأسس : فهو قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية ؛ لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل ، وهذا ما نص الله عليه في قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ الآية<sup>(٨)</sup> .

(١) انظر تلك الطبعة بنص العنوان التالي :

• منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : للشيخ محمد الأمين الشنقيطي المتوفى عام ١٣٩٣ هـ رحمه الله وغفر له ، وأجزل له الأجر والثواب - طبع وتوزيع وإهداء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - نشر دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : الشنقيطي ص ٣ .

(٥) النحل : ٧٤ .

(٤) الإخلاص : ٤ .

(٣) الشورى : ١١ .

(٧) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) .

(٦) البقرة : ١٤٠ .

(٨) طه : ١١٠ - وانظر ( منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ) : الشنقيطي ص ٣ -

ص ٢٤ ( بتصرف ) .





وفي النهاية يختم الشنقيطي رسالته هذه بنصيحة المسلمين قائلاً : وختاماً يا إخواني : نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله ، وأن تمسكوا بهذه الكلمات الثلاث ، ثم أورد ذات الأسس الثلاثة التي سلف ذكرها<sup>(١)</sup> .

### ١٣ - منهج التشريع الإسلامي وحكمته :

وهو عنوان المحاضرة التي ألقاها الشنقيطي في افتتاح الموسم الثقافي للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م) حيث طبعها مركز شؤون الدعوة الإسلامية بالجامعة لأول مرة آنذاك تحت رقم (٦٧) وجاءت في خمس وعشرين صفحة<sup>(٢)</sup> .

وقد بينَّ الشيخ عطية مضمون محاضرة شيخه، موضحاً نضج وشمول ، وكمال وعموم منهج التشريع الإسلامي ؛ بما جعله منهجاً فريداً متميزاً عما سواه ، خاصة وأن حكمة هذا المنهج تتمثل في فوز مَنْ يلتزمه ويتمسك به بنعيم الدارين في الدنيا والآخرة ، وبهذا يقدم لهذه المحاضرة قائلاً : وهذه المحاضرة مرآة ونبراس يعتز به كل مسلم يعمل لإعزاز دينه ؛ فهي تكشف له جانباً هاماً<sup>(٣)</sup> من جوانب عظمة هذا الدين القويم في منهجه وحكمته ؛ كما سيجد الداعي إلى الله حجة وسلطاناً للمناضلة أمام تيارات الغرب الجارفة ؛ تُسكتُ أبواق الدعاية الغربية ، وعُدَّة لإحباط الحملات المنظمة للنيل من عزة الإسلام وحضارته .

بل هي كالصخرة التي تتحطم عليها تيجان عزة القوانين الوضعية<sup>(٤)</sup> التي هي غاية منتهى صنع البشر ونهاية إنتاج عقولهم ، فتجعلها تتهاوى على أطرافها أشلاءً وألواناً تعبر عن حقيقة نشأتها من تلون الفكر الإنساني وتغيره أمام المشاكل والأهداف ؛ فتُخَرِّص صاغرة أمام عظمة هذا المنهج الإسلامي القويم الذي جاء من لدن حكيم عليم لا يعزبُ عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وسع كل شيء رحمة وعلماً ، فهو سبحانه العالم بكل شيء ، والقادر على كل شيء ، ورحمته وسِعَتْ كل شيء .

فبمقتضى علمه لا يطرأ على منهجه خللٌ ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : الشنقيطي ص ٢٦ .

(٢) منهج التشريع الإسلامي وحكمته : لفضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي - الطبعة ١ - الكتاب رقم (٦٧) - من مطبوعات الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

(٣) وصوابه (مُهَمًّا) من قولهم : (أمرٌ مُهِمٌّ) أي يدعو إلى اليقظة والتدبير - انظر مادة (هَمَم) في المعجم الوسيط : ١٠٣٦/٢ .

(٤) لا وجه هنا لإثبات العزة وتيجانها للقوانين الوضعية ؛ فهذا ما يؤدي إلى نقيض قصد المؤلف الذي يتمثل في إبرازه تمام وكمال المنهج الإلهي الذي لا تدانيه عزة ولا تسمو فوقه تيجان !! ومن ثم فلا مسوغ لهذا التعبير سوى تخريجه على (تيجان العزة المزعومة) على حدِّ ادعاءات واضعي هذه القوانين ، ووفقاً لافتراءاتهم .



وبمقتضى قدرته لا يلحقه عجز عن شيء ، وبمقتضى رحمته يخلو منهجه عن كل ضرر<sup>١</sup> ويجلب لنا كل خير ؛ وبمقتضى الجميع يكون منهج شريعته شاملاً لكل خير ، مبرراً من كل ضرر<sup>٢</sup> ، كما روى عن رسول الله ﷺ : « ما تركتُ خيراً إلا بينته لكم وأمرتكم به ، ولا تركتُ شراً إلا بينته لكم وحذرتكم منه » الحديث<sup>(١)</sup> .

وسيرى قارئ هذه المحاضرة كيف سارت الحكمة والرحمة هذا المنهج من مبدئه إلى اكتماله ؛ حتى أصبح شاملاً وافياً مستغرقاً لجميع نواحي الفرد والجماعة والأمة ، عباداتهم ومعاملاتهم ، حركاتهم وسكناتهم ، لديانهم وآخرتهم ؛ مما يكفل للسائرين عليه الفوز في الدنيا والنجاة في الآخرة<sup>(٢)</sup> .

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وما وجدته من روايات قريبة منه فيانها كالتالي :

أخرج عبد الرزاق عن معمر بن عمران عن صاحب له قال : إن رسول الله ﷺ قال : « ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلا قد بينته لكم » - انظر (المصنف) : للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت ( ٢١١ هـ = ٨٢٧ م ) - (كتاب) الجامع (باب) القدر - ١٢٥/١١ - حديث رقم (٢٠١٠٠) - ومعه كتاب (الجامع) للإمام معمر بن راشد الأزدي برواية عبد الرزاق الصنعاني - الجزء الحادي عشر - عني بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه : الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي - الطبعة ٢ - المكتب الإسلامي - عمان - الأردن - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

وأخرج الطبراني من طريق فطر عن أبي الطفيل عن أبي ذر قال : تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علماً ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم » - انظر (المعجم الكبير) : للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت ( ٣٦٠ هـ = ٩٧١ م ) - ١٦٦/٢ - حديث رقم (١٦٤٧) - حققه وخرجه أحاديثه : حمدي عبد المجيد السلفي - الطبعة ١ - (الدار العربية للطباعة ببغداد) بالتعاون مع ( لجنة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف ) - العراق - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

وأخرج البيهقي من طريق عبد العزيز الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب أن رسول الله ﷺ قال : « ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئاً مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه » - انظر (السنن الكبرى) : للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ( ٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م ) - ٧٦/٧ - وفي ذيله (الجواهر النقي) : للعلامة علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني ت ( ٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م ) - الطبعة ١ - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد الدكن - الهند - ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٥ م .

وأخيراً فقد أورد الألباني قول رسول الله ﷺ : « ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم » - انظر (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها) : للشيخ محمد ناصر الدين الألباني - ١١٦/٤ - حديث رقم (١٨٠٣) - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

(٢) منهج التشريع الإسلامي وحكمته : الشنقيطي ص ١٥ - ١٧ .



• ملاحظتان حول هذه المحاضرة :

١ - طبعت هذه المحاضرة بعد طبعتها الأولى بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عدة طبعات كان آخرها طبعة دار التراث بالمدينة المنورة ، وذلك ضمن الكتاب التاسع من سلسلة (الرسائل المدينة) والذي ضم هذه المحاضرة مع محاضرة الشيخ عطية في ( تعدد الزوجات وتحديد النسل ) وقد بلغ عدد صفحات هذا الكتاب مائة وثلاثاً وخمسين صفحة ، استغرقت محاضرة الشنقيطي أربعين منها من القطع المتوسط ، وذلك عام (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) <sup>(١)</sup> .

٢ - أشار الشيخ عطية إلى هذه المحاضرة ضمن مؤلفات شيخه في ترجمته له تحت عنوان : ( حكمة التشريع ) وليس : ( منهج التشريع الإسلامي وحكمته ) وقد تابعه في ذلك الشيخ المجذوب في ترجمته للشنقيطي <sup>(٢)</sup> ومن ثم فقد لزم التنبيه .

١٤ - نثر الوُرُود على مَرَاقِي السُّعُود :

وهو شرح للشنقيطي على كتاب : ( مَرَاقِي السُّعُود لِمُبْتَغِي الرُّقِيِّ وَالصُّعُود ) للشيخ عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي الذي نظم فيه كتاب تاج الدين السبكي المُسَمَّى : (جمع الجوامع) في علم الأصول ، مع زيادات كثيرة عليه بلغت به نحو ألف بيتٍ وبيتٍ . وكان الشنقيطي قد أملى هذا الشرح على تلميذه وابن عمه أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكني الشنقيطي عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) في بيت الشنقيطي بالرياض بناءً على طلبه الذي قصد إليه عند أدائه حجة الإسلام آنذاك .

وقد أجابه الشنقيطي إلى ما طلب غير أنه ترك ما يقرب من خُمسٍ هذا النظم دون شرح بما يعادل مائة وخمسة وثمانين بيتاً ، منها واحد وعشرون بيتاً من أول النظم حتى قول الناظم :

كَلَامُ رَبِّي إِنْ تَعَلَّقَ بِمَا يَصِحُّ فَعِلًّا لِلْمُكَلَّفِ اعْلَمًا

ثم مائة وأربعة وستون بيتاً من بقية مبحث (المجاز) حيث قول الناظم :

(١) انظر ( منهج التشريع الإسلامي وحكمته ) : لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله - ومعه ( تعدد الزوجات وتحديد النسل ) : لفضيلة الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدينة) - الكتاب رقم (٩) - الطبعة ١ - دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٢) راجع في ذلك كلا من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ١/ ٥٤ ( من المقدمة ) .

• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٨ .



وَأِنْ يَجِي الدليلُ لِلخِلافِ فَقَدَّمْنَهُ بِلاَ اختِلافِ

وانتهاءً بمبحث (العَام) حيث قول الناظم :

خِطَابٌ وَأَحَدٌ لغيرِ الحنبليِّ مِنْ غيرِ رَعْيِ النَّصِّ وَالْقَيْسِ الجَلِيِّ

وقد أكمل الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنى الشنقيطى تلميذ الشنقيطى وابن عمه هذا الشرح الذى جاء فى جزأين بلغ عدد صفحاتهما سبعمائة وإحدى وسبعين صفحة من القطع الكبير ، وصدر فى طبعته الأولى عام (١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م) (١) .

ويتضح وصف هذا الشرح ومنهج الشنقيطى فيه من خلال الافتتاحية التى جاء تحتها ما نصه : لقد شرح الشيخ رحمة الله عليه هذا النظم شرحاً لا مثيل له ، يُغنى عن غيره ولا يُغنى عنه غيره ؛ حيث امتاز عن غيره من كتب أصول الفقه بكثرة الأمثلة التى لم يعتن بها الأصوليون غالباً ، كما جمع فيه ثمرة الكثير من كتب الأصول ، واستطرد كثيراً من المسائل الفقهية ، وأبدى اعتراضات على بعض الأصوليين موضحاً وجه الصواب فيها .

فصار هذا الشرح دُرَّةً ثمينة وجوهرة غالية ، استعمل فيه شيخنا الأسلوب السلس ، وتحاشى فيه الغموض الذى ملأ كتب أصول الفقه ؛ فهو لا غنى عنه للمبتدئ ولا للمتتهى ، بل يستطيع غير المتخصص فى فن الأصول أن يتابع دراسته فيه دون مشقة ولا إرهاق ، فى حين يستفيد منه المتخصص استفادة لا تحصى ولا ترام ؛ خاصة وأن الشيخ رحمة الله عليه قد جنَّبَ هذا الشرح الكثير من كلام المنطقيين والجدليين والمتكلمين ؛ فجاء الكتاب صفوة الكتب السابقة ، وغنى عن الكتب اللاحقة (٢) .

#### • ملاحظات حول هذا الشرح :

١ - ظل هذا الشرح مخطوطاً لمدة أربعين عاماً تقريباً منذ أن كان الشنقيطى بيلاده شنقيط ، وحتى إملائه على تلميذه وابن عمه أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكنى الشنقيطى عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) ببيت الشنقيطى بالرياض ، ثم إكماله على يد تلميذه

(١) انظر هذا الشرح بنص عنوانه التالى :

• نثر الورود على مراقى السعود : شرح الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى (صاحب أضواء البيان) - تحقيق وإكمال تلميذه : الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى - الناشر : محمد محمود محمد الحُضْر القاضى - جزآن - الطبعة ١ - توزيع دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

(٢) نثر الورود على مراقى السعود : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنى الشنقيطى ١ / ٦ - ٧ (بتصرف يسير) .





وابن عمه أيضاً الدكتور محمد ولد سيدي ولد حبيب الجكني الشنقيطي الذي فرغ منه يوم الخميس (٣-١١-١٤١٣هـ) الموافق (٣-٧-١٩٩٢م) ببلد الله الحرام مكة المكرمة، وقد أعقب ذلك صدور الكتاب في أول طبعة له عام (١٤١٥هـ = ١٩٩٥م) <sup>(١)</sup>.

٢ - أشار الشيخ عطية إلى هذا الشرح ضمن مؤلفات شيخه الشنقيطي بقوله : وقد أملى رحمه الله شرحاً على (مراقى السُّعود) في بيته بمدينة الرياض على أخيها أحمد الأحمد الشنقيطي <sup>(٢)</sup>.

٣ - صدرت عدة شروح على (مراقى السُّعود) غير شرح الشنقيطي المُسمَّى (نثر الورود) نذكر منها :

• نشر البنود على مراقى السعود : لصاحب النظم عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي الذي جاء شرحه هذا وافياً على نظمه <sup>(٣)</sup>.

• فتح الودود على مراقى السُّعود : للشيخ محمد يحيى الولاتي الشنقيطي ، وهو على شرح مختصر على هذا النظم <sup>(٤)</sup>.

• مراقى السُّعود إلى مراقى السُّعود : للشيخ محمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني الشنقيطي ، وهو شرح مختصر أيضاً على هذا النظم <sup>(٥)</sup>.

وقد حقق هذا الشرح الدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشنقيطي ، ونال به درجة الماجستير بتقدير ممتاز من قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في (رجب ١٤٠١هـ = مايو ١٩٨١م) .

(١) نثر الورود على مراقى السعود : د. محمد ولد سيدي ولد حبيب الجكني الشنقيطي ١ / ٧ ، ١١ - ٦٦١ / ٢ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ١ / ٤٥ ( من المقدمة ) .

(٣) صدر هذا الشرح على وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية بالتعاون مع دولة الإمارات العربية المتحدة ، وجاء في جزأين بلغ عدد صفحات الأول منهما ثلاثمائة وست صفحات بتقديم الداي ولد سيدي بابا وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب ، في حين بلغ عدد صفحات الجزء الثاني ثلاثمائة وستاً وخمسين صفحة بتقديم الدكتور أحمد رمزي وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب .

وقد صدر هذا الكتاب بجزأيه في طبعته الأولى عن المطبعة الحجرية بفاس بالمملكة المغربية ، ورغم صدوره بدون تاريخ إلا أن اختلاف وزيرى الأوقاف في تقديم الجزأين يدل على وجود الفارق الزمني بين صدور الجزء الأول وصدور الجزء الثاني آنذاك .

(٤) نثر الورود على مراقى السُّعود : د. محمد ولد سيدي ولد حبيب الجكني الشنقيطي ص ١٠ .

(٥) نثر الورود على مراقى السُّعود : د. محمد ولد سيدي ولد حبيب الجكني الشنقيطي ص ١٠ .



المبحث الثالث  
مؤلفاته المسجلة



وتشمل أحاديث الشنقيطي العديدة التي جرت على لسانه من خلال دروسه ومحاضراته العامة ، أو فى جلساته ومناظراته الخاصة ، والتي لا تزال مسجلة على أشرطة محفوظة سواء عند ولديه الدكتور محمد المختار الابن الأكبر ، أو الدكتور عبد الله الابن الأصغر ، أو عند أول وأخص تلامذته الشيخ عطية محمد سالم والذي أشار إلى ذلك قائلاً : وكان له رحمه الله تعالى العديد من الدروس والأحاديث والمحاضرات التي لم يدخر من خلالها وسعاً فى تعليم ، ولم يتوان فى توجيه ، سواء مع الطلاب والمدرسين ، أو الحكام والعوام ؛ مما يرسم الطريق الصحيح للدعوة إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد سُجِّلت كلها فى أشرطة لا تزال محفوظة ، وإنى لآمل أن أُوفَّق لنقلها وطبعها إتماماً للفائدة إن شاء الله تعالى<sup>(١)</sup> .

وعندما سئل الدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطي عن كيفية الحصول على آثار والده المسجلة وسبل الاستفادة منها ، والتي تبلغ ما يقرب من ألف شريط فى كل من مكتبة الحرم المكى ومكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وحدهما ؛ فأجاب عن ذلك قائلاً : كانت تلك الأشرطة عندي ، غير أننى أعطيتها لعمادة شئون الطلاب بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عقب وفاة الشيخ رحمة الله عليه ؛ لأن الإنسان فى الحقيقة ضعيف ؛ ومن ثم كنت أتأثر تأثراً بالغاً إذا سمعت صوت الوالد فى السنوات الأولى التى أعقبت وفاته ، خاصة أننى كنت أستحضر ساعتها جلوسى فى الحلقة بالمسجد النبوى ، وصوته المباشر الذى يختلف تماماً عن الخط أو الكتابة ؛ ولهذا فقد كان أن أخذت هذه الأشرطة كلها ودفعتها إلى عمادة شئون الطلاب بالجامعة الإسلامية كما ذكرت .

غير أن أغلب أشرطة الوالد موجودة عند الشيخ سيد حبيب<sup>(٢)</sup> الذى كان يسجل منذ عشرات السنين ؛ بما كوّن عنده الآلاف من تلك الأشرطة ، وسوف أحاول لقاءه بالمدينة المنورة لأبحث معه أمر هذه الأشرطة ، ولنجعل الواضح منها فى طريق ويعمم بإذن الله تعالى<sup>(٣)</sup> .

ومن الجدير بالذكر أن تفسير الشنقيطي للقرآن الكريم قد سُجِّلَ كاملاً فى أشرطة من خلال حلقات التفسير بالحرم النبوى الشريف ، وهذا ما ينوّه إليه ابنه الدكتور عبد الله

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١/٤٧ - ٤٩ ( من المقدمة بتصرف يسير ) .

(٢) وهو صاحب ( مدرسة العلوم الشرعية ) المعروفة ، والتي تقع خلف ( البقيع ) بمنطقة الحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة .

(٣) راجع فى ذلك المحاضرة المسجلة بعنوان ( الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين ) : د. عبد الله الشنقيطي .



بقوله : أخبرني بعض الناس أن تفسير القرآن الكريم كله مسجل بصوت الشيخ في أشرطة لدى الشيخ سيد حبيب الذي دأب على ذلك بالحرم النبوي منذ زمن بعيد ؛ وتلك الأشرطة هي التي تُنْبئُ عن علم الشيخ الحقيقي ؛ لأن كل كتب الشيخ لها منهج ، وليست مفتوحة كحلقات تفسيره ودروسه آنذاك<sup>(١)</sup> .

وفي الجملة يصور لنا الشيخ المجذوب كثرة ما خلفه الشنقيطي من الآثار المسجلة ، فضلاً عن تنوعها وعظيم نفعها للقاصي والداني فيقول : **إِنَّ مَا سُجِّلَ وَحُفِظَ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَوْ نُقِلَ إِلَى الطُّرُوسِ<sup>(٢)</sup> لَأَلْفَ قَائِمَةَ طَوِيلَةَ مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ الْعَظِيمَةِ ؛** فهناك دروسه القيّمة في فصول الجامعة الإسلامية ، ثم دروسه العامة في المسجد النبوي ، ثم محاضراته التي كان يُدعى لإلقائها في دار الحديث الخيرية التابعة للجامعة أثناء المواسم الثقافية الخاصة بهذه المحاضرات ، فضلاً عن وفود الحجيج الذين كانوا يحضرون إلى الجامعة ليشهدوا محاضراته ، بالإضافة إلى دروسه الأخرى التي كان يختصُّ بها بعض أهل العلم في بيته<sup>(٣)</sup> .

(١) راجع في ذلك المحاضرة المسجلة للدكتور عبد الله الشنقيطي بعنوان : ( الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين ) .

وقد يَسَّرَ لِي اللَّهُ تَعَالَى الْحَصُولَ عَلَى شَرِيحٍ مِنْ تَفْسِيرِ الشَّنْقِيطِيِّ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الأعراف : ٣١ - مما يظهرُ معه علمُ الشَّنْقِيطِيِّ ، ويقومُ شاهداً على تمكنه من أدواته في التفسير .

(٢) الطُّرُوسُ وَالْأَطْرَاسُ : أي (الكتب والصحف) ، ومفردُها الطَّرْسُ أو الطَّلْسُ : أي (الصحيفة أو الكتاب الذي مُحِيَ ثم كُتِبَ) - انظر مادة (طَرَسَ) في لسان العرب : ٢٦٥٥/٤ .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٤/١ (بتصرف يسير) .





## المبحث الرابع مؤلفاته الشعريّة

وينتظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : قرّضه الشعراً ثم انصرفه عنه .
- ٢ - المطلب الثاني : نظمها العلميّ وشعره المتنوّع .



قَرَضَ الشنقيطى الشعرَ فى فتوته وشبابه أثناء مرحلة الطلب ببلاده ، ثم انصرف عنه مع قدرته عليه قبيل خروجه من بلاده لأداء حجة الإسلام والمقام ببلاذ الحجاز ، وفيما يلى نعرض لسبب هاتين الحالتين مع ذكر إنتاج الشنقيطى من النظم العلمى ثم من الشعر المتنوع ، وذلك من خلال المطبين التاليين :

### المطلب الأول قَرَضَهُ الشَّعْرَ ثُمَّ انصَرَافَهُ عَنْهُ

#### ١ - سبب قرض الشنقيطى الشعر :

حمل الشنقيطى على قرض الشعر ذلك المخزون الوافر الذى كان يحفظه ويتذوقه من شعر العرب ، وهذا ما يشير إليه الشيخ المجذوب بقوله : إن الغزارة فى محفوظ الشيخ من شعر العرب دليل قاطع على تذوقه إياه ؛ ولا بد للحافظ المتذوق أن تواتيه الموهبة على صياغته ، وكذلك كان شيخنا طيب الله مثواه ، فهو رهيف الحس ، سريع التأثر بالكلمة البليغة ، وقد طالعنا ببعض محاولاته الأولى ؛ فلمحنا ما وراءها من استعداد طيب آنذاك للتقدم والاستمرار<sup>(١)</sup> .

#### ٢ - سبب انصرافه عن الشعر مع قدرته عليه :

وعلى الرغم من علو كعب الشنقيطى فى الشعر وتمكنه منه ؛ إلا أنه تركه ترفعا واستحياء ، لأنه لا يراه من صفات العلماء الأفاضل ، وهذا ما يسوقه عنه تلميذه الشيخ عطية قائلاً : وبالرغم من الشاعرية الرقراقة ، والمعانى العذاب الفياضة ، والأسلوب السهل الجزل ؛ فقد كان يتباعد رحمه الله عن قول الشعر مع وفرة حفظه إياه .

وقد سألته رحمه الله عن تركه الشعر مع قدرته عليه وإجادته فيه ؛ فقال : لم أره من صفات الأفاضل ، وخشيت أن أشتهر به ، وتذكرت قول الشافعى فيما ينسب إليه :

ولولا الشعرُ بالعلماء يزرى  
لكنتُ اليومَ أشعرَ من لبيدٍ

ولأن الشاعر يقول فى كل مجال ، والشعر أكذبه أعذبه ؛ فلم أكثر منه لذلك<sup>(٢)</sup> .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١ / ١٩٠ (بتصرف يسير) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١ / ٣٢ (من المقدمة) .

وانظر البيت المذكور فى (ديوان الإمام الشافعى) : لأبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى ت (٢٠٤ هـ = ٨٢٠ م) - ص ٣٩ (تحت عنوان : الوقار وخشية الله) - جمعه وعلق عليه : محمد عفيف الزعبي - الطبعة ٣ - نشر دار الجيل مع (مؤسسة الزعبي) - بيروت - لبنان - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .



غير أن الشيخ المجذوب يُوجّه قول الشنقيطي : ( لم أره من صفات الأفاضل ) قائلاً : وإنما يريد بنفيه عن الأفاضل ما يرى لبعض المتعاطين له من زلات يربأ بنفسه أن يتعرض لها ، لا كما فهمها بعض الجاهلين للشعر ، إذا اعتبروه منافياً لكرامة العلم ، وهم الذين لا يحسنون إقامة البيت إذا حاولوا قراءته ؛ فليس لمثلهم حق في الحكم عليه<sup>(١)</sup> .

والحق أننا نتفق مع الشيخ المجذوب فيما ذهب إليه من توجيهه ؛ حيث يشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى ويؤكدده في سياق تناوله قضية ( الشعر والشعراء ) من المنظور الشرعي ؛ فعلى الرغم من ذم الله تعالى الشعراء العابثين الذي يخوضون في كل مجال ، ويتخبطون في كل وادٍ ، دون قيد أو ضابط ؛ إلا أنه استثنى سبحانه منهم تلك الطائفة الفاضلة التي تدعو من خلال شعرها إلى تبصير الفضائل ، وترسيخ الأخلاق .

وهذا ما يقوم شاهداً عليه قول الله تعالى : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ (٢٢٤) ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون (٢٢٥) وأنهم يقولون ما لا يفعلون (٢٢٦) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (٢٢٧) ﴿ الآيات (٢) .

وقد حفظ لنا تاريخنا الإسلاميّ المجيد نماذج عديدة لهؤلاء الشعراء الفضلاء الذين تمثل لهم بالشاعر المخضرم والصحابي الجليل حسّان بن ثابت الأنصاريّ رضي الله عنه حيث كان شاعر رسول الله صلّى الله عليه وآله وشاعر الإسلام الأول الذي دافع عنه ونافح ؛ فأفحم خصومه ودحر أعداءه<sup>(٣)</sup> .

ويؤكد الدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطي انصراف والده عن الشعر تورعاً وخشية مع قدرته عليه وتمكنه فيه فيقول : والوالد كان شاعراً مفلحاً ، وعنده أحاسيس جيّاشة ؛ ومع ذلك فقد كان يستاء أن يقال عنه : (شاعر) ولأن أغلب شعره كان في الغزل والنسيب ؛ لذا كنت إذا ذكرت له شعره يغضب غضباً شديداً ، وينهرني قائلاً : (استح يا ولدي !! هذا الشعر أعوذ بالله منه ؛ فلا أنا أريده ، ولا أريد أن أشتهر به)<sup>(٤)</sup> .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٩٠ .

(٢) الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٧ ( أربع آيات ) .

(٣) انظر في ذلك (ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري) : صحّحه وشرحه د. محمد عزت نصر الله - من

منشورات دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ( د. ت ) .

(٤) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي ( محاضرة مسجلة ) .



## المطلب الثاني

### نظمه العلمي وشعره المتنوع

للسنقيطي الكثير من النظم العلمي في فنون متعددة ، فضلاً عن أشعاره المتنوعة بأغراضها المختلفة ، والتي جاءت ماثورة في مؤلفاته العلمية ، بالإضافة إلى ما ذكره عنه تلميذه الشيخ عطية في ترجمته له .

#### • نظمه العلمي :

للسنقيطي خمسة نظوم علمية بلغت أبياتها عدة آلاف ، وقد سبق أن فصلنا القول في أربعة منها ضمن مؤلفاته المخطوطة بالإضافة إلى النظم الخامس الذي سيأتي ذكره ضمن مؤلفاته المفقودة بعد قليل .

#### • شعره المتنوع :

اختلف شعر السنقيطي باختلاف أغراضه ؛ بحيث واكب كل غرض من الأغراض ما يناسبه من الشعر الذي يترجم عنه ويدل عليه ، وهذا ما يتضح من خلال النماذج التالية :

#### ١ - في الغزل أيام صباه :

ومما قاله السنقيطي متغزلاً في أيام صباه الأولى تسعة أبيات ، نورد منها ما يلي :

بشفي الأحيمر <sup>(١)</sup> قد عرفت لراد	داراً ، مرادى أن تكون مرادى
عهدي بها ، وبها فتاة همها	أعذب بها تعذيب كل فؤاد
والله لا أنسى مبيتي عندها	بشفي الأحيمر عن جنوب الواد
إذ بت أشفى من رضاب <sup>(٢)</sup> بارد	داء تقادم حره بفؤاد
ويل أمها ! ما كان أطيب ريقها	يا برد ريقتها على الأكباد <sup>(٣)</sup>

#### ٢ - في إشارته طلب العلم على الزواج :

لما طال اشتغال السنقيطي بطلب العلم وتحصيله عما سواه ؛ أيست منه من كانت ترغب في الزواج منه وتطمح إليه ، ومن ثم تزوجت ببعض الأغنياء ؛ وعندئذ نصحه أصدقاؤه

(١) وهو اسم موضع معروف عندهم يقع جنوب (وادي سنقيط) وهذا ما أوضحه في آخر البيت الثالث .  
(٢) الرضاب: الريق عامة ، أو المرشوف منه خاصة - انظر مادة (رضب) في المعجم الوسيط : ٣٦٢/١ .  
(٣) انظر تمام هذه الأبيات في (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : السنقيطي ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .





بتعجيل الزواج خشية ألا يجد مَنْ تصلح له مِنْ ذوات الحسَب والنَّسَب والجمال إن هو تأخر أكثر من ذلك .

غير أن الشنقيطي أجابهم بما يفيد إيثاره العلم على ذلك كله ، بل وحثهم على تحصيله والانشغال به عما سواه ؛ ليسلكوا ذات سبيله ويطرسوا نفس خطاه ، ومما قاله في ذلك أحد عشر بيتاً ، نورد منها ما يلي :

دَعَانِي النَّاصِحُونَ إِلَى النِّكَاحِ	غَدَاةً تَزَوَّجْتُ بِيضُ الْمَلَّاحِ
فَقَالُوا لِي : تَزَوَّجْ ذَاتَ دَلٍّ	خَلُوبَ اللَّحْظِ جَائِلَةَ الْوَشَّاحِ <sup>(١)</sup>
فَقُلْتُ لَهُمْ : دَعُونِي إِنْ قَلْبِي	مِنَ الْعَيِّْ الصَّرَّاحِ <sup>(٢)</sup> الْيَوْمَ صَاحِي
وَلِي شُغْلٌ بِأَبْكَارِ عَذَارَى <sup>(٣)</sup>	كَأَنَّ وَجُوهَهَا ضَوْءُ الصَّبَّاحِ
أَبَيْتُ مَفْكَراً فِيهَا فَتَضَحَى	لِفَهْمِ الْقَدَمِ <sup>(٤)</sup> خَافِضَةَ الْجَنَاحِ
أَبَحْتُ حَرِيمَهَا جَبْراً عَلَيْهَا	وَمَا كَانَ الْحَرِيمُ بِمُسْتَبَاحِ <sup>(٥)</sup>

### ٣ - فِي عَرَضِ حَاجَتِهِ إِلَى عِلْمِ الصَّرْفِ :

قَدَّمَ الشنقيطيُّ على بعض المشايخ ببلاده شنقيط ليدرّس عليه ، ولم يكن الشيخ يعرفه ؛ فسأله مَنْ يكون؟! وعلى الفور أجابه الشنقيطي بخمسة أبيات ارتجلها في مَلَأٍ من تلامذة الشيخ قائلاً :

(١) الدَّلُّ : الدلال - الخَلُوبُ : الفاتنة - اللَّحْظُ : النظر بطرف العين - جَائِلَةُ الْوَشَّاحِ : وشاحها مرفوع ظاهر - الْوَشَّاحِ : نسيج عريض مرصع بالجوهر تشده المرأة على صدرها ما بين كتفها وخصرها - وانظر مواد ( جَوْلٌ - خَلْبٌ - دَلٌّ - لَحْظٌ - وَشَّاحٌ ) على الترتيب في كل من :

- لسان العرب : ٧٣٠ / ١ - ١٢٢٠ / ٢ - ١٤١٣ / ٢ - ٤٠٠٧ / ٥ - ٤٨٤١ / ٦ .
- المعجم الوسيط : ١٥٣ / ١ - ٢٥٧ / ١ - ٣٠٤ / ١ - ٨٥١ / ٢ - ١٠٧٥ / ٢ .

والمعنى : تَزَوَّجْ ذَاتَ دَلَالٍ تَفْتَنُ مَنْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ بِطَرَفِ عَيْنِهَا ؛ فتأخذ لُبَّهُ ، وتملك قَلْبَهُ ، خاصة وأنها لا تخطئها عين الناظرين لطول قَدِّهَا وتميز هيئتها .

(٢) الْعَيُّْ : الجهل بالشيء أو العجز عن بيان المراد منه - الصَّرَّاحُ : الخالص مما يشوبه ويكدره - انظر مادتي ( صَرَّاحٌ - عَيٌّْ ) على الترتيب في المعجم الوسيط : ٥٣١ / ١ - ٦٦٥ / ٢ .

(٣) ويقصد به معضلات العلم ومسائله البكر العذراء التي لم يسبقه غيره إليها بالبحث من قبل لحل مشكلها وبيان مجملها .

(٤) الْقَدَمُ : ثقل الفهم - انظر مادة ( قَدَمٌ ) في المعجم الوسيط : ٧٠٢ / ٢ .

(٥) انظر تمام هذه الأبيات في ( رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ) : الشنقيطي ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .



هَذَا فِتْيَ مِنْ ( بَنِي جَاكَانَ ) قَدْ نَزَلَا  
رَمَتْ بِهِ هِمَّةٌ عَلِيَاءُ نَحْوَكُمْ  
فَجَاءَ يَرْجُو رُكَامًا مِنْ سَحَابِهِ  
إِذْ ضَاقَ ذُرْعًا بِجَهْلِ النَّحْوِ ثَمَّ أَبِي  
قَدْ أَتَى الْيَوْمَ صَبًّا مُوَلَعًا كَلَفَا  
بِهِ الصَّبَا ، عَنْ لِسَانِ الْعَرَبِ قَدْ عَدَلَا  
إِذْ شَامُ بَرْقِ عُلُومِ نَوْرِهِ اشْتَعَلَا  
تَكْسُو لِسَانَ الْفَتَى أَزْهَارُهُ حُلَلَا  
أَلَّا يَمِيزُ شَكْلَ الْعَيْنِ مِنْ فَعَلَا  
بِ ( الْحَمْدُ لِلَّهِ ) لَا أَبْغَى بِهِ بَدَلَا

ويقصد بذلك عرض حاجته لدراسة علم الصِّرف الذي حصره في (لأمية الأفعال) المبدوءة بـ (الحمد لله) (١) .

#### ٤ - في رده دعوى من اتهمه بأنه هجاء :

وقعت شحنة بين رجلين من أهل العلم من قبيلة الشنقيطي (بني جاكأن) هما : (السالم) و (محمد محمود) وذلك بسبب رفض الأول إجازة الثاني وتزكيته لقادح ديني يعتقد فيه ؛ ومن ثم فقد غضب الثاني وهجأ الأول بعدة أبيات لاذعة .

غير أن الهاجى قد ادعى على الشنقيطي أنه دس بعض الأبيات للمهجو لينتقم بها منه ؛ فغضب الشنقيطي ورد هذه الدعوى التي لا تليق به على صاحبها محمد محمود (الهاجى) وذلك من خلال قصيدة طويلة عارضه بها ، وبلغت ثلاثين بيتاً نورد منها ما يلى :

أَرَى الرَّبْعَ مِنْ أَسْمَائِهِ وَسُعَادِهِ  
إِذَا فَجَعَتْنِي الْحَادِثَاتُ بِنَكْبَةٍ  
مَقَالَةٌ أَنْ قَدْ قَلْتُ : إِنِّي أَجِبْتُ  
وَتَمَنَعْنِي مِنْ ذَلِكَ نَفْسٌ عَزِيزَةٌ  
وَإِنِّي لَمْ أَنْطِقْ بِشَيْءٍ عَلِمْتُهُ  
وَإِنِّي لِأَكْسُو الْخَلَّ حَلَّةً سُنْدُسُ  
صَلَاةٌ إِلَهِ الْعَرْشِ مَا ذَرَا شَارِقُ  
وَسُعْدَاهُ قَفْرًا غَيْرَ بَاقِي رَمَادِهِ  
وَرَبُّكَ حَسْبِي فِي الْأُمُورِ الْبَوَادِهِ  
عَنْ (إِلَى السَّالِمِ حَبْرِ بِلَادِهِ) (٢)  
غَلَا سَعْرُهَا فِي السُّوقِ يَوْمَ كَسَادِهِ  
سَوَى مَجْدِهِ قَدَمًا وَطُولِ نَجَادِهِ  
إِذَا مَا كَسَانِي مِنْ ثِيَابِ حَدَادِهِ  
عَلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ هَادِي عِبَادِهِ (٣)

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٩/١ - ٣٠ ( من المقدمة ) .

(٢) يشير الشنقيطي بذلك إلى قصيدة محمد محمود التي هجأ بها السالم ، والتي يقول في مطلعها :

إِلَى السَّالِمِ الْفَقِيهِ حَبْرِ بِلَادِهِ      أَخِي الْفَضْلِ وَالْإِفْتَاءِ طَبَقِ مَدَادِهِ

(٣) ذَرَا : طَلَعَ - الشَّارِقُ وَالشَّارِقَةُ وَالشَّرْقُ : الشَّمْسُ - أَنْظَرَ مَادَتِي ( ذَرَا - شَرَّقَ ) عَلَى التَّرْتِيبِ فِي

الْمَعْجَمِ الْوَسِيطِ : ٣٢٣/١ - ٤٩٩/١ .

وعليه فقوله ( ما ذرأ شارق ) : أى كلما طلعت الشمس ؛ وذلك لإفادة دوام الصلاة على =



٥ - في تأسفه لعدم ملاقاته ابن عمه :

قدم محمد البيضاوي باشا ابن عم الشنقيطي من مسافةٍ جدٍ بعيدةٍ بقصد زيارة الشنقيطي وأهله من (بنى جاكان) غير أن الشنقيطي لم يدرك لقاءه والاجتماع به ؛ فأنشأ في ذلك عدة أبيات يتأسف بها على فوات هذه الفرصة ، إلا أنه لم يورد منها سوى البيتين التاليين :

بَلْ إِنَّمَا اهْتَجَ الْفَوَادُ لَشَأْنَهُ      أَنْ فَاتَهُ مَرَأَى حُلَى الْأَفْوَاجِ  
رَاضَتْ بِهِ (جَاكَانُ) أَثْبَاجَ الْعُلَا      مِنْ بَعْدِ زَلْزَلَةٍ عَنِ الْأَثْبَاجِ<sup>(١)</sup>

٦ - في خروجه للصيد :

كان الشنقيطي يداوم على الخروج للصيد كل جمعة في ضواحي المدينة المنورة خارج الحرم ، فلا يصيد فيه ، ولا يأخذ السواك منه ، كما كان رامياً من الطراز الأول ؛ فلا يكاد يخطئ إذا رمى ، وقد توفى وعنده بندقيتان إحداهما من نوع (شوزن) والأخرى من نوع (سأكتون) .

ومما أنشأه وكان دائماً ما يكرره إذا خرج للصيد مع أبنائه وتلاميذه تلك الأبيات الأربعة التي تتسم بخفة الروح ، وطرافة الموضوع حيث يقول :

قَالَتْ قُتَيْبَةٌ : مَا تَبَقِيَ دَرَاهِمُنَا يَوْمًا      وَمَا بَنَا سَرَفٌ فِيهَا وَلَا خَرَقُ  
إِنَّا إِذَا اجْتَمَعْتُ يَوْمًا دَرَاهِمُنَا      وَلَّتْ إِلَى طُرُقِ الْخَيْرَاتِ تَسْتَبِقُ  
لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ صُرْتَنَا      لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ  
حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلِ يُخَلِّدُهُ      يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِيَّاهُ يَنْمَزِقُ<sup>(٢)</sup>

٧ - في عزمه على ترك الشعر :

ولما عقد الشنقيطي العزم على هجر الشعر سبب ذلك بعدة أبيات بين فيها أن مقاصد

= رسول الله ﷺ - وانظر تمام هذه الأبيات الثلاثين للشنقيطي ، وكذا الأحد عشر بيتاً التي ردَّ عليها

في (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : الشنقيطي ص ٢٥٠ - ٢٥٢ .

(١) رَاضَتْ : ذَلَّتْ وَمَلَكَتْ - أَثْبَاجُ : جمع ثَبَجٍ وهو وسط كل شيء عندما يصير بارزاً متميزاً - انظر

مادتي ( ثَبَجٌ - رَوْضٌ ) على الترتيب في المعجم الوسيط : ٩٧/١ - ٣٩٥/١ .

والمعنى : أن قبيلة الشنقيطي من ( بنى جاكان ) قد حازت بزيارة المذكور لها قمة العزة والمجد ،

بعد أن كانت تفتقد ذلك في حالة بعده عنها .

(٢) راجع في ذلك المحاضرة المسجلة للدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطي بعنوان : ( الدر الثمين

في سيرة الشيخ الأمين ) .



القسم الأول : الباب الثاني : مسيرته العلمية \_\_\_\_\_ الفصل السادس : مؤلفاته الموجودة والمفقودة والمنسوبة الشعراء ليست له بمقاصد ، من حيث توصلهم بشعرهم إلى أغراضهم ، فضلاً عن تكسبهم وأكلهم به عند ذوى السلطان من الملوك والأمراء ، ومما أنشأه فى ذلك أربعة عشر بيتاً نورد منها ما يلى :

أُنقذتُ من داءِ الهوى بعلاجٍ	شيب يزين مفارقى كالتاج
قد صدنى حلمُ الأكابر عن لى	شفة الفتاة الطفلة المغناج <sup>(١)</sup>
ماءُ الشببية زارعٌ فى صدرها	رمانتى روض كحق العجاج
وكانها قد أدرجت فى برقع	يا ويلتاه بها شعاع سراج
وكانما شمسُ الأصل مذبابة	تنساب فوق جبينها الوهاج <sup>(٢)</sup>

وهذه الأبيات وإن كانت قد قيلت فى ترك الشنقيطى الشعر ، إلا أنها تحمى الطابع الغزلى مما يجعلها صالحة لأن تكون نموذجاً من شعره فى الغزل الوصفى .

(١) المغناجُ والغنجةُ : المرأة التى تتدلل على زوجها بشتى العبارات والحركات التى تزيدها ملاحه عنده - انظر مادة (غنج) فى المعجم الوسيط : ٦٨٨/٢ .  
 (٢) انظر تمام هذه الأبيات فى كل من :  
 • أضواء البيان : الشنقيطى ٣٢/١ - ٣٣ ( من المقدمة ) .  
 • رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .





المبحث الخامس  
مؤلفاته المفقودة



ويمثلها مؤلف واحد فقط كان الشنقيطي قد نظمه قبل البلوغ في بلاده شنقيط ، ثم عن له بعد ذلك أن يتخلص منه التماساً لتصحيح نيته التي كانت موجهة بهذا النظم للتفوق على أقرانه آنذاك .

وعن هذا النظم يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلاً : ومن مؤلفاته رحمه الله ما كان منها في بلاده مثل : ( نظم في أنساب العرب ) وكان قد ألفه قبل البلوغ ، حيث يقول في أوله :

سَمِيَتْهُ بِـ ( خَالِصِ الْجُمَانِ )<sup>(١)</sup> فِي ذِكْرِ أَنْسَابِ بَنِي عَدْنَانَ

وبعد البلوغ دفعه ؛ مسيئاً ذلك بقوله : ( لأنه كان على نية التفوق على الأقران ) وقد لامه مشايخه على دفعه ، وقالوا له : ( كان من الممكن تحويل النية وتحسينها )<sup>(٢)</sup> .

(١) الجُمَانُ : اللؤلؤ ، وواحدته ( جُمَانَةٌ ) - انظر مادة ( جَمَنَ ) في المعجم الوسيط : ١٤٢/١ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٥١/١ - ٥٢ ( من المقدمة ) .



المبحث السادس  
مؤلفاته المنسوبة

وينتظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : نمط مُوهِمٌ من هذه المؤلفات .
- ٢ - المطلب الثاني : نمط صحيح من هذه المؤلفات .



تظهر ما بين حين وآخر مؤلفات مستقلة يجتزؤها أصحابها من تفسير ( أضواء البيان ) للشنقيطي ، ثم يقومون بوضع عناوين خاصة لها مقرونة باسم الشنقيطي .

ومع أنهم يشيرون بداخلها إلى طبيعة عملهم فيها من حيث التقديم والتحقيق ، أو الترتيب والتعليق ، أو الفهرسة والتصنيف ، أو غير ذلك من ألوان التصرف المختلفة ؛ إلا أن الناظر إلى هذه المؤلفات يتوهم للوهلة الأولى أنها ( مؤلفات جديدة ) للشنقيطي قد أخذت طريقها إلى النور مؤخراً ، والحق أنها ليست من وضعه ولا صنيعه على هذا النحو الذي صدرت به .

وإزاء هذا فإنه يمكننا أن نعرض لبعضٍ من هذه المؤلفات تنبيهاً بها على غيرها من خلال نمطين اثنين أولهما : ( نمط موهم من هذه المؤلفات ) وثانيهما : ( نمط صحيح من هذه المؤلفات ) وذلك من خلال المطلبين التاليين :

### المطلب الأول

#### نمطٌ موهمٌ من هذه المؤلفات

ونكتفي منها بذكر ثلاثة نُسِبَتْ عناوينها إلى الشنقيطي مما يُوهِم بأنها من مؤلفاته ، وذلك وفق ترتيبها الهجائي التالي :

#### ١ - الإقليد في الأسماء والصفات . والاجتهاد والتقليد :

وهو نقل لنص المسألة الثالثة من تفسير سورة محمد ﷺ في ( أضواء البيان ) والتي أوردتها الشنقيطي من جملة المسائل الثلاث حول تفسير قول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ الآية<sup>(١)</sup> وقد عقد الشنقيطي هذه المسألة بعنوان : ( المسألة الثالثة : في التقليد وبيان معناه لغةً واصطلاحاً ، وأقسامه ، وبيان ما يصح منها وما لا يصح )<sup>(٢)</sup> .

كما جاء هذا الكتاب في حوالي مائة وعشر صفحات ، وتم تحقيقه في ( عمّان بالأردن ) وقد شملَ عملٌ محققه وضع العنوان ، ثم المقدمة التي عرض من خلالها لموضوع الكتاب ومسائله والتنبيهات الواردة عليه ، ثم أتبع ذلك بتعريف موجز للغاية بالشنقيطي المؤلف استقاه من ترجمته الواردة بأول ( أضواء البيان ) بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم ، هذا بالإضافة إلى تخريج الآيات والأحاديث ، فضلاً

(١) سورة محمد ﷺ : ٢٤ .

(٢) انظر نص هذه المسألة على مدار تسع وتسعين صفحة في ( أضواء البيان ) : الشنقيطي ٧/٤٨٥-٥٨٣ .





عن ذكر إحالات الشنقيطي من (أضواء البيان) مع التعليق على بعض المواضع في الكتاب<sup>(١)</sup> .

### ٢ - القول السديد في كشف حقيقة التقليد :

وهو نفس موضوع ومادة الكتاب السابق مع اختلاف العنوان واسم المحقق ، وقد جاء هذا الكتاب في مائة وعشر صفحات ، وانحصر عمل ناشره في وضع العنوان والتقديم له تحت عنوان : ( كلمة الناشر ) .

ويلاحظ أن الناشر قد ذكر الشنقيطي في عنوان هذا الكتاب باسم : ( محمد أمين ) خلافاً للصواب وهو : ( محمد الأمين ) بالألف واللام<sup>(٢)</sup> .

### ٣ - محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه :

وهو نقل لنص تفسير قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> من ( أضواء البيان ) للشنقيطي<sup>(٤)</sup> .

وقد جاء هذا الكتاب في مائة وخمس صفحات ، وتلخص عمل محققه في وضع عنوان الكتاب ومقدمته ، ثم إيراده ترجمة موجزة للشنقيطي اقتبسها من ترجمته الواردة بأول ( أضواء البيان ) بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم ، هذا بالإضافة إلى تخريج الآيات والأحاديث ، فضلاً عن نقل إحالات الشنقيطي من (أضواء البيان) مع جملة من التعليقات المشفوعة بذكر بعض المصادر التي رجع إليها في ذلك<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالي :

● الإقليد في الأسماء والصفات ، والاجتهاد والتقليد : تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي - تحقيق : شريف بن محمد فؤاد بن هزاع - الطبعة ١ - نشر مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

(٢) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالي :

● القول السديد في كشف حقيقة التقليد : العلامة محمد أمين الشنقيطي - نشره : مقتدى حسن الأزهرى - الطبعة ١ - دار الصحوة - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

(٣) الإسراء : ٩ .

(٤) انظر نص تفسير هذه الآية على مدار تسع وأربعين صفحة في ( أضواء البيان ) : الشنقيطي ٤٠٩/٣ - ٤٥٧ .

(٥) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالي :

● محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه : تأليف العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله - تحقيق وتعليق : الأستاذ ساعد عمر غازي - الطبعة ١ - نشر المكتبة القيمة - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .



## المطلب الثاني

### تمتّ صحيح من هذه المؤلفات

وعلى الرغم من وجود أنماط من تلك المؤلفات المنسوبة السابق ذكرها ، والتي تُوهم بأنها من مؤلفات الشنقيطي ؛ إلا أن هناك نمطاً صحيحاً من هذه المؤلفات التي اجتزأها أصحابها من (أضواء البيان) غير أنهم قرنوا عنوان الكتاب باسم التفسير ؛ مما يبيّن أنه اجتزأ منه ، ولا يُوهم بأنه مؤلف جديد من مؤلفات الشنقيطي .

ومن أمثلة تلك المؤلفات كتاب (الحاكمية في تفسير أضواء البيان) والذي يدور موضوعه حول مسألة (الحكم بما أنزل الله) بأدلتها وشواهداها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهذا ما استعرضه جامع هذا الكتاب في المقدمة بقوله : وقد قمت باستخراج كلام شيخنا الشنقيطي رحمه الله على هذه المسألة من ثلاثة مواضع في (أضواء البيان) هي :

الأول : عند قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية (١) والثاني : عند قوله تعالى : ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الآية (٢) والثالث : عند قوله تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية (٣) .

وهناك موضع رابع ليس من كلامه في (الأضواء) وإنما قام بعض الإخوة بتفريغه من كلامه المسجل بصوته ضمن دروسه في المسجد النبويّ حول تفسير قول الله تعالى : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآية (٤) .

وقد جاء هذا الكتاب في أربع وستين صفحة من القطع الصغير شملت المقدمة والمواضع الأربعة المذكورة (٥) .

(٢) الكهف : ٢٦ .

(٤) التوبة : ٣١ .

(١) الإسراء : ٩ .

(٣) الشورى : ١٠ .

(٥) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالي :

• الحاكمية في تفسير أضواء البيان : جمعها عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس - الطبعة ١ - دار طيبة للنشر والتوزيع - مكة المكرمة والرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .



المبحث السابع  
حَصْرُ مَوَلِّفَاتِ الشَّنْقِيطِيِّ وَتَصْنِيفِهَا



وباستثناء مؤلفاته ( المسجلة والشعرية والمنسوبة ) فقد بلغت مؤلفاته (المخطوطة والمطبوعة والمفقودة) ثلاثة وعشرين (٢٣) مؤلفاً في مختلف فنون العلم وفروعه ، وجاء تصنيفها على النحو التالي<sup>(١)</sup> :

• **أولاً: التفسير :**

وله في ذلك تفسيره المشهور بـ ( أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ) وهو موضوع هذا البحث .

• **ثانياً: علوم القرآن :**

وله في ذلك أربعة مؤلفات هي :

- ١ - بيان النسخ والمنسوخ من آي الذكر الحكيم .
- ٢ - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب .
- ٣ - زيادة نظمه على رجز البحر (مخطوط) .
- ٤ - منع جواز المجاز في المنزّل للتعبد والإعجاز .

• **ثالثاً: العقيدة :**

وله في ذلك كتابه المعروف بـ ( منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ) .

• **رابعاً: علم الأصول :**

وله في ذلك مؤلفان هما :

- ١ - مذكرة أصول الفقه .
- ٢ - نثر الورود على مراقي السُّعود .

• **خامساً: الفقه :**

وله في ذلك مؤلفان هما :

- ١ - النظم الكبير في فروع مذهب مالك ( مخطوط ) .
- ٢ - نظم في علم الفرائض ( مخطوط ) .

• **سادساً: فن المنطق :**

وله في ذلك أربعة مؤلفات هي :

(١) مَيَّزْنَا المخطوط من هذه المؤلفات بوضع لفظ (مخطوط) بين قوسين أمامها ، أما سِوَى ذلك فقد مَيَّزْنَاهُ بلفظ (مطبوع) باستثناء مؤلف واحد مفقود وضعنا أمامه لفظ (مفقود) .





- ١ - آداب البحث والمناظرة .
  - ٢ - ألفية المنطق ( نظم مخطوط ) .
  - ٣ - شرحه على سلم الأخصريّ (مخطوط) .
  - ٤ - المنظوم وشرحه في فن المنطق (طبعة جامعة تعليمية) .
- **سابعاً: التاريخ والسير:**

وله في ذلك مؤلفان هما :

- ١ - خالص الجمان في أنساب بني عدنان ( نظم مفقود ) .
- ٢ - رحلة الحج إلى بيت الله الحرام .

• **ثامناً: موضوعات عامة:**

وله في ذلك سبعة مؤلفات هي :

- ١ - الإجابة الصادرة عن صحة الصلاة في الطائفة ( مخطوط ) .
- ٢ - الإسلام دين كامل .
- ٣ - الرق : أصله ومشروعيته في الإسلام .
- ٤ - المثل العليا .
- ٥ - المصالح المرسلّة .
- ٦ - منهج التشريع الإسلاميّ وحكمته .
- ٧ - هل الخلق مرزوق من بركته ﷺ أو أن للرزق أسباباً أخرى ؟

\* \* \*

•• **وفي الجملة:**

فقد كان الشنقيطي مقللاً في التأليف إذا ما قيس بما كان منه في دروسه ومحاضراته العامة ، فضلاً عن جلساته ومناظراته الخاصة ؛ وهذا ما التهمه جلّ وقته ، ولم يترك له إلا النزر اليسير ، والذي استوعبته بدورها مؤلفاته المذكورة .

وإلى انشغال الشنقيطي بالمشافهة ، وضيق وقته بها عن التأليف ، ينوه الشيخ المجذوب بقوله : إن مشاغله العلمية رحمه الله في الدروس والمحاضرات ، وكذا المجالس العامة والخاصة ؛ قد ضيّقت عليه نطاق التأليف ، فلم يتيسر له الانقطاع إليه إلا قليلاً<sup>(١)</sup> .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٤/١ - ١٨٦ ( بتصرف يسير ) .



بل إن تلميذه الشيخ عطية يؤكد أن مشافهة شيخه كانت أوسع مدى من تدوينه ، كما كانت دروسه أكثر رحابة من كتبه ، مع تمكنه واقتداره في كلا الأمرين ، وفي هذا يحدثنا قائلاً : في الواقع أن دروسه الشفوية كانت أوسع مدى وأكثر انطلاقة ، وقد سمعته رحمة الله عليه يقول : الارتجال أوسع مجال ؛ لأنه يترك الإنسان يتجاوب مع شعوره وما يخطر بباله ، أما التقيد بالكتابة فهو أدق ؛ لأنه لا يُفوّتُ على الإنسان شيئاً مما يقتضيه المقام .  
غير أنه رحمة الله عليه كان إذا شافه استوفى واستغرق ، وإذا كتب وحرّر دقق وحقّق ، وكلا الجانبين قلّ أن يستكملا لإنسان ؛ ولكنه فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده<sup>(١)</sup> .

---

(٢) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .



## تعقيب

### حول هذه الترجمة

وبعد هذا التطواف في حياة الشنقيطيِّ بمراحلها المتعاقبة ، وأطوارها المختلفة ، منذ مولده وحتى وفاته ، بما حَوَّته من نشاط علميٍّ ورحلات ، وما خَلَّفَتْهُ من آثار علميةٍ ومؤلفات ؛ فإنه يطيب لنا أن نشير في الختام إلى الأمرين التاليين :

#### أولاً : علمية هذه الترجمة ومنهجيتها :

تُعَدُّ هذه الترجمةُ هيَ أولُ ترجمةٍ علميةٍ منهجيةٍ مسؤولةٍ ؛ فلم تكن كغيرها من السير الذاتية ، أو التراجم التاريخية ، والتي يغلبُ عليها طابع السرد والحكاية ، أو القصِّ والرواية ؛ فقد جاءت مصبوغة بالطابع العلمي ، ومُتَّسمةً بالتناول المنهجى ؛ من حيث توخى الموسوعية والتفصيل ، والمناقشة والتحليل .

لذا ؛ فقد كان مما قَصَدْتُ إليه أن تكون هذه الترجمة مختلفة علمياً ومنهجياً عن نوع تلك التراجم السطحية التي يعمدُ فيها أصحابها إلى الاكتفاء بذكر اسم المترجم له مقروناً بتاريخ وموطن ميلاده ، ثم إيرادهم أثراً أو اثنين من مُصنَّفاته ومؤلفاته ، وأخيراً إشارتهم إلى حيثية نهايته ووفاته .

ناسين في ذلك أو متجاهلين حقَّ هذه الترجمة وأهميتها ، غير مدركين أو مقدرين خطر إغفالها وسطحيتها ؛ الأمر الذي أدى ببعض الباحثين أن ساد لديهم تصورٌ دائم مفاده أن الترجمة ليست على هذه الدرجة من الأهمية ، بل بالغ بعضهم حينما اعتقد وجزم بأنها لا تَمُتُ إلى العلمِ بصلَّةٍ .

والحقُّ أن هذا المذهبَ على جانب عظيم من الخطر ؛ لأنه مما ينبغي أن يُعلم أن تراجم الرجال مدارس الأجيال ، ولا يُعرف العلماء الأعلام إلا باستيعاب تراجمهم على مرِّ الأيام .

#### ثانياً : صعوبة هذه الترجمة ومشقتها :

تمثلت تلك الصعوبة التي اعترضتني إزاء هذه الترجمة في ندرة المصادر التي تحدثت عن الشنقيطيِّ أو تناولته بالذكر ، سواء من معاصريه أو لاحقيه ، مِمَّنْ يُعْنَوْنَ بتراجم المفسرين وتصنيف مناهجهم ؛ خاصة وأن الشنقيطيِّ لم يكن يرضى بالكتابة عن نفسه في حياته ، كما لم يكن يرضى بأن يكتب عنه غيره سواء من أبنائه أو حتى أخص تلامذته .



هذا فضلاً عن مشقة تصنيف حياته على امتدادها وراثتها إلى عدة مراحل متعاقبة ، ثم وُضِعَ كل مرحلة تحت العنوان الذي يناسبها ويُعرّفُ بها ، بل يترجمُ ويدلُّ على مضمونها .

وحياةً بهذا الامتداد ، وذلك الشمول ، كحياة الشنقيطي التي حفلت بما لا يُحصَى من الأخلاقيات والطرائف ، والسلوكيات والمواقف ، والتي تجلّت فيها أسمى صور البذل ، وتحققت من خلالها أعلى درجات العطاء ، فضلاً عما حفلت به مما لا يُعدُّ من الأشخاص الذين التقى بهم الشنقيطي ، أو ممن سَعَوْا ، بل وحرصوا على القرب منه ، على اختلاف مواقعهم من المسئولية ، وتباين مستوياتهم الفكرية والاجتماعية .

فمما لا شك فيه أن تناول مثل هذه الحياة بالدراسة والتصنيف ؛ لا يفي به إلا سفرٌ ضخمٌ يستوعب مراحلها المتعاقبة ، ويحتوى أطوارها المختلفة ، وهو أمر شاق كطبيعة الحياة ذاتها ؛ ولكن حسبنا أن هذا هو شأن البحث وامتعه ، وهو مما لا يخفى بحال ، ولا يُنكرُ في هذا المجال .

لكل ما سبق كانت حتميةً هذه الترجمة وأهميتها ، وكذا علميتها ومنهجيتها ، بكل دقائقها وتفصيلها ، ومناقشتها وتحليلها ؛ ولا سيما أنها تدور في فلك الدراسات المتخصصة ، وتندرج تحت جملة الأبحاث المسئولة ؛ وهى تهدف فى المقام الأول إلى تسليط الضوء على حياة الشنقيطي ، بما يكشف عن خصوصيتها وراثتها ، وبما يبين عن مدى فائدتها ونفعها ؛ أملاً فى أن تُسهم بوجهٍ أو بآخر فى إفادة من يرجع إليها ، أو يعول عليها .

\* \* \*

## •• واخيراً :

فإنه لا يسعنا إلا أن نقول : رَحِمَ اللهُ تعالى الشنقيطيَّ ، وجعل حياته فى ميزان حسناته يوم اللقاء ، وجزاه كفاءً ما قدّم لدينه خيرَ الجزاء ، وصدق سبحانه فيما وعدَّ به عباده ، إذ يقول تعالى : ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ الآية (١) .

بل وأكثر من هذا حينما يعدّهم سبحانه بأن يُوفّى لهم الجزاء ، ويُجزل لهم العطاء ، بأزيد مما قدّموا ، وأحسن مما عملوا ، إذ يقول تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الآية (٢) ويقول تعالى : ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ الآية (٣) .

(٣) المزمّل : ٢٠ .

(٢) يونس : ٢٦ .

(١) الرحمن : ٦٠ .





القسم الثاني

المنهج



# السّمات العامّة

## لمنهج الشنقيطي في التفسير

وتنظم تمهيداً وثلاثة أبواب وتعقيماً :

• تمهيد : بين المنهج ومسلك البحث .

الباب الأول : الجمع بين المأثور والمعقول .

الباب الثاني : التأصيل للعلوم العربية والإسلامية .

الباب الثالث : التحليل لسائر ما يعرض له .

• تعقيب : حول هذا المنهج .



## زُهَيْد

### بين المنهج و مسلك البحث

وينتظم المطلبين التاليين :

١- المطلب الأول : المنهج :

ويعالج المسألتين التاليتين :

أ - المسألة الأولى : ماهية المنهج .

ب - المسألة الثانية : أهمية المنهج .

٢ - المطلب الثاني : مسلك البحث :

ويعالج المسائل الثلاث التالية :

أ - المسألة الأولى : مقدمة التفسير .

ب - المسألة الثانية : متن التفسير .

ج - المسألة الثالثة : تَمَّة التفسير .



## المطلب الأول

### المنهج

ونعرض للحديث عنه من خلال المسألتين التاليتين :

#### المسألة الأولى

### ماهية المنهج

تتمثل ماهية المنهج في تلك الركائز الأساسية ، والدعائم الرئيسة ، التي يقوم عليها بناء منهج الشنقيطي في التفسير ، والتي يشكل كل منها معلماً بارزاً ، ويرسم ملمحاً واضحاً ، من معالم هذا المنهج وملامحه ؛ الأمر الذي يمكننا معه أن نعتبر هذه الركائز ، وتلك الدعائم ، بمثابة ( السمات العامة لمنهج الشنقيطي في التفسير ) والتي تمثلت في كل من :

#### ١ - السمة الأولى : الجمع بين المأثور والمعقول :

حيث يبدأ الشنقيطي إزاء ما يعرض له من الآيات بالتفسير بجمع ورصد كل ما ورد بشأنها من المأثور ، والذي يشمل تفسير النبي ﷺ وكذا تفسير صحابته وتابعيه رضوان الله عليهم أجمعين ، ثم يُثني بعد ذلك بجمع ورصد كل ما ورد بشأنها من المعقول والذي يشمل رأى كل من سبقه من عامة المفسرين وخاصتهم ، من لدن عصر تابعي التابعين وحتى عصره الذي كان فيه .

#### ٢ - السمة الثانية : التأصيل للعلوم العربية والإسلامية :

وبعد الجمع يعمد الشنقيطي إلى ذلك الرصيد المجموع من المأثور والمعقول ؛ فيُنعم فيه النظر ، ويُجِيلُ فيه الفكر ؛ ليؤصِّله في النهاية من خلال إدراجه تحت موضوعات أحد العلوم السبعة المتمثلة في كل من : ( علوم القرآن - علوم الحديث - علم الأصول - علم الفقه - علم الكلام - علوم العربية - علم التاريخ ) .

#### ٣ - السمة الثالثة : التحليل السائر ما يعرض له :

وبعد الجمع والتأصيل يعمد الشنقيطي إلى تحليل ما جمعه وأصَّله من خلال ثلاثة محاور تمثلت في كل من :

المحور الأول المتمثل في ( الانتقاد ) والذي يشمل نقد الشنقيطي كلاً من : ( الإسرائيليات - المفسرين - المحدثين - الأصوليين - الفقهاء - الفرق الإسلامية - اللغويين - المؤرخين ) .





ثم يأتي المحور الثاني المتمثل في (الاستنباط) والذي يلجأ إليه الشنقيطي عندما لا ينتهي من خلال الانتقاد إلى رأى راجح ؛ ومن ثم يعمد إلى ذات النص ليرفع خفاءه ، ويُزيل إشكاله ، وذلك في إطار أدلته الشرعية ، ووفق ضوابطه المعتمدة .

وأما المحور الثالث والأخير والمتمثل في (الاجتهاد) فيلجأ إليه الشنقيطي عندما يفتقد النص الذي يمكن أن يستنبط منه ؛ ومن ثم يعمد إلى قياس المسكوت عنه على المنطوق به ، ليصل من خلاله إلى نظرتة الذاتية ، ويُتج على هديه رأيه الخاص ، وذلك في إطار أدلته الشرعية ، ووفق ضوابطه المعتمدة كذلك .

### المسألة الثانية

#### أهمية المنهج

تتلور أهمية المنهج من خلال أهمية سماته الثلاث المذكورة ، والتي تبلور بدورها في الخاصتين التاليتين :

#### ١- المنهجية :

ونعنى بها تلك العلاقة المتوالية المتنامية ، بل ذلك الارتباط المتدرج المُحكّم ، والذي تنتظم في سلكه هذه السمات الثلاث ؛ بحيث تعتمد كل سمة منها على سابقتها ، وتُسلم في ذات الوقت إلى لاحقتها ، وذلك إضافة إلى دلالة مسميات هذه السمات على مضامينها، حيث تبدأ بالجمع ، ثم تمر بالتأصيل ، وتنتهى أخيراً بالتحليل .

أما الجمع فيُعدُّ البداية المنطقية ، والخطوة الأساسية ، والتي يتم من خلالها استحضار ورصد كل ما ورد من المأثور والرأى بشأن ما يتناوله الشنقيطي من آيات ، أو يعرض له من تفسير .

وهذا الجمع يُسلم بطبيعة الحال إلى التأصيل ، والذي يتم من خلاله إدراج وتصنيف ذلك الرصيد المجموع تحت أحد موضوعات العلوم العربية والإسلامية العديدة ، وما يتصل بها من مسائلهما وفنونهما المختلفة .

ثم إنّ هذا التأصيل يُسلم بدوره إلى التحليل ، والذي يتم من خلاله البحث والتفنيد والمناقشة والتوجيه والترجيح ، أو رفع خفاء النص وإزالة إشكاله ، أو إنتاج رأى جديد غير منصوص عليه قياساً على ما هو منصوص عليه ، وهى ما نعبر عنها جميعاً بـ (الانتقاد) ثم (الاستنباط) وأخيراً (الاجتهاد) .



وهكذا تتضح بجلاء منهجية هذه السمات الثلاث التي يقوم عليها بناء منهج الشنقيطى فى التفسير جمعاً وتأصيلاً وتحليلاً .

## ٢ - الشمولية :

وبالنظر إلى جملة هذه السمات الثلاث ؛ فإنه يتبين لنا مدى ما تتميز به من الشمول ، ومدى ما يتحقق فيها من الاستيعاب ؛ والذي يتأدى عنه بالضرورة شمول منهج الشنقيطى واستيعابه .

لأن المنهج عندما يكون قائماً على جمع المادة ، ثم النظر فيها لتأصيلها ، وأخيراً تحليلها نقداً واستنباطاً واجتهاداً ، من خلال هذا التسلسل المنطقى ، وذلك التابع المنهجى ؛ فلا بد وأن يتصف بالشمولية ، ويتسم بالاستيعاب .

وهذا هو الشأن بالنسبة لمنهج الشنقيطى فى التفسير ، والذي يستطيع من خلال شموله واستيعابه أن يمتلك زمام المسألة التى يتناولها ، ويسيطر على حدود القضية التى يعرض لها .

## المطلب الثانى

### مسلك البحث

وإزاء تحديد السمات العامة التى يقوم عليها بناء منهج الشنقيطى فى التفسير ، والتى تمثلت فى (الجمع) و (التأصيل) و (التحليل) فقد كان أن اعتمدت على دراسة واستقراء كل من (مقدمة التفسير) ثم (متن التفسير) وأخيراً (تتمة التفسير) والتى استخلصت من مجموعها ملامح منهج الشنقيطى ومعالجه ، ثم كان أن صغتها فى السمات الثلاث المذكورة بعد أن بينت ما ورد فى (المقدمة والمتن والتتمة) وذلك من خلال المسائل الثلاث التالية :

### المسألة الأولى

#### مقدمة التفسير

حيث يُضمّنُها الشنقيطى السبب الذى بعثه على تأليف تفسيره ، مشيراً من خلال ذلك إلى بعض الخطوات المنهجية التى سلكها إزاء ما فسره من آيات القرآن العظيم ، قائلاً ما نصه : أما بعد فإننا لما عرفنا إعراض أكثر المتسمين باسم المسلمين اليوم عن كتاب ربهم ، وبذهم له وراء ظهورهم ، وعدم رغبتهم فى وعده ، وعدم خوفهم من وعيده ؛ علمنا أن ذلك مما يُعين على من أعطاه الله علماً بكتابه أن يجعل همته فى خدمته ، من بيان



معانيه ، وإظهار محاسنه ، وإزالة الإشكال عما أشكل منه ، وبيان أحكامه ، والدعوة إلى العمل به ، وترك كل ما يخالفه .

واعلم أن السنة كلها تندرج في آية واحدة من بحره الزاخر وهي قول الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ الآية (١) ومن أهم المقاصد في ذلك هو هذا الكتاب المبارك الذي هذه ترجمته (٢) .

ثم اعلم أن أهم المقصود بتأليفه أمران أحدهما : بيان القرآن بالقرآن ، والثاني : بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة في هذا الكتاب ، والذي تضمن أموراً زائدة على ذلك كتتحقيق بعض المسائل اللغوية وما يُحتاج إليه من صرف وإعراب ، والاستشهاد بشعر العرب ، وتحقيق ما يُحتاج إليه فيه من المسائل الأصولية ، والكلام على أسانيد الأحاديث .

وبعد ذلك نذكر مقدمة في تعريف الإجمال والبيان ، وما يُحتاج إليه من مسائلهما من غير تطويل ، ثم نشرع إن شاء الله تعالى في المقصود مرتباً على ترتيب سور القرآن العظيم ، ونرجو من الله الكريم على ما فينا أن نكون داخلين في قول رسول الله ﷺ الثابت في (صحيح البخارى) من حديث أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وفي رواية له : « إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » الحديث (٣) .

كما نرجوه تعالى أن يوفقنا للعمل بما علمنا من كتابه ، والتخلق بما فيه من المكارم ، والتأديب بأدابه ، وأن يُعلمنا ما جهلنا ، ويذكرنا ما نسينا منه ، وأن يرزقنا إخلاص النية في جميع الأعمال ، وأن يحفظنا بفضلِهِ ورحمته من فساد القصد في الأعمال إنه رحيم كريم (٤) .

## المسألة الثانية

### مَتْنُ التفسير

ويشتمل على تفسير ثمان وخمسين سورة بدأها الشنقيطي بـ (الفاتحة) وختمها بـ (المجادلة) واستغرقت سبعة أجزاء من تفسيره (أضواء البيان) وقد ضمنها جُل ما أشار إليه في (المقدمة) من حيث التزامه بها ، وتطبيقه لها .

(١) الحشر : ٧ .

(٢) ويقصد بقوله : ( هذا الكتاب المبارك ) أى تفسيره ( أضواء البيان ) .

(٣) أخرجه البخارى في صحيحه بروايته (كتاب فضائل القرآن) (باب) خيركم من تعلم القرآن وعلمه - (طبع بيروت) - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ١٩/٨٩ -

حديث رقم (٥٠٢٧) وحديث رقم (٥٠٢٨) - (طبع الأزهرية) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ١/٦٧ - ٦٩ (من المقدمة) .



وإلى نهاية ما فسره الشنقيطي يشير تلميذه الشيخ عطية محمد سالم في آخر الجزء السابع قائلاً: قد انتهى ما كتبه فضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي قبل وفاته رحمه الله رحمة واسعة ، وأجزَلَ له المشوبة ، وأعلَى له المنزلة ، ونَفَعَه بعد موته بما ورَثَ من علمه ، ونفع بعلمه طلابه ، وضاعف له بنفعهم ثوابه ، إنه سميع مجيب .

ولقد كان رحمه الله تعالى حريصاً كل الحرص على إنجاز هذا الجزء المبارك وتقديمه لطلاب العلم ، كما كان حريصاً على إتمام الكتاب لإكمال منهجه فيه والاستفادة منه ، ولكن إرادة الله نافذة ، وقدرته غالبية ، فانتقل إلى رحمة الله تعالى ، وجوار ربه سبحانه ؛ ومن ثم فقد قام أبناؤه وخاصة طلابه بالعمل على إنجاز هذا الجزء المبارك ، وتقديمه لطلاب العلم على النحو الذي كانوا يعملونه معه رحمه الله ، وهم جادون في إكمال الكتاب على ما يسره الله لهم .

فَرَحِمَ اللهُ المؤلفَ بوسع رحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، وشكر الله لأبنائه وطلابه وكل من ساهم في هذا العمل من بعده، إنه وكلي ذلك والقادر عليه ، وصَلَّى اللهُ وسلَّم وبارَكْ على عبده ورسوله محمد ﷺ (١) .

### المسألة الثالثة

#### تنمية التفسير

وهي من عمل الشيخ عطية محمد سالم أول وأخص تلاميذ الشنقيطي ، بل أقربهم إليه ، وأكثرهم ملازمة له ، وقد اشتملت على تفسير ست وخمسين سورة بدأها الشيخ عطية بـ (الحشر) وختمها بـ (الناس) واستغرقت الجزأين الثامن والتاسع من (أضواء البيان) أو الأول والثاني من (التنمية) .

وفي بداية هذه التنمة يشير الشيخ عطية إلى محاولة التزامه منهج شيخه والسير عليه ، مع اعتذاره سلفاً عما قد يشوب ذلك من تقصير فيقول : وبعد فإن لكل كتاب مقدمة تنبئ عن موضوعه ، وتوجه القارئ إلى ما اشتملت عليه مباحثه ، وتبين منهج مؤلفه ، ليستهدى القارئ بها في دراسته ، ويتعرف منها على مقاصده ؛ فيسير معه ، ولا يخرج عنه ، وتنمة

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٧ / ٨٨٠ .





الأضواء هذه التي نقدم لها ليست بكتاب مستقل يتطلب مقدمة مستقلة ، ولا هي جزء مما تَقَدَّمَهَا فَيُكْتَفَى لها بمقدمة الكتاب المتقدم ، بل إنها بمنزلة البعض التابع للكل ؛ فلا هي بمستقلة عنه ، ولا هي جزء منه .

وقد عمل الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه لكتاب (الأضواء) مقدمة واسعة شاملة ، أودعها منهجه في كتابه ، وبيَّن فيها مقاصده من تأليفه ، ثم بيَّن أن المسلك الذي سلكه واجب ومتحتم على كل من أعطاه الله علماً بكتابه ، ثم دعا لانصراف الهمة لخدمته في بيان معانيه ، وإظهار محاسنه ، وإزالة كل إشكال عما يشكل منه ، وبيان أحكامه وطريقة استنباطها ، ثم الدعوة القوية إلى تحكيمه والعمل به ، وترك كل ما يخالفه ؛ لأنه الذي ضَمَّنَ اللهُ للمتمسكين به الهداية في الدنيا والسعادة في الآخرة كما قال تعالى : ﴿فَأَمَّا يَا تَيْنِكُمْ مَنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ الآية<sup>(١)</sup> كما بيَّن علاقته بالسنة ، وعلاقة السنة به .

وقد كان رحمه الله حريصاً كل الحرص على إتمامه ؛ ولكن وافته المنية قبل ذلك بعد أن أنجز مهمته وأتم مقاصده ، وذللَّ صعابَه وفتح أبوابه ، إلا اليسير اليسير منه ، وهو ما بعد سورة (قد سمع) ومن ثم ؛ فقد كان على أكابر العلماء الذين أعطاهم الله حظاً من علم الكتاب والسنة أن ينهجوا نهجه ، ويتموا عمله ؛ وقد رجوتُ ورغبتُ الكثيرين في ذلك ممن هم أحق وأولى بهذا من غيرهم ، فاعتذروا بأعمالهم وكثرة تبعاتهم ، لا قصوراً فيهم ، ولا تقصيراً منهم .

وبمواجهة الأمر الواقع من شدة الحاجة لإتمام الكتاب ، ومن اعتذار أصحاب الفضيلة عن ذلك ، ولما كان حقاً للشيخ على طلابه - وخاصة الذين لازموه وعملوا معه فيه ، ثم علموا مسلكه ومنهجه - أن يتموه ؛ لذا فقد استخرنا الله تعالى في القيام بما أمكن ، مستعينين بالله تعالى ، معترفين بالقصور ، مؤملين العذر في التقصير .

غير أنه لما كان معلوماً عرفاً ، وموجوداً فعلاً ، في فن التأليف ، أنه لا يتأتى من أي شخص أن يكمل كتاباً لغيره ، ويكون على نفس المنهج الذي ابتدئ به ، مهما كان ذلك الشخص ، من حيث القدرة العلمية ، ومهما كان بينهما من تقارب في الفهم ، اللهم إلا النادر الفذ كتفسير (الجلالين) مثلاً ، وقد ساعد على تناسقهما إيجازه الذي لا يظهر معه



الفرقُ عادةً<sup>(١)</sup> لأنه من المعلوم أن لكل شخص منهجَه الخاص ، ومَشْرَبَه الذاتى ، ومَسْلَكَه العلمى ، وهذا واضح فى التفاسير المستقلة .

وقد سمعت الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه يؤكد هذا المعنى بقوله : ( لو أن الإنسان يكتب من تلقاء نفسه ؛ لكان أيسر من التزامه بكتابٍ لغيره ، له وجهة نظره ، ولا يتأتى الخروج عليه ) لذا ؛ فقد كان من العسير جداً ، أو المتعذر فعلاً ، أن يأتى أحد بمنهج الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه ، ولا سيما مع ما أعطاه الله من سعة العلوم فى عدة فنون ، كالتخصص فى كل فن .

ولعل فى ذلك العذر الشافى ، والاعتذار الكافى ، إزاء ما قمتُ به وأتممتُه ؛ فإن وجد القارئ الكريم فيه غناءً ولو يسيراً ، فبفضل من الله وإمداده ، ثم بتوجيه من الشيخ رحمه الله وحسن إعداده ، واستفادة من منهجه وإرشاده ؛ فله الحمد والشكر والثناء الجميل ، وللشيخ الرحمة والثواب الجزيل ، وإن كان صحيفةً ومداداً ؛ فإلى الله المشتكى من جهدٍ قليل ، وقلة التحصيل ، وعلى أهل الفضل الإصلاح والتعديل .

ونرجو الله تعالى أن يجعل من أبناء الشيخ خير خلفٍ لخير سلفٍ ، إنه سميع مجيب ، وأن يرزقنا جميعاً إخلاص النية ، وحسن الطوية ، وأن يوفقنا للعمل بما يرضيه ، إنه وكى ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلّم وبارك على صفيهِ من خلقه ، وخاتم رسله ، وعلى آله وصحبه أجمعين<sup>(٢)</sup> .

كما ختم الشيخ عطية محمد سالم الجزء الثانى من هذه التتمة بما يشبه ذلك من (الاعتذار) فضلاً عن (الشكر والتقدير) لكل من عمل معه فى (أضواء البيان) فساهم فى إنجازه ، وعاون على إتمامه<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

(١) انظر ( تفسير الجلالين ) : للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلى ت ( ٨٦٤ هـ = ١٤٥٠ م ) وجلال الدين عبد الرحمن السيوطى ت ( ٩١١ هـ = ١٥٠٥ م ) - طبعة دار القلم - بيروت - لبنان - ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م .

(٢) انظر ( أضواء البيان ) : الشنقيطى ٣/٨ - ٨ (بتصرف من الجزء الأول من التتمة بقلم الشيخ عطية محمد سالم) .

(٣) انظر ( أضواء البيان ) : الشنقيطى ٩/٦٩١ - ٦٩٤ (الجزء الثانى والأخير من التتمة بقلم الشيخ عطية محمد سالم) .



● ● **وبعد :**

فإنّ هذه السّمات الثلاث (الجمع والتأصيل والتحليل) بماهيتها وأهميتها ، لتتضافر جميعها ، وتتكاتف فيما بينها ؛ بهدف تجلية منهج الشنقيطي ، وإبرازه للعيان ؛ ومن ثم فإنها تثمر ثمرها ، وتؤتي أكلها ، من حيث تحديدها خط السير الذي يلتزمه الناظر في تفسير الشنقيطي ، مستهدياً بحدود هذا المنهج ، ومستضيئاً بمعاله .

ولياخذ بيديه في النهاية إلى تحقيق الهدف الكلي المنشود ، والذي يتمثل في (إحداث عملية الفهم الشامل للنص القرآني سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى التركيب) ودون أن يكلفه ذلك مؤنة البحث ومشقته ، أو يُجشّمه إهدار الوقت وإضاعته .

وبدون تحديد هذه السمات الثلاث لا يتم تحديد منهج الشنقيطي ؛ ومن ثم نظل نفتقد الوسيلة الفعلية ، والأداة العملية ، لتحقيق الهدف المنشود من تفسيره .



الباب الأول

السمة الأولى

الجمعة

بين المأثور والمعقول

وينتظم تمهيداً وفصلين :

• تمهيد : بين يدي هذا الباب .

١ - الفصل الأول : تفسير القرآن بالمأثور .

٢ - الفصل الثاني : تفسير القرآن بالمعقول .





## تمهيد

### بين يدي هذا الباب

وقبل أن نشرح في تناول السمة الأولى من سمات منهج الشنقيطي الثلاث ؛ فإن  
الضرورة المنهجية تقتضينا أن نقدم بين يدي ذلك بهذا التمهيد الذي يشمل الأمرين التاليين :

#### أ - التفسير عند الشنقيطي :

يأتي التفسير عند الشنقيطي مرادفًا لـ (المعنى) ومساويًا له ، وهذا ما يتبين لنا بجلاء  
ووضوح من خلال التعيد النظري الذي ضمَّه مقدمة تفسيره ، ثم أكدّه من خلال التطبيق  
العملي الذي أورده في ثناياه المختلفة ، وذلك على النحو التالي :

#### أ - التعيد النظري :

حيث جاء (التفسير) مرادفًا لـ (المعنى) كقاعدة نظرية ينطلق منها الشنقيطي في فهمه  
لهذا المصطلح ، والذي يُضمَّه مقدمة تفسيره قائلًا ما نصّه : إنَّ أشرف أنواع التفسير وأجلّها  
تفسير كتاب الله بكتاب الله ؛ إذ لا أحد أعلم بـ (معنى) كلام الله جلّ وعلاً من الله جلّ  
وعلاً<sup>(١)</sup> .

فهو يذكر هنا (التفسير) مرادفًا لـ (المعنى) ومساويًا له ، وهذا ما يتفق بدوره مع تعريف  
التفسير في كل من اللغة والاصطلاح ، وهو ما تبلوره خلاصة ما انتهى إليه البحث إزاء رأيه  
في مصطلح التفسير ، والذي مفاده : (أن التفسير عبارة عن عملية الفهم الشامل ،  
والاستيعاب الكلي ، للنصّ القرآني ، على مستوى لفظه المفرد ، ومستوى جملته المركبة)  
وذلك بهدف استنطاق معناهما الظاهر القريب ، أو حملهما استنباطًا أو اجتهادًا إلى المعنى  
المؤول البعيد ، في إطار الضوابط المعتمدة من اللغة والأصول ، ومن خلال الاستعانة بكل  
علمٍ يؤدي إلى تحصيل تلك الغاية المرجوة ، وإدراك ذلك الهدف المنشود .

#### ب - التطبيق العملي :

ويؤكد الشنقيطي تعييده النظري لمفهوم التفسير كمرادفٍ للمعنى ومساويٍ له ، وذلك من  
خلال تطبيقه العملي على هذا ، والذي نكتفي هنا بذكر بعض شواهد تبيينها بها على غيرها  
مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، والتي تتمثل فيما يلي :

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٧/١ ( من المقدمة ) .



• الشاهد الاول :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ الآية<sup>(١)</sup> نراه يشرع فى ذلك قائلاً : قال بعض العلماء : (يعنى) إذا أخرجوا التوبة إلى حضور الموت فتأبوا حينئذ ، وهذا التفسير يشهد له قول الله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> .

ثم يستطرد قائلاً : وقال بعض العلماء : (معنى) « لن تقبل توبتهم » أى لن يوفقوا للتوبة حتى تُقبلَ منهم ، ويشهد لهذا قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> .

ويستمر الشنقيطى فى حشد جملة الآيات التى تشهد لهذا (المعنى) الذى ذهب إليه<sup>(٤)</sup> .

• الشاهد الثانى :

وفى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ الآية<sup>(٥)</sup> نراه يشرع فى ذلك قائلاً : (يعنى) ليزعموا أن النبى ﷺ إنما تعلمَ هذا القرآن بالدرس والتعليم عن غيره من أهل الكتاب ، كما زعم كفار مكة أنه ﷺ تعلم هذا القرآن من (جبر ويسار) وكانا غلامين نصرانيين بمكة ، وقد أوضح الله بطلان افتراءهم هذا فى آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ الآية<sup>(٦)</sup> وكقوله تعالى : ﴿ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ (٢٦) ﴾ الآيات<sup>(٧)</sup> (معنى) يؤثر : أى يرويه محمد ﷺ عن غيره فى زعمهم الباطل .

ثم يستطرد الشنقيطى حتى ينتهى إلى أن تفسير كل من قول الله تعالى : ﴿ وكذلك نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ﴾ وقوله تعالى فى ذات الآية : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ إنما يرجع إلى (معنى واحد) وهو ما يُصرِّح به فى قوله : قال مقصيده عفا الله عنه : (ومعناهما) آيل إلى شىء واحد ، ويشهد له القرآن فى آيات كثيرة دالة على أنه يبين الحق واضحاً فى هذا الكتاب ليهدى به قوماً ، ويجعله حجة على آخرين ، كقول الله تعالى : ﴿ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ

(٣) النساء : ١٣٧ .

(٢) النساء : ١٨ .

(١) آل عمران : ٩٠ .

(٦) النحل : ١٠٣ .

(٥) الأنعام : ١٠٥ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٤٣ .

(٧) المدثر : ٢٤ - ٢٦ ( ثلاث آيات ) .



بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿١﴾ الآية (١) .

ويستمر الشنقيطى فى حشد جملة الآيات التى تشهد لهذا (المعنى) الذى ذهب إليه (٢) .

• الشواهد الأخرى :

وما صنعه الشنقيطى فى الشاهدين السابقين من استعماله (التفسير) كمرادف لـ (المعنى) هو ذات ما صنعه أيضاً فى معرض تفسيره لجملة الآيات التالية :

فى قول الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ الآية (٣) وفى قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ الآية (٤) وفى قوله تعالى : ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ الآية (٥) الذى يبين (معناه) قوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية (٦) وفى قوله تعالى : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ الآية (٧) وأخيراً فى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ (٨) .

هذا إلى غير ذلك من الآيات العديدة التى يعرض الشنقيطى لـ (تفسيرها) على أنه مرادف لـ (معناها) وقد حرصنا على أن تشمل هذه الشواهد هنا أجزاء التفسير السبعة بمعدل شاهد من كل جزء ، وفى جملتها هذه تنبيه بها على غيرها مما فى ثنايا التفسير المختلفة .

٢ - الجمع عند الشنقيطى :

ونعنى به جمع الشنقيطى بين المأثور والرأى فى تفسير ما يتناوله من الآيات ، حيث نقصد بالمأثور عنده كلاً من تفسير القرآن بالقرآن ، ثم تفسير القرآن بالسنة ، وأخيراً تفسير القرآن بالآثار التى تشمل بدورها آثار الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، أما الرأى عنده فيأتى فى المرتبة الثانية ، ونقصد به تفسير القرآن بأراء العلماء السالفين من المفسرين الاعتباريين من لدن عصر تابعى التابعين وحتى عصر الشنقيطى الذى كان فيه .

(١) مريم : ٩٧ . (٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٢٠٦ .

(٣) الإسراء : ٦٠ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣/٦٠٣ .

(٤) مريم : ٣٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/٢٧٥ .

(٥) الحج : ٢٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥/٤٨٩ .

(٦) البقرة : ١٩٨ .

(٧) الشعراء : ٢٢٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦/٣٩٣ - ٣٩٤ .

(٨) الأحقاف : ٩ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/٣٧٧ .



أما رأيه هو والذي يتمثل في قوله الخاص ، ونظرته الذاتية ، إزاء ما يعرض له من قضايا ، أو يذهب إليه من آراء ؛ فذلكم ما تتضمنه السمة الثالثة من سمات منهجه ونعنى بها (التحليل) والذي يشمل بدوره كلاً من (الانتقاد) و (الاستنباط) و (الاجتهاد) .

\* \* \*

وفيما يلي نعرض لتفسير الشنقيطي بكل من المأثور والرأى ، حيث نبدأ ذلك بتقعيده النظرى لكل منهما ، ثم نثنى بعده بتطبيقه العملى عليهما .





## الفصل الأول

# تفسير القرآن بالمأثور

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

- ١ - المبحث الأول : تفسير القرآن بالقرآن .
- ٢ - المبحث الثاني : تفسير القرآن بالسنة .
- ٣ - المبحث الثالث : تفسير القرآن بالآثار .



## المبحث الأول تفسير القرآن بالقرآن

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١ - المطالب الأول : التقعيد النظريّ .
- ٢ - المطالب الثاني : التطبيق العمليّ .
- ٣ - المطالب الثالث : التعقيب .



## المطلب الأول التقعيد النظري

ويتنظم المسائل الخمس التالية :

- ١ - المسألة الأولى : إجماع العلماء .
- ٢ - المسألة الثانية : موقف الشنقيطي .
- ٣ - المسألة الثالثة : تأكيده لموقفه .
- ٤ - المسألة الرابعة : احتجاجه بكلام السيوطي .
- ٥ - المسألة الخامسة : استحفاظه القرآن واستظهاره له .



ونعنى به موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بالقرآن كقاعدة نظرية ، وركيزة أساسية ، ينطلق منها ، ويصدر عنها ، إزاء ما يتناوله من آيات ، أو يعرض له من تفسير ، وفيما يلى نبين ذلك من خلال المسائل الخمس التالية :

### المسألة الاولى

#### إجماع العلماء

يُجمعُ المفسرونُ المعتبرون ، والعلماءُ المحققون ، على أن أعظم وأجل ما يُفسَّرُ به القرآن إنما هو القرآن ذاته ؛ ومن ثم فقد نصّوا على أن تفسير القرآب القرآن إنما يُعدُّ المصدر الأول للتفسير ، بل وينقل السيوطى إجماعهم على هذا قائلاً : قال العلماء : مَنْ أراد تفسير الكتاب العزيز ؛ فإنه يطلبه أولاً من القرآن ؛ فما أُجْمِلَ منه فى مكان فقد فُسِّرَ فى مكان آخر ، وما اختُصِرَ منه فى موضع فقد بُسِطَ فى موضع آخر<sup>(١)</sup> .

### المسألة الثانية

#### موقف الشنقيطى

وبعد : فماذا عساه يكون موقف الشنقيطى من ذلك ؟

والحق أن الشنقيطى يقف من ذلك موقفاً واضحاً ليوافق به إجماع العلماء على أن أول ما يجب أن يُفسَّرَ به القرآن إنما هو القرآن ذاته ، بل ويعلل ذلك بأنه لا أحد أعلم بكلام الله عزّ وجلّ من الله عزّ وجلّ ، وهذا ما ينصُّ عليه فى أحد الأمرين اللذين قصد بهما تأليف تفسيره ، وقد ضَمَّنَهُمَا مقدمته قائلاً : واعلم أن أهم المقصود بتأليفه أمران ، أحدهما : بيان القرآن بالقرآن ؛ لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلّها تفسير كتاب الله بكتاب الله ؛ إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جلّ وعلا من الله جلّ وعلا<sup>(٢)</sup> .

### المسألة الثالثة

#### تأكيده لموقفه

حيث نرى الشنقيطى يؤكد تعميده النظرى هنا من خلال تفسيره لقول الله تعالى :

(١) الإتيان فى علوم القرآن : السيوطى ١٧٤/٤ ( بتصرف يسير ) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٧/١ ( من المقدمة ) .





﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية<sup>(١)</sup> حيث يقول في ذلك ما نصه : ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه نَزَّلَ على رسوله هذا الكتاب العظيم تبیاناً لكل شيء ، وبين ذلك في غير هذا الموضع كقوله تعالى : ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> على القول بأن المراد بالكتاب فيها (القرآن) أما على القول بأنه (اللّوح المحفوظ) فلا بيان بالآية .  
وعلى كل حال ؛ فلا شك أن القرآن فيه بيان كل شيء ، بل والسنة كلّها تدخل في آية واحدة منه وهي قول الله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ الآية<sup>(٣)</sup> .

### المسألة الرابعة

### احتجابه بكلام السيوطي

وحالما يفرغ من ذلك نراه يفيض في ذكر تفسير السيوطي لهذه الآية ، والتي يبين من خلالها شمول القرآن وعمومه لكافة ما يتعلق بأمر الخلاق في دنياهم وأخراهم ؛ وإزاء هذا ينقل نصّ كلام السيوطي بطوله وقامه من كتابه الموسوم بـ : (الإكليل في استنباط التنزيل) والذي يمكننا معه أن نوجز فحواه فيما يلي :

يبدأ السيوطي كلامه في كتابه المذكور بقوله :

قال الله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> وقال تعالى : ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية<sup>(٥)</sup> وقال عليه السلام : « ستكون فتنٌ ، قيل : وما المخرج منها ؟! قال : كتاب الله ؛ فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم » الحديث<sup>(٦)</sup> وعن ابن مسعود قال : ( من أراد العلم فعليه بالقرآن ؛ فإن فيه خير الأولين والآخرين )<sup>(٧)</sup> قال البيهقي : أراد به أصول العلم .

(١) النحل : ٨٩ .

(٢) الأنعام : ٣٨ .

(٣) الحشر : ٧ - وانظر ( أضواء البيان ) : الشنقيطي ٣/ ٣٣٥ .

(٤) النحل : ٨٩ .

(٥) الأنعام : ٣٨ .

(٦) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

(٧) ذكره السيوطي في كتابه ( الإكليل في استنباط التنزيل ) : ص ٥ - راجعه وصححه : أبو الفضل عبد الله محمد الصّدّيق الغماري الحسني - طبع على نفقة السيد : أسعد الدرابزونى - دار العهد الجديد للطباعة - الخرنفش - القاهرة - ( د.ت ) .

وهذا القول أخرجه سعيد بن منصور عن حُدَيْج بن معاوية عن أبي إسحاق بن مرة عن ابن مسعود رضي الله عنه - انظر ( سنن سعيد بن منصور ) ت ( ٢٢٧هـ = ٨٤٢ م ) : ٧/١ - حديث رقم (١) - (قسم التفسير) - دراسة وتحقيق : د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد - الطبعة ١ - دار =



وعن الحسن البصرى قال : ( أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب ، أودع علومها أربعة : التوراة والزبور والإنجيل والفرقان ، ثم أودع الثلاثة الفرقان ، ثم أودع علوم القرآن المفصل ، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب ؛ فمن علم تفسيرها كمن علم تفسير الكتب المنزلة )<sup>(١)</sup> .

وعن الإمام الشافعى قال : ( جميع ما تقول الأمة شرح للسنة ، وجميع شرح السنة شرح للقرآن )<sup>(٢)</sup> وعن بعض السلف قال : ( ما سمعت حديثاً إلا التمسث له آية من كتاب الله )<sup>(٣)</sup> وعن سعيد بن جبير قال : ( ما بلغنى حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه ؛ إلا وجدت مصداقه فى كتاب الله )<sup>(٤)</sup> وعن ابن مسعود قال : ( إذا حدثتكم بحديث ؛ أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله )<sup>(٥)</sup> وعنه أيضاً قال : ( أنزل فى القرآن كل علم ، وبين لنا فيه كل شيء ، ولكن علمنا يقصر عما بين لنا فيه )<sup>(٦)</sup> .

= الصمىعى للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م .  
كما أخرجه البيهقى من طريق سعيد بن منصور عن حديج به - انظر ( شعب الإيمان ) : لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ت ( ٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م ) - ٣٣٢/٢ - حديث رقم ( ١٩٦٠ ) - تحقيق : أبى هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م - وقد أشار المحقق إلى أن هذا القول سنده ضعيف إلا أنه صحيح لغيره .

وقد لاحظت أنه وقع فى ( شعب الإيمان ) اسم ( خديج ) بالخاء المعجمة وهو خطأ ، وصوابه ( حديج ) تصغير ( حديج ) بالخاء المهملة ، وقد ترجمه الحافظ المزنى على الصواب باسم ( حديج بن معاوية بن حديج بن الرحيل بن زهير ابن خيثمة الجعفى الكوفى ) - انظر ( تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ) : للحافظ المتقن جمال الدين أبى الحجاج يوسف المزنى ت ( ٧٤٢ هـ = ١٣٤١ م ) = ( ٤٨٨/٥ - ٤٩٠ ) - حققه وضبط نصه وعلق عليه : د. بشار عواد معروف - الطبعة ٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

(١) ذكره السيوطى فى كتابه ( الإكليل فى استنباط التنزيل ) : ص ٥ - كما أخرجه البيهقى فى ( شعب الإيمان ) : ٤٥٠/٢ - حديث رقم ( ٢٣٧١ ) .

(٢) ذكره السيوطى فى كتابه ( الإكليل فى استنباط التنزيل ) : ص ٥ .

(٣) ذكره السيوطى فى كتابه ( الإكليل فى استنباط التنزيل ) : ص ٥ .

(٤) ذكره السيوطى فى كتابه ( الإكليل فى استنباط التنزيل ) : ص ٥ .

(٥) ذكره السيوطى فى كتابه ( الإكليل فى استنباط التنزيل ) : ص ٥ .

(٦) ذكره السيوطى فى كتابه ( الإكليل فى استنباط التنزيل ) : ص ٥ .

كما أخرجه الطبرى فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ النحل : ٨٩ - انظر ( جامع البيان عن تأويل آى القرآن ) : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ت ( ٣١٠ هـ = ٩٢٣ م ) - ١٦٢/١٤ - الطبعة ٢ - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي - القاهرة - ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .



وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : « إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخردكة والبعوضة » الحديث<sup>(١)</sup> وعن الشافعي قال : ( جميع ما حكّم به النبي ﷺ فهو مما فهمه من القرآن ) ويؤيد هذا قوله ﷺ : « إني لا أحلّ إلا ما أحلّ الله في كتابه ، ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه » الحديث<sup>(٢)</sup> .

وعن الشافعي أيضاً قال : ( ليست تنزل بأحد نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها ، فإن قيل : من الأحكام ما ثبت ابتداءً بالسنة؟! قلنا : إن ذلك مأخوذ من كتاب الله في الحقيقة ؛ لأن كتاب الله ﷺ أوجب علينا اتباع الرسول ﷺ وفرض علينا الأخذ بقوله ، وذات مرة كان الشافعي بمكة فقال : سلوني عما شئتم ؛ أخبركم عنه من كتاب الله ، فقيل له : ما تقول في المحرم يقتل الزنبور ؟ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ذكره السيوطي في كتابه (الإكليل في استنباط التنزيل) : ص ٥ .

كما أخرجه السيوطي في كتابه (الحاوي للفتاوى) : ٢٨٧/٢ - مطبعة السعادة - القاهرة - ( د . ت ) - وانظر تخريجه أيضاً في ( موسوعة أطراف الحديث النبوي ) : إعداد خدام السنة المطهرة أبي هاجر محمد السعيد ابن بسيوني زغلول - ١٨٦/٣ - الطبعة ١ - عالم التراث للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - محرم ١٤١٠ هـ = أغسطس ١٩٨٩ م .

• ويقصد بـ ( الذرة ) هنا ما جاء من ذكرها بمواضعها الستة في جملة الآيات التالية :  
في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظَلُّمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء : ٤٠ - وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ يونس : ٦١ - وقوله تعالى : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ سبأ : ٣ - وقوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ سبأ : ٢٢ - وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ الزلزلة : ٧ - وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ الزلزلة : ٨ .

• كما يقصد بـ (الخردكة) ما جاء من ذكرها في موضعها من الآيتين التاليتين :  
في قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ الأنبياء : ٤٧ - وقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّا جَاءْنَا بِمِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ لقمان : ١٦ .

• وأخيراً فإنه يقصد بـ (البعوضة) ذكرها في موضعها الوحيد في القرآن في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ البقرة : ٢٦ .

(٢) ذكر السيوطي تخريج الطبراني له في (معجمه الأوسط) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - انظر (الإكليل في استنباط التنزيل) ص ٥ .



قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ الآية (١) وقال النبي ﷺ : « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر » الحديث (٢) وأن عمر بن الخطاب رضِيَ اللهُ عنه : ( أمر بقتل المحرم الزنبور ) (٣) .

(١) الحشر : ٧ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده : ٣٨٢/٥ حديث رقم (٢٣٢٩٣) - ٣٨٥/٥ حديث رقم (٢٣٣٢٤) - ٣٩٩/٥ حديث رقم (٢٣٤٣٤) - ٤٠٢/٥ حديث رقم (٢٣٤٦٧) - ( طبع قرطبة ) .

كما أخرجه الترمذي في سننه ( كتاب ٥٠ ) المناقب عن رسول الله ﷺ ( باب ١٦ ) في مناقب أبي بكر وعمر رضِيَ اللهُ عنهما كليهما - ٥٦٩/٥ حديث رقم (٣٦٦٢) - ٥٧٠/٥ حديث رقم (٣٦٦٣) - ( طبع العلمية ) .

وأخرجه ابن حبان في صحيحه ( كتاب ٦١ ) إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين (باب) ذكر أمر المصطفى ﷺ المسلمين بالاعتداء بأبي بكر وعمر بعده - قال المحقق : هذا حديث صحيح إسناده حسن - انظر ( الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ) : تأليف الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي ت ( ٧٣٩ هـ = ١٣٣٩ م ) - ٣٢٧/١٥ - حديث رقم (٦٩٠٢) - حققه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه : شعيب الأرنؤوط - الطبعة ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م .

أما ما أورده الشنقيطي من رواية السيوطي التي ذكرها عن الشافعي عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير بن ربيع بن حراش عن حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ فقد أخرجها البيهقي عن الشافعي بإسناده إلى حذيفة رضِيَ اللهُ عنه - انظر ( معرفة السنن والآثار ، عن الإمام أبي عبد الله محمد ابن إدريس الشافعي ، مُخرَّجٌ على ترتيب مختصر أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني ) : تصنيف الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي - ٢٣٣/٤ - حديث رقم (٣٢٣٦) - تحقيق : سيد كسروي حسن - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م .

(٣) أخرجه البيهقي بسنده عن الشافعي من رواية سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربيع بن حراش عن حذيفة رضِيَ اللهُ عنه عن رسول الله ﷺ قال : « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر » - كما أخرج البيهقي بسنده عن الشافعي قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضِيَ اللهُ عنه : ( أنه أمر بقتل الزنبور ) - انظر ( معرفة السنن والآثار ) : البيهقي ( كتاب ١٢ ) المناسك ( باب ٦٨٢ ) أصل ما يحلُّ قتله من الوحش وما يحرمُّ عليه - ٢٣٣/٤ - حديث رقم (٣٢٣٦) .

● وقد لاحظت أنه وقع في ( معرفة السنن والآثار ) اسم ( طاووس بن شهاب ) وهو خطأ ، وصوابه ( طارق بن شهاب ) وقد ترجمه ابن أبي حاتم الرازي على الصواب باسم ( طارق بن شهاب البجلي الأحمسي ) - انظر ( كتاب الجرح والتعديل ) : للحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ت ( ٣٢٧ هـ = ٩٣٩ م ) - ٤٨٥/٤ - الطبعة ١ - ( مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند ) بالتعاون مع ( دار الكتب العلمية ببيروت بلبنان ) - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .

كما ترجمه الحافظ المزني على الصواب كذلك باسم ( طارق بن شهاب ) في كتابه ( تهذيب الكمال في أسماء الرجال ) : ٣١٨/٢١ .





وعن ابن مسعود قال : ( لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمَسْتَوْشِمَاتِ ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَمِصَّاتِ ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ ، الْمَغِيْرَاتِ لَخَلْقِ اللهِ ) فقالت له امرأة في ذلك ! فقال : ( وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله ١٩ ) فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول !؟ قال : لئن قرأته فلقد وجدته ! أما قرأت قول الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ الآية (١) قالت : بلى ؛ قال : فإنه قد نهى عنه (٢) .

وعن ابن بَرَجَانَ (٣) قال : ( ما قال النبي ﷺ من شيء فهو في القرآن ، أو فيه

(١) الحشر : ٧ .

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه ( كتاب ٦٥ ) تفسير القرآن (باب ٤) ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ الحشر : ٧ - انظر ( فتح البارى بشرح صحيح البخارى ) : لابن حجر العسقلانى ٦٣٠ / ٨ - حديث رقم (٤٨٨٦) - رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه ، واستقصى أطرافه ونبه على أرقامها فى كل حديث : محمد فؤاد عبد الباقي - كما قام بإخراجه وتصحيح تجاربه ، وأشرف على طبعه : محب الدين الخطيب - المطبعة السلفية ومكبتها - القاهرة - ( د . ت ) .  
وقد أخرجه البخارى مختصراً فى أربعة مواضع أخرى من ( كتاب اللباس ) فى الجزء العاشر من ( صحيحه ) على النحو التالى :

( كتاب ٧٧ ) اللباس ( باب ٨٢ ) المتفلجات للحسن - ٣٧٢ / ١٠ - حديث رقم (٥٩٣١) - ثم ( كتاب ٧٧ ) اللباس ( باب ٨٤ ) المتمصبات - ٣٧٧ / ١٠ - حديث رقم (٥٩٣٩) - ثم ( كتاب ٧٧ ) اللباس ( باب ٨٥ ) الموصولة - ٣٧٨ / ١٠ - حديث رقم (٥٩٤٣) - وأخيراً ( كتاب ٧٧ ) اللباس ( باب ٨٧ ) المستوشمة - ٣٨٠ / ١٠ - حديث رقم (٥٩٤٨) .

كما أخرجه مسلم فى صحيحه ( كتاب ٣٧ ) اللباس والزينة (باب ٣٣) تحريم فعل الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة ، والنامصة والمتمصبة ، والمتفلجات والمغيرات خلق الله - انظر ( صحيح مسلم ) : ١٦٧٨ / ٣ - حديث رقم ( ٢١٢٥ ) - وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه ، وعدت كتبه وأبوابه وأحاديثه ، وعلق عليه ملخص شرح الإمام النووى مع زيادات عن أئمة اللغة ، خادم الكتاب والسنة : محمد فؤاد عبد الباقي - طبع دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابى الحلبي - القاهرة - ( د . ت ) .

(٣) ابن بَرَجَانَ ت ( ٥٣٦ هـ = ١١٤٢ م ) :

هو الإمام القدوة أبو الحكم عبد السلام بن أبى الرجال محمد بن عبد الرحمن اللخمي المغربي الإفريقي ثم الأندلسي الإشبيلي ، وضبط ( بَرَجَانَ ) بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء بعدهما جيم مفتوحة ثم ألف ونون .

كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقيق بعلم الكلام ، كما عُرف بالتصوف والزهد وكثرة العبادة فأطلق عليه ( شيخ الصوفية ) ومن تصانيفه المفيدة : ( كتاب شرح أسماء الله الحسنى ) وغيره ، وقد توفى مغرباً عن وطنه بـ ( مَرَاكُش ) ودُفِنَ بجوار قبر الزاهد الكبير ( أبى العباس العريف ) من العام المذكور .



أصله قَرُبَ أو بَعُدَ ، فهمه مَنْ فهمه ، أو عَمِهَ عنه مَنْ عَمِهَ ، وكذا كُلُّ ما حَكَمَ أو قَضَى به ( وقال غيره : ما من شيء إلا يمكن استخراجُه من القرآن لِمَنْ فَهَمَهُ اللهُ تعالى ؛ حتى إن بعضهم قد استنبط عُمُرَ النَّبِيِّ ﷺ ثلاثًا وستين سنةً من قول الله تعالى : ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ الآية<sup>(١)</sup> فإنها رأس ثلاث وستين سورة ، وقد عَقَّبَهَا بسورة (التغابن) ليظهر التغابن في فَقْدِهِ .

ثم ينقل السيوطي بعد ذلك كلامًا طويلًا عن الإمام المُرسِي<sup>(٢)</sup> بشأن شمول القرآن وإحاطته ، وهو ما يمكننا أن نوجز منه قوله التالي :

جمع القرآن علوم الأولين والآخرين ؛ بحيث لم يُحِطْ بهما علمًا حقيقةً إلا المتكلم به

= راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- وفيات الأعيان : لابن خَلِّكان ٢٣٦/٤ - ٢٣٧ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبي ٧٢/٢٠ - ٧٤ .
- طبقات المفسرين : للحافظ شمس الدين الداودي ٣٠٠/١ - ٣٠١ .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة ٦٩/١ - ٧٠ .

(١) المنافقون : ١١ .

(٢) الإمام المُرسِيّ ت ( ٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م ) :

هو العَلَمَةُ المفسِّر المحدث الأديب النحوي الفقيه ذو الفنون شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن أبي الفضل السُّلَمِيّ المرسِيّ الأندلسي نسبة إلى مولده بمدينة (مُرسِيَّة) ببلاد الأندلس ، وقد كان نبيلًا ضرييرًا يحدث بكتاب (السُّنن الكبرى) للبيهقي ، وكتاب (غرائب الحديث) للخطابي ، ومن مصنفاته العديدة : (الضوابط النحوية في علم العربية - الإملاء على المُفَصَّل - كتاب في أصول الفقه والدين - كتاب في البلاغة والبديع - مختصر صحيح مسلم - الكافي في النحو - تعليق على موطأ مالك ) وغيرها - كما كان كثير الشيوخ والسماع ، وقد حدث بالكثير في كل من : ( مصر والشام والعراق والحجاز ) ثم كانت وفاته (بين العريش والزُعَقَة في طريقه إلى دمشق) فَدُفِنَ بتل الزُعَقَة من العام المذكور .

انظر تفصيل ترجمته في كل من :

- معجم الأدباء : لياقوت الرومي الحموي ت ( ٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م ) - ( ٢٠٩/١٨ - ٢١٣ ) .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبي ت ( ٧٤٨ هـ = ١٣٧٤ م ) - ( ٣١٢/٢٣ - ٣١٨ ) .
- طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين السبكي ت ( ٧٧١ هـ = ١٣٧٠ م ) - ( ٦٩ / ٨ - ٧٠ ) - تحقيق : ( د. عبد الفتاح محمد الحلو ) مع ( د. محمود محمد الطناحي ) .
- بغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنحاة : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ( ٩١١ هـ = ١٥٠٥ م ) - ( ١٤٤/١ - ١٤٦ ) - تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم - الطبعة ١ - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .



سبحانه ، ثم رسوله ﷺ خلا ما استأثر الله تعالى به ، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس الذي قال : ( لوضع لي عقاب بعير لوجدته في كتاب الله ) ثم ورث عنهم التابعون لهم بإحسان رضوان الله عليهم أجمعين .

ثم تقاصرت الهيم ، وفترت العزائم ، وتضاءل أهل العلم ، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه ؛ ومن ثم فقد نوعوا علومه ، وقامت كل طائفة بفن من فنونه ، فاعتنى (القرءاء) بضبط لغاته وتحرير كلماته ، واعتنى (النحاة) بالمعرب منه والمبنى وجميع ما يتعلق بهما ، واعتنى (الأصوليون) بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد النظرية ، وأحكم (الفقهاء) صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام ، وتلمح (المؤرخون) ما فيه من قصص القرون السابقة والأمم الخالية ، وتنبه (الخطباء والوعاظ) لما فيه من الحكم والمواعظ والأمثال التي تقلقل قلوب الرجال وتكاد تُدكدكُ الجبال ، واستنبط (المعبرون) ما فيه من أصول التعبير في الرؤيا والعرف ، وأخذ منه (أهل الفرائض) سهام المواريث وأربابها ، ونظر (الفلكيون) إلى آياته الدالة على المواقيت وما يتعلق بها ، ونظر (الكتّاب والشعراء) إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم .

وإلى جانب هذه الفنون التي أخذتها الملة الإسلامية من هذا القرآن العظيم ، فقد احتوى على علوم أخر من علوم الأوائل مثل : ( الجدل - الهيئة - الطب - الهندسة - الجبر - المقابلة - النجامة ) وغيرها ، كما حوى من أصول الصنائع التي تدعو الضرورة إليها كلاً من : ( البناء - الغزل - النسيج - الصيد - الرمي - الغوص - الخبز - الطحن - الطبخ - الغسل - الحدادة - الخياطة - الصباغة - الصياغة - الزجاج - الفخارة - القصار - الفلاحة - الملاحة - الجزارة - الحجارة - النجارة - التجارة )<sup>(١)</sup> فضلاً عما فيه من أسماء الآلات ، وما اشتمل عليه من ضروب المأكولات ، والمشروبات ، والمنكوحات ، وجميع ما وقع وتقع فيه الكائنات .

(١) الزجاج : أى صناعة الزجاج ، وهى مهنة (الزجاج) - انظر مادة (زجاج) فى المعجم الوسيط : ٤٠٣/١ .

• القصار : أى تقصير الشعر ، وهى مهنة (القصار) وهو المعروف لدينا اليوم بـ (الحلاق) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ الفتح : ٢٧ - وانظر مادة (قصر) فى لسان العرب : ٣٦٤٤/٥ .

• الحجارة : أى العمل فى الأحجار بالنحت أو القطع أو التكسير أو ما شابه ذلك ، وهى مهنة (الحجار) الذى يقوم بهذا فى (المحجر) أى فى المكان الذى تقطع منه الأحجار فى الجبال - انظر مادة (حجر) فى المعجم الوسيط : ١٦٣/١ .



ثم يضيف السيوطي إلى كلام المرسي السابق قوله : وقد اشتمل كتاب الله على كل شيء ، فأنواع العلوم ليس منها باب ولا مسألة هي أصل ؛ إلا وفي القرآن ما يدل عليها ، كما أن فيه عجائب المخلوقات ، وملكوت السموات والأرض ، وما في الأفق الأعلى ، وما تحت الثرى ، وبدء الخلق ، ومشاهير الرسل والملائكة ، وأخبار الأمم السالفة ، كما أن فيه شأن النبي ﷺ وسيرته ، وبدء خلق الإنسان إلى موته وكيفيته ، وعذاب القبر وسؤاله ، ومقر الأرواح ومصيرها ، وأشراط الساعة الكبرى وعلامتها ، وأحوال البعث وشئون الحساب بدرجاته ودركاته<sup>(١)</sup> .

وأخيراً فقد اشتمل القرآن على جميع أسماء الله الحسنى إلى جانب ألف اسم من أسمائه المطلقة سبحانه ، فضلاً عن اشتماله على جملة من أسماء النبي ﷺ ثم شُعب الإيمان البضع والسبعين ، وشرائع الإسلام الثلاثمائة وخمسة عشر ، وكذا أنواع الكبائر وكثير من الصغائر ، ثم ختام ذلك كله باشتماله على تصديق كل حديث ورد عن النبي ﷺ .

وحالما يفرغ الشنقيطي من نقله نص كلام السيوطي هذا ؛ فإنه يعمد عندئذ إلى التعقيب على هذا النقل معللاً طوله وتماه بقوله : وإنما أوردناه برُمته مع طوله ؛ لما فيه من إيضاح أن ( القرآن فيه بيان كل شيء ) وإن كانت في الكلام المذكور أشياء جديدة بالانتقاد ، غير أننا تركنا مناقشتها خوف الإطالة المملة ، مع كثرة الفائدة في جملة الكلام المذكور<sup>(٢)</sup> .

### المسألة الخامسة

#### استحفاظه القرآن واستظهاره له

أتم الشنقيطي الحفظ عندما أتم العاشرة من عمره ، حتى إذا استوى عوده ، ونضجت مداركه ؛ عمّد عندئذ إلى معايشة القرآن لفظاً ومعنى ، وظل يدأب على هذا حتى استقر كتاب الله في جنانه ؛ ( قلبه وعقله ) وقد ساعده ذلك على استقراء القرآن والإحاطة به ، فضلاً عن استيعاب دقائقه وتفصيله ، وكذا الإمام بجملة علومه المختلفة .

(١) الدرجات عكس الدرجات : فالأولى بمعنى الارتقاء والصعود ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ يوسف : ٧٦ - وأما الثانية فبمعنى الانحطاط والهبوط ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ النساء : ١٤٥ - والله تعالى أعلى أعلم .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٣/٣٣٦ - ٣٤٥ (بتصرف واسع) .





حتى إذا ما قصد الشنقيطى إلى التفسير وتوجه إليه ؛ تجلّى وقتئذ أثر استحفاظه القرآن واستحضاره جميع الآيات المتماثلة فى موضع الشاهد الذى يريده ويعرض له ، وكان القرآن بهذا منشور أمامه ، وموضوع نصب عينيه ، يقع فيه على ما يشاء وقتما يشاء ، من أقرب السبل وأيسرها ؛ وصدق الحق سبحانه فى تيسيره هذا القرآن العظيم ، لمن رغب فيه ، وأقبل عليه ؛ إذ يقول فى محكم التنزيل : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ الآية<sup>(١)</sup> .

والشنقيطى دون أى شك وبلا أدنى ريب أحد هؤلاء العلماء الذين أتم الله عليهم النعمة ، وأسبغ لهم المنّة ؛ فنالوا بذلك حظاً وافراً ، وغنموا قسطاً عظيماً ، من تيسير القرآن لهم ، وجمعه واستحفاظه فى صدورهم .

\* \* \*

## •• وبعد :

فقد رأينا كيف أن الشنقيطى يفيض فى الاحتجاج لموقفه ، بل والتأكيد عليه من خلال ما يحشده من الأدلة الشرعية ، وما يسوقه من الشواهد المعتبرة ، والتي تُطبّق جميعها على حقيقة موقفه الذى يمكننا ذكر خلاصته بقولنا :

إن تفسير القرآن بالقرآن إنما يُعدُّ عند الشنقيطى بمثابة تلك القاعدة النظرية ، والركيزة الأساسية ، التى ينطلق منها ، بل ويعتمد عليها ، إزاء ما يتناوله من آيات ، أو يعرض له من تفسير ، وقد ساعده على ذلك كله استحفاظه القرآن واستظهاره له ، وهذا ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العملى على ذلك التقعيد النظرى .

(١) القمر : ٤٠ .



المطلب الثاني

## التطبيق العملي

وينتظم المسألتين التاليتين :

١ - المسألة الأولى : الأشكال الأربعة :

وذلك من خلال كل من : (جزء الآية -  
كل الآية - أجزاء الآيات - جملة  
الآيات) .

٢ - المسألة الثانية : الطرائق الأربعة :

وذلك من خلال كل من : (التمائل -  
الإيضاح - الإحالة - التكرار) .



ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تفسير القرآن بالقرآن ، والذى يُجسّد من خلاله تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تفعيده النظرى ، وقد تمثل هذا السلوك الفعلى فى أشكال أربعة تنازعتها بدورها طرائق أربعة ، وفيما يلى نعرض لتفصيل شواهدا من خلال المسألتين التاليتين :

### المسألة الأولى

## الأشكال الأربعة

لم يلتزم الشنقيطى نمطاً واحداً إزاء ما يتناوله من الآيات بالتفسير ، وإنما اختلف تناوله من آية إلى آية ، ومن سورة إلى سورة ؛ الأمر الذى أنتج بدوره الأشكال الأربعة التالية :

### أ- جزء الآية :

حيث يلجأ الشنقيطى أحياناً إلى تفسير جزء أو أكثر من الآية الواحدة ، تاركاً بذلك أجزاءها الأخرى دون تفسير ، وقد تجلّى ذلك واضحاً فيما يلى :

### أ- مثال الجزء من الآية :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ الآية<sup>(١)</sup> نراه لا يفسّر من هذه الآية سوى قوله تعالى : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ حيث يقول ما نصه :

الاستعانة بالصبر على أمور الدنيا والآخرة لا إشكال فيها ، وأما نتيجة الاستعانة بالصلاة فقد أشار الله تعالى لها فى آيات من كتابه ؛ فذكر أنّ من نتائج الاستعانة بها : النهى عما لا يليق وذلك فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> وأنها تجلب الرزق وذلك فى قوله تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> ولذا كان ﷺ إذا حزبه أمرٌ بادر إلى الصلاة<sup>(٤)</sup> .

### ب- مثال الجزئين من الآية :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾ الآية<sup>(٥)</sup> نراه لا يفسّر من هذه الآية

(٢) العنكبوت : ٤٥ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٣٧ .

(١) البقرة : ٤٥ .

(٣) طه : ١٣٢ .

(٥) البقرة : ٤٠ .



سوى قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ حيث يقول ما نصه :

قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ لم يبين هنا ما النعمة التي أنعمها عليهم ، ولكنه بينها في آيات أخر كقوله تعالى : ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمْ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوى﴾ الآية (١) وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ﴾ الآية (٢) وقوله تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ﴾ (٥) وَنُمْكِن لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ الآيتان (٣) إلى غير ذلك من الآيات (٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ لم يبين هنا ما عهده وما عهدهم ، ولكنه بين ذلك في مواضع أخرى كقوله تعالى : ﴿وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهُ قَرْضًا حَسَنًا لَّا تُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ﴾ الآية (٥) فعهدهم هو المذكور في قوله تعالى : ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وعهده هو المذكور في قوله تعالى : ﴿لَّا تُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ﴾ كما أشار إلى عهدهم أيضا بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لُبِّيْنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تُكْتُمُونَهُ﴾ الآية (٦) إلى غير ذلك من الآيات (٧) .

## ٢ - كل الآيات :

حيث يلجأ الشنقيطي أحيانا إلى تفسير الآية كلها ، إما بتناولها دفعة واحدة ، وإما بتناولها على عدة دفعات ، وقد تجلّى ذلك واضحا فيما يلي :

### ١ - مثال الدفعة الواحدة :

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ الآية (٨) نراه يعرض لتفسير هذه الآية بتمامها دفعة واحدة ، حيث يقول ما نصه :

(٢) البقرة : ٤٩ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ١٣٦/١

(٦) آل عمران : ١٨٧ .

(٨) الكهف : ٦٥ .

(١) البقرة : ٥٧ .

(٣) القصص : ٥ - ٦ (آيتان) .

(٥) المائدة : ١٢ .

(٧) أضواء البيان : الشنقيطي ١٣٦/١ .





هذا العبد المذكور في هذه الآية الكريمة هو (الخضر) عليه السلام بإجماع العلماء ، ودلالة النصوص الصحيحة على ذلك من كلام النبي ﷺ وهذه الرحمة والعلم اللدني اللذان ذكر الله امتنانه عليه بهما ، لم يبين هنا : هل هما رحمة النبوة وعلمها ، أو رحمة الولاية وعلمها ؟ كما أن العلماء مختلفون في الخضر : هل هو نبي أو رسول أو ولي ؟! وفي ذلك يقول الراجز :

واختلفت في (خضر) أهل العقول قيل : نبي أو ولي أو رسول

وقيل : إنه ملك ، ولكنه يفهم من بعض الآيات أن هذه الرحمة المذكورة هنا رحمة نبوة ، وأن هذا العلم اللدني علم وحى ، مع العلم بأن في الاستدلال بهما على ذلك مناقشات معروفة عند العلماء .

وقد استورد الشنقيطي في ذكر تلك المناقشات وتحليلها ، مع الإدلاء برأيه فيها ، والرد على مخالفيها ، على مدار اثنتين وعشرين صفحة كاملة<sup>(١)</sup> .

### ب - مثال العدة دفعات :

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الآية<sup>(٢)</sup> نراه يعرض لتفسير جل هذه الآية على أربع دفعات جاءت على النحو التالي :

قوله تعالى : ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثم قوله تعالى : ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ ثم قوله تعالى : ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ ثم قوله تعالى : ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ .

وقد استغرق تفسيره لهذه المقاطع الأربعة من خلال تلك الدفعات الأربع قرابة ست صفحات كاملة<sup>(٣)</sup> .

### ٣ - أجزاء الآيات :

حيث يلجأ الشنقيطي أحيانًا إلى تفسير الجزء الأخير من نهاية آية مع الجزء الأول من بداية الآية التي تليها ، أو الجزء الأخير من نهاية آية مع كامل الآية التي تليها ؛ وضابط الشنقيطي في ذلك إنما يرجع إلى (تمام المعنى) لذلك يجمع بين تلك الأجزاء ، على ما يذهب إليه ويراه ، وقد تجلّى ذلك واضحًا فيما يلي :

(٢) الكهف : ٢٦ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤/١٥٧ - ١٧٩ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٤/٨٠ - ٨٥ .



١- مثال آخر الآية مع أول التي تليها :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾ (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا ﴿ الآيتان<sup>(١)</sup> نراه يتناول المقطع الأخير من الآية الأولى التي حيث قول الله تعالى : ﴿ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> مع المقطع الأول من الآية الثانية حيث قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> .

ب - مثال آخر الآية مع كامل التي تليها :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿ (٨٨) ﴾ الآيتان<sup>(٤)</sup> نراه يتناول المقطع الأخير من الآية الأولى حيث قول الله تعالى : ﴿ فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ مع كامل الآية التي تليها<sup>(٥)</sup> .

٤ - جملة الآيات :

حيث كثيراً ما يلجأ الشنقيطى إلى الجمع بين تفسير جملة من الآيات داخل السورة الواحدة ، وأغلب ما يقع منه ذلك فى السور ذوات الآيات القصيرة ، وقد تراوحت جملة هذه الآيات التى يجمع بين تفسيرها فى آن واحدة ما بين آيتين وخمس وتسع وأربع عشرة آية ؛ حيث لم تقل جملة هذه الآيات المجموعة عن آيتين ، ولم تزد على أربع عشرة آية على مدار تفسيره كله ، ومن ذلك ما يلى :

١- الجمع بين آيتين :

وذلك فى معرض جمعه بينهما فى قول الله تعالى : ﴿ وَأَحِلُّوا قَوْلِي ﴾ الآيتان<sup>(٦)</sup> .

(٢) طه : آخر الآية ٨٦ .

(١) طه : ٨٦ - ٨٧ (آيتان) .

(٣) طه : أول الآية ٨٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/٤٩١ - ٤٩٦ .

(٤) طه : ٨٧ - ٨٨ (آيتان) .

(٥) طه : آخر الآية ٨٧ مع كامل الآية ٨٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/٤٩٦ - ٤٩٧ .

(٦) طه : ٢٧ - ٢٨ (آيتان) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/٤٠٥ .



وأيضاً في معرض جمعه بين قول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ الآيتان<sup>(١)</sup> .

#### ب - الجمع بين خمس آيات :

وذلك في معرض جمعه بين جملة هذه الآيات في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ (٦٤) خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً (٦٥) يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول (٦٦) وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءتنا فأضلونا السبيلاً (٦٧) ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً (٦٨) الآيات<sup>(٢)</sup> .

#### ج - الجمع بين تسع آيات :

وذلك في معرض جمعه بين جملة هذه الآيات في قول الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾ (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤) أَعْنَدَهُ عِلْمَ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يَرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) الآيات<sup>(٣)</sup> .

#### د - الجمع بين أربع عشرة آية :

وذلك في معرض جمعه بين جملة هذه الآيات في قول الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ (٣٣) مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧) الآيات<sup>(٤)</sup> .

(١) الأنبياء : ٢٦ - ٢٧ ( آيتان ) - وانظر ( أضواء البيان ) : الشنقيطي ٤ / ٥٦٠ - ٥٦١ .

(٢) الأحزاب : ٦٤ - ٦٨ ( خمس آيات ) - وانظر ( أضواء البيان ) : الشنقيطي ٦ / ٦٠٥ .

(٣) النجم : ٣٣ - ٤١ ( تسع آيات ) - وانظر ( أضواء البيان ) : الشنقيطي ٧ / ٧١١ .

(٤) الذاريات : ٢٤ - ٣٧ ( أربع عشرة آية ) - وانظر ( أضواء البيان ) : الشنقيطي ٧ / ٦٦٨ .



## المسألة الثانية

### الطرائق الأربعة

لم يلتزم الشنقيطي طريقة واحدة ، ولم يسر على درب واحد ، إزاء تفسيره تلك الأشكال الأربعة من الآيات ، وإنما سلك في سبيل تحقيق ذلك أربع طرائق تفسيرية ، وقد استمرت هذه الطرائق الأربعة واطردت من مبدأ تفسيره حتى منتهاه ، وتتمثل فيما نعرض له بالتفصيل من خلال شواهدنا التالية :

#### ١ - التماثل :

حيث يلجأ الشنقيطي في تفسيره للآية التي هو بصددتها إلى ذكر الآيات المماثلة لها في المعنى ؛ حتى يوشك بذلك أن يحصر جميع ما يناظرها في معناها في مختلف مواضعها من سور القرآن الكريم وآياته ؛ الأمر الذي يبدو وكأنه ( قاموس قرآني شامل ) أو ( معجم مفهرس جامع ) من حيث حصره جميع الآيات التي تماثل الآية المفسرة في المعنى ؛ والذي يتأدى عنه في النهاية تحقيق معنى هذه الآية المقصودة ، عن طريق المعاني المماثلة لتلك الآيات المحصورة .

غير أن هذا الحصر قد يكون ناقصاً وهو ما نسميه بـ ( التماثل بالقلّة ) وقد يكون كاملاً تقريباً وهو ما نسميه بـ ( التماثل بالكثرة ) وهما ما نعرض لهما على النحو التالي :

#### ١ - التماثل بالقلّة :

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ الآية<sup>(١)</sup> نراه يورد جملة من الآيات القليلة التي لا تمثل حصراً كاملاً للآيات المماثلة لمعنى الآية المذكورة ، حيث يقول ما نصه : قوله تعالى في هذه الآية عن إبليس : ﴿أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ يدل فيه إنكار إبليس للسجود بهمزة الإنكار على إباطه واستكباره عن السجود لمخلوق من طين .

وقد صرح بهذا الإباء والاستكبار في مواضع أخر ، فصرح بهما معاً في قوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> وصرح بإباطه في قوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> وصرح باستكباره في قوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> كما بين سبب استكباره في قوله تعالى : ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ

(١) الإسراء : ٦١ .

(٢) البقرة : ٣٤ .

(٣) الحجر : ٣١ .

(٤) ص : ٧٤ .





مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿ الآية في موضعين (١) .

فتلكم ست آيات مماثلة لمعنى الآية المذكورة ، وهو عدد قليل بالنسبة لجملة الآيات الأخرى المماثلة ، والتي عرضت لقضية إباء إبليس واستكباره على السجود لآدم ؛ حيث بلغ مجموع هذه الآيات اثنتي عشرة آية ، وباستثناء الآيات الست المذكورة هنا ؛ يصير الباقي منها ست آيات لم يذكرها الشنقيطي .

وفيما يلي نورد نص هذه الآيات الست بحسب ترتيب سورها في القرآن على النحو التالي :

في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (٢) وفي قوله تعالى : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) ﴿ الآيتان (٣) وفي قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الآية (٤) وفي قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ الآية (٥) وأخيراً في قوله تعالى : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ الآية (٦) .

### ب - التماثل بالكثرة :

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ الآية (٧) نراه يعرض لقضية الرق في الإسلام ، فيفسر من خلالها (ملك الرقيق) على أنه (ملك اليمين) مورداً في ذلك جملة من الآيات الكثيرة التي توشك أن تمثل حصراً كاملاً للآيات المماثلة لمعنى الآية المذكورة ، حيث يقول ما نصه :

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : لم يختلف المسلمون في جواز الملك بالرق ، ومعلوم أن سببه أسر المسلمين الكفار في الجهاد ، والله تبارك وتعالى يعبر في كتابه عن الملك بالرق بعبارة هي أبلغ العبارات في توكيد ثبوت ملك الرقيق وهي ملك اليمين ؛ لأن ما ملكته يمين

(١) الأعراف : ١٢ مع ص : ٧٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٦٠٤/٣ .

(٢) الأعراف : ١١ . (٣) الحجر : ٣٢ - ٣٣ (آيتان) . (٤) الكهف : ٥٠ .

(٥) طه : ١١٦ . (٦) ص : ٧٥ . (٧) سورة محمد ﷺ : ٤ .



الإنسان فهو ملك له تماماً ، وتحت تصرفه تماماً ؛ وذلك كقول الله تعالى : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية (١) وقوله تعالى : ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ الآية (٢) وقوله تعالى : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية (٣) وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ الآية (٤) وقوله تعالى : ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية (٥) وقوله تعالى : ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ الآية (٦) وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ الآية (٧) وقوله تعالى : ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ الآية (٨) وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية (٩) وقوله تعالى : ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ الآية (١٠) وقوله تعالى : ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ﴾ الآية (١١) .

فالمراد بملك اليمين في جميع هذه الآيات هو الملك بالرق ، ثم إن الأحاديث والآيات التي بمثل ذلك يتعذر حصرها ، وهي معلومة ؛ فلا ينكر الرق في الإسلام إلا مكابر أو ملحد أو من لا يؤمن بكتاب الله ولا بسنة رسوله ﷺ (١٢) .

فهذه اثنتا عشرة آية ساقها الشنقيطي نظراً لتمائل معناها مع معنى الآية المذكورة ، وهذا ما يشبه أن يكون حصراً كاملاً لجميع هذه الآيات المماثلة ؛ ومن ثم فإننا نرى أن قول الشنقيطي : ( والآيات التي بمثل ذلك يتعذر حصرها ، وهي معلومة ) هو قول غير دقيق من حيث دلالة على مقصوده ؛ لأن هذه الآيات التي لم يذكرها لا تتجاوز ثلاث آيات فقط هي قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ أَذْنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية (١٣) وقوله تعالى : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ الآية (١٤) وقوله تعالى : ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ الآية (١٥) .

(٣) النساء : ٢٤ .

(٢) المؤمنون : ٦ - المعارج : ٣٠ .

(١) النساء : ٣ .

(٦) الأحزاب : ٥٢ .

(٥) النساء : ٣٦ .

(٤) النور : ٣٣ .

(٩) النساء : ٢٥ .

(٨) النور : ٣١ .

(٧) الأحزاب : ٥٠ .

(١١) الروم : ٢٨ .

(١٠) النحل : ٧١ .

(١٣) النور : ٥٨ .

(١٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٤١٩/٧ - ٤٢٠ .

(١٥) الأحزاب : ٥٥ .

(١٤) الأحزاب : ٥٠ .



وبهذا تصل جملة الآيات المماثلة لمعنى الآية المذكورة خمس عشرة آية تمثل الحصر الكامل لجميع هذه الآيات فى القرآن ؛ ومن ثم فأين تَعَدَّرُ هذا الحصر الذى يصرِّح به الشنقيطى ؟! خاصة وأنه أورد اثنتى عشرة آية من المجموع الكلى لهذه الآيات والبالغ خمس عشرة آية !! فهذه الآيات الثلاث لا ترقى لئن تكون مُسَوِّغاً لحكم الشنقيطى عليها بتعذر الحصر ، كما لا يشفع له فى ذلك العلمُ بها !!

ونظراً لكثرة ما دأب عليه الشنقيطى من ذكره جملة الآيات المماثلة لمعنى الآية التى يعرِّض لها بالتفسير ؛ لذا فإننا نجد تلميذه الأول الشيخ عطية محمد سالم لا يفتأ أن يشير إلى ذلك فى (الفهرس الشامل) الذى وضعه لـ (أضواء البيان) بأجزائه السبعة فى حياة شيخه ويعلمه ، ومن تلك الإشارات نذكر بعض شواهدا تنبئها بها على غيرها مما ورد فى فهرس التفسير ، حيث يقول الشيخ عطية ما نصه :

قول الله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ والآيات المُفْهِمَة معنى ذلك<sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ والآيات المشيرة لمعنى ذلك<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ﴾ وصف القلوب بالكظم الذى هو صفة أصحابها، ونظير ذلك من القرآن<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى : ﴿وَأِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى﴾ والآيات التى بمعناها<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى : ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ والآيات المشابهة لها فى المعنى<sup>(٥)</sup> .

## ٢ - الإيضاح :

حيث يلجأ الشنقيطى فى تفسيره للآية التى هو بصدها إلى ذكر الآيات المُوضِّحة لمعناها غير المنصوص عليه فيها ، وذلك بخلاف طريقة التماثل السابقة التى تختص بالآيات التى يدور معناها حول قضية رئيسة منصوص عليها تماثل ذات القضية التى يدور حولها معنى الآية المقصودة بالتفسير مثل قضية (عدم سجود إبليس لآدم) وقضية (ملك الرقيق بمعنى ملك اليمين) كما سبق ذكرهما قبل قليل .

ومن ثم ؛ فإن الشنقيطى يعمد إلى إيراد الآيات المُوضِّحة لمعنى الآية المقصودة ، إما عن

(١) الأنعام : ١٠٣ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥١٢/٢ (من الفهرس) .

(٢) الأنعام : ١٠٣ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥١٢/٢ (من الفهرس) .

(٣) غافر : ١٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٨٢/٧ (من الفهرس) .

(٤) الأعراف : ١٣١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥٢٠/٢ (من الفهرس) .

(٥) سبأ : ٢٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧٢٧/٧ (من الفهرس) .



طريق ذكر القليل من هذه الآيات وهو ما نسميه بـ (الإيضاح بالقلّة) أو عن طريق ذكر الكثير من هذه الآيات بما يشبه أن يكون حصراً لها وهو ما نسميه بـ (الإيضاح بالكثرة) وهما ما نعرض لهما على النحو التالي :

### ١- الإيضاح بالقلّة :

١ - ففي معرض تفسير الشنقيطى لقوله تعالى : ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ الآية (١) نراه يورد آية واحدة توضح معنى هذه الآية فيقول ما نصه : لم يبين هنا ما هذه الكلمات ، ولكنه بيّنها في قوله تعالى : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الآية (٢) .

٢ - وفي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الآية (٣) نراه يورد آيتين توضحان معنى هذه الآية فيقول ما نصه : لم يبين هنا ما عهده وما عهدهم ، ولكنه بيّن ذلك في مواضع أخر كقوله تعالى : ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية (٤) .

فعهدهم هو المذكور في قوله تعالى : ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وعهده هو المذكور في قوله تعالى : ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ كما أشار إلى عهدهم أيضاً بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ الآية (٥) إلى غير ذلك من الآيات (٦) .

٣ - وفي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ الآية (٧) نراه يورد ثلاث آيات توضح معنى هذه الآية فيقول ما نصه : لم يبين هنا ما هذه النعمة التي أنعمها عليهم ، ولكنه بيّنها في آيات أخر كقوله تعالى : ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمْ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوى﴾ الآية (٨) وقوله تعالى : ﴿وَوَدَّ أَنْ نَجْنِيَكُمْ مِّنْ آلِ فرعونَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ﴾ الآية (٩) وقوله تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥) ونمكن لهم

(١) البقرة : ٣٧ .

(٢) الأعراف : ٢٣ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/١٣٦ .

(٥) آل عمران : ١٨٧ .

(٤) المائدة : ١٢ .

(٣) البقرة : ٤٠ .

(٨) البقرة : ٥٧ .

(٧) البقرة : ٤٧ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٣٦ .

(٩) البقرة : ٤٩ .





فِي الْأَرْضِ وَنُرِّيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴿الآيتان<sup>(١)</sup>﴾ إلى غير ذلك من الآيات<sup>(٢)</sup> .

وهكذا يتراوح عدد الآيات الموضحة لمعنى الآية المقصودة ما بين آية إلى اثنتين إلى ثلاث آيات ، وهذا مما يعد قليلاً قياساً إلى جملة الآيات الكثيرة التي يعتمد إليها الشنقيطى لتوضيح معانى بعض الآيات الأخرى .

### ب - الإيضاح بالكثرة :

لا يكتفى الشنقيطى بإيراد جملة الآيات الكثيرة التي توضح معنى الآية المقصودة ، وإنما يلجأ إلى إيراد المزيد من تلك الآيات الموضحة ؛ الأمر الذى يمكننا معه أن نعرض لهذا الإيضاح هنا من خلال نوعيه التاليين :

#### ١ - الكثرة :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسُئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ الآيتان<sup>(٣)</sup> نراه يورد جملة من الآيات الكثيرة التي توضح معنى هذه الآية فيقول ما نصه : ذكر جلّ وعلا فى هذه الآية أن أهل النار يدعون ربهم فيها فيقولون : ربنا أخرجنا منها فإن عدنا إلى ما لا يرضيك بعد إخراجنا منها فإننا ظالمون ، وأن الله يجيبهم بقوله تعالى : ﴿اخْسُئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أى امكثوا فيها خاسئين أى أذلاء صاغرين حقيرين ، لأن لفظة (اخسأ) إنما تقال للحقير الذليل كالكلب ونحوه ، فقوله تعالى : ﴿اخْسُئُوا فِيهَا﴾ أى ذلوا فيها ماكثين فى الصغار والهوان .

وهذا الخروج من النار الذى طلبوه قد بين الله تعالى أنهم لا ينالونه ، وذلك فى عدة آيات أخر كقوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ الآية<sup>(٥)</sup> وقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يُخْرِجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ الآية<sup>(٦)</sup> وقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يُخْرِجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ الآية<sup>(٧)</sup> إلى غير ذلك من الآيات .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ١٣٦ .

(٤) المائدة : ٣٧ .

(٦) الحج : ٢٢ .

(١) القصص : ٥ - ٦ (آيتان) .

(٣) المؤمنون : ١٠٧ - ١٠٨ (آيتان) .

(٥) البقرة : ١٦٧ .

(٧) السجدة : ٢٠ .



وقد جاء في القرآن أجوبة متعددة لطلب أهل النار ، فهنا قالوا : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ فأجيبوا ﴿أَخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ الآيتان<sup>(١)</sup> وفي موضع آخر قالوا : ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ فأجيبوا : ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ الآيتان<sup>(٢)</sup> وفي موضع آخر : ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ فأجيبوا : ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ الآيتان<sup>(٣)</sup> وفي موضع آخر : ﴿وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فأجيبوا : ﴿إِنَّكُمْ مَّا كَثُورٌ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> وفي موضع آخر : ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ فيجابون : ﴿أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ﴾ الآية<sup>(٥)</sup> وفي موضع آخر : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيجابون : ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّن نُّصِيرٍ﴾ الآية<sup>(٦)</sup> إلى غير ذلك من الآيات الدالة على مثل هذه الأجوبة<sup>(٧)</sup> .

وهكذا يصل مجموع تلك الآيات التي ساقها الشنقيطي لإيضاح معنى الآية المقصودة وما يتفرع عليها إلى عشر آيات ، وهذا مما يُعدُّ كثيراً إذا قيس بما اتبعه سابقاً في (الإيضاح بالقلّة) .

ونظراً لكثرة ما دأب عليه الشنقيطي من ذكره جملة الآيات الموضحة لمعنى الآية التي يعرض لها بالتفسير ؛ لذا فإننا نجد تلميذه الأول الشيخ عطية محمد سالم لا يفتأ أن يشير إلى ذلك في (الفهرس الشامل) الذي وضعه لـ (أضواء البيان) بأجزائه السبعة في حياة شيخه وبعلمه ، ومن تلك الإشارات نذكر بعض شواهدا تنبئها بها على غيرها مما ورد في فهرس التفسير ، حيث يقول الشيخ عطية ما نصه :

قول الله تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والآيات الموضحة لها<sup>(٨)</sup> وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ والآيات الموضحة لمعناها<sup>(٩)</sup> وقوله تعالى : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَابَ﴾ والآيات الموضحة لذلك<sup>(١٠)</sup> وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ والآيات

(١) المؤمنون : ١٠٧ - ١٠٨ (آيتان) .

(٢) غافر : ١١ - ١٢ (آيتان) .

(٣) إبراهيم : ٤٤ .

(٤) فاطر : ٣٧ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطي ٨٢٦/٥ - ٨٢٧ .

(٦) البقرة : ٢٥٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٥١١/١ (من الفهرس) .

(٧) البقرة : ٢٧٥ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٥١١/١ (من الفهرس) .

(٨) البقرة : ٢٧٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٥١١/١ (من الفهرس) .



المَوْضِحَةَ لمعنى غناه عن خلقه<sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ والآيات المَوْضِحَةَ لمعنى ذلك<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي﴾ والآيات المَوْضِحَةَ لهذا الاعتذار الذى اعتذر به هارون<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى : ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وما يُوَضِّحُ ذلك من الآيات<sup>(٤)</sup> .

## ٢ - الزيادة :

ونظراً لكثرة ما يلجأ إليه الشنقيطى من ذكره المزيد من الآيات المَوْضِحَةَ لمعنى الآية التى يعرض لها بالتفسير ؛ لذا فإننا نجد تلميذه الأول الشيخ عطية لا يفتأ أيضاً أن يشير إلى ذلك فى فهرس التفسير فيقول ما نصه :

قول الله تعالى : ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾ والآيات التى فيها زيادة إيضاح لذلك<sup>(٥)</sup> وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ والآيات التى فيها زيادة إيضاح لذلك<sup>(٦)</sup> وقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ والآيات التى فيها زيادة إيضاح لذلك<sup>(٧)</sup> وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ وما يزيد ذلك إيضاحاً من القرآن<sup>(٨)</sup> وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ وما يزيد ذلك إيضاحاً<sup>(٩)</sup> .

## ٣ - الإحالة :

حيث يلجأ الشنقيطى فى تفسيره للآية التى هو بصدددها إلى الإحالة على الآيات المماثلة لها فى المعنى ، وسواء كانت هذه الآيات قد سبق أن فسرها فى مواضع أخرى من قبل ، أو تلك التى يتتوى أن يفسرها فى مواضع أخرى من بعد .

- 
- (١) آل عمران : ٩٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/٥١٣ (من الفهرس) .
  - (٢) آل عمران : ١٩٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/٥١٥ (من الفهرس) .
  - (٣) الأعراف : ١٥٠ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢/٥٢٠ (من الفهرس) .
  - (٤) الحج : ٧٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥/٨٦٨ (من الفهرس) .
  - (٥) يوسف : ٣١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣/٦٤١ (من الفهرس) .
  - (٦) الرعد : ١٢ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣/٦٤٢ (من الفهرس) .
  - (٧) النحل : ٤٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣/٦٥٨ (من الفهرس) .
  - (٨) المؤمنون : ٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥/٨٦٩ (من الفهرس) .
  - (٩) المؤمنون : ٩ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥/٨٦٩ (من الفهرس) .



وقد تنازعت هاتين الإحالتين السابقة واللاحقة ثلاثة أنواع شملت الإحالة بالنص ، ثم الإحالة بالمعنى ، وأخيراً الإحالة العامة ، وفيما يلي نعرض لقسمي الإحالة الاثنتين مع أنواعها الثلاثة على النحو التالي :

### • قِسْمَا الإِحَالَةِ :

#### ١- إِحَالَةٌ سَابِقَةٌ :

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿أَفَلَا لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الآيات<sup>(١)</sup> يقول ما نصه : قد قدمنا ما يُوَضِّحُ هذه الآيات إلى آخر القصة من القرآن في سورة (مريم) فأغنى ذلك عن إعادته هنا<sup>(٢)</sup> .

وهكذا يكتفى الشنقيطي هنا في تفسير هذه السبع عشرة آية المتعلقة بقصة نبي الله إبراهيم بالإحالة على تفسيره للآيات العشر المتعلقة بالقصة ذاتها ، والتي سبق له أن تناولها في سورة (مريم) بدءاً من قول الله تعالى : ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ حتى قوله تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ الآيات<sup>(٣)</sup> .

وهذه الإحالة تعد طويلة نسبياً من حيث كثرة عدد هذه الآيات التي قامت مقام تفسيرها ؛ ومن ثم جعلناها هنا بمثابة الشاهد البارز على (الإحالة السابقة) تبييناً بها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة .

#### ب- إِحَالَةٌ لَاحِقَةٌ :

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ الآية<sup>(٤)</sup> يقول ما نصه : واعلم أن مسألة الحجاب وإيضاح كون الرجل لا يجوز له النظر إلى شيء من بدن الأجنبية ، سواء كان الوجه والكفين أو غيرهما ، فقد وعدنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك وغيرها من المواضع بأننا سنوضح ذلك في سورة (الأحزاب) في الكلام على آية الحجاب ، وسنفي إن شاء الله تعالى بالوعد في ذلك بما يظهر به للمنصف ما ذكرنا<sup>(٥)</sup> .

(١) الأنبياء : ٥١ - ٦٧ (سبع عشرة آية) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٨٧/٤ .

(٣) مريم : ٤١ - ٥٠ (عشر آيات) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٢٨٢/٤ - ٢٩٠ .

(٤) النور : ٣١ . (٥) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٠٠/٦ .





والمقصود بهذا الوعد الذي قطعه الشنقيطي على نفسه هو ما ذكره في مقدمة تفسيره حيث قال ما نصه : ومن أنواع البيان الذي تضمنها هذا الكتاب المبارك أن يقول بعض العلماء في الآية قولاً ، ويكون في نفس الآية قرينة تدل على بطلان ذلك القول ، ومن أمثله : قول كثير من الناس : إن آية الحجاب وأعنى بها قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ الآية<sup>(١)</sup> خاصة بأزواج النبي ﷺ .

غير أن تعليل الله تعالى لهذا الحكم الذي هو (إيجاب الحجاب) بكونه أظهر لقلوب الرجال والنساء من الرئية في قوله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ أَظْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> هو قرينة واضحة على قصد تعميم هذا الحكم ، وسنرى إن شاء الله تحقيق مسألة (الحجاب) في سورة (الأحزاب)<sup>(٣)</sup> .

وهكذا يقيم الشنقيطي الإحالة اللاحقة فيما بعد من سورة (الأحزاب) مقام تفسير هذه الآيات هنا من سورة (النور) وفيما ذكرناه تنبيه به على غيره .

## • أنواع الإحالة :

### ١- الإحالة بالنص :

وفيها يُسَمَّى الشنقيطي موضع النص الذي يُحِيل عليه ، ويشمل ذلك كلاً من الآية ، أو السورة ، أو الآية والسورة معاً ، وذلك كما يلي :

#### ١- نص الآية :

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِمَّنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى : ﴿أَوُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ الآية<sup>(٥)</sup> يقول ما نصه : قد قدمنا الآيات الموضحة لهما في الكلام على قول الله تعالى : ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ الآية<sup>(٦)</sup> وقوله تعالى : ﴿أَوُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ الآية<sup>(٧)</sup> .

(١) الأحزاب : ٥٣ .

(٢) الأحزاب : ٥٣ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٧٥ / ١ - ٧٧ ( من المقدمة ) - وانظر تفسير الآية المذكورة من سورة

(الأحزاب) في ( أضواء البيان ) : الشنقيطي ٥٨٤ / ٦ - ٦٠٣ .

(٤) ص : ٤ .

(٥) القمر : ٢٥ .

(٦) القمر : ٢٤ .

(٧) ص : ٨ - وانظر ( أضواء البيان ) : الشنقيطي ٧٢١ / ٧ .



٢ - نص السورة :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ الآية<sup>(١)</sup> يقول ما نصه : تقدم إيضاحه فى سورة (الحج) وغيرها<sup>(٢)</sup> .

وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الآية<sup>(٣)</sup> يقول ما نصه : قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية فى أول سورة الأعراف وأول سورة الكهف<sup>(٤)</sup> .

٣ - نص الآية والسورة معا :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً﴾ الآيات<sup>(٥)</sup> يقول ما نصه : إلى آخر القصة ، قد قدمنا إيضاحه فى سورة (الحجر) فى الكلام على قول الله تعالى : ﴿وَنَبِّئِهِمْ عَنِ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ الآيات<sup>(٦)</sup> وفى سورة (هود) فى القصة المذكورة ؛ فأغنى ذلك عن إعادته هنا<sup>(٧)</sup> .

وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الآية<sup>(٨)</sup> يقول ما نصه : قد قدمنا الآيات الموضحة له فى سورة (ق) فى الكلام على قول الله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ الآية<sup>(٩)</sup> .

وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ الآية<sup>(١٠)</sup> يقول ما نصه : قد قدمنا الكلام عليه فى سورة (الزخرف) فى بعض المناقشات التى ذكرناها فى الكلام على قول الله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ الآية<sup>(١١)</sup> .

ب - الإحالة بالمعنى :

وفىها يُسمَّى الشنقيطى موضع المعنى الذى يُحيل عليه فى السورة القرآنية التى تتحدث عنه وتشير إليه ، ونكتفى من ذلك بالشاهد التالى :

- |  |                                     |
|--|-------------------------------------|
| (١) الفرقان : ٥٥ .   | (٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٣٤٢ . |
| (٣) الفرقان : ٥٦ .   | (٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٣٤٤ . |
| (٥) الذاريات : ٢٤ - ٣٧ ( أربع عشرة آية ) .                   | (٦) الحجر : ٥١ - ٦٠ ( عشر آيات ) .  |
| (٧) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٦٦٨ .                          | (٨) الذاريات : ٤٧ .                 |
| (٩) ق : ٦ - وانظر ( أضواء البيان ) : الشنقيطى ٧/٧٢٩ .        |                                     |
| (١٠) القمر : ٤٩ .  |                                     |
| (١١) الزخرف : ٨١ - وانظر ( أضواء البيان ) : الشنقيطى ٧/٦٦٩ . |                                     |



ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَى (٤١) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١)﴾ الآيات<sup>(١)</sup> نراه يُحِيل على المعنى المماثل لمعنى هذه الآيات مُسَمِّيًا موضعه فى سورة (الإسراء) فيقول ما نصه : وقد قدمنا تفسيره مُوضَّحًا فى سورة (بنى إسرائيل) وأن الإنسان لا يملك ولا يستحق إلا سعى نفسه ، وقد اتضح بذلك أنه لا يمكن أن يتحمل إنسان ذنوب غيره ، وقد دلَّت على ذلك آيات كثيرة معلومة<sup>(٢)</sup> .

ويقصد بذلك تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الآية<sup>(٣)</sup> والذي سبق له تناوله من خلال تفسيره لسورة (الإسراء)<sup>(٤)</sup> .

### ج - الإحالة العامة :

وفىها يُعْرَضُ الشَّنْقِيطَى عن تَسْمِيَةِ المَوْضِع الذى يُحِيل عليه سواء كان آية أو سورة أو هما معًا ، مكتفياً فى ذلك بمجرد الإشارة العامة المُبْهَمَةِ إلى ما سبق أن تناوله من الآيات المماثلة فى مواضع متقدمة من تفسيره ، ومن أمثلة ذلك ما يلى :

١ - فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ حتى قوله تعالى : ﴿لَعَنَّا كَبِيرًا﴾ الآيات<sup>(٥)</sup> نراه يكتفى فى تفسيرها هنا بالإحالة على تفسير مثيلاتها من الآيات التى فسرها من قبل ، حيث يقول فى ذلك ما نصه : تقدمت الآيات المُوضَّحَةَ له مراراً<sup>(٦)</sup> .

٢ - وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ الآية<sup>(٧)</sup> نراه يكتفى فى ذلك أيضاً بالإحالة العامة المُبْهَمَةِ ، التى يشير إليها فيقول ما نصه : قد قدمنا الآيات المُوضَّحَةَ له ، وأحلنا عليها مراراً<sup>(٨)</sup> .

### ٤ - التكرار :

حيث يلجأ الشَّنْقِيطَى فى تفسيره للآية التى هو بصددها إلى تكرار تفسير ما يماثلها من

(٢) أضواء البيان : الشَّنْقِيطَى ٧/ ٧١١ .

(٤) أضواء البيان : الشَّنْقِيطَى ٣/ ٤٦٩ - ٤٧٠ .

(٦) أضواء البيان : الشَّنْقِيطَى ٦/ ٦٠٥ .

(٨) أضواء البيان : الشَّنْقِيطَى ٧/ ٧١٢ .

(١) النجم : ٣٣ - ٤١ ( تسع آيات ) .

(٣) الإسراء : ١٥ .

(٥) الأحزاب : ٦٤ - ٦٨ ( خمس آيات ) .

(٦) النجم : ٤٧ .



الآيات الأخرى التي سبق له أن تناولها من قبل ، وهو لا يفتأ أن يشير إلى تكراره هذا بين الحين والآخر في موضعه من التفسير ، ومن أمثلة هذا التكرار نذكر ما يلي :

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية<sup>(١)</sup> نراه يقول ما نصه : واعلم أن الله جلّ وعلا بين في آيات كثيرة صفات من يستحق أن يكون له الحكم ؛ فعلى كل عاقل أن يتأمل الصفات المذكورة ، ويقابلها مع صفات البشر المُشرِّعين للقوانين الوضعية ، فينظر هل تنطبق عليهم صفات من له التشريع ؟ سبحان الله وتعالى عن ذلك ، فإن كانت تنطبق عليهم ولن تكون ؛ فليتبع تشريعهم ، وإن ظهر يقينا أنهم أحقر وأخس ، وأذلّ وأصغر من ذلك ؛ فليقف بهم عند حدّهم ، ولا يجاوزه بهم إلى مقام الربوبية ، سبحانه وتعالى أن يكون له شريك في عبادته ، أو حكمه ، أو ملكه<sup>(٢)</sup> .

ثم يسوق الشنقيطي بعد ذلك ثمانى عشرة آية تتضمن صفات من له الحكم والتشريع ، نذكر منها قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الآية<sup>(٥)</sup> وقوله تعالى : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ الآية<sup>(٦)</sup> وقوله تعالى : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ الآية<sup>(٧)</sup> .

وعلى الرغم من هذه الطائفة الكثيرة من الآيات التي ساقها هنا ليفسّر بها الآية المقصودة ، وفضلاً عما تناوله من آيات أخرى مماثلة لهذه الآية في مواضع سابقة من التفسير ؛ إلا أنه يقرر إعادة وتكرار ما يراه كافياً في هذا الموضع من تلك الآيات التي سبق أن فسرها من قبل ، وفي ذلك يقول ما نصه : والآيات الدالة على هذا كثيرة ، وقد قدمناها مراراً ، وسنعيد منها ما فيه كفاية<sup>(٨)</sup> .

وعندئذ يشرع الشنقيطي في إعادة وتكرار ما سبق أن تناوله من آيات مماثلة ، والتي من أبرزها عنده آيتان في سورة (الأنعام) وآيتان في سورة (النحل) حيث عمّد إلى تكرارهما على النحو التالي :

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ١٦٣/٧ .

(٤) القصص : ٧٠ .

(٦) يوسف : ٦٧ .

(٨) أضواء البيان : الشنقيطي ١٦٩/٧ .

(١) الشورى : ١٠ .

(٣) القصص : ٨٨ .

(٥) يوسف : ٤٠ .

(٧) الأنعام : ٥٧ .





١- آيتا الانعام :

وهما قول الله تعالى : ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية<sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿قُلْ لَأَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> .

وقد مهدَّ الشنقيطى لتكرار تفسيرهما هنا بقوله : وَقَعَتْ مُنَازَرَةٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ حِزْبِ الرَّحْمَنِ ، وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ ، فِي حُكْمِ مِنْ أَحْكَامِ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ ، وَحِزْبِ الرَّحْمَنِ يَتَّبِعُونَ تَشْرِيْعَ الرَّحْمَنِ فِي تَحْرِيمِهِ ، وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ يَتَّبِعُونَ الشَّيْطَانَ فِي تَحْلِيلِهِ ، وَقَدْ حَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمَا ، وَأَفْتَى فِيمَا تَنَازَعُوا فِيهِ ، فَتَوَى سَمَاوِيَةً قَرَأْنِيَةً تُتْلَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ<sup>(٣)</sup> .  
وهذا على الرغم من أنه سبق له تفسير هاتين الآيتين في موضعيهما من سورة (الأنعام) خاصة الآية الثانية التي استغرقت وحدها ما يقرب من ثنتين وثلاثين صفحة<sup>(٤)</sup> .

ب - آيتا النحل :

وهما قول الله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الآية<sup>(٥)</sup> وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ الآية<sup>(٦)</sup> .  
وقد مهدَّ الشنقيطى أيضاً لتكرار تفسيرهما هنا بقوله : وَمِنْ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نَحْوِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَاتُ الْأَنْعَامِ الْمَذْكُورَتَانِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ حيث صرَّح بتوليهم للشيطان أى باتباع ما يزين لهم من الكفر والمعاصى ؛ مَخَالِفًا لِمَا جَاءَتْ بِهِ الرِّسَالُ ، ثُمَّ صرَّحَ بِأَنَّ ذَلِكَ إِشْرَاكٌ بِهِ سَبَّحَانَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ كما صرَّحَ أَنَّ الطَّاعَةَ فِي ذَلِكَ الَّتِي يُشْرَعُ الشَّيْطَانُ وَيُزِينُ لَهُمْ إِنَّمَا هِيَ عِبَادَةٌ مِنْهُمْ لِهَذَا الشَّيْطَانِ<sup>(٧)</sup> .

وهذا على الرغم من أنه سبق له أيضاً تفسير هاتين الآيتين في موضعيهما من سورة (النحل)<sup>(٨)</sup> .

(٢) الأنعام : ١٤٥ .

(١) الأنعام : ١١٩ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١٦٩/٧ .

(٤) راجع تفسير آيتي (الأنعام) المشار إليهما بترتيبهما في (أضواء البيان) : الشنقيطى (٢٠٨/٢ - ٢٠٩) - (٢٤٦/٢ - ٢٧٧) .

(٦) النحل : ١٠٠ .

(٥) النحل : ٩٩ .

(٧) أضواء البيان : الشنقيطى ١٧١/٧ .

(٨) راجع تفسير آيتي (النحل) المشار إليهما بترتيبهما في (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٥٧/٣ - ٣٥٩ .



## المطلب الثالث التعقيب

وينتظم الملاحظات الخمس التالية :

- ١ - الملاحظة الأولى : ما يفسره من الآيات .
- ٢ - الملاحظة الثانية : ما لم يفسره من الآيات .
- ٣ - الملاحظة الثالثة : ما يتوقف عن تفسيره من الآيات .
- ٤ - الملاحظة الرابعة : ظاهرة الإحالة .
- ٥ - الملاحظة الخامسة : الجمع بين الطرائق .



وبعد أن عرضنا لمنهج الشنقيطي في تفسيره للقرآن بالقرآن ؛ فإنه يمكننا أن نرصد من خلال هذا التعقيب الملاحظات الخمس التي تردُّ على ذلك فيما يلي :

### الملاحظة الاولى

#### ما يفسره من الآيات

وإزاء ما يعرض له الشنقيطي من الآيات بالتفسير فإن هناك ثلاث ملاحظات تتعلق بكل من :

#### ١- ترقيم الآيات :

حيث من الملاحظ على الشنقيطي أنه لم يلتزم بذكر أرقام الآيات في سورها حال عرضه لها بالتفسير ، وهذا ما سار عليه في ثنايا تفسيره المختلفة بأجزائه السبعة ، ولا يُستثنى من ذلك سوى الجزء الرابع منه ، والذي يضم بدوره تفسير أربع سور تمثلت في : ( الكهف - مريم - طه - الأنبياء ) والتي التزم بترقيم جميع ما فسره من آياتها ، وذلك على النحو التالي :

#### ١ - ذكره رقم آية واحدة :

وذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ حيث يقول : آية (١١) (١) .

#### ٢ - ذكره رقمي آيتين معاً :

وذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَهَزَبْنَا بِكَلِمَةٍ لَّعِينَةٍ مِنْ رَبِّنَا إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُسَوِّمَاتِ لَعْنَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا يَتَّقُونَ﴾ حيث يقول : آية ( ٢٥ و ٢٦ ) (٢) .

#### ٣ - ذكره ارقام جملة من الآيات :

وذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾

(١) مريم : ١١ - وانظر ( أضواء البيان ) : الشنقيطي ٤ / ٢٢٠ .

(٢) مريم : ٢٥ مع ٢٦ - وانظر ( أضواء البيان ) : الشنقيطي ٤ / ٢٤٩ .



فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿١﴾ حيث يقول بعد ذكره جملة هذه الآيات : آية ( ٤١ - ٤٥ ) (١)

والحق أن التزام المفسرين عامّة ، والشنقيطي منهم خاصّة ، بترقيم ما يعرضون له من الآيات بالتفسير إنما يُعَدُّ أمراً منهجياً محموداً ؛ وذلك لما فيه من التيسير على الباحث في الوصول إلى ما ينشده من أقرب سبيل وأيسره ، فضلاً عن أن القارئ العادي سينال حظه أيضاً من هذا التيسير حالما يطالع ذلك التفسير أو ينظر فيه ؛ ومن ثم فإن ترك المفسّر ترقيم ما يفسّره من الآيات في ثنايا تفسيره المختلفة ؛ إنما يُعَدُّ من جملة (المأخذ الشكلية) التي تُحسب عليه في منهجه التفسيريّ ، وهو ذات ما وقع فيه صاحبنا الشنقيطيّ .

### ب - تخريج الآيات :

لا يلتزم الشنقيطي غالباً بتخريج الآيات التي يسوقها في معرض تفسيره للآية المقصودة ، في حين يعمد أحياناً إلى تخريج تلك الآيات ، وذلك كما يلي :

#### • امثلة تخريجه :

#### ١ - تخريجه لايتين :

وذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَّخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴿٢﴾ الآية (٢) حيث يسوق الشنقيطي اثنتي عشرة آية مماثلة لهذه الآية في المعنى .

ومع ذلك نراه لم يُخَرِّجْ من جملة هذه الآيات سوى آيتين اثنتين نظراً لتكرارهما في سورتين معاً ، وهما قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ (الآيتان) حيث يعقب إيرادها بقوله : في سورة (قد أفلح المؤمنون) وسورة (سأل سائل) (٣) .

ومن ثم ؛ فقد كان لزاماً على الشنقيطي أن يُخَرِّجْ هاتين الآيتين نظراً لتكرارهما في هاتين السورتين معاً .

(١) مريم : ٤١ - ٤٥ ( خمس آيات ) - وانظر ( أضواء البيان ) : الشنقيطي ٢٨٢ / ٤ .

(٢) سورة محمد ﷺ : ٤ .

(٣) المؤمنون : ٥ - ٦ (آيتان) مع المعارج : ٢٩ - ٣٠ (آيتان) - وانظر ( أضواء البيان ) : الشنقيطي





## ٢ - تخريجه لجملة من الآيات :

في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ (١٠٧) قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿ (١٠٨) ﴾ الآيتان<sup>(١)</sup> حيث يسوق الشنقيطى جملة من الآيات الموضحة لهاتين الآيتين ، مع تخريجه إياها فى سورة الأربع التى شملت كلاً من : ( المائدة - البقرة - الحج - السجدة ) بترتيب ذكره لها ، ثم يسوق جملة أخرى من الآيات الموضحة لجواب الملائكة على أهل النار ، مع تخريجه إياها أيضاً فى سورها الست التى شملت كلاً من : ( المؤمنون - السجدة - غافر - الزخرف - إبراهيم - فاطر ) بترتيب ذكره لها .

وهكذا يصل عدد السور التى خرّج الشنقيطى آياتها هنا إلى عشر سور لم يلتزم بمثلها سوى فى مواضع قليلة من تفسيره<sup>(٢)</sup> .

### • امثلة عدم تخريجه :

#### ١ - عدم تخريجه للآية الواحدة :

وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> حيث يفسر هذه الآية بآية أخرى مماثلة لها فى المعنى وهى قول الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> ومع أن هذه الآية هى الوحيدة المماثلة للآية المقصودة فى القرآن كله ؛ إلا أن الشنقيطى لم يخرجها فى موضعها من القرآن<sup>(٥)</sup> .

#### ٢ - عدم تخريجه لجملة من الآيات :

وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ الآيات<sup>(٦)</sup> حيث يسوق خمس آيات مماثلة فى المعنى لهذه الآيات المعنية هنا بالتفسير ، ومع ذلك لم يعمد الشنقيطى إلى تخريج أى من هذه الآيات الخمس ، وهذا ما يتبعه غالباً فى تفسيره سوى بعض المواضع القليلة التى يُخرِّج فيها مثل هذه الآيات .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٨٢٦/٥ .

(٤) الزمر : ٢٢ .

(٦) الإسراء : ٦٧ - ٦٩ (ثلاث آيات) .

(١) المؤمنون : ١٠٧ - ١٠٨ (آيتان) .

(٣) الأنعام : ١٢٥ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٢١٠ .

(٧) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/٦١١ .



والحق أن التزام المفسرين عامّة ، والشنقيطي منهم خاصة بتخريج ما يعرضون له من الآيات بالتفسير إنما يعد أمراً منهجياً محموداً ؛ وذلك لما فيه من التيسير على الباحث في الوصول إلى ما ينشده من أقرب سبيل وأيسره ، فضلاً عن أن القارئ العادي سينال حظه أيضاً من هذا التيسير حالما يطالع ذلك التفسير أو ينظر فيه ؛ ومن ثم فإن عدم تخريج المفسر لما يتناوله من الآيات في ثنايا تفسيره المختلفة ؛ إنما يعد من جملة (الماخذ الشكلية) التي تحسب عليه في منهجه التفسيري ، وهو ذات ما وقع فيه صاحبنا الشنقيطي .

### ج - ترتيب الآيات :

لا يلتزم الشنقيطي بالترتيب المصحفيّ للآيات التي يسوقها في معرض تفسيره للآية المقصودة ، وسواء في ذلك ما كان مُخَرَّجاً من هذه الآيات أو ما كان غير مُخَرَّجٍ منها ، وذلك كما يلي :

#### ١ - في حالة تخريجه للآيات :

وذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨)﴾ الآيتان<sup>(١)</sup> حيث سبق أن ذكرنا أن الشنقيطي قد أورد في معرض تفسيره لهذه الآية عشر آيات مع تخريجه لها في سورها ، أما الآيات الأربع الأولى التي وضّح بها معنى الآية المقصودة فقد أوردتها على غير ترتيبها المصحفيّ وهي : ( المائدة - البقرة - الحج - السجدة ) مع أن ترتيبها المصحفيّ هو : ( البقرة - المائدة - الحج - السجدة ) .

وأما الآيات الست الأخرى التي وضّح بها جواب الملائكة على أهل النار فقد أوردتها على غير ترتيبها المصحفيّ كذلك وهي : ( المؤمنون - السجدة - غافر - الزخرف - إبراهيم - فاطر ) مع أن ترتيبها المصحفيّ هو : ( إبراهيم - المؤمنون - السجدة - فاطر - غافر - الزخرف )<sup>(٢)</sup> .

#### ٢ - في حالة عدم تخريجه للآيات :

وذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً﴾ الآيتان<sup>(٣)</sup> حيث سبق أن ذكرنا أن الشنقيطي قد

(١) المؤمنون : ١٠٧ - ١٠٨ ( آيتان ) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٦١١/٣ .

(٣) الإسراء : ٦٧ - ٦٩ ( ثلاث آيات ) .



أورد في معرض تفسيره لهذه الآية خمس آيات مع عدم تخريجه لها في سورها، حيث أورد هذه الآيات على غير ترتيبها المصحفي وهي : ( يونس - الأنعام - العنكبوت - لقمان - الزمر) مع أن ترتيبها المصحفي هو : (الأنعام - يونس - العنكبوت - لقمان - الزمر)<sup>(١)</sup>.

والحق أن التزام المفسرين عامة ، والشنقيطي منهم خاصة ، بالترتيب المصحفي لما يعرضون له من الآيات بالتفسير إنما يعد أمراً منهجياً محموداً ؛ وذلك لما فيه من التيسير على الباحث في الوصول إلى ما ينشده من أقرب سبيل وأيسره ، فضلاً عن أن القارئ العادي سينال حظه أيضاً من هذا التيسير حالما يطالع ذلك التفسير أو ينظر فيه ؛ ومن ثم فإن عدم التزام المفسر بالترتيب المصحفي لما يتناوله من الآيات في ثنايا تفسيره المختلفة ؛ إنما يعد من جملة ( المآخذ الشكلية ) التي تُحسبُ عليه في منهجه التفسيري ، وهو ذات ما وقع فيه صاحبنا الشنقيطي .

### الملاحظة الثانية

#### ما لم يفسره من الآيات

إن الناظر في تفسير الشنقيطي يلحظ من الوهلة الأولى أنه لا يتناول جميع ما يمر به من الآيات بالتفسير ؛ ويشهد لذلك ما قمنا به من إحصاء فعلي للآيات التي فسرها في الجزء الرابع من التفسير ، والذي يضم بدوره أربع سور هي : ( الكهف - مريم - طه - الأنبياء ) وذلك بقصد تحديد نسبة ما فسره الشنقيطي إلى ما لم يفسره من آيات هذه السور . وقبل أن نشرع في إجراء هذا الإحصاء فإنه يجدر بنا أن نشير إلى أن اختيارنا قد وقع على هذا الجزء الرابع من التفسير نظراً لأنه الجزء الوحيد من أجزاء التفسير السبعة الذي فسّر الشنقيطي آياته مقرونة بأرقامها في سورها ؛ الأمر الذي كان سبباً في تيسير عملية الإحصاء المنشودة ، والتي تتضح من خلال الجدول التالي :

السورة	عدد آياتها	عدد ما فسره	النسبة %
الكهف	١١٠	٦٤	٥٨ %
مريم	٩٨	٧٥	٧٧ %
طه	١٣٥	٦٦	٤٩ %
الأنبياء	١١٢	٦٤	٥٧ %

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٦١١/٣ .



وبالنظر إلى هذا الجدول الإحصائي فإنه يتبين لنا أن الشنقيطى قد فسرَّ من آيات هذه السور ما تتراوح نسبته التقريبية ما بين النصف إلى الثلاثة أرباع ؛ وهو ما يؤكد أنه لا يفسر جميع ما يمرُّ به من آيات السورة ، وهذا ما يشير إليه تلميذه الأول الشيخ عطية محمد سالم بقوله : وعليه ؛ فإنه ينبغي أن يُعلم أن (أضواء البيان) ليس تفسيراً شاملاً لجميع آى القرآن كما يظنه البعض ويتطلب فيه تفسير كلِّ ما أُشكِلَ عليه<sup>(١)</sup> .

### الملاحظة الثالثة

#### ما يتوقف عن تفسيره من الآيات

يُمْتَنَعُ الشنقيطى أحياناً عن تفسير بعض الآيات مُعلِّلاً لذلك بأنه لم يجد ما يماثلها فى المعنى أو ما يوضِّحها من آيات القرآن الأخرى ؛ ويشهد لذلك ما صنعه فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> حيث نراه يسوق قولين للعلماء فى وصف السماء وحالتها يوم القيامة ، أما أولهما ؛ فوصفها بحُمْرَةٍ لَوْنُهَا الذى يشبه لون الجِلْدِ الأحمر ، وأما ثانيهما ؛ فوصفها بحالة الذوبان والميوعة التى تشبه الدهن الذائب المائع .

وهنا يردُّ الشنقيطى القول الأول مُعلِّلاً ذلك بأنه لا يَعْلَمُ من آيات القرآن ما يشهد لهذا الوصف حيث يقول ما نصه : أما على القول الأول فلا نعلم آية من كتاب الله تعالى تبين هذه الآية على أن السماء ستحمرُّ يوم القيامة حتى تكون كلون الجِلْدِ الأحمر<sup>(٣)</sup> .

وحرى بالذكر أن تَوَقَّفَ الشنقيطى عن تفسير بعض الآيات لذات العِلَّةِ أو لغيرها ، لم يقع منه فى تفسيره إلا نادراً ، وأن ما استشهدنا به هنا هو من قبيل النادر الذى نقصده ، والذى نبه إليه ، ونصَّ عليه ، أما تلك الآيات التى تركها دون تفسير ؛ فهى مما يجرى على طريقته التى تقضى بعدم تعرضه للآيات التى لا تحتاج إلى تفسير ؛ لظهور معناها ، ووضوح دلالتها .

ومن ثم ؛ فإنه لا يَعْرِضُ لتفسير مثل هذه الآيات دون أن يُنبهَ إلى ذلك أو يَنْصُ عليه ، مثل صنيعه فى الآية المذكورة هنا حيث نبه إلى عدم تفسيره لها ونصَّ عليه ، مُعلِّلاً ذلك بأنه لا يعلم آية من كتاب الله تعالى تبين أن السماء ستحمرُّ يوم القيامة حتى تكون كلون الجِلْدِ الأحمر .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٥ / ٨ ( الجزء الأول من التمه ) .

(٢) الرحمن : ٣٧ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٧٥١ / ٧ .





ومن تلك الآيات التي تركها الشنقيطي دون أن يعرض لتفسيرها ؛ لظهور معناها ، ووضوح دلالتها ، نذكر جملة الآيات التالية تبييناً بها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، والتي تشمل كلا من :

١ - قول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ الآية (١) حيث ترك الشنقيطي تفسير ذلك بين قوله تعالى : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الآية (٢) وقوله تعالى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ الآية (٣) .

٢ - قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥) إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) الآيات (٤) حيث ترك الشنقيطي تفسير ذلك بين قوله تعالى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ الآية (٥) وقوله تعالى : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية (٦) .

٣ - قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ الآية (٧) حيث ترك الشنقيطي تفسير ذلك بين قوله تعالى : ﴿لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية (٨) وقوله تعالى : ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الآية (٩) .

#### الملاحظة الرابعة

#### ظاهرة الإحالة

توشك الإحالة أن تشكل (ظاهرة بارزة) في منهج الشنقيطي في تفسيره لـ (القرآن بالقرآن) وقد بدأ هذا واضحاً من خلال كثرة هذه الإحالات التي وقعت منه في تفسيره ، ثم أثر هذه الإحالات التي انعكس على ثنايا تفسيره المختلفة ، وهذا ما نعرض له فيما يلي :

- |   |   |
|---|---|
| (١) البقرة : ٣ .  | (٢) البقرة : ٢ .  |
| (٣) البقرة : ٣ - وانظر في ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطي ١/١٠٧ .         | (٤) البقرة : ٤ - ٦ (ثلاث آيات) .                                      |
| (٥) البقرة : ٣ .  | (٦) البقرة : ٧ - وانظر في ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطي ١/١٠٧ - ١٠٩ . |
| (٧) المجادلة : ١٨ .   | (٨) المجادلة : ١٧ .   |
| (٩) المجادلة : ١ - وانظر في ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطي ٧/٨٢٢ - ٨٢٧ . |   |



### ١- كثرة هذه الإحالات :

أكثر الشنقيطى من الإحالات فى تفسيره للقرآن بالقرآن ، وذلك فى تفسيره عامة ، وفى الجزأين الأخيرين السادس والسابع منه خاصة<sup>(١)</sup> .

وقد تنازعت هذه الإحالات الكثيرة حالتان أما أولاهما : فتقوم فيها الإحالات مقام تفسير بعض الآيات ، وأما ثانيتهما : فتقوم فيها الإحالات مقام تفسير معظم الآيات ، وذلك على النحو التالى :

### ١- إحالات بمنزلة بعض الآيات :

ومن الأمثلة التى تقوم شاهداً على ذلك ما صنعه الشنقيطى فى معرض تفسيره لأربع آيات متتالية من سورة (الفرقان) حيث تمثل تفسيره لها فى إحالاته فقط والتى استغرقت صفحة كاملة من تفسيره على النحو التالى :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الآية<sup>(٢)</sup> نراه يُحيل تفسيرها على تفسيره لأول سورتي الأعراف والكهف ، ويقصد بذلك كلاً من قول الله تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۗ مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الآية<sup>(٤)</sup> .

وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ الآية<sup>(٥)</sup> نراه يُحيل تفسيرها على تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ الآية<sup>(٦)</sup> .

وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ الآية<sup>(٧)</sup> نراه يُحيل تفسيرها على تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الآية<sup>(٨)</sup> ثم يكمل بقية

(١) حيث يبلغ مجموع السور التى يشتمل عليها هذان الجزآن خمساً وثلاثين سورة ، موزعة بين أربع عشرة سورة يضمها الجزء السادس تبدأ بـ (النور) وتنتهى بـ (الصفوات) وإحدى وعشرين سورة يضمها الجزء السابع تبدأ بـ (ص) وتنتهى بـ (المجادلة) - وانظر فى ذلك (أضواء البيان) :

الشنقيطى (الجزء السادس) من (١) إلى (٧٣٢) - و(الجزء السابع) : من (١) إلى (٨٨٠) .

(٢) الفرقان : ٥٦ . (٣) الأعراف : ٢ .

(٤) الكهف : ١ - ٣ (ثلاث آيات) . (٥) الفرقان : ٥٧ .

(٦) هود : ٢٩ . (٧) الفرقان : ٥٨ .

(٨) الفاتحة : ٧ .



الآية في قوله تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ فيُحِيل تفسيرها على تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾<sup>(١)</sup> .

وفي معرض تفسيره لقول الله تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> نره يحيل تفسيرها على تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> .

## ٢ - إحالات بمنزلة معظم الآيات :

وأحياناً تستغرق إحالات الشنقيطى معظم آيات السورة التي يتناولها بالتفسير ؛ إلى الحد الذي توشك أن تقوم معه تلك الإحالات مقام تفسيره للسورة كلها ، ومن الأمثلة التي تقوم شاهداً على ذلك نذكر ما يلي تنبيهاً بها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالي :

### • ففي سورة (ص) :

بلغ عدد ما تناوله من آياتها بالتفسير ثمانين آية ، وقد كان نصيب إحالاته فيها ست عشرة إحالة ، أى ما يزيد على نصف ما تناوله من آيات هذه السورة<sup>(٤)</sup> .

### • وفي سورة (الزمر) :

بلغ عدد ما تناوله من آياتها بالتفسير إحدى وعشرين آية ، وقد كان نصيب إحالاته فيها أربع عشرة إحالة ، أى ما يزيد كذلك على نصف ما تناوله من آيات هذه السورة<sup>(٥)</sup> .

### • وفي سورة (غافر) :

بلغ عدد ما تناوله من آياتها بالتفسير أربعاً وأربعين آية ، وقد كان نصيب إحالاته فيها ثمانين وعشرين إحالة ، أى ما يزيد أيضاً على نصف ما تناوله من آيات هذه السورة<sup>(٦)</sup> .

وهكذا يبدو تفسير هذه السور الثلاث ( ص - الزمر - غافر ) وكأنه إحالة كله أو معظمه ، خاصة وأن ما تبقى من آياتها إنما يسلك فيه الشنقيطى سبيل التماثل أو الإيضاح السابق ذكرهما .

(١) الإسراء : ١٧ . (٢) الفرقان : ٥٩ .

(٣) الأعراف : ٥٤ - وانظر ( أضواء البيان ) : الشنقيطى ٣٤٤/٦ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٧ - ٣٨ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٤١ - ٦٦ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٦٩ - ١٠١ .



## ب - أثر هذه الإحالات :

انعكس أثر الإحالات الكثيرة بصورة واضحة جليّة على تفسير الشنقيطي عامّة ، وعلى الجزأين الأخيرين السادس والسابع منه خاصّة ؛ وقد تمثل أثر هذه الظاهرة في ( اقتصاد واختصار ) الشنقيطي لسُور هذين الجزأين اللذين يَضُمَّانَ خمسًا وثلاثين سورة ، وذلك على النحو التالي :

### • ففي الجزء السادس :

بلغ عدد السور التي يضمها أربع عشرة سورة ، غير أن الشنقيطي قد اقتصد في تفسير عشر سور منها شملت كلاً من : ( الشعراء - القصص - العنكبوت - الروم - لقمان - السجدة - سبأ - فاطر - يس - الصافات )<sup>(١)</sup> .

### • وفي الجزء السابع :

بلغ عدد السور التي يضمها إحدى وعشرين سورة ، غير أن الشنقيطي قد اقتصد في تفسير سبع سور منها شملت كلاً من : ( ص - الدخان - الفتح - ق - الطور - القمر - الحديد )<sup>(٢)</sup> .

وهكذا يصل مجموع السور التي اقتصد الشنقيطي في تفسيرها إلى سبع عشرة سورة ، وهو ما يعادل تقريباً نصف السور التي يضمها هذان الجزآن معاً .

### • وفي فهرس الجزء السابع :

لا يخفى على الناظر في فهرس هذا الجزء الأخير من التفسير أثر ظاهرة الإحالات الكثيرة التي يشير إليها وينص عليها الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطي الأول ، وواضع فهرس التفسير في حياة شيخه وبعلمه .

ومن آثار هذه الإحالات الكثيرة نذكر بعض الأمثلة التالية تنبّهاً بها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، حيث يقول الشيخ عطية ما نصه :-

١ - قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> والآيات الموضّحة لذلك ، وقد تقدّم البحث في سورة المائدة عند الكلام على قول الله تعالى : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١/٦ - ٧٣٢ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ١/٧ - ٨٨٠ .

(٣) الزمر : ٣ .

(٤) المائدة : ٣٥ - وانظر ( أضواء البيان ) : الشنقيطي ٧/ ٨٣٠ ( من الفهرس ) .





- ٢ - قول الله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ الآية<sup>(١)</sup> والإيضاح على ما يماثل ذلك في سورة (يس)<sup>(٢)</sup> .
- ٣ - قول الله تعالى : ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> مع بيان الإنذار ، والإحالة على بيانه السابق وأنواعه في (الأعراف)<sup>(٤)</sup> .
- ٤ - قول الله تعالى : ﴿يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ الآية<sup>(٥)</sup> إعرابه وبيان معناه ، وبيان قرب قيام الساعة ، وأدلة ذلك من القرآن ، والتحويل عليه في أول سورة (النحل)<sup>(٦)</sup> .
- ٥ - قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ حتى قوله تعالى : ﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ الآية<sup>(٧)</sup> والآيات الموضحة لها ، والإحالة على أمثالها مراراً<sup>(٨)</sup> .
- ٦ - قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَنُونَ فِي النَّارِ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ الآيتان<sup>(٩)</sup> والآيات الموضحة لهما ، مع الإحالة على مثلهما كثيراً<sup>(١٠)</sup> .
- ٧ - قول الله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الآية<sup>(١١)</sup> مع الإحالة على إيضاح ذلك في سورة (الروم) وغيرها<sup>(١٢)</sup> .

#### الملاحظة الخامسة

#### الجمع بين الطرائق

تَنَازَعَتْ مِنْهَجَ الشَّنْقِيطِيِّ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ طَرَائِقُ أَرْبَعَةٌ تَمَثَّلَتْ فِي كُلِّ مَنْ :

( التماثل - الإيضاح - الإحالة - التكرار ) وقد سبق لنا تفصيل القول في كل منها على

- 
- (١) غافر : ٦ .
- (٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٨٣٣/٧ ( من الفهرس ) .
- (٣) غافر : ١٨ .
- (٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٨٣٤/٧ ( من الفهرس ) .
- (٥) غافر : ١٨ .
- (٦) أضواء البيان : الشنقيطي ٨٣٤/٧ ( من الفهرس ) .
- (٧) غافر : ٢٣ - ٢٤ ( آيتان ) .
- (٨) أضواء البيان : الشنقيطي ٨٣٤/٧ ( من الفهرس ) .
- (٩) غافر : ٤٧ - ٤٨ ( آيتان ) .
- (١٠) أضواء البيان : الشنقيطي ٨٣٦/٧ ( من الفهرس ) .
- (١١) غافر : ٨٢ .
- (١٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٨٣٧/٧ ( من الفهرس ) .



حِدَّة ، وذلك من حيث استخدام الشنقيطى لها ، وشواهدة عليها ؛ ومع ذلك فقد يلجأ الشنقيطى أحياناً إلى الجمع بين هذه الطرق فى مَعْرِض تفسيره للقرآن بالقرآن ، غير أن أبرز هذه الطرق من حيث جمعه بينها فإنه يتمثل فى كل من : ( التماثل مع الإحالة ) ثم ( الإيضاح مع الإحالة ) وذلك كما يلى :

#### أ - الجمع بين التماثل والإحالة :

وذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ بِسَّكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ الآيتان<sup>(١)</sup> .

حيث يبدأ الشنقيطى أولاً بـ ( التماثل ) من خلال ذكره الآيات المماثلة لمعنى هذه الآية فيقول : وما ذكره الله تعالى هنا من الأمر بالتقوى ، ذكره فى مواضع كثيرة جداً من كتابه كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً<sup>(٣)</sup> .

ثم يتبع الشنقيطى هذا ( التماثل ) بـ ( الإحالة ) على ما سبق أن تناوله من قبل فى مواضع أخرى من تفسيره فيما يتعلق بمعنى تقوى الله تعالى حيث يقول ما نصه : وقوله تعالى فى هذه الآية الكريمة : ﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾ قد أوضحنا فيما مضى معنى التقوى بشواهدة العربية ؛ فأغنى ذلك عن إعادته هنا<sup>(٤)</sup> .

#### ب - الجمع بين الإيضاح والإحالة :

وذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ (٤٥) من نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) الآيتان<sup>(٥)</sup> .

حيث يبدأ الشنقيطى أولاً بـ ( الإيضاح ) من خلال ذكره الآيات التى تُوضِّح أن خلُق النوعين الذكر والأنثى إنما يُستدل به على قدرة الله سبحانه على بَعث خلقه ، كما يُستدل به على أن الله سبحانه لم يخلق الإنسان إلا للتكليف والجزاء ؛ ومن ثم يقول الشنقيطى ما نصه : وما تضمنته هذه الآية الكريمة من الاستدلال بخلُق النوعين أعنى الذكر والأنثى من النطفة ، قد جاء مُوضَّحاً فى غير هذا الموضع ، وأنه يُستدل به على أمرين هما : قدرة الله على البعث ، وأنه ما خلق الإنسان إلا ليكلفه ويجازيه .

(٢) النساء : ١ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٥ .

(١) الحج : ١ - ٢ ( آيتان ) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٥ .

(٥) النجم : ٤٥ - ٤٦ ( آيتان ) .



وقد جمع كلا الأمرين قول الله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠)﴾ الآيات<sup>(١)</sup> فذكر دلالة ذلك على البعث في قوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ وذكر أنه ما خلقه ليهمله من التكليف والجزاء ، مُنْكَرًا عَلَى مَنْ ظَنَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ أى مُهْمَلًا مِنَ التَّكْلِيفِ وَالْجِزَاءِ<sup>(٢)</sup> .

ثم يتبع الشنقيطى هذا (الإيضاح) بـ (الإحالة) على ما سبق أن تناوله من قبل فى مواضع أخرى من تفسيره حيث يقول ما نصه : وقد قدّمنا بعض الكلام على هذا فى سورة (الفرقان) عند الكلام على قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ الآية<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

● ● وبعد :

فإنه يتضح لنا مما سبق أن تفسير (القرآن بالقرآن) إنما يُعَدُّ الأساس الأول الذى يقوم عليه بناء منهج الشنقيطى فى التفسير ، من حيث اعتماده عليه ، ورجوعه إليه ، إزاء ما يتناوله من آيات ، أو يعرض له من تفسير ؛ ومن ثم فقد اقتضت الضرورة المنهجية أن نفصل القول فى هذا الصدد نظرًا لما فى ذلك ما فيه من (الأولوية والأهمية) .

(١) القيامة : ٣٦ - ٤٠ (خمس آيات) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٧١٢ .

(٣) الفرقان : ٥٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/٧١٢ .



## المبحث الثاني تفسير القرآن بالسنة

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١ - المطالب الأول : التععيد النظريّ .
- ٢ - المطالب الثاني : التطبيق العمليّ .
- ٣ - المطالب الثالث : التعقيب .





## المطلب الأول التقعيد النظري

وينتظم المسألتين التاليتين :

- ١ - المسألة الأولى : اتفاق أغلب العلماء .
- ٢ - المسألة الثانية : موقف الشنقيطي .



ونعنى به موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بالسُّنة من حيث كونها الخطوة الثانية ، والمرحلة التالية ، بعد تفسير القرآن بالقرآن ، وهذا ما نَعْرِضُ له من خلال المسألتين التاليتين :

### المسألة الأولى

#### اتفاق أغلب العلماء

يذهب أغلب المفسرين المعتبرين ، والعلماء المحققين ، على أن أعظم وأجل ما يُفسَّر به القرآن بعد القرآن ذاته إنما هو سنة رسول الله ﷺ ومن ثم فقد نصَّوا على أن تفسير القرآن بالسُّنة إنما يعد المصدر الثانى للتفسير ؛ ولذا فقد كان (من القواعد المتفق عليها بين أهل العلم أن يفسَّر القرآن بكل من القرآن والسُّنة)<sup>(١)</sup> .

#### • موقف الشنقيطى:

والحق أن الشنقيطى يقف من ذلك موقفاً واضحاً ليوافق به إجماع أغلب العلماء على أن ثانى ما يجب أن يفسَّر به القرآن بعد القرآن ذاته إنما هو السنة المطهرة ؛ وذلك لما يراه من منزلة السنة ، وأهمية موقعها من القرآن ؛ من حيث كونها شارحة لما خفى من معناه ، وموضحة لما أشكل من فهمه .

الأمر الذى لا يمكن معه الاستغناء عن السنة بالقرآن ؛ بل ويبين فى الوقت ذاته سقوط دعوى مَنْ يقولون به ، فيبطلُ مذهبهم ، ويدحضُ افتراءهم ، من أمثال طائفة (القرآنيين) ومَنْ شايِعَهُمْ<sup>(٢)</sup> ولقد دَلَّلَ الشنقيطى على موقفه هذا واحتج له فى مقدمة تفسيره ، فضلاً عن تصريحه به فى غير موضع من ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالى :

#### ١ - فى مقدمة التفسير :

حيث يقول الشنقيطى ما نصه : واعلم أن مما التزمنا فى هذا الكتاب المبارك أنه إن كان للآية الكريمة مَبِينٌ من القرآن غير وافٍ بالمقصود من تمام البيان ؛ فإننا نتمم البيان من السنة من حيث إنها تفسير للمُبِينِ ، ومثاله قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> فقد أشار سبحانه إلى أوقاتها فى قوله تعالى : ﴿ أقمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ

(١) منزلة السنة فى الإسلام : محمد ناصر الدين الألبانى ص ١٢ .

(٢) انظر ردنا على هذه الطائفة بأدلتنا من القرآن والسُّنة تحت عنوان : (ضلال طائفة القرآنيين)

ص من هذا البحث .

(٣) النساء : ١٠٣ .



الشمس ﴿ الآية (١) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ الآية (٢) وقوله تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ الآية (٣) على ما ذكره جمع من العلماء من أنها أوقات الصلاة .

وكقول الله تعالى : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ الآية (٤) على القول بأنها في الزكاة وأنها غير منسوخة ؛ فإنها تشير لها آيات الزكاة كقوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا الزَّكَاةَ ﴾ الآية (٥) وقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ الآية (٦) .

وكقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ﴾ الآية (٧) فإن القرآن قد زيد فيه على هذا الحصر تحريم الخمر ؛ ومن ثم فإننا نبين ما زاده ﷺ بالسنة الصحيحة .

فمثل هذه المسائل بينها بيانًا تامًا بالسنة تبعًا للبيان القرآن (٨) .

## ٢ - في ثنایا التفسیر :

لا يفتأ الشنقيطي أن يكرر إشارته إلى ما ضمَّنه مقدمة تفسيره ، حيث يؤكد ذلك في غير موضع من ثنایا تفسيره المختلفة قائلًا ما نصه :

أ - وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية إن كان لها بيان في كتاب الله غير واف بالمقصود ؛ فإننا نتم ذلك البيان من السنة ، فنبيِّن الكتاب بالسنة من حيث إنها بيان للقرآن المبين (٩) .

ب - اعلم أن الآية قد يكون لها بيان من الكتاب قد أوضحتها السنة ؛ فصار بضميمة السنة إلى القرآن بيانًا وافيًا بالمقصود ، والله جلّ وعلا قد قال في كتابه لنبیه ﷺ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية (١٠) .

(٢) هود : ١١٤ .

(١) الإسراء : ٧٨ .

(٤) الأنعام : ١٤١ .

(٣) الروم : ١٧ .

(٥) البقرة : الآيات (٤٣-٨٣-١١٠-١٧٧-٢٧٧) - وقد تكررت هذه الآية بلفظ (أتى) ومشتقاته ثنتين وثلاثين مرة من خلال تسع عشرة سورة بما في ذلك المواضع الخمسة المشار إليها هنا في سورة البقرة .

(٧) الأنعام : ١٤٥ .

(٦) البقرة : ٢٦٧ .

(٨) أضواء البيان : الشنقيطي ٩١/١ (من المقدمة) .

(٩) أضواء البيان : الشنقيطي ١٩٤/٣ .

(١٠) النحل : ٤٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ١٨١/٤ .



القسم الثاني : الباب الاول : السُّمة الاولى : الجمع بين المأثور والمعقول \_\_\_\_\_ الفصل الاول : تفسير القرآن بالمأثور

ج - وأخيراً يؤكد الشنقيطى هذا الأصل بهذه الجملة الصريحة الموجزة فيقول : وخير ما يُفسَّرُ به القرآن هو كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ (١) .

\* \* \*

●● وبعد :

فقد رأينا كيف أن تفسير القرآن بالسُّنة يأتي في المرتبة الثانية عند الشنقيطى بعد تفسير القرآن بالقرآن ذاته ؛ وليوافق بذلك ما انعقد عليه رأى أغلب المحققين من العلماء المعتبرين ؛ وهذا ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العمليّ على ذلك التقعيد النظرى .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٦٥-٥/٤٩٢ (موضعان) .





## المطلب الثاني التطبيق العملي

وينتظم الطريقتين التاليتين :

- ١ - الطريقة الأولى : الجمع بين القرآن والسنة .
- ٢ - الطريقة الثانية : الاكتفاء بالسنة .



ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تفسير القرآن بالسُّنة ، والذى يُجسِّدُ من خلاله تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تععيده النظرى ؛ وقد تمثل هذا السلوك الفعلى فى جملة من الشواهد التى نعرض لها بالتفصيل من خلال الطريقتين التاليتين :

### الطريقة الأولى

#### الجمع بين القرآن والسُّنة

ولا يلجأ الشنقيطى إلى هذا الجمع بين القرآن والسُّنة فى تفسير الآية التى هو بصددتها إلا فى حالتين اثنتين :

#### ١ - لإكمال الدلالة :

وذلك حينما يرى أن القرآن غير واف بالمقصود من تفسير الآية التى هو بصددتها ؛ وعندئذ يعمد إلى تفسيرها بالسُّنة بجوار تفسيرها بالقرآن ، بقصد إكمال دلالتها ، وإيفاء معناها ، على النحو الذى يريده ، والوجه الذى يذهب إليه .

وفيما يلى نكتفى بذكر المثال التالى تبييناً به على غيره كشاهد على منهج الشنقيطى فى جمعه بين القرآن والسُّنة لتفسير الآية التى هو بصددتها ؛ وقد اكتفينا بهذا المثال دزن غيره نظراً لأنه من أوضح الأمثلة وأتمها إزاء ما نحن بصددده ؛ ومن ثم فسوف نورد بطوله وتامه على النحو الذى أورد به الشنقيطى فى موضعه من التفسير كما يلى :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ الآيتان<sup>(١)</sup> نراه يقول ما نصه : اعلم أولاً أنا قد قدمنا فى ترجمة هذا الكتاب المبارك أنه إن كان لبعض الآيات بيان من القرآن لا يفى بإيضاح المقصود ، وقد بينه النبى ﷺ فإننا نتمم بيانه بذكر السُّنة المبينة له ، فإذا علمت ذلك ؛ فاعلم أن هاتين الآيتين الكريميتين لهما بيان من الكتاب أوضحته السُّنة ؛ فصار بضميمة السُّنة إلى القرآن بياناً وافياً بالمقصود ، والله جلّ وعلا قد قال فى كتابه لنبىه ﷺ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> .

(١) الكهف : ٩٨-٩٩ (آيتان) .

(٢) النحل : ٤٤ .



فإذا علمت ذلك ؛ فاعلم أن هذه الآية الكريمة<sup>(١)</sup> وآية الأنبياء<sup>(٢)</sup> قد دلّتا في الجملة على أن السدّ الذي بناه (ذو القرنين) دون (يأجوج ومأجوج) إنما يجعله الله دكاً عند مجيء الوقت الموعود بذلك فيه ؛ وقد دلّتا على أنه بقرب يوم القيامة ؛ لأنه قال تعالى هنا : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ الآيتان<sup>(٣)</sup> .

وأظهر الأقوال في الجملة المقدّرة التي عوّضَ عنها التنوين في «يَوْمَئِذٍ» من قول الله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ أنه ( يوم إذا ) جاء وعد ربي بخروجهم وانتشارهم في الأرض ، ولا ينبغي العدول عن هذا القول لموافقته لظاهر سياق القرآن العظيم .

وآية الأنبياء المشار إليها هي قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآيتان<sup>(٤)</sup> لأن قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ وإتباعه ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يدل في الجملة على ما ذكرنا في تفسير آية الكهف التي نحن بصدها ، وذلك يدل على بطلان قول من قال : إنها (روسيّة) وإنّ السدّ فُتِحَ منذ زمان طويل .

فإذا قيل : إنما تدل الآيات المذكورة في (الكهف) و (الأنبياء) على مطلق اقتراب يوم القيامة من ذلك السدّ واقترابه من يوم القيامة ، لا ينافي كونه قد وقع بالفعل كما قال الله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ الآية<sup>(٥)</sup> وقال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ الآية<sup>(٦)</sup> كما قال النبي ﷺ : «ويل للعرب من شرٍ قد اقترب ؛ فُتِحَ اليومَ من رَدَمٍ يأجوج ومأجوجٍ مثلُ هذه ، وحلّق بأصبعيه : الإبهام والتي تليها» الحديث<sup>(٧)</sup> وقد

(١) ويقصد بذلك آيتي الكهف السابقتين .

(٢) ويقصد بذلك قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآيتان .

(٣) الكهف : ٩٨-٩٩ (آيتان) . (٤) الأنبياء : ٩٦-٩٧ (آيتان) .

(٥) الأنبياء : ١ . (٦) القمر : ١ .

(٧) أخرجه البخاري في أربعة مواضع من صحيحه - انظر في ذلك (فتح الباري) على النحو التالي :

(كتاب ٦٠) الأنبياء (باب ٧) قصة يأجوج ومأجوج - ٣٨١/٦ حديث رقم (٣٣٤٦) - ثم

(كتاب ٦١) المناقب (باب ٢٥) علامات النبوة في الإسلام - ٦١١/٦ حديث رقم (٣٥٩٨) - ثم (كتاب

٩٢) الفتن (باب ٤) قول النبي ﷺ : «ويل للعرب من شرٍ قد اقترب» - ١١/١٣ حديث رقم

(٧٠٥٩) - ثم (كتاب ٩٢) الفتن (باب ٢٨) يأجوج ومأجوج - ١٠٦/١٣ حديث رقم (٧١٣٥) -

(طبع السلفية) .



قدمناه في سورة المائدة<sup>(١)</sup> .

فقد دلّ القرآن والسنة الصحيحة على أن اقتراب ما ذُكر لا يستلزم اقترانه به ، بل يصحّ اقترابه مع مهلة ؛ وإذا فلا ينافي ذلك السدّ الماضي المزعوم الاقتراب من يوم القيامة ؛ ومن ثم فلا يكون في الآيات المذكورة دليل على أنه لم يُدكّ السدّ حتى الآن ، فالجواب هو ما قدمنا من أن هذا البيان بهذه الآيات ليس وافياً بتمام الإيضاح إلا بضميمة السنة له ؛ ولذلك فقد ذكرنا أننا نتمم مثله من السنة لأنها مبيّنة للقرآن .

قال مسلم بن الحجاج رحمه الله في (صحيحه) : حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ، حدثنا الوليد ابن مسلم ، حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، حدثني يحيى بن جابر الطائي (قاضي حمص) حدثني عبد الرحمن بن جبير ، عن أبيه جبير بن نفير الحضرمي : أنه سمع النّوّاس بن سمعان الكلابي (ح) .

وحدثني محمد بن مهران الرازي (واللفظ له) حدثني الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر ، عن يحيى بن جابر الطائي ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه جبير بن نفير ، عن النّوّاس بن سمعان قال :

«ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة ، فحَفَضَ فيه ورفَعَ حتى ظنناه في طائفة النخل ، فلما رُحْنَا إليه عَرَفَ ذلك فينا ؛ فقال : ما شأنكم ؟! قلنا : يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فحَفَضْتَ فيه ورفَعْتَ حتى ظنناه في طائفة النخل ! فقال : غير الدجال أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ ! إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم .

= وأخرجه مسلم في صحيحه (كتاب ٥٢) الفتن وأشراط الساعة (باب ١) اقتراب الفتن وفتح ردم ياجوج وماجوج - ٢٢٠٧/٤ - حديث رقم (٢٨٨٠) - (طبع الحلبي) - كما أخرجه أحمد في مسنده : ٤٢٨/٦ - حديث رقم (٢٧٤٥٣) - ٤٢٨/٦ - حديث رقم (٢٧٤٥٤) - ٤٢٩/٦ - حديث رقم (٢٧٤٥٦) - (طبع قرطبة) .

• ويلاحظ أن كل مواضع التخريج المذكورة هنا تبدأ بـ : «لا إله إلا الله ، ويل للعرب» ما عدا الحديث رقم (٢٧٤٥٦) في (مسند أحمد) فيبدأ بـ : «ويل للعرب» .

(١) حيث أورد الحديث المذكور في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ المائدة : ١٠٥ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي





إنه شاب قَطَطٌ<sup>(١)</sup> عينه طَافِئَةٌ<sup>(٢)</sup> كأنى أشبهه بـ (عبد العزى بن قطن) فمن أدركه منكم فليقرأ عليه (فواتح سورة الكهف) إنه خارجُ خُلَّةٍ<sup>(٣)</sup> بين الشام والعراق ، فعاث يمينا وعاث شمالاً ، يا عبادَ الله فاثبتوا .

قلنا : يا رسول الله ، وما لبثت في الأرض ؟ قال : أربعون يوماً ، يوم كَسَنَةٌ ، ويوم كَشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم<sup>(٤)</sup> قلنا : يا رسول الله ، فذلك اليوم الذى كَسَنَةٌ ، أتكفيناه فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، أقدروا له قدره ، قلنا : يا رسول الله ، وما إِسْرَاعُهُ في الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح ، فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له ؛ فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً ، وأسبغه ضروعاً ، وأمدته خِوَصِر ، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله ؛ فينصرف عنهم ، فيصبحون مُمَحْلِينَ<sup>(٥)</sup> ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمرُّ بالخرِبة<sup>(٦)</sup> فيقول لها : أخرجى كنوزك ، فتبعه كنوزها كيَعَاسِيبِ النَّحْلِ<sup>(٧)</sup> ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً ، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رَمِيَّةَ الْغَرَضِ<sup>(٨)</sup> ثم يدعو فيقبل ويتهلل ووجهه يضحك .

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق

(١) قَطَطٌ : أى ذو شعر جعد متموج قصير بما يشبه شعر الزنوج ، ومنه قولهم : (رَجُلٌ قَطٌّ وَقَطَطٌ والجمع أَقْطَاطٌ وَقَطَاطٌ وَقَطُونٌ وَقَطَطُونٌ) وكذا قولهم : (امرأة قَطَّةٌ وَقَطَطٌ والجمع قَطَطَاتٌ) - انظر مادة (قَطَط) فى كل من لسان العرب : ٣٥٧١/٥ - المعجم الوسيط : ٧٧٣/٢ .

(٢) طَافِئَةٌ : أى خامدة لا يريق لها ، وناتئة بارزة فوق وجهه بما يشبه الشيء الطافى فوق سطح الماء - انظر مادة (طَفَأ) فى كل من لسان العرب : ٢٦٨٤/٤ - المعجم الوسيط : ٥٨٠/٢ .

(٣) خُلَّةٌ : أى الأرض المملوءة بـ (الشوك) وهى مرعى للإبل التى يقال لها : (إبل الخُلَّة) حتى إذا ما ملت هذا الطعام من الشوك ؛ تم تحويلها إلى أرض أخرى ذات نبات وشجر لترعى فيها - انظر مادة (خَلَل) فى كل من لسان العرب : ١٢٤٨/٢ - المعجم الوسيط : ٢٦١/١ .

(٤) وَيُسْتَنْبَطُ من هذا الحديث أن مدة مكث الدجال فى الأرض تصل فى جملتها إلى ما يقرب من أربعمئة وأربعين يوماً بحساب أيامنا الآن .

(٥) مُمَحْلِينَ من المَحَل : وهو القحطُ والشدة والجوع الشديد ، والجمع : (أَمْحَالٌ وَمُحُولٌ) - انظر مادة (مَحَل) فى لسان العرب : ٤١٤٧/٥ .

(٦) الخَرِبَةُ : موضع الهدم والخراب وهو ضد البناء وال عمران ، والجمع : (خَرِبَاتٌ) رانظر مادة (خَرِب) فى لسان العرب : ١١٢١/٢ .

(٧) يِعَاسِيبِ النَّحْلِ : جمع (يَعَسُوب) وهو ذكور النحل وأميرها الذى تجتمع حوله إناث النحل وغيرها - انظر مادة (عَسَب) فى لسان العرب : ٢٩٣٥/٤ .

(٨) رَمِيَّةَ الْغَرَضِ : أى كرمية الصياد التى يصيب بها هدفه - انظر مادة (رَمَى) فى لسان العرب : ١٧٣٩/٣ .



بين مَهْرُودَتَيْنِ<sup>(١)</sup> واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قَطَرَ ، وإذا رفعه تحدر منه جَمَانٌ كاللؤلؤ<sup>(٢)</sup> فلا يَحِلُّ لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ<sup>(٣)</sup> فيقتله ، ثم يأتي عيسى بن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه ؛ فيمسح عن وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى : إني قد أخرجت عبداً لآيدانٍ لأحدٍ بقتالهم ؛ فحرز عبادي إلى الطور .

ويبعث الله ياجوج وماجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة (طبرية) فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم .

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ؛ فيرسل الله عليهم النِّغْفَ<sup>(٤)</sup> في رقابهم ؛ فيصبحون فرسى<sup>(٥)</sup> كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاء زهمهم<sup>(٦)</sup> وتنتهم<sup>(٦)</sup> ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ؛ فيرسل الله طيراً كأعناق البخت<sup>(٧)</sup> فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكون منه بيتٌ مدرٌ ولا وبرٌ<sup>(٨)</sup> فيغسل الأرض حتى يتركها

(١) مَهْرُودَتَيْنِ : أى فى ثوبين مصبوغين باللون الأصفر كلون الزعفران وما شابهه - انظر مادة (هرد) فى لسان العرب : ٤٦٤٨/٦ .

(٢) جَمَانٌ : جمع (جمانة) وهى الحبة التى تصنع من الفضة على شكل اللؤلؤ ، وقد شُبِّهَتْ بها حباتُ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ - انظر مادة (جمن) فى لسان العرب : ٦٨٩/١ .

(٣) (لُدٌّ) و (اللُدُّ) : اسم رَمْلَةٌ بالشام ، وقيل بفلسطين - انظر مادة (لدد) فى لسان العرب : ٤٠١٩/٥ .

(٤) النِّغْفُ : الدود الذى يكون فى أنوف الإبل والغنم ، وهى جمع (نغفة) - انظر مادة (نغف) فى لسان العرب : ٤٤٨٩/٦ .

(٥) فرسى : أى قتلى ، وهى جمع (فريس) كقتيل ، ومنه قولهم : (فرس الذئب الشاة وافترسها) إذا قتلها ، والأصل فيه قولهم : (فرس الذبيحة يفرسها فرساً) إذا قطع نخاعها وفصل عنقها ، و (الفرس) دق العنق ، ثم كثر حتى جعل كل قتل فرساً - انظر مادة (فرس) فى لسان العرب : ٣٣٧٨/٥ .

(٦) زهمهم : من (الزهممة) وهى رائحة اللحم السمين المنتن ، والمعنى : أن الأرض سوف تتن من رائحة جيفهم الكريهة المتغيرة - انظر مادة (زهم) فى لسان العرب : ١٨٨١/٣ .

(٧) البُخْتُ والبُخْتِيَّةُ : هى الإبل الخراسانية ، وقيل : إنها عربية ، وهى إبل طوال الأعناق ، الجمل الواحد منها (بختى) والناقة منها (بختية) والجمع (بخت وبخات) وقيل : (بخاتى وبخاتى) - انظر مادة (بخت) فى لسان العرب : ٢١٩/١ .

(٨) مدرٌ : أى قطع الطين اليابس ، وقيل : الطين العلك أى اللين الذى لا رمل فيه ، وواحدته (مدرة) - انظر مادة (مدر) فى لسان العرب : ٤١٥٩/٥ .

وبرٌ : أى صوف الإبل والأرانب ونحوها ، وواحدته (وبرة) والجمع (أوبار) - انظر مادة (وبر) =



كالزَّلْفَةِ<sup>(١)</sup> ثم يقال للأرض: انبتى ثمرتك ، ، وردى بركتك ؛ فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة<sup>(٢)</sup> ويستظلون بقحفها<sup>(٣)</sup> ويبارك في الرسل<sup>(٤)</sup> حتى إن اللقحة<sup>(٥)</sup> من الإبل لتكفي الفئام<sup>(٦)</sup> من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة<sup>(٧)</sup> من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ<sup>(٨)</sup> من الناس .

فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل

= في لسان العرب : ٤٧٥٢/٦ .

والمعنى : أى جميع البيوت ، سواء ما كان منها مسبباً من الطين اللين والطوب اللبن النىء فى الحضر والخضراء ، أو ما كان مصنوعاً منها من الصوف ونحوه على هيئة خيام فى البادية والصحراء .

(١) الزَّلْفَةُ : أى أن المطر ينزل على الأرض فيجعل منها أغادير وعمرات مملوءة بالماء ؛ فتصير الأرض كأنها مصنعة من مصانع الماء ، فضلاً عن استوائها ونظافتها كالمرآة ، وكذا نُضْرَتُهَا وَخُضْرَتُهَا كالروضة - انظر مادة (زكف) فى لسان العرب : ١٨٥٣/٣ .

(٢) العصابة والعصبة : الجماعة من الناس من عشرة إلى أربعين ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ يوسف : ١٤ - انظر مادة (عصب) فى لسان العرب : ٢٩٦٣/٤ .

الرمانة : واحدة (الرمان) وهو حمل أو تمر شجرة معروفة من الفواكه ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ الرحمن : ٦٨ - انظر مادة (رمن) فى لسان العرب : ١٧٣٩/٣ .

والمعنى : أن البركة ستعم آنذاك إلى الحد الذى تكفى فيه الرمانة الواحدة العصابة الكثيرة من الناس .

(٣) بقحفها : أى بقشر شجرة الرمان الذى يستظلون بظله ، وذلك تشبيهاً له بقحف الرأس الذى فوق الدماغ - انظر مادة (قحف) فى لسان العرب : ٣٥٣٧/٥ .

(٤) الرسل : القطيع من كل شىء فى حدود عشرة من أفرادها ، والجمع (أرسال) - انظر مادة (رسل) فى لسان العرب : ١٦٤٣/٣ .

(٥) اللقحة واللقحة : الأثنى التى توشك أن تلد من النوق أو البقر أو الغنم ، ثم الغزيرة اللبن بعد الولادة ، ولا يزال ذلك اسمها حتى ينفصل عنها وليدها ، والجمع (لقح ولقاح) - انظر مادة (لقح) فى لسان العرب : ٤٠٥٧/٥ .

(٦) الفئام : أى الجماعة من الناس ، ولا واحد له من لفظه ، والعوام ينطقونه (فيام) بلا همز - انظر مادة (فأم) فى لسان العرب : ٣٣٣٦/٤ .

(٧) القبيلة : هى الجماعة من أب واحد ، أو الجماعة من قبائل العرب وغيرهم من سائر الناس - انظر مادة (قبل) فى لسان العرب : ٣٥١٦/٥ .

(٨) الفخذ : هم نفر الرجل من حيّه الذين هم أقرب عشيرته إليه ، والجمع (أفخاد) والترتيب من الأقل إلى الأكثر هو : (الفخذ - البطن - العمارة - الفصيلة - القبيلة - الشعب) - انظر مادة (فخذ) فى لسان العرب : ٣٣٦٠/٥ .



مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرارُ الناسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا<sup>(١)</sup> تَهَارُجَ الْحُمْرِ<sup>(٢)</sup> فعليهم تقوم الساعة « انتهى بلفظه من (صحيح مسلم) رحمه الله تعالى .

وهذا الحديث الصحيح قد رأيت فيه تصريحَ النبي ﷺ بأن الله يوحى إلى عيسى بن مريم خروج يأجوج ومأجوج بعد قتله الدجال ؛ فمن يدعى أنهم (رُوسِيَّة) وأنَّ السَّدَّ قد اندكَّ منذ زمان ؛ فهو مخالف لما أخبر به النبي ﷺ مخالفة صريحة لاوجه لها ؛ ولا شك أن كل خبر ناقضَ خبر الصادق المصدوق ﷺ فهو باطل ؛ لأن نقيض الخبر الصادق كاذب ضرورة كما هو معلوم ، كما أنه لم يثبت في كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ شيء يعارض هذا الحديث الذي رأيت صحة سنَّده ، ووضوح دلالته على المقصود<sup>(٣)</sup> .

### ب - لإيضاح الدلالة :

وذلك حينما يرى الشنقيطى اشتراك كلٍّ من القرآن والسُّنة في ذات الدلالة على المقصود من الآية التي هو بصدددها ؛ وعندئذ يعمد إلى تفسيرها بالسُّنة بجوار تفسيرها بالقرآن ، بقصد إيضاح دلالتها ، وإيفاء معناها ، على النحو الذي يريده ، ووفقَ الوجه الذي يذهب إليه ، على أنه لا يفتأ يشير من خلال ذلك إلى جمعه بين القرآن والسُّنة الصحيحة في تفسيره للآية التي هو بصدددها ، ومُعلِّلاً لذلك بأن كلا من القرآن والسُّنة يدلُّان معاً على المقصود منها في محلِّ تفسيره لها .

وفيما يلي نكتفى بذكر المثال التالى تنبيهاً به على غيره كشاهدٍ على منهج الشنقيطى في جمعه بين القرآن والسُّنة لإيضاح دلالة الآية التي يعرض لها بالتفسير ، وقد اكتفينا بهذا المثال دون غيره نظراً لأنه من أوضح الأمثلة وأتمها إزاء ما نحن بصددده ؛ ومن ثم فسوف نورده بطوله وتمامه على النحو الذى أورده به الشنقيطى فى موضعه من التفسير كما يلى :

(٧) يَتَهَارَجُونَ : أى يَكْتُرُونَ ويتخالطون ويُفْتَنُونَ فيتقاتلون ويتناكحون أو يَتَسَافِدُونَ كَتَنَاحٍ وَتَسَافِدِ الْبَهَائِمِ

- انظر مادة (هَرَج) فى لسان العرب : ٤٦٤٧/٦ .

(٨) الْحُمْرُ : هى خير الإبل ، ومنه قولهم : (حُمُرُ النَّعَمِ) - و (تَهَارُجُ الْحُمْرِ) أى كثرتها واختلاطها وتقاتلها وتناكحها أو تسافدها - و (الْحُمْرُ) جمع (أَحْمَر) - انظر مادة (حَمِر) فى لسان العرب :

. ٩٨٩/٢

(٩) أضواء البيان : الشنقيطى ١٨١/٤ - ١٨٥ (خمس صفحات) - والحديث المذكور أخرجه مسلم فى

صحيحه (كتاب ٥٢) الفتن وأشراف الساعة (باب ٢٠) ذكر الدجال وصفته وما معه - ٢٢٥٠/٤

حديث رقم (٢٩٣٧) - (طبع الحلبي) - وقد أخرجه أحمد فى مسنده : ١٨١/٤ حديث رقم

(١٧٦٦٦) - (طبع قرطبة) - كما أخرجه الترمذى فى سنَّته (كتاب ٣٤) الفتن (باب ٥٨) ما جاء فى

فتنة الدجال - ٤٤٢/٤ حديث رقم (٢٢٤٠) - (طبع العلمية) .





ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ الآية (١) نراه يقول ما نصه : واعلم أن للعلماء كلاماً كثيراً فى هذه الآية قائلين : إنها تدل على أنه ينبغى التقشف والإقلال من التمتع بالمأكل والمشرب والملابس ونحو ذلك ، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفعل ذلك خوفاً منه أن يدخل فى عموم من يقال لهم يوم القيامة : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ والمفسرون يذكرون هنا آثاراً كثيرة فى ذلك ، كما يذكرون أحوال (أهل الصفة) وما لاقوه من شدة العيش .

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : التحقيق إن شاء الله تعالى فى معنى هذه الآية هو أنها فى الكفار ، وليست فى المؤمنين الذين يتمتعون باللذات التى أباحها الله لهم ؛ لأنه تعالى ما أباحها لهم ليذهب بها حسناتهم ، وإنما قلنا : إن هذا هو التحقيق ؛ لأن الكتاب والسنة الصحيحة دالان عليه ، والله تعالى يقول : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الآية (٢) .

أما كون الآية فى الكفار فقد صرح الله تعالى به فى قوله : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ الآية (٣) والقرآن والسنة الصحيحة قد دلان على أن الكافر إن عمل عملاً صالحاً مطابقاً للشرع ، مخلصاً فيه لله كالكافر الذى يبتر والديه ، ويصل الرحم ، ويقرى الضيف ، ويتنفس عن المكروب ، ويعين المظلوم ، يبتغى بذلك وجه الله ؛ يثاب بعمله فى دار الدنيا خاصة بالرزق والعافية ، ونحو ذلك ، ولا نصيب له فى الآخرة .

ومن الآيات الدالة على ذلك قول الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الآيتان (٤) وقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ الآية (٥) وقد قيد الله تعالى هذا الثواب الدنيوى المذكور فى الآيات بمشيئته وإرادته فى قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ الآية (٦) .

وقد ثبت فى صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك أن النبى صلوات الله عليه قال : «إن الله لا

(٢) النساء : ٥٩ .

(٤) هود : ١٥-١٦ (آيتان) .

(٦) الإسراء : ١٨ .

(١) الأحقاف : ٢٠ .

(٣) الأحقاف : ٢٠ .

(٥) الشورى : ٢٠ .



يظلم مؤمناً حسنة يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيُطعم بحسناته ما عمل بها لله في الدنيا ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها» هذا لفظ مسلم في (صحيحه) الحديث<sup>(١)</sup> وفي لفظ له عن رسول الله ﷺ : «إن الكافر إذا عمل حسنة أُطعم طعمتها بها في الدنيا ، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ، ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته» الحديث<sup>(٢)</sup> . فهذا الحديث الثابت عن النبي ﷺ فيه التصريح بأن الكافر يُجَازَى بحسناته في الدنيا فقط ، وأن المؤمن يُجَازَى بحسناته في الدنيا والآخرة معاً .

وبمقتضى ذلك يتعين تعييناً لا محيص عنه أن الذي أذهب طيباته واستمتع بها هو الكافر ؛ لأنه لا يُجزى بحسناته إلا في الدنيا خاصة ، وأما المؤمن الذي يُجزى بحسناته في الدنيا والآخرة معاً ؛ فلم يُذهب طيباته في دنياه ، لأن حسناته مُدخّرة له في الآخرة مع أن الله يثيبه عليها في الدنيا كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ الآيتان<sup>(٣)</sup> فجعل المخرج من الضيق له ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ثواباً في الدنيا ، وليس ينقص أجر تقواه في الآخرة .

والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة ، وعلى كل حال فالله جلّ وعلا قد أباح لعباده على لسان نبيه ﷺ الطيبات في الحياة الدنيا ، وأجاز لهم التمتع بها ، ومع ذلك جعلها خاصة بهم في الآخرة كما قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> .

فدلّ هذا النص القرآني على أن تمتع المؤمنين بالزينة والطيبات من الرزق في الحياة الدنيا لم يمنعهم من اختصاصهم بالتنعم بذلك يوم القيامة ، وهو صريح في أنهم لم يُذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا ؛ ولا ينافي هذا أن من كان يعاني شدة الفقر في الدنيا ك : (أصحاب الصفة) يكون لهم أجر زائد على ذلك ؛ لأن المؤمنين يؤجرون بما يصيبهم في الدنيا من المصائب والشدائد كما هو معلوم<sup>(٥)</sup> .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب ٥٠) صفات المنافقين وأحكامهم (مع كتاب) صفة القيامة والجنة والنار (باب ١٣) جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة ، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا - ٢١٦٢/٤ حديث رقم (٢٨٠٨) - (طبع الحلبي) - كما أخرجه أحمد في مسنده : ١٢٣/٣ حديث رقم (١٢٢٥٩) - ١٢٥/٣ حديث رقم (١٢٢٨٦) - ٢٨٣/٣ حديث رقم (١٤٠٥٠) - (طبع قرطبة) .

(٢) نفس تخريج مسلم في الحديث السابق .

(٤) الأعراف : ٣٢ .

(٣) الطلاق : ٢-٣ (آيتان) .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطي ٧/٢٩٣-٢٩٥ (ثلاث صفحات) .



## الطريقة الثانية

### الاكتفاء بالسنة

ولا يلجأ الشنقيطي إلى الاكتفاء بالسنة في تفسير الآية التي هو بصددتها إلا عندما لا يكون لها مَبِينٌ من القرآن ذاته ؛ ومن ثم يَعْمَدُ إلى السنة لبيان المراد من الآية ؛ وإزاء ذلك فإننا نراه بين أحد أمرين أولهما : تمهيدته بين يدي الآية بالإشارة إلى تفسيرها بالسنة ، وأما ثانيهما : فعدم تمهيدته لذلك ، بل شروعه مباشرة في تفسير الآية بالسنة ، وذلك على النحو التالي :

#### أ - تمهيدته للتفسير بالسنة :

وذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ الآية<sup>(١)</sup> نراه يشير إلى أنه سَيُفَسِّرُ هذه الآية بما وردت به السنة فيقول ما نصه : ذكر الله جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه أتى نبيه ﷺ سبعا من المثاني والقرآن العظيم ، ولم يبيّن هنا ما المراد بذلك ؟ وقد قدّمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية الكريمة إن كان لها بيان من كتاب الله غير واف بالمقصود ؛ فإننا نتمّم ذلك البيان من السنة ، فنبيّن الكتاب بالسنة من حيث إنها بيان للمبين .

وإذا علمت ذلك ؛ فاعلم أن النبي ﷺ قد بيّن في الحديث الصحيح أن المراد بـ (السبع المثاني والقرآن العظيم) في هذه الآية الكريمة هو : (فاتحة الكتاب) ففاتحة الكتاب ليست مبيّنة للمراد بالسبع المثاني والقرآن العظيم ؛ وإنما بينت ذلك بإيضاح النبي ﷺ لذلك في الحديث الصحيح :

قال البخاريّ في (صحيحه) في تفسير هذه الآية الكريمة : حدثني محمد بن بشار ، حدثنا غندر ، حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي سعيد بن المعلّى قال : مرّ بي النبي ﷺ وأنا أصلي ، فدعاني فلم آتِه حتى صليت ، ثم أتيت ؛ فقال : «ما منعك أن تأتيني ؟» فقلت : كنت أصلي ، فقال : «ألم يقل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> ثم قال : «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد ؟» فذهب النبي ﷺ ليخرج فذكرته ؛ فقال ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي

(٣) الفاتحة : ٢ .

(٢) الأنفال : ٢٤ .

(١) الحجر : ٨٧ .



أوتيته» الحديث<sup>(١)</sup> .

وحدثنا آدم ، حدثنا ابن أبي ذئب ، حدثنا سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم» الحديث<sup>(٢)</sup> فهذا نص صحيح من النبي صلى الله عليه وسلم في أن المراد بـ (السبع المثاني والقرآن العظيم) : فاتحة الكتاب ؛ وبه تعلم أن قول من قال : إنها (السبع الطوال) غير صحيح ؛ إذ لا كلام لأحد معه صلى الله عليه وسلم .

ومما يدل على عدم صحة ذلك القول أن آية (الحجر) هذه مكية ، وأن (السبع الطوال ما أنزلت إلا بالمدينة ، والعلم عند الله تعالى .

وقيل لها : (مثنى) لأنها تُثنى قراءتها في الصلاة ، وقيل لها : (سبع) لأنها سبع آيات ، وقيل لها : (القرآن العظيم) لأنها هي أعظم سورة في القرآن ؛ كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المذكور آنفاً .

وإنما عطفَ (القرآن العظيم) على (السبع المثاني) مع أن المراد بهما واحد وهو (الفاتحة) لما علم في اللغة العربية من أن الشيء الواحد إذا ذُكرَ بصفتين مختلفتين ؛ جاز عطف إحداهما على الأخرى ، وذلك (تنزيلاً لمغايرة الصفات منزلة تغاير الذوات) ومنه قول الله تعالى : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝ (٤) ﴾ الآيات<sup>(٣)</sup> ومنه أيضاً قول الشاعر :

إلى الملكِ القرمِ وابنِ الهمامِ      وليثِ الكتيبةِ في المزدحمِ<sup>(٤)</sup>

- (١) أخرجه البخاري في أربعة مواضع من صحيحه - انظر في ذلك (فتح الباري) على النحو التالي : (كتاب ٦٥) التفسير (باب ١) ما جاء في فاتحة الكتاب - ١٥٦/٨ حديث رقم (٤٤٧٤) - ثم (كتاب ٦٥) التفسير (باب ٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال : ٢٤ (استجيبوا : أجيبوا - لما يحييكم : لما يصلحكم) - ٣٠٧/٨ حديث رقم (٤٦٤٧) - ثم (كتاب ٦٥) التفسير (باب ٣) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ الحجر : ٨٧ - ٣٨١/٨ حديث رقم (٤٧٠٣) - ثم (كتاب ٦٦) فضائل القرآن (باب ٩) فضل فاتحة الكتاب - ٥٤/٩ حديث رقم (٥٠٠٦) - (طبع السلفية) .
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه - انظر في ذلك فتح الباري (كتاب ٦٥) التفسير (باب) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ الحجر : ٨٧ - ٣٨١/٨ حديث رقم (٤٧٠٤) - (طبع السلفية) .
- (٣) الأعلى : ١ - ٤ (أربع آيات) .
- (٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٣/١٩٤ - ١٩٥ (صفحتان) .

القرم : هو السيد والرئيس المعظم ، ذو الرأي المقدم بين الرجال ؛ وذلك لعظم شأنه وعلو منزلته ، تشبيهاً له بمنزلة الفحل بين الإبل ، والجمع (قروم) - انظر مادة (قرم) في لسان العرب : ٣٦٠٤/٥ .





## ب - عدم تمهيدده للتفسير بالسنة :

وذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ الآية<sup>(١)</sup> نراه يشرح مباشرة في تفسير الآية بما يوضح معناها من السنة فيقول ما نصه : جاء عن النبي ﷺ : أنه سئل عن هذه الآية الكريمة فقيل : كيف يشرح صدره يا رسول الله؟! فقال ﷺ : «نور يقذف فيه ؛ فينشرح له وينفسح» قالوا : فهل لذلك أمانة يُعرف بها؟ قال : «الإجابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت» الحديث<sup>(٢)</sup> . ويدل لهذا قول الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ

= الهَمَام : اسم من أسماء الملك ، وقد سُمي به لعظم همته ؛ لأنه إذا همَّ بأمر أمضاه وأنفذه كما أراد ، فلا يُردُّ عنه ، ولا يتحول إلى سواه - انظر مادة (هَمَم) في (لسان العرب) : ٤٧٠٢/٦ .  
لَيْثٌ : أى الأسد ، ويطلق على كل شديد قوى من الرجال ، تشبيهاً لشدته وقوته بـ (لِيُوثَةُ الأسد) أى شدته وقوته ، والجمع (لِيُوث) - انظر مادة (لَيْث) في لسان العرب : ٤١١٢/٥ .  
الكُتَيْبَةُ : هى الجيش أو القطعة العظيمة منه ، وقيل : هى جماعة الخيل المجهزة بفرسانها والتي يتراوح تعدادها بين مائة وألف إذا أغارت فى الحروب ، والجمع (كُتَائِب) - انظر مادة (كُتَب) فى لسان العرب : ٣٨١٦/٥ .

المُزْدَحَم : أى مكان ازدحام الجنود واجتماعهم تمهيداً لبَدْء القتال ، والأصل فيه من (الزَحْمَة والزَحَام) وهو اجتماع القوم فى مكان واحد يضيق بهم إلى حد مُدَافَعَة ومضايقة بعضهم بعضاً - انظر مادة (زَحَم) فى لسان العرب : ٣/١٨١٩ .

والشاهد : أن الشاعر قد لجأ هنا إلى العطف بحرف الواو بين هذه الصفات الثلاث مع أنه يصف بها شخصاً واحداً هو (المَلِك) وذلك إنزالاً لكل صفة منها منزلة مستقلة بها لشخص خاص بها غير الملك ، فكأنه يصف ثلاثة أشخاص مختلفين بهذه الصفات الثلاث المختلفة ، وهذا ما يعنيه الشنقيطى بقوله : (وذلك تنزيلاً لمغايرة الصفات منزلة تغاير الذوات) والله تعالى أعلى وأعلم .

(١) الأنعام : ١٢٥ .

(٢) أخرجه الحاكم فى مستدركه على الصحيحين من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي ﷺ - انظر (المستدرک على الصحيحين فى الحديث) : للحافظ أبى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى ت(٤٥٨هـ = ١٠٦٦م) - ٣١١/٤ - وبذيله (تلخيص المستدرک) : للحافظ أبى عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى ت(٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) - نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض - المملكة العربية السعودية - (د.ت) .

كما أخرجه الطبرى فى عدة مواضع من تفسيره بطبعتى (دار المعارف) و(الخلبى) على النحو التالى :  
أولاً : مواضع طبعة (دار المعارف) بتحقيق (الأخوين شاکر) : ٩٨/١٢ حديث رقم (١٣٨٥٢) - ٩٩/١٢ حديث رقم (١٣٨٥٣) - ١٠٠/١٢ حديث رقم (١٣٨٥٤) وكلها من طرق عن عمرو بن مرة عن أبى جعفر المدائنى مرسلأ عن رسول الله ﷺ - ثم ١٠٠/١٢ حديث رقم (١٣٨٥٥) من طريق أبى عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ ثم ١٠١/١٢ حديث رقم =



فَهُوَ عَلِيُّ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴿١﴾ الآية (١)

= (١٣٨٥٦) من طريق خالد بن أبي كريمة عن عبد الله بن المسور مرسلًا عن رسول الله ﷺ - ثم ١٠٢/١٢ حديث رقم (١٣٨٥٧) من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ .

ثانيًا : مواضع طبعة (الخلبي) غير المحققة : ٢٧-٢٦/٨ من طرق عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر المدائني مرسلًا عن رسول الله ﷺ - ثم ٢٧/٨ عن طريق أبي عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ - ثم ٢٧/٨ عن طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ - ثم ٢٧/٨ عن طريق خالد بن أبي كريمة عن عبد الله بن المسور مرسلًا عن رسول الله ﷺ - انظر (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - الطبعة ٢ - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤هـ .

كما أخرج ابن أبي حاتم في موضعين من تفسيره هما : ١٣٨٤/٤ من طرق عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر المدائني مرسلًا عن رسول الله ﷺ - ثم ١٣٨٤/٤ من طريق عمرو بن مرة عن عبد الله المسور مرسلًا عن رسول الله ﷺ - انظر (تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين) : للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي المعروف بابن أبي حاتم ت (٣٢٧هـ = ٩٣٩م) - تحقيق : أسعد محمد الطيب - الطبعة ٢ - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - لبنان - ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .

ملاحظات حول هذا الحديث والحكم عليه :

أولاً : ترجم الحافظ الذهبي لعبد الله بن المسور ذكراً أنه هو نفسه أبو جعفر المدائني قائلاً : عبد الله ابن المسور بن جعفر بن أبي طالب ، هو أبو جعفر الهاشمي المدائني ، ليس بثقة - انظر (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) : للحافظ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ت (٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) - (٥٠٤/٢ - ٥١١/٤) - تحقيق : علي محمد البجاوي - الطبعة ١ - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) - القاهرة - ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م .

ثانيًا : حكّم الشيخ محمود شاكر على الأحاديث أرقام (١٣٨٥٢ - ١٣٨٥٣ - ١٣٨٥٤) بأنها أخبار معلولة ضعاف واهية ، وبعد أن ضعّف أيضاً الحديثين رقمي (١٣٨٥٥-١٣٨٥٧) قال ما نصه : فكل ما قاله الحافظ ابن كثير (من أن هذه الأخبار جاءت بأسانيد مُرسّلة ومتصلة يشد بعضها بعضاً) هو قول ينفيه شرح هذه الأسانيد كما رأيت ، والله الموفق للصواب - انظر (تفسير الطبري) : ٩٩/١٢ - ١٠٢ (بتحقيق الأخوين شاكر - طبع دار المعارف) .

ثالثًا : ضعّف الألباني هذا الحديث قائلاً : وجملة القول أن هذا الحديث ضعيف ، لا يطمئن القلب لثبوته عن رسول الله ﷺ لشدة الضعف الذي في جميع طرقه ، وبعضها أشدّ ضعفاً من بعض ، فليس فيها ما ضعّفه يسير يمكن أن ينجبر ، وذلك خلافاً لما ذهب إليه ابن كثير ، وإن كان قد قلّده في ذلك جماعة ممن ألفوا في التفسير ، كالشوكاني في (فتح القدير) وصديق حسن خان في (فتح البيان) كما جزم الألوسي في (روح المعاني) بنسبته إلى رسول الله ﷺ ومن قبله ابن القيم الذي عزاه في (الفوائد) للترمذي فجاء بوهم آخر - انظر (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وأثرها السيء في الأمة) : للشيخ محمد ناصر الدين الألباني - ٣٨٣/٢ حيث رقم (٩٦٥) - الطبعة ٤ - مكتبة المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

(١) الزمر : ٢٢ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٢/٢١٠ .



## المطلب الثالث التعقيب

ويتنظم الملاحظات الخمس التالية :

- ١ - الملاحظة الأولى : الرواية بالنص .
- ٢ - الملاحظة الثانية : الرواية بالمعنى .
- ٣ - الملاحظة الثالثة : التخریج .
- ٤ - الملاحظة الرابعة : بعض الميزات .
- ٥ - الملاحظة الخامسة : بعض المآخذ .



وبعد أن عرضنا لمنهج الشنقيطي في تفسيره للقرآن بالسُّنَّة ؛ فإنه يمكننا أن نرصد من خلال هذا التعقيب الملاحظات الخمس التي تَرِدُ على ذلك فيما يلي :

### الملاحظة الأولى

#### الرواية بالتص

حيث يورد الشنقيطي معظم الأحاديث بنصها وتمامها في معرض تفسيره للآية التي هو بصددها ؛ وخير شاهد على ذلك ( حديث الدجال ) الذي سبق أن ذكرناه في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) ﴾ الآيتان<sup>(١)</sup> ذلك الحديث الذي أورده الشنقيطي بطوله وتمامه من ( صحيح مسلم ) مفسراً به الآيتين المذكورتين .

### الملاحظة الثانية

#### الرواية بالمعنى

حيث يكتفى الشنقيطي أحياناً بإيراد معنى الحديث دون ذكر نصه في معرض تفسيره لبعض الآيات ، ومن ذلك ما صنعه في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَاتًا لِلْمُقَرَّبِينَ (٧٣) ﴾ الآيات<sup>(٢)</sup> حيث يقول ما نصه : وقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً ﴾ أي نذكر الناس بها في دار الدنيا - إذا أحسوا شدة حرارتها - نار الآخرة التي هي أشد منها حرماً ؛ لينزجروا عن الأعمال المقتضية لدخول النار .

وقد صح عنه عليه السلام : أن حرارة نار الآخرة مضاعفة على حرارة نار الدنيا سبعين مرة ، فهي تفوقها بتسع وستين ضعفاً ، كل واحد منها مثل حرارة نار الدنيا<sup>(٣)</sup> .

(١) الكهف : ٩٨ - ٩٩ ( آيتان ) .

(٢) الواقعة : ٧١ - ٧٣ ( ثلاث آيات ) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٧/٧٩٦ - والحديث المذكور أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب بدء الخلق (باب) صفة النار وأنها مخلوقة - ( طبع بيروت ) - كما أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (باب) في شدة حر جهنم - ( طبع بيروت ) .





وهكذا يكتفى الشنقيطي هنا بإيراد معنى الحديث دون النص عليه إزاء بعض ما يعرض له من الآيات بالتفسير .

### الملاحظة الثالثة

### التخريج

وإزاء ما يورده الشنقيطي من الأحاديث التي يفسر بها ما يعرض له من الآيات ، فإننا نجده يعتمد أحياناً إلى تخريج هذه الأحاديث برواياتها المختلفة ، كما نراه يعرض أحياناً أخرى عن ذلك مكتفياً بذكر الحديث دون تخريجه ، وذلك دونما سبب واضح ، أو مبرر مقبول ، وفيما يلي نعرض لكلتا الحالتين على النحو التالي :

#### ١- في حالة التخريج :

ومن ذلك ما صنعه الشنقيطي في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾ الآيتان<sup>(١)</sup> حيث نراه يشير من خلال تفسيره لهذه الآية إلى خلاف العلماء بشأن وقت وقوع الزلزلة : هل ستكون بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة<sup>(٢)</sup> أم ستكون عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من القبور في آخر الدنيا ؟

وهنا يذهب الشنقيطي إلى ترجيح القول الأول مؤكداً ذلك بالثابت من حديث رسول الله ﷺ فيقول ما نصه : وأما حجة أهل القول الآخر القائلين بأن الزلزلة المذكورة كائنة يوم القيامة بعد البعث من القبور ، فهي ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ من تصريحه بذلك ؛ وبه تعلم أن هذا القول هو الصواب كما لا يخفى .

قال البخاري رحمه الله في (صحيحه) في (التفسير) في (باب) قوله تعالى : ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا

(١) الحج : ١ - ٢ (آيتان) .

(٢) عرصات : جمع (عرصة) وهي كل موضع واسع لا بناء فيه ، ينشط فيه القوم ويتقافزون ، أو يلعب فيه الصبيان فيقبلون ويدبرون - انظر ماده (عرص) في لسان العرب : ٢٨٨٣/٤ .  
والمعنى : أنها أرض الحشر التي يحضر إليها الناس بعد بعثهم من أجدانهم مفزوعين مضطربين ، فيتدافعون مقبلين مذبرين ؛ تمهيداً لبده حسابهم يوم القيامة .

(٣) الحج : ١ .



الأعمش ، حدثنا أبو صالح ، عن أبي سعيد الخدرى قال : قال النبي ﷺ : « يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك ربنا وسعديك ، فينادى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار ؛ قال : يا رب ، وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف أراه ، قال : تسعمائة وتسعة وتسعين ؛ فحينئذ تضع الحامل حملها ، ويشيب الوليد ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ؛ فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم ؛ فقال النبي ﷺ : من (ياجوج وماجوج) تسعمائة وتسعة وتسعين ، ومنكم واحد ، وأنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود ، وإنى لأرجو أن تكونوا (ربيع) أهل الجنة ؛ فكبرنا ، ثم قال : (ثلث) أهل الجنة ؛ فكبرنا ، ثم قال (شطر) أهل الجنة ؛ فكبرنا <sup>(١)</sup> وفيه تصريح النبي ﷺ بأن الوقت الذى تضع فيه الحامل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، هو يوم القيامة لا آخر الدنيا <sup>(٢)</sup> .

وبعد ذلك يتعقب الشنقيطى الروايات المختلفة لهذا الحديث فيخرجها فى (صحيحى البخارى ومسلم) قائلاً :

١ - قال البخارى فى (صحيحه) أيضاً فى (كتاب) : الرقاق ، فى (باب) : زلزلة الساعة شىء عظيم <sup>(٣)</sup> .

٢ - وقال البخارى فى (صحيحه) أيضاً فى (كتاب) : بدء الخلق ، فى : (أحاديث) الأنبياء فى (باب) قول الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿ سَبَأًا ﴾ الآيتان <sup>(٤)</sup> .

٣ - وقال مسلم بن الحجاج رحمه الله فى (صحيحه) فى آخر (كتاب) : الإيمان (بكسر

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب) التفسير (باب) قول الله تعالى : ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ الحج : ٢ - ٤٤/١٨ حديث رقم (٤٧٤١) - (طبع الأزهرية) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١١/٥ - ١٢ .

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب) الرقاق (باب) قول الله عز وجل : ﴿ إن زلزلة الساعة شىء عظيم ﴾ الحج : ١ - وقوله تعالى : ﴿ أَرْزَفْتِ الْأَرْزَفَةَ ﴾ القمر : ١ - ١٩٥/٢٤ حديث رقم (٦٥٣٠) - (طبع الأزهرية) .

(٤) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قصة ياجوج وماجوج - وقول الله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الكهف : ٩٤ - وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ سَبَأًا ﴾ الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) - ١٢١/١٣ حديث رقم (٣٣٤٨) .



الهمزة) في (باب) : كون هذه الأمة نصف أهل الجنة<sup>(١)</sup> .

وهكذا نرى الشنقيطى يُخرِّج هذا الحديث برواياته الأربع ، ثلاث منها عند البخارى ، وواحدة عند مسلم ، مورداً كل رواية منها بطولها وتمامها سنداً وامتناً كما أوردها الشيخان<sup>(٢)</sup> .

### ب - فى حالة عدم التخرىج :

ويشمل عدم تخرىج الشنقيطى هنا نوعين من الأحاديث ، أما أولهما : فتلك الأحاديث التى اشتهرت وذاعت صحتها عند الناس ، وأما ثانيهما : فتلك الأحاديث الأخرى التى لم يُكْتَبْ لها مثلُ هذا الحظ من الشهرة والذيع ، وفيما يلى نعرض لكلا النوعين على النحو التالى :

#### ١ - عدم تخرىجه للأحاديث الذائعة :

ومن ذلك ما صنعه الشنقيطى فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> حيث نراه يتناول إطلاق (الفتنة) فى القرآن على أربعة معانٍ<sup>(٤)</sup> ذكراً فى المعنى الثالث منها أنها تُطلق على

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه من رواية هناد بن السرى عن أبى الأحوص عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله - يعنى ابن مسعود - قال : قال لنا رسول الله ﷺ : «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قال : فكبرنا ، ثم قال : أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قال : فكبرنا ، ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك : ما المسلمون فى الكفار إلا كشعة بيضاء فى ثور أسود ، أو كشعة سوداء فى ثور أبيض» - انظر صحيح مسلم (كتاب ١) الإيمان (باب ٩٥) كون هذه الأمة نصف أهل الجنة - ٢٠٠ / ١ - حديث رقم (٢٢١) - (طبع الحلبي) .  
(٢) راجع نص الروايات الأربع سنداً وامتناً فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ١١ / ٥ - ١٣ ( ثلاث صفحات ) .

(٣) النمل : ٤٧ .

(٤) وعن هذه المعانى الأربعة للفتنة فى القرآن يقول الشنقيطى ما نصه : أطلقت الفتنة فى القرآن على أربعة معانٍ هى :

- الأول : إطلاقها على (الإحراق بالنار) كقول الله تعالى : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ الذاريات : ١٣ - وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ البروج : ١٠ - أى حرقوهم بنار الأخدود على أحد التفسيرين ، وقد اختاره بعض المحققين .
- الثانى : إطلاق الفتنة على (الاختبار) وهذا هو أكثرها استعمالاً كقول الله تعالى : ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فَتْنَةً﴾ الأنبياء : ٣٥ - وقوله تعالى : ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (١٦) لِنَفْسِهِمْ فِيهِ﴾ الجن : ١٧ - ١٨ (آيتان) والآيات بمثل ذلك كثيرة .



(نتيجة الاختبار) إن كانت سيئة كإطلاقها على الكفر والضلال ، وفي ذلك يقول ما نصه :

المعنى الثالث : إطلاق الفتنة على نتيجة الاختبار إن كانت سيئة خاصة ، ومن هنا أُطلقت على الكفر والضلال كقول الله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ الآية (١) أى حتى لا يبقى شرك ، وهذا التفسير الصحيح دلّ عليه الكتاب والسنة :

• أما الكتاب : فقد دلّ عليه فى قوله تعالى بعده فى البقرة : ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ الآية (٢) وفى الأنفال قوله تعالى : ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ الآية (٣) فإنه يوضح أن معنى : «لا تكون فتنة» أى لا يبقى شرك ؛ لأن الدين لا يكون كله لله ما دام فى الأرض شرك كما ترى .

• وأما السنة : فى قوله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله» الحديث (٤) فقد جعل ﷺ الغاية التى ينتهى إليها قتاله للناس هى شهادة (ألا إله إلا الله

= • الثالث : إطلاق الفتنة على (نتيجة الاختبار إن كانت سيئة خاصة) ومن هنا أطلقت الفتنة على (الكفر والضلال) وهذا موضع الشاهد الذى نعرض له هنا بالتفصيل .

• الرابع : إطلاق الفتنة على (الحجة) كقول الله تعالى : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ الأنعام : ٢٣ - كما قاله غير واحد ، والعلم عند الله تعالى .

راجع فى ذلك (أضواء البيان) : الشنيطى ٤٠٦/٦ - ٤٠٩ .

(١) البقرة : ١٩٣ . (٢) البقرة : ١٩٣ . (٣) الأنفال : ٣٩ .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٢) الإيمان (باب ١٧) ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ التوبة : ٥ - ٧٥/١ حديث رقم (٢٥) - (طبع السلفية) - ويلاحظ أن الأجزاء الثلاثة الأولى فقط من هذه الطبعة قد صدرت بتاريخ (١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م) وجاء مكتوباً على غلافها الداخلى ما نصه : (قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً، وأشرف على مقابلة نُسَخه المطبوعة والمخطوطة : عبد العزيز بن عبد الله بن باز الأستاذ بكلية الشريعة بالرياض) .

وقد أخرج مسلم الحديث المذكور فى صحيحه من رواية أبى هريرة رضي الله عنه - انظر صحيح مسلم (كتاب ١) الإيمان (باب ٨) الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، وقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبى ﷺ وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها ، ووكلت سريرته إلى الله تعالى ، وقتال من منع الزكاة وغيرها من حقوق الإسلام ، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام - ٥٢/١ حديث رقم (٢١) - وأيضاً من رواية عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما - نفس الكتاب والباب - ٥٣/١ حديث رقم (٢٢) - (طبع الحلبي) .

كما أخرجه أحمد فى مسنده من رواية أبى هريرة رضي الله عنه - ٣٤٥/٢ حديث رقم (٨٥٢٥) - ومن رواية أنس بن مالك رضي الله عنه - ١٩٩/٣ حديث رقم (١٣٠٧٨) - ٢٢٤/٣ حديث رقم (١٣٣٧٢) - ومن رواية أوس بن أبى أوس الثقفى رضي الله عنه - ٨/٤ حديث رقم (١٦٢٠٨) - (طبع قرطبة) .





وأن محمداً رسولُ الله ﷺ ) وهو واضح في أن معنى : « لا تكون فِتْنَةً » أى لا يبقى شِرْكٌ .

فالآية والحديث كلاهما دالّ على أن الغاية التي ينتهى إليها قتال الكفار هي ألا يبقى في الأرض شِرْكٌ ، إلا أن الله تعالى قد عبّر عن هذا المعنى بقوله سبحانه : « حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً » وقد عبّر رسوله ﷺ عنه بقوله : « حتى يشهدوا ألا إله إلا الله » فالغاية في الآية والحديث واحدة في المعنى كما ترى (١) .

## ٢ - عدم تخريجه للأحاديث غير الذائعة :

ومن ذلك ما صنعه الشنقيطى في معرض تفسيره لقول الله تعالى : « فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ » الآية (٢) حيث يقول ما نصه : صرح الله تعالى في هذه الآية الكريمة بأن الأختين ترثان الثلثين ، والمراد بهما الأختان لغير أمّ كأن تكونا شقيقتين أو لأبٍ بإجماع العلماء ، ولم يبيّن هنا ميراث الثلاث من الأخوات فصاعداً ، ولكنه أشار تعالى في موضع آخر إلى أن الأخوات لا تزددن على الثلثين ولو بلغ عددهن ما بلغ ، وذلك في قوله تعالى : « فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ » الآية (٣) ومعلوم أن البنات أمس رحماً ، وأقوى سبباً ، في الميراث من الأخوات ، فإذا كن لا تزددن على الثلثين ولو كثرن ؛ فكذلك الأخوات من باب أولى .

وأكثر علماء الأصول على أن (فحوى الخطاب) أعنى مفهوم الموافقة الذى المسكوت فيه أولى بالحكم من المنطوق ، وذلك من قبيل اللفظ ، لا من قبيل القياس ؛ خلافاً للشافعى وقوم آخرين ، وكذلك المساوى على التحقيق ، فقول الله تعالى : « فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ » الآية (٤) يفهم منه من باب أولى حرمة ضربهما (٥) .

وهنا يسوق الشنقيطى أمثلة تطبيقية على هذه القاعدة الأصولية من أحاديث رسول الله ﷺ فى إطار تفسيره لآية الميراث المذكورة فيقول ما نصه : وقوله ﷺ : « مَنْ أَعْتَقَ شِرْكَاً لَهُ فِى عَبْدٍ » الحديث (٦) يفهم منه أن الأمة كذلك ، ولا نزاع فى هذا عند جماهير

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٠٨/٦ .

(٢) النساء : ١٧٦ .

(٣) الإسراء : ٢٣ .

(٤) النساء : ١١ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٩٥/١ - ٤٩٦ .

(٦) أخرجه البخارى فى صحيحه من رواية نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أَعْتَقَ شِرْكَاً لَهُ فِى عَبْدٍ ، فَكَانَ لَهُ مَالٌ يَبْلُغُ ثَمَنَ الْعَبْدِ ؛ قَوْمَ الْعَبْدِ عَلَيْهِ قِيمَةٌ عَدْلٍ ، فَأَعْطَى شُرَكَاءَهُ حَصَصَهُمْ ، وَعَتَقَ عَلَيْهِ الْعَبْدَ ، وَإِلَّا فَقَدْ عَتَقَ مِنْهُ مَا عَتَقَ » - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٤٩) العتق (باب ٤) إذا أعتق عبداً بين اثنين ، أو أمة بين =



العلماء ، وإن كان قد خالف فيه بعض الظاهرية<sup>(١)</sup> .

وهكذا نرى كيف أن الشنقيطي قد أعرض عن تخريج هذا الحديث غير الذائع عند الناس هنا ، كصنيعه أيضاً من قبل إزاء عدم تخريجه للحديث الذائع هناك .

### الملاحظة الرابعة

### بعض الميزات

وبالنظر إلى جملة الأحاديث التي أوردها الشنقيطي في معرض ما يتناوله من الآيات بالتفسير ؛ فإنه يمكننا أن نرصد بعض الميزات التي تُحسبُ لمنهج في تفسير القرآن بالسُّنة ، والتي تتمثل في كل من :

#### ١ - غلبة النص على المعنى :

ومع أن الشنقيطي يجمع في تفسيره للقرآن بالسُّنة بين رواية الأحاديث بنصها ، وبين روايتها بمعناها ؛ إلا أن روايته لتلك الأحاديث بنصها سنداً وامتناً يغلب على روايته لها بمعناها وفحواها ، وهذا ما يتضح لنا من خلال بعض الشواهد التي سقناها لكل من (الرواية بالنص) أو (الرواية بالمعنى) .

#### ب - كثرة الروايات :

يلجأ الشنقيطي إلى حشد ما يستطيعه من روايات للحديث الواحد من مختلف كتب السُّنة الصحيحة ، وذلك في معرض استشهاده به إزاء تفسير ما يتناوله من الآيات ؛ وهو

\* الشركاء - ١٥١/٥ حديث رقم (٢٥٢٢) - طبع (السلفية) .

وأخرجه مسلم في صحيحه من نفس رواية نافع المذكورة ، إلا أنه أثبت في لفظه (قيمة العدل) بدلاً من (قيمة عدل) - انظر صحيح مسلم (كتاب الأيمان (باب ١٢) من أعتق شركاً له في عبد - ١٢٨٦/٣ حديث رقم (١٥٠١/٤٧) - (طبع الحلبي) .

كما أخرجه البيهقي في سننه من رواية نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما لكن بلفظ آخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أعتق شركاً في عبد ؛ فقد عتق كله إن كان للذي عتق نصيبه من المال ما يبلغ ثمنه ، يقيمه عليه قيمة العدل ، فيدفع إلى شركائه أنصباؤهم ، ويخلي سبيله » - انظر السنن الكبرى : للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت (٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م) - وبذيله (الجوهر النقي) : للعلامة علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني ت (٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م) - ٢٧٧/١٠ - الطبعة ١ - دار المعرفة للطباعة والنشر - مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد الدكن - الهند - ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٩٦/١ .



يهدف من وراء هذا إلى تعضيد حجته ، ودعم أدلته ، لتأييد رأيه ، وتأكيده ما يذهب إليه ، من خلال إيراد أكثر من رواية للحديث الواحد ، وفيما يلي نسوق بعض الأمثلة تنبيهاً بها على غيرها مما يقوم شاهداً على ذلك في ثنايا تفسيره المختلفة .

١ - ما أورده من روايات حديث (السبع المثاني) في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الآية<sup>(١)</sup> حيث ذكر روايتي هذا الحديث في (صحيح البخاري) الأولى : عن أبي سعيد بن المعلى ، والثانية : عن أبي هريرة رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> .

٢ - ما أورده من روايات حديث (الرجل السمين) في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ الآية<sup>(٣)</sup> حيث ذكر أن السنة الصحيحة قد دلت على أن معنى هذه الآية يشمل الكافر السمين العظيم البدن الذي لا يزن عند الله جناح بعوضة يوم القيامة .

وإزاء ذلك يورد الشنقيطي ذلك الحديث برواياته الثلاث ، منها اثنتان عند البخاري ، وواحدة عند مسلم ، فيقول :

١ - جاء في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال : اقرأوا » فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً » الحديث .

٢ - كما جاء في البخاري أيضاً رواية ثانية لهذا الحديث عن أبي الزناد رضي الله عنه وهي مماثلة لروايته الأولى<sup>(٤)</sup> .

٣ - كما جاء في مسلم رواية ثالثة لهذا الحديث تماثل روايتيه السابقتين عند البخاري<sup>(٥)</sup> .

(١) الحجر : ٨٧ . (٢) راجع ذلك ص من هذا البحث .

(٣) الكهف : ١٠٥ - والحديث المذكور أخرجه البخاري في صحيحه من رواية المغيرة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه - انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني (كتاب ٦٥) التفسير (باب ٦) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الكهف : ١٠٥ - ٤٢٦/٨ حديث رقم (٤٧٢٩) - (طبع السلفية) .

(٤) أخرجه البخاري أيضاً في صحيحه معلّقاً بقوله : وعن يحيى بن بكير عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه - انظر فتح الباري (نفس الكتاب والباب) - (طبع السلفية) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه واصلماً ما علّقَه البخاري بقوله : حدثني أبو بكر بن إسحاق حدثنا يحيى ابن بكير إلى آخر إسناد البخاري المذكور - انظر صحيح مسلم (كتاب ٥٠) صفات المنافقين وأحكامهم (مع كتاب) صفة القيامة والجنة والنار - ٢١٤٧/٤ حديث رقم (٢٧٨٥) - (طبع الخليلي) .



### ج - عدم الخلط :

ونعنى به دقة الشنقيطى وضبطه من حيث تحريره وعدم خلطه بين ما يورده من أحاديث السنة ، وبين ما يورده بجوارها من أقوال أهل العلم المأثورة ، والتي قد يُوهِمُ ظاهرها بأنها من أحاديث السنة ؛ وذلك نظراً لشيوعها وإلفِ الناس لها ، وذلك على النحو التالى :

ففى مَعْرِضِ تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ الآية<sup>(١)</sup> يقول ما نصه : ومع أن بعض أهل العلم قال : ( إن كل ذنب كبيرة ) إلا أن قول الله تعالى : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ﴿إِلَّا اللَّئِمَّ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> يدل على عدم المساواة ، وأن بعض المعاصى كبائر ، وبعضها صغائر ، والمعروف عند أهل العلم : أنه ( لا صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار ) والعلم عند الله تعالى<sup>(٤)</sup> .

وهكذا يفرق الشنقيطى بين ما هو حديث نبوى وبين ما هو قول مأثور لأهل العلم ؛ الأمر الذى يؤكد ضبطه ودقته إزاء ما يورده من أحاديث السنة فى مَعْرِضِ ما يتناوله من الآيات بالتفسير ، ولولا هذا الضبط ، وتلكم الدقة ؛ لوقع الشنقيطى فى الخلط هنا إزاء احتسابه هذين القولين المأثورين : ( إن كل ذنب كبيرة ) و : ( لا صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار ) من أحاديث رسول الله ﷺ خاصة وأن ظاهرهما قد يُوهِمُ بمثل هذا الخلط المحتمل .

### الملاحظة الخامسة

### بعض المآخذ

وكما ذكرنا بعض الميزات ؛ فإنه بالنظر كذلك إلى جملة الأحاديث التى أوردها الشنقيطى فى مَعْرِضِ ما يتناوله من الآيات بالتفسير ؛ فإنه يمكننا أن نرصد بعض المآخذ التى تُحَسِبُ على منهجه فى تفسير القرآن بالسُّنة ، والتى تتمثل فى كل من :

### ١ - عدم التخرىج :

ولقد تمثل ذلك فيما سبق أن أوردناه بشواهده من حيث إعراض الشنقيطى عن تخرىج بعض الأحاديث التى يتناولها فى مَعْرِضِ تفسيره لبعض الآيات ، سواء كانت هذه الأحاديث من الذائعة المنتشرة على ألسنة الناس ، أو كانت غير ذلك مما ليس ذائعا ولا منتشرا بينهم .

(٢) النساء : ٣١ .

(١) الشورى : ٣٧ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٧ / ٢٠٠ .

(٣) النجم : ٣٢ .





### ب - الخطأ في التخریج :

حيث يقع الشنقيطى أحياناً في الخطأ من حيث تخريجه بعض روايات الحديث الذي يسوقه في معرض تفسيره للآية ، ومن ذلك ما وقع فيه إزاء خطئه في تخريج إحدى روايات حديث النبي ﷺ الذي يُبشِّر فيه بأن (نصف أمته سيدخلون الجنة) حيث يقول الشنقيطى ما نصه :

وقال البخارى في (صحيحه) أيضاً في (كتاب) : **بَدَأَ الخَلْقَ ،** في (أحاديث الأنبياء) في (باب) قول الله تعالى : **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾** حتى قوله تعالى : **﴿سَبَّأ﴾** الآيتان<sup>(١)</sup> .

وهذا من قبيل الخطأ في تخريج هذه الرواية ، والتي صواب تخريجها عند البخارى هو (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قصة يأجوج ومأجوج - وقوله تعالى : **﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾** الآية<sup>(٢)</sup> - وقوله تعالى : **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾** إلى قوله تعالى : **﴿سَبَّأ﴾** الآيتان<sup>(٣)</sup> .

### ج - النقص في التخریج :

يُخَرِّجُ الشنقيطى أحياناً بعض روايات الحديث تخريجاً ناقصاً عن تخريجها الوارد بكتب السنة المختلفة ، ومن ذلك تخريجه الناقص لإحدى روايات حديث (دخول نصف أمة رسول الله ﷺ الجنة) حيث يقول الشنقيطى ما نصه : قال البخارى في (صحيحه) أيضاً في (كتاب) الرقاق ، في (باب) إن زلزلة الساعة شيء عظيم .

وذلك تخريج ناقص لهذه الرواية ، والتي تمام تخريجها عند البخارى هو (كتاب) الرقاق (باب) قول الله عز وجل : **﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾** الآية<sup>(٤)</sup> - وقوله تعالى : **﴿أَزْفَتِ الْأَزْفَةُ﴾** الآية<sup>(٥)</sup> - وقوله تعالى : **﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾**<sup>(٦)</sup> .

### د - عدم ترتيب الروايات :

لا يلتزم الشنقيطى في كثير من الأحيان بترتيب الروايات التي يخرجهما للحديث الواحد وفق ترتيب كتبها وأبوابها التي وردت تحتها في مصادرها من كتب السنة المختلفة ؛ وخير شاهد على ذلك تلك الروايات غير المرتبة التي أوردها الشنقيطى لحديث :

(٢) الكهف : ٩٤ .

(٤) الحج : ١ .

(٦) القمر : ١ .

(١) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) .

(٣) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) .

(٥) النجم : ٥٧ .



(دخول نصف أمة رسول الله ﷺ الجنة) حيث ذكر رواياته على النحو التالي :

١ - ( كتاب ) التفسير (باب) قول الله تعالى : ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾ الآية<sup>(١)</sup> .

٢ - (كتاب) الرقاق (باب) قول الله عز وجل : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> .

٣ - (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قول الله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿سَبَّأً﴾ الآيتان<sup>(٣)</sup> .

٤ - قال مسلم بن الحجاج رحمه الله في (صحيحه) في آخر (كتاب) الإيمان (بكسر الهمزة) في (باب) كون هذه الأمة نصف أهل الجنة .

وكان الأولي أن يورد الشنقيطي روايات هذا الحديث مرتبة وفق ترتيب كتبها وأبوابها في صحيح البخاري ومسلم اللذين أورداها على النحو التالي :

### • روايات البخاري الثلاث :

١ - (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قصة يأجوج ومأجوج - وقول الله تعالى : ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> - وقوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿سَبَّأً﴾<sup>(٥)</sup> .

٢ - (كتاب) التفسير (باب) قول الله تعالى : ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ الآية<sup>(٦)</sup> .

٣ - (كتاب) الرقاق (باب) قول الله عز وجل : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الآية<sup>(٧)</sup> - وقوله تعالى : ﴿أَزِفَتِ الْأَرْضُ الْآرِفَةَ﴾ الآية<sup>(٨)</sup> - وقوله تعالى : ﴿أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ الآية<sup>(٩)</sup> .

### • رواية مسلم الوحيدة :

( آخر كتاب ) الإيمان ( بكسر الهمزة ) في (باب) كون هذه الأمة نصف أهل الجنة .

(٢) الحج : ١ .

(٤) الكهف : ٩٤ .

(٦) الحج : ٢ .

(٨) النجم : ٥٧ .

(١) الحج : ٢ .

(٣) الكهف : ٨٣ - ٨٤ ( آيتان ) .

(٥) الكهف : ٨٣ - ٨٤ ( آيتان ) .

(٧) الحج : ١ .

(٩) القمر : ١ .



## هـ - غريب الحديث :

يُعْرَضُ الشَّنْقِيطِيُّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ عَنْ شَرْحِ الْأَلْفَاظِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَيْهَا مَفْرَدَاتُ مَا يورده من الأحاديث في مَعْرَضٍ ما يتناوله من الآيات بالتفسير ؛ وخير شاهد على ذلك حديث (الدجال) الذي اشتمل على (سبعة وعشرين لفظاً لم يتناول الشنقيطي أيّاً منها بشرح معناه في اللغة ، أو حتى الإشارة الموجزة إلى مدلوله في هذا الحديث ؛ الأمر الذي اقتضانا أن نَعْرِضَ لجملة هذه الألفاظ بشرح معناها في اللغة ؛ ومن ثم توضيح دلالتها في الحديث .

ولقد تمثلت هذه الألفاظ في كل من : ( قَطَطٌ - طَائِفَةٌ - خُلَّةٌ - مُمَحَلِّينَ - الْحَرْبَةُ - يَعَاسِيْبُ النَّحْلِ - رَمِيَّةُ الْغَرَضِ - مَهْرُودَتَيْنِ - جُمَانٌ - بَابُ لُدٍّ - النَّغْفُ - فَرُسِيٌّ - زَهْمَهُمْ - الْبُخْتُ - مَدْرٌ - وَبَرٌ - الزَّلْفَةُ - الْعَصَابَةُ - الرُّمَانَةُ - بِقَحْفَهَا - الرَّسْلُ - اللَّقْحَةُ - الْفِثَامُ - الْقَيْبِلَةُ - الْفَخْدُ - يَتَهَارَجُونَ - الْحُمْرُ )<sup>(١)</sup> .

---

(١) راجع تفصيل هذه الألفاظ من حيث معناها في اللغة ، ودلالاتها في الحديث ، وذلك ص من هذا البحث



## المبحث الثالث

# تفسير القرآن بالآثار

ويتنظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١ - المطلب الأول : التععيد النظرى .
- ٢ - المطلب الثانى : التطبيق العملى .
- ٣ - المطلب الثالث : التعقيب .





## المطلب الأول التقعيد النظري

ويتنظم المسائل الثلاث التالية :

١ - المسألة الأولى : موقف الشنقيطي من تفسير القرآن بآثار الصحابة .

٢ - المسألة الثانية : موقف الشنقيطي من تفسير القرآن بآثار التابعين .

٣ - المسألة الثالثة : موقف الشنقيطي مما يخالف الكتاب والسنة .



ونعنى به موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بأثار كل من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ؛ من حيث كونه الخطوة الثالثة التى تلى تفسير القرآن بالقرآن ، ثم تفسير القرآن بالسُّنة ، وهذا ما نَعْرِضُ له من خلال المسائل الثلاث التالية :

### المسألة الأولى

#### موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بأثار الصحابة

يتفق الشنقيطى مع ما يُطبَّقُ عليه المفسرون المعتبرون ، والعلماء المحققون ، فيما يذهبون إليه من أن أعظم وأجل ما يُفسَّرُ به القرآن بعد تفسيره بكل من القرآن والسُّنة إنما هو تفسيره بأثار الصحابة ؛ وذلك لأنهم يثبتون لتفسير الصحابة حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ على الشرطين التاليين<sup>(١)</sup> :

١ - أن يكون تفسيرهم متعلقاً بما لا مجال للرأى فيه مثل أسباب النزول ، وأحوال القيامة ، واليوم الآخر ، ونحوها من الأمور المماثلة .

٢ - ألا يكون الصحابى معروفاً برواية الإسرائيليات ، ومشتهراً بأخذها عن أسلموا من أهل الكتاب الذين هم منشئوها ومروجوها .

ومن ثم ؛ فإننا نرى الشنقيطى يذهب بدوره مذهب من سبقه من العلماء إزاء إثبات حكم رفع تفسير الصحابة إلى رسول الله ﷺ بل إنه يرى أن حكم الرفع هذا إنما هو زيادة فى وصف الصحابة رضي الله عنهم بالعدل والقبول ، وفى ذلك يقول ما نصه : والرفع من زيادات العُدول ، وهى مقبولة ، وفى ذلك يقول صاحب (مراقى السُّعود) :

والرَّفْعُ وَالْوَصْلُ وَزَيْدُ اللَّفْظِ      مقبولةٌ عندَ إمامِ الحِفْظِ<sup>(٢)</sup>

ويشرح الناظم بيته هذين فى كتابه أيضاً المسمى : (نشر البنود على مراقى السُّعود)

(١) راجع فحوى هذين الشرطين فى كل من :

- الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير : د. محمد محمد أبى شهية ص ٧٩ - إصدار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف - سلسلة البحوث الإسلامية - السنة (١٤) - الكتاب رقم (٤) - طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .
- نزهة النظر شرح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر : للحافظ أحمد بن حجر العسقلانى ت (٨٥٢ هـ = ١٤٤٨م) - ص ٤٣ - مديلاً بتعليقات نافعة تكمل فوائده للأستاذ : إسحاق عزوز (مدير مدرسة الفلاح بمكة المكرمة) - الناشر : مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٤١/٢ .



فيقول : يعنى أن الرفع مُقَدَّمٌ عند إمام الحفظ (الذى هو الإمام مالك) <sup>(١)</sup> على الوقف عند التعارض بينهما ؛ بأن رواه بعض الثقات مرفوعاً إلى النبي ﷺ فى حين رواه بعضهم موقوفاً على الصحابى ﷺ وذلك لأن تقديم الرفع والوصل هو الراجح فى الفقه وأصوله ؛ لأنه من زيادة العدل ، وهذه الزيادة مقبولة عند مالك والجمهور <sup>(٢)</sup> .

#### • لها حكم الرفع ولكن :

والشنقيطى وإن كان يذهب مذهب جمهور العلماء فى إثبات حكم رفع تفسير الصحابى إلى رسول الله ﷺ مُقَرَّراً بأن ذلك من وصفه بزيادة العدل ، إلا أنه يشترط فى الوقت ذاته نفس الشرطين اللذين اشترطهما المحققون من العلماء المعتبرين من أن حكم الرفع لا يثبت للصحابة ﷺ إلا فيما يتعلق بالأمر التوقيفية التى لا مجال للرأى فيها ، والتى تشمل أسباب النزول ، وأحوال القيامة ، واليوم الآخر ، ونحوها من الأمور المماثلة .

#### • رأى البحث :

وأياً ما كان الأمر ؛ فإننا نرى إثبات حكم الرفع لآثار الصحابة ﷺ إلى رسول الله ﷺ بشرط ألا يكون الصحابى معروفاً برواية الإسرائيليات ، أو مشتهراً بأخذها عن أسلموا من أهل الكتاب ، وهذا هو الشرط الأول الذى نوافق فيه الشنقيطى .

غير أننا نختلف معه فى الشرط الثانى الذى يُخصَّص من خلاله قول الصحابى ، فيقيده بحصره فى الأمور التوقيفية دون غيرها ، والحق أن هذا التخصيص ، أو ذلك التقييد ، لا وجه له ، بل ومردود عليه بأن الصحابى متى ما كان سالماً من رواية مثل هذه الإسرائيليات التى هى مظنة الكذب ؛ فليس بعد صدقه المتيقن من شىء ، ولا على ما يرويه بعد ذلك من سبيل ؛ وإلا لَرُدَّتْ أقوال الصحابة ﷺ بِرُمَّتِهَا أو بِجَلَّتِهَا ، وهذا ما لا يُقْبَلُ بحال ، ولا يسوغ تحت أى مقال .

وأنى يكون ذلك ؟ ! وهم الذين لهم ما لهم مما سبق بيانه من شرف صحبتهم لرسول الله ﷺ وسبق تلقيهم عنه ، فضلاً عما لهم من نفوس صالحة ، وعقول راجحة ؛ قادتهم

(١) ومن المعلوم كما سبق أن ذكرنا أن مذهب الإمام مالك هو المذهب الفقهي السائد فى غرب إفريقيا عامة ، وفى شنقيط خاصة ؛ ومن ثم ك فقد كان صاحبنا الشنقيطى مالكي المذهب فى نشأته العلمية ، غير أنه عدل عن تلك المذهبية حالما استقر به المقام فى بلاد الحجاز ، حيث صار إلى اللامذهبية التى تقتضى طلب الدليل ك وهذا ما يؤكد أن مذهبه كانت مذهبية نشأة وطلب ، لامذهبية فكر ومنهج .

(٢) نشر البنود على مراقى السعود : عبد الله العلوى الشنقيطى ٤٢/٢ .



إلى مطابقة القول للفعل ، وملازمة العلم للعمل ، بعد أن بذلوا أقصى طاقتهم ، واستفرغوا غاية جهدهم ، فى التأكد من صحة ما يأخذون ، بل وتوثيق ما يطبقون ؛ وهو ما سبق احتجاجنا له ، وتدلينا عليه ، بشأن حُجِّيَّة أقوال الصحابة رضي الله عنهم التى تناولت كلاً من : (السُّبُق والفضل - التأكد والتوثيق - العلم والعمل) وذلك من خلال شواهد المعتمدة من كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم .

ومن ثم ؛ فإنه يظهر اختلافنا مع الشنقيطى فى شرطه الثانى الذى ذهب إليه ، وذلك من خلال احتكامنا إلى ما سبق أن فصلنا فيه القول بشأن رأينا فى (مصطلح المأثور) بصفة عامة ، و (آثار الصحابة رضي الله عنهم) بصفة خاصة<sup>(١)</sup> .

### المسألة الثانية

### موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بآثار التابعين

يتفق الشنقيطى كذلك مع ما يذهب إليه أغلب المفسرين المعبرين ، والعلماء المحققين ، من أن أعظم وأجل ما يُفسَّر به القرآن بعد تفسيره بكل من القرآن والسُّنة وآثار الصحابة إنما هو تفسيره بآثار التابعين رضي الله عنهم .

#### ● مُستند الشنقيطى :

ومما يتعين ذكره أن الشنقيطى إنما يصدُرُ فى موقفه هذا من تلك الحقيقة المقررة فى كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم والتى تُثبِتُ ما لهؤلاء التابعين من الخيرية والفضل ، والسُّبُق والرضوان ؛ من حيث إلحاقهم بالصحابة وإتباعهم ، إضافة إلى أنهم خير الناس بعدهم رضي الله عنهم ومن ثم ؛ فإننا نراه يلحِق التابعين بالصحابة فى دخولهم جميعاً فى رضوان الله تعالى ، بل يحكم على كل من يسبُّهم أو ييغضُّهم بأنه ضالٌّ مُخالفٌ لله عزَّ وجلَّ ثم لرسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم .

وهذا مفاد كلامه الذى ساقه فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> حيث يقول ما نصه : صرَّح الله تعالى فى هذه الآية الكريمة بأن الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بإحسان ؛ أنهم داخلون معهم فى رضوان الله تعالى ، وكذا فى الوعد بالخلود فى الجنَّات والفوز العظيم .

(١) راجع تفصيل ذلك ص ٨٨/٢-٩٣ من هذا البحث .

(٢) التوبة : ١٠٠ .





ويبين سبحانه فى مواضع أخرى أن الذين اتبعوا السابقين بإحسان يشاركونهم فى الخير ، ومن ذلك قوله جلّ وعلا : ﴿ وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ الآية (١) وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ﴾ الآية (٢) وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ﴾ الآية (٣) .

ولا يخفى أن الله تعالى قد صرح فى هذه الآية الكريمة بأنه قد رضى سبحانه عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ؛ وهو دليل قرآنى صريح فى أن كل من يسبهم أو يبغضهم أنه ضالّ مخالفٌ لله جلّ وعلا ؛ حيث أبغض من رضى الله عنهم ، ولا شك أن بغض من رضى الله عنه مضادة لله جلّ وعلا ، وتمرد وطغيان (٤) .

وليس ثمة شك فى أن منزلة كهذه للتابعين لتجعل الشنقيطى يقف من أقوالهم فى التفسير ذلك الموقف الذى يقضى بحجّية رجوعه إليها فى تفسير القرآن بعد تفسيره بكل من القرآن والسنة وآثار الصحابة رضي الله عنهم وهو لا يخرج فى ذلك عما أجمع عليه غالب علماء الأمة من الأئمة المعتمدين الذين عدوا أقوال التابعين فى جملة التفسير بالمأثور ؛ ومن ثم (فقد حكوا فى كتبهم أقوالهم ؛ لأن غالبها قد تلقوها عن الصحابة وهو ما عليه عمل المفسرين) (٥) .

وهذا ما يشير إليه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : إذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة ، ولا وجدته عن الصحابة ؛ فقد رجع كثير من الأئمة فى ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فإنه كان آية فى التفسير ؛ ولهذا كان سفيان الثورى يقول : (إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به) وكسعيد بن جبيرة ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبى رباح ، والحسن البصرى ، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب ، وأبى العالية ، والربيع ، وابن أنس ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم ، وغيرهم من التابعين (٦) .

(١) الجمعة : ٣ . (٢) الحشر : ١٠ . (٣) الأنفال : ٧٥ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٧٤/٢ .

(٥) البرهان فى علوم القرآن : الزركشى ١٧٩/٢ (بتصرف يسير) .

(٦) مقدمة فى أصول التفسير : لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ت (٧٢٨هـ = ١٣٢٨م) - ص ٤٧ - تحقيق : محب الدين الخطيب - الطبعة ٢ - عنيت بنشره : المطبعة السلفية ومكاتبها - القاهرة

- ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م - وانظر طبعة ثانية بتحقيق : د. عدنان زرور - ص ٦٨ - (دار القرآن

الكريم بالكويت) مع (مؤسسة الرسالة بيروت) ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م - وانظر كذلك طبعة ثالثة

بعناية : أبى حذيفة إبراهيم بن محمد - ص ٩٧ - الطبعة ١ - دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر

- ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .



بل يذهب ابن تيمية إلى ما هو أبعد من ذلك حينما يشير إلى تابعي التابعين ومن بعدهم مؤكداً رجوع كثير من علماء الأمة وأئمتها إلى أقوالهم في التفسير بعد أقوال أسلافهم من التابعين ، فهو بعد أن يُسمَّى بعض هؤلاء التابعين نراه يُردِّف ذلك بقوله : (وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم) (١) .

ولئن كان قد حكى عقب ذلك عن شعبة بن الحجاج وغيره قولهم : (إن أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير؟! ) إلا أنه عمداً إلى توجيه هذا الرأي بقوله : (يعنى أن أقوال التابعين لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح ، أما إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة ، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ، ولا على من بعدهم) (٢) .

وفي إطار هذا يمكننا توجيه ما قد يذهب إليه بعض العلماء ممن يرون أنه لا ضرورة للرجوع إلى أقوال التابعين ومن بعدهم في التفسير .

#### • رأى البحث :

وأياً ما كان الأمر ؛ فإننا نرى أن أقوال التابعين هي جزء لا يتجزأ من (التفسير بالمأثور) الذي يتحتم على علماء الأمة وجوب رجوعهم إليه ، وضرورة اعتمادهم عليه ، إزاء تفسيرهم للقرآن بعد رجوعهم واعتمادهم على تفسيره بالقرآن والسنة وآثار الصحابة رضي الله عنهم .

وأنى لا يكون ذلك؟! وهم الذين لهم ما لهم من الخيرية وعظيم الفضل ، ومن الصلاح وشرف الرتبة ؛ ما جعلهم محلاً صالحاً لنيل رضا الله تعالى في الدنيا ، والفوز بجنته في الآخرة ، هذا فضلاً عن أن آثار التابعين إنما تستمدُّ مصدقيتها ، وتتابع اتصالها ، بآثار الصحابة قبلها ، وهم الذين بدورهم تستمدُّ آثارهم مصدقيتها بلا أدنى شك ، وتتابع اتصالها دون أى ارتياب ، برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعباداً هذا شأنهم ، وتلك خصالهم ؛ أجدد بأن تدعو الحاجة إلى رجوع الأمة إلى أقوالهم في التفسير ، من حيث الأخذ بها ، والاعتماد عليها ، إزاء ما أشكل فهمه ، أو خفي معناه ؛ وهذا ما سبق احتجاجنا له ، وتدليلنا عليه ، بشأن حجة أقوال التابعين رضي الله عنهم التي تناولت كلا من : (فضل التابعين ورببتهم - الحاجة إلى تدوينهم - توجيه خلاف

(١) مقدمة في أصول التفسير : لابن تيمية ص (٤٩ - ٥٠) - (طبع السلفية) .

(٢) مقدمة في أصول التفسير : لابن تيمية ص (٥٠) - (طبع السلفية) .



العلماء - منزلة الصلة والتكميل - ما عليه عمل المفسرين) وذلك من خلال شواهدا  
المعتبرة من كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ .

ومن ثم ؛ فإنه يظهر اتفاقنا مع الشنقيطى فيما ذهب إليه بشأن موقفه من آثار التابعين ،  
وذلك من خلال احتكامنا إلى ما سبق أن فصلنا فيه القول بشأن رأينا فى (مصطلح المأثور)  
بصفة عامة ، و (آثار التابعين ﷺ) بصفة خاصة<sup>(١)</sup> .

### المسألة الثالثة

### موقف الشنقيطى مما يخالف الكتاب والسنة

والحق أن الشنقيطى يقف موقفاً واضحاً إزاء رده لكل ما يخالف نصوص الكتاب  
والسنة ، وسواء كانت هذه المخالفة تتعلق بأثر من آثار الصحابة أو تتعلق بأثر من آثار  
التابعين ﷺ لأن نصوص الكتاب والسنة لا تُردُّ بما يخالفها من تلك الآثار ولا من غيرها .  
وفى هذا يصرح الشنقيطى قائلاً ما نصه : وتأويل الصحابة والتابعين ﷺ لبعض  
الآيات على معنى يخالف القرآن والسنة ؛ لا يجب الرجوع إليه<sup>(٢)</sup> لأن غيره فى معنى  
الآيات أولى بالصواب منه ؛ ولأن المقرر عند جمهور العلماء أن نصوص كتاب الله تعالى  
وسنة رسوله ﷺ لا تُردُّ بما يخالفها من تأويل بعض الصحابة أو التابعين لبعض  
الآيات<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

● ● وبعد :

فقد رأينا كيف أن تفسير القرآن بآثار الصحابة والتابعين ﷺ يأتى فى المرتبة الثالثة عند  
الشنقيطى بعد تفسير القرآن بكل من القرآن والسنة ؛ وليوافق بذلك ما انعقد عليه إجماع  
أغلب المفسرين المعتبرين ، والعلماء المحققين ؛ وهذا ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال  
تطبيقه العملى على ذلك التععيد النظرى .

(١) راجع تفصيل ذلك ٩٣/٢-٩٩ من هذا البحث .

(٢) يوهم قوله هنا : (لا يجب) باحتمال (الجواز) أو (الندب) ومن ثم فقد كان من الأنسب أن يقول :

(لا يصح) بدلاً من : (لا يجب) لقطع هذا التوهم المحتمل .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٢١/٦ .



## المطلب الثاني التطبيق العملي

وينتظم المسائل الثلاث التالية :

- ١ - المسألة الأولى : تفسير القرآن بأثار الصحابة .
- ٢ - المسألة الثانية : تفسير القرآن بأثار التابعين .
- ٣ - المسألة الثالثة : تفسير القرآن بأثار الصحابة والتابعين معاً .





ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تفسير القرآن بآثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم والذى يجسّد من خلاله تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تععيده النظرى ، وقد تمثل هذا السلوك الفعلى فى ثلاث طرقٍ نعرض لتفصيل شواهداها من خلال المسائل الثلاث التالية :

### المسألة الأولى

## تفسير القرآن بآثار الصحابة

ترددت فى ثنايا تفسير الشنقيطى أكثر من غيرها أسماء كل من : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وفيما يلى نسوق بعض الأمثلة لتفسير الشنقيطى بآثار هؤلاء الصحابة تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

١ - فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ الآية<sup>(١)</sup> نراه يأخذ بقول ابن عباس فى أن القرون التى كانت بين آدم ونوح عليهما السلام ، إنما كانت على الإسلام ، كما كانت عدتها عشرة قرون ، وفى ذلك يقول ما نصه : قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ يدل على أن القرون التى كانت بين آدم ونوح أنها على الإسلام كما قال ابن عباس : كانت بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على الإسلام ، نقله عنه ابن كثير فى تفسير هذه الآية ، وهذا المعنى تدل عليه آيات أخر<sup>(٢)</sup> .

٢ - وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> نراه يأخذ بقول ابن مسعود فى زينة المرأة مُعَلَّلًا ذلك بأنه أظهر الأقوال وأحوطها ، كما أنه أبعد هذه الأقوال عن أسباب الريبة والفتنة ، وفى ذلك يقول ما نصه : إن المراد بالزينة هو كل ما تتزين به المرأة خارجاً عن أصل خَلْقَتِهَا ، ولا يستلزم النظر إليه رؤية شىء من بَدَنِهَا كقول ابن مسعود ومن وافقه من أنها ظاهر الثياب ؛ لأن الثياب زينة لها خارجة عن أصل خَلْقَتِهَا ، وهى ظاهرة بحكم الاضطرار كما ترى ، وهذا القول هو أظهر الأقوال عندنا وأحوطها ، وأبعدها من الريبة وأسباب الفتنة<sup>(٤)</sup> .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/٤٩١ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/١٩٧-٦/٢٠٠ .

(١) الإسراء : ١٧ .

(٣) النور : ٣١ .



## المسألة الثانية

### تفسير القرآن بآثار التابعين

ترددت في ثنايا تفسير الشنقيطي أكثر من غيرها أسماء كل من : مجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس<sup>(١)</sup> وعطاء بن أبي رباح ، والحسن البصرى ، وسعيد بن المسيب ، وقتادة بن دعامة السدوسى رضي الله عنه وفيما يلي نسوق بعض الأمثلة لتفسير الشنقيطي بآثار هؤلاء التابعين تنبيهاً بها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة :

١ - ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> نراه يأخذ بقول مجاهد بن جبر في وجوب زكاة عروض التجارة ، وفي ذلك يقول ما نصه : وما فسرهما به مجاهد ، وإجماع عامة أهل العلم ، إلا من شدَّ عن السواد الأعظم ؛ يكفي في الدلالة على وجوب الزكاة في عروض التجارة ، والعلم عند الله تعالى<sup>(٣)</sup> .

٢ - وفي معرض تفسيره قول الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿ الآيتان<sup>(٤)</sup> نراه يأخذ بقول الحسن البصرى في دلالة هذه الآية على مشروعية

(١) ولدفع توهم الخلط المحتمل بين عكرمة المذكور وعكرمة بن أبي جهل نقول : إن عكرمة مولى ابن عباس هو أبو عبد الله عكرمة بن البربرى ، تعهده عبد الله بن عباس رضي الله عنه بالتربية والتعليم منذ صغره حتى صار أحد الأئمة الأعلام ، وكان ابن عباس رضي الله عنه يقسو عليه في ذلك ؛ حتى إنه يقول : (كان ابن عباس يجعل في رجلتي الكبيل ؛ ويعلمنى القرآن والسُنن) - والكبيل : هو القييد من كل شيء ، والجمع (كُبُولٌ) - انظر مادة (كَبَلٌ) في المعجم الوجيز : ص ٥٢٦ - الطبعة ١ - إصدار مجمع اللغة العربية - القاهرة - ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠ م .

ويقول عكرمة أيضاً : (كل شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس) كما كان يقول كذلك : (لقد فسرت ما بين اللوحين) أى ما بين دفتى المصحف ، أما من حيث منزلة عكرمة من الجرح والتعديل : فقد اختلف العلماء في ذلك ما بين مُجَرِّحٍ له وهم القلة ، وبين مُعَدِّلٍ موثوقٍ له وهم الكثرة وحسبه توثيقاً رواية أمير المحدثين وإمامهم البخارى عنه في صحيحه ، فضلاً عن شهادة بعض كبار الأئمة له كشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في (مقدمة فتح البارى) وكذا الإمام الشَّعْبِيّ الذى قال عنه : (ما بقي أحدٌ أعلمُ بكتاب الله من عكرمة) وقد كانت وفاته في مستهل القرن الثانى الهجرى الثامن الميلادى عام (١٠٥هـ = ٧٢٤م) .

• راجع فى ذلك (الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير) : د. محمد محمد أبى شهبه ص ٩٦ (بتصرف) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٦٢/٢ .

(٢) البقرة : ٢٦٧ .

(٤) الأنبياء : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .



الاجتهاد، وأن كلاً من سليمان وداود عليهما السلام قد اجتهدا في حكمهما، فأصاب سليمان فحمداً له ذلك، ولم يُصِبْ داود فَعُذِرَ في ذلك، وفي هذا يقول الشنقيطي ما نصه :

ومِمَّنْ فسرها بذلك الحسن البصرى رحمه الله كما ذكره البخارى وغيره عنه ، قال البخارى رحمه الله فى (صحيحه) باب (متى يستوجب الرجل القضاء) وقال الحسن : أخذ الله على الحكام ألا يتبعوا الهوى ، ولا يخشوا الناس ، ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً ، إلى أن قال : وقرأ قول الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿ الآيتان<sup>(١)</sup> فحمداً سليمان ، ولم يُلْمَ داود .

ولولا ما ذكره الله تعالى من أمر هذين ؛ لرأيت أن القضاة هلكوا ، فإنه تعالى أثنى على هذا بعلمه، وعذر هذا باجتهاده ، انتهى محل الغرض منه ؛ وبه تعلم أن الحسن البصرى رحمه الله يرى أن معنى الآية الكريمة كما ذكرنا<sup>(٢)</sup> .

### المسألة الثالثة

#### تفسير القرآن بآثار الصحابة والتابعين معاً

يجمع الشنقيطي فى كثير من الأحيان بين أقوال الصحابة والتابعين فى تفسير ما يعرض له من الآيات؛ الأمر الذى يمثل معه هذا الجمعُ السمةُ الغالبة على منهجه من حيث تفسيره للقرآن بالآثار ، وفيما يلى نسوق بعض الأمثلة الشاهدة على ذلك تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

١ - ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ تَوَزُّهُمُ أَرْأًا ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> نراه يأخذ فى معنى : ﴿ تَوَزُّهُمُ ﴾ بقول كل من : عبد الله بن عباس من الصحابة ، ومجاهد بن جبر وقتادة بن دعامة السدوسى من التابعين رضي الله عنهم فيقول ما نصه : وقوله تعالى ﴿ تَوَزُّهُمُ أَرْأًا ﴾ أى تهيجهم وتزعجهم إلى الكفر والمعاصى ، وأقوال أهل العلم فى الآية راجعة إلى ما ذكرنا .

ومن ذلك قول ابن عباس : ﴿ تَوَزُّهُمُ أَرْأًا ﴾ أى تغويهم إغواء ،

(١) الأنبياء : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٩٩/٤ .

(٣) مريم : ٨٣ .



وقول مجاهد : ﴿ تَوَزُّهُمُ أَرَا ﴾ أى تُشْلِيهِمُ إِشْلَاءً<sup>(١)</sup> وقول قتادة : ﴿ تَوَزُّهُمُ أَرَا ﴾ أى تزعجهم إزعاجاً<sup>(٢)</sup> .

٢ - وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> نراه يأخذ فى معنى : ﴿ خَلَقًا آخَرَ ﴾ بقول عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر من الصحابة ، ومجاهد بن جبر ، وقتادة بن دعامة السدوسى ، وسعيد بن زيد ، وأبى العالية ، والشعبي ، والضحاك بن مزاحم من التابعين رضي الله عنهم فيقول ما نصه :

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ قال ابن عباس ، وأبو العالية ، والضحاك ، وابن زيد : هو نفخ الروح فيه بعد أن كان جماداً ، وعن ابن عباس : خروجه إلى الدنيا ، وقال قتادة : عن فرقة نبات شعره ، وقال الضحاك : خروج الأسنان ، ونبات الشعر ، وقال مجاهد : كمال شبابه ، وروى عن ابن عمر : أن الصحيح عمومه فى هذا وفى غيره من النطق والإدراك ، وتحصيل المعقولات إلى أن يموت .

والظاهر أن جميع أقوال أهل العلم فى قوله تعالى : ﴿ خَلَقًا آخَرَ ﴾ أنه صار بشراً سَوِيًّا ، بعد أن كان نطفة ، ثم مضغة ، ثم علقة ، ثم عظاماً ، كما هو واضح<sup>(٤)</sup> .

(١) تُشْلِيهِمُ إِشْلَاءً : أى تغريهم إغراءً ، من (الإشلاء) وهو الإغراء بالشيء والدعوة إليه ، ومنه قولهم : (أشليت الكلب) أى دعوته إلى الصيد وأغريته به ، وفى ذلك يقول زياد الأعجم :

أَتَيْنَا أَبَا عَمْرٍو فَأَشْلَى كِلَابَهُ      عَلَيْنَا فَكَدْنَا بَيْنَ بَيْتَيْهِ نُؤْكَلُ

كما يقال : (أشليت الشاة والناقة) أى دعوتهما بأسمائهما لأحلبهما ، وفى ذلك يدعو الراعى ناقتيه (عفاس وبروع) قائلاً :

وإن بركت منها عجاساً جلةً      بمخنية أشلى العفاس وبروعاً

• انظر مادة (شلا) فى لسان العرب : ٢٣١٨/٤ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٨٩/٤ .

(٣) المؤمنون : ١٤ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٧٨٠/٥ .





## المطلب الثالث التعقيب

ويتنظم الملاحظات الثلاث التالية :

- ١ - الملاحظة الأولى : الجمع بين آثار الصحابة والتابعين .
- ٢ - الملاحظة الثانية : عدم عزو بعض الآثار .
- ٣ - الملاحظة الثالثة : ردّ بعض الآثار .



وبعد أن عرضنا لمنهج الشنقيطي في تفسير القرآن بآثار كل من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فإنه يمكننا أن نرصد من خلال هذا التعقيب الملاحظات الثلاث التي تَرِدُ على ذلك فيما يلي :

### الملاحظة الاولى

#### الجمع بين آثار الصحابة والتابعين

حيث يجمع الشنقيطي أحياناً بين آثار كل من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في تفسير ما يعرض له من الآيات ، وهذا ما سبق أن استشهدنا له ، ودللنا عليه ؛ تنبيهاً به على غيره مما في ثنايا تفسيره المختلفة<sup>(١)</sup> .

### الملاحظة الثانية

#### عدم عزو بعض الآثار

يورد الشنقيطي أحياناً بعض الآثار على وجه الإجمال دون أن يعزو أيّاً منها إلى أي من الصحابة أو التابعين رضي الله عنهم وفيما يلي نكتفي بمثال واحد تنبيهاً به على غيره من الشواهد القليلة التي وقعت في ثنايا تفسيره المختلفة :

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> نراه يورد اسم مَلَكِ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلِ بقبض أرواح الخلائق من قِبَلِ اللَّهِ تعالى على أنه : (عزرائيل) مشيراً بذلك إلى أن هذا هو ما أثبتته بعض الآثار دون أن يعزو أيّاً منها إلى قائلها من الصحابة أو التابعين رضي الله عنهم حيث يقول ما نصه : وظاهر هذه الآية الكريمة أن الذي يقبض أرواح الناس مَلَكٌ واحدٌ معينٌ، وهذا هو المشهور؛ فقد جاء في (بعض الآثار) أن اسمه : (عزرائيل)<sup>(٣)</sup> .

### الملاحظة الثالثة

#### ردُّ بعض الآثار

يقف الشنقيطي موقفاً جلياً واضحاً إزاء تلك الآثار التي تخالف نصوص الكتاب والسنة ، سواء كانت هذه الآثار تُعزى إلى الصحابة أو تُعزى إلى التابعين رضي الله عنهم وهذا ما

(٢) السجدة : ١١ .

(١) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٠٤/٦ .



يُحَسَّبُ لِمَنْ هَجِهَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِهَذِهِ الْأَثَارِ ؛ لِأَنَّ الْمَجْمَعِ عَلَيْهِ عِنْدَ جَمْهُورِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ نِصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا تُرَدُّ بِمَا يَخَالِفُهَا مِنْ تِلْكَ الْأَثَارِ وَلَا مِنْ غَيْرِهَا<sup>(١)</sup> .

ولذا ففي مَعْرِضِ تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ الْآيَةَ<sup>(٢)</sup> نَرَاهُ يَرِدُ تَأْوِيلُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِمَخَالَفَتِهِ مَا ثَبِتَ فِي السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ دُونَ مُعَارِضِ لَهُ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ ، حَيْثُ يَقُولُ مَا نَصَهُ : إِنَّ النِّصُوصَ الصَّحِيحَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَمَاعِ الْمَوْتَى لَمْ يَثْبِتْ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ شَيْءٌ يَخَالِفُهَا ، وَتَأْوِيلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْضَ الْآيَاتِ عَلَى مَعْنَى يَخَالِفُ الْأَحَادِيثَ الْمَذْكُورَةَ (لَا يَجِبُ) الرَّجُوعِ إِلَيْهِ<sup>(٣)</sup> لِأَنَّ غَيْرَهُ فِي مَعْنَى الْآيَاتِ أَوْلَى بِالصَّوَابِ مِنْهُ ؛ فَلَا تُرَدُّ النِّصُوصَ الصَّحِيحَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَأْوِيلِ الصَّحَابَةِ أَوْ التَّابِعِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَعْضَ الْآيَاتِ<sup>(٤)</sup> .

---

(١) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٢) النمل : ٨٠ .

(٣) انظر ملاحظتنا على قوله : (لا يجب) ص من هذا البحث .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٢١/٦ .



## ختام هذا الفصل

### تعقيب حول التفسير بالمأثور عند الشنقيطي

وفي ختام عرضنا لمنهج الشنقيطي في تفسير القرآن بالمأثور والذي يشمل كلاً من القرآن والسُّنة والآثار؛ فإنه يمكننا أن نرصد هاتين الملاحظتين اللتين تردان على ذلك فيما يلي :

#### ١ - الجمع بين القرآن والسُّنة والآثار :

حيث يَعْمَدُ الشنقيطي في كثير من الأحيان إلى الجمع بين محاور المأثور الثلاثة المتمثلة في كل من (القرآن والسُّنة والآثار) في تفسير ما يَعْرِضُ له من الآيات ؛ وحسبنا أن نشير في هذا المقام إلى بعض الآيات التي جمع الشنقيطي في تفسيره لها بين هذه المحاور ؛ وذلك من باب التنبيه بها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة :

#### ١ - الآية الأولى :

وهي قول الله تعالى : ﴿ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ اللَّهُ الْآيَةَ <sup>(١)</sup> .

#### ب - الآية الثانية :

وهي قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ يَرُؤُا خِذُّ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ <sup>(٢)</sup> .

#### ج - الآية الثالثة :

وهي قول الله تعالى : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا <sup>(٣)</sup> .

#### ٢ - أصالة تفسير الشنقيطي بالمأثور :

وبالنظر إلى مَسَلِّكَ الشنقيطي إزاء منهجه في تفسير القرآن بالمأثور على مستوى تعميده النظري ، ثم على مستوى تطبيقه العملي ؛ فإننا نتبين مدى أصالة هذا المنهج من حيث اتفاه مع ما ذهب إليه المحققون بين العلماء من العلماء المعتبرين من أن أعظم وأجل طرق التفسير أن يُفسَّرَ القرآن بالقرآن ، ثم بالسُّنة ، ثم بآثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وهي المحاور الثلاثة التي يتنازعها التفسير بالمأثور .

(١) النساء : ١١٩ - وانظر : (أضواء البيان) : الشنقيطي ١/٤٧٨-٤٨١ .

(٢) النحل : ٦١ - وانظر : (أضواء البيان) : الشنقيطي ٣/٢٨٨-٢٩١ .

(٣) الأحقاف : ٢٠ - وانظر : (أضواء البيان) : الشنقيطي ٧/٣٩٢-٣٩٥ .





وهذا المسلك هو ذات ما نصَّ عليه شيخ الإسلام أحمد بن تيمية واصفًا إياه في (مقدمته) بأنه (أحسن طرق التفسير) حيث يقول ما نصُّه : فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب : إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ؛ فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسرَّ في موضع آخر ، وما اختُصِرَ في مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر .

فإن أعيانك ذلك فعليك بالسُّنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ؛ فإن لم نجد التفسير في القرآن لا في السُّنة ، رجعنا حينئذ في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختلفوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، لا سيما علماؤهم وكبرائهم ، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين .

فإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السُّنة ، ولا وجدته عن الصحابة ؛ فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين رضي الله عنهم (١) .

(١) مقدمة في أصول التفسير : لابن تيمية ص ٤٢-٤٧ .



## الفصل الثاني

# تفسير القرآن بالرأى

ويتنظم المباحث الثلاثة التالية :

- ١ - المبحث الأول : التقعيد النظرى .
- ٢ - المبحث الثانى : التطبيق العملى .
- ٣ - المبحث الثالث : التعقيب .



## المبحث الأول التقعيد النظري

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

- ١ - المطلب الأول : محوراً الرأى .
- ٢ - المطلب الثانى : أدلة الرأى .
- ٣ - المطلب الثالث : ضابطا الرأى .
- ٤ - المطلب الرابع : شروط الرأى .
- ٥ - المطلب الخامس : أنواع الرأى .



ونعنى به موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بالرأى ؛ من حيث كونه المحور الثانى ، والمرحلة التالية لتفسير القرآن بالمأثور .

• ولكن ما الذى نعنيه بـ (الرأى) ؟

والحق أننا نعنى به جملة آراء المفسرين المعتبرين ممن سلفوا قبل الشنقيطى من لدن عصر تابعى التابعين وحتى عصره الذى كان يعيش فيه ، باستثناء رأيه الذاتى الذى يصدر منه ، ويعبر عنه<sup>(١)</sup> .

لأنه غالباً ما يرجع المفسر إلى آراء من سبقه من العلماء المحققين الذين عرّضوا لمثل ما يعرض له من الآيات بالتفسير ، فما انتهى إليه السابقون ، هو ذات ما يبدأ به اللاحقون ، وبهذا يتأكد تواصل علماء الأمة ، ويستمر عطاؤهم ، عبر الأجيال المتعاقبة ، والأعصر المتتابعة .

وصاحبنا الشنقيطى أحد هؤلاء العلماء الذين يتظمون فى حلقات سلسلة هذا التواصل ؛ فهو كما يأخذ بآراء من قبله من العلماء السابقين ، فإن رأيه سيعد بمثابة الرأى لمن بعده من العلماء اللاحقين ، ثم إن آراء هؤلاء اللاحقين ستعد آراء لمن بعدهم ، وهكذا دواليك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

• الرأى عند الشنقيطى :

تتجلى حقيقة التفسير بالرأى عند الشنقيطى من خلال محورين أساسيين يمثلان مفهوم الرأى عنده ، ثم من خلال أدلته على ذلك من القرآن والسنة والآثار ، فضلاً عن تحديده لكل من ضوابط هذا الرأى ، وشروطه ، وأنواعه .

وفيما يلى نعرض لكل من هذه المسائل على النحو الذى يتأدى عنه بيان قوله فى الرأى ، وبما تتضح معه خلاصة موقفه منه ، مع رصد رأى البحث فى ختام جملة هذه المسائل ، وذلك من خلال المطالب الخمسة التالية :

(١) وذلك لأن مسيرة التفسير تتوزع فى رأى البحث بين حقتين أولاهما (حقبة التفسير بالمأثور) : وتبدأ من لدن بدء نزول الوحي على رسول الله ﷺ وتنتهى بآخر من يمكن الاستشهاد بقوله ، والرجوع إليه ، من تابعى التابعين ، وأما ثانيتهما (حقبة التفسير بالرأى) : وتبدأ من بعد عصر تابعى التابعين وتستمر إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .





## المطلب الاول

### مخوِّراً الرأى

ويتنازع الرأى عند الشنقيطى محوران رئيسان يتمثلان فى كل من : (التأويل) ثم (الاجتهاد) وهذا ما نعرض له على النحو التالى :

#### ١ - الشنقيطى والتأويل :

##### • التأويل فى اللغة :

ينقل الشنقيطى ما قاله الطبرى فى ذلك فيقول ما نصه : قال ابن جرير الطبرى : وأصل التأويل من (آل الشيء إلى كذا) : إذا صار إليه ورجع ، و (يؤول أولاً ، وأولته أنا) : إذا صيرته إليه ، ثم قال الطبرى : وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى :

عَلَى أَنهَا كَانَتْ تَأْوُلُ حَبَّهَا      تَأْوُلُ رَبِيعِي السَّقَابِ فَأَصْحَبَا

قال : ويعنى بقوله : (تأولُ حبَّها) أى مصير حبها ومرجعه ، وإنما يريد بذلك أن حبها كان صغيراً فى قلبه ، ثم آل من الصغر إلى العظم ؛ فلم يزل ينبت حتى أصحَبَ فصار قديماً كالسَّقَبِ الصغير الذى لم يزل يشب حتى أصحَبَ فصار كبيراً مثل أمه<sup>(١)</sup> .

##### • التأويل فى الإصطلاح :

أشار الشنقيطى إلى أن للتأويل ثلاثة مدلولات اصطلاحية منها اثنان فى اصطلاح المفسرين ، ومدلول ثالث فى اصطلاح الأصوليين ، وهذا ما عناه بقوله : اعلم أن التأويل يُطلَقُ ثلاثة إطلاقات<sup>(٢)</sup> نذكرها كما يلى :

#### ١ - مدلول المفسرين :

يذكر الشنقيطى مدلولى التأويل عند المفسرين فيقول :

الأول : وهو ما ذكرنا من أنه الحقيقة التى يؤول إليها الأمر ، وهذا هو معناه فى القرآن .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٢٨/١ .

و (ربيعي السَّقَبِ والسَّقَابِ) : هو كل ما وُلِدَ من الإبل فى أول التناج ، وقيل : هو ما وُلِدَ من

الإبل فى الربيع - انظر مادة (ربيع) فى لسان العرب : ١٥٦٥/٣ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٢٩/١ .



الثاني : يراد به التفسير والبيان ، ومنه بهذا المعنى قول رسول الله ﷺ في ابن عباس : «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» الحديث<sup>(١)</sup> وقول ابن جرير وغيره من العلماء : (القول في تأويل قوله تعالى : كذا وكذا) أي : تفسيره وبيانه .

ومنه قول عائشة رضي الله عنها الثابت في (الصحيح) : كان رسول الله ﷺ يكثُر أن يقول في ركوعه وسجوده : «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي» الحديث<sup>(٢)</sup> يتأول القرآن : تعنى يمثله ويعمل به ، والله تعالى أعلم<sup>(٣)</sup> .

## ٢ - مدلول الأصوليين :

يذكر الشنقيطي مدلول التأويل وأنواعه عند الأصوليين فيقول : ومعناه المتعارف في اصطلاح الأصوليين هو : صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدل على ذلك<sup>(٤)</sup> .

(١) أخرجه البخارى غير تام بلفظ : «اللهم فقهه في الدين» من رواية ابن عباس رضي الله عنهما - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٤) الوضوء (باب ١٠) وضع الماء عند الخلاء - ٢٤٤/١ - حديث رقم (١٤٣) - (طبع السلفية) .

وأخرجه مسلم أكثر اختصاراً بلفظ : «اللهم فقهه» - انظر صحيح مسلم (كتاب ٤٤) فضائل الصحابة (باب ٣٠) فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما - ١٩٢٧/٤ - حديث رقم (٢٤٧٧) - (طبع الحلبي) .

كما أخرجه أحمد في مسنده بلفظه تماماً - ٢٦٦/١ - حديث رقم (٢٣٩٧) - ٣١٤/١ - حديث رقم (٢٨٨١) - ومختصراً بلفظ : «اللهم فقهه» - ٣٢٧/١ - حديث رقم (٣٠٢٣) - ثم تائماً بلفظه : ٣٢٨/١ - حديث رقم (٣٠٣٣) - ٣٣٥/١ - حديث رقم (٣١٠٢) - (طبع قرطبة) .

وتدأبته الشيخ أحمد شاکر تماماً بلفظ «اللهم فقهه في الدين» مُعلِّقاً على ذلك بقوله : (في ح : «اللهم فقهه» ولم يُذكر فيها : «في الدين» وقد صححناه من ك) - انظر المُسند للإمام أحمد بن حنبل : شرحه وصنع فهارسه : أحمد محمد شاکر - ١٢/٥ - حديث رقم (٣٠٢٣) - طبعة دار المعارف - القاهرة - ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م .

(٢) أخرجه البخارى في موضعين من صحيحه - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ١٠) الأذان (باب ١٣٩) التسبيح والدعاء - ٢٩٩/٢ - حديث (٨١٧) - وكذا في (كتاب ٦٥) التفسير (باب ١١٠) سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ النصر : ٧٣٣/٨ - ١ - حديث رقم (٤٩٦٨) - (طبع السلفية) .

وأخرجه مسلم في صحيحه (كتاب ٤) الصلاة (باب ٤٢) ما يقال في الركوع والسجود - ٣٥٠/١ - حديث رقم (٤٨٤/٢١٧) - (طبع الحلبي) - كما أخرجه أحمد في مسنده - ٤٣/٦ - حديث رقم (٢٤٢٠٩) - ٤٩/٦ - حديث رقم (٢٤٢٦٩) - (طبع قرطبة) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٣٢٩/١ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٣٢٩/١ .



## ب - الشنقيطى والاجتهاد :

يشير الشنقيطى إلى مفهومه للاجتهاد من خلال قوله بضرورة اجتهاد العالم قدر طاقته فى تفهم كتاب الله تعالى حالما يفتقد نصوص القرآن والسُّنة التى تعينه على ذلك ، وفى هذا يقول ما نصه : ومن المعلوم أن المسألة إن لم يوجد فيها نص من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه ﷺ فاجتهاد العالم حيثئذ بقدر طاقته فى تفهم كتاب الله تعالى ليعرف حكم المسكوت عنه من المنطوق به ؛ فإن ذلك لا وجه لمنعه ، وقد كان جارياً بين أصحاب رسول الله ﷺ ولم ينكره أحد من المسلمين<sup>(١)</sup> .

### المطلب الثانى

## أدلة الرأى

وتتمثل أدلة الرأى عند الشنقيطى فيما يسوقه من الأدلة على كل من : (التأويل) و (الاجتهاد) من القرآن والسُّنة والآثار ، وهو ما نعرض له فيما يلى :

### ١ - أدلته على التأويل :

#### • من القرآن :

يسوق الشنقيطى دليله القرآنى على التأويل من خلال تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> حيث يقول ما نصه : يحتمل أن يكون المراد بالتأويل فى هذه الآية الكريمة التفسير وإدراك المعنى ، ويحتمل أن يكون المراد به حقيقة أمره التى يؤول إليها ، وقد قدّمنا فى مقدمة هذا الكتاب أن من أنواع البيان التى ذكرناها فيه أن تكون أحد الاحتمالين هو الغالب فى القرآن يبين أن ذلك الاحتمال الغالب هو المراد ؛ لأن الحمل على الغالب أولى من الحمل على غيره .

وإذا عرفت ذلك ؛ فاعلم أن الغالب فى القرآن إطلاق التأويل على حقيقة الأمر التى يؤول إليها كقول الله تعالى : ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلَهُ ﴾ الآية<sup>(٥)</sup> وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ الآية<sup>(٦)</sup> إلى غير ذلك من الآيات<sup>(٧)</sup> .

(٢) آل عمران : ٧ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٣٠ / ٣ - ٥٧٧ / ٣ .

(٥) يونس : ٣٩ .

(٤) الأعراف : ٥٣ .

(٣) يوسف : ١٠٠ .

(٧) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٢٨ / ١ .

(٦) النساء : ٥٩ .



• من السُّنة :

ودليل الشنقيطى على التأويل من السُّنة يتمثل فيما سبق أن ذكرناه من دعاء النبي ﷺ لابن عباس قائلاً : «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل» الحديث .

• من الآثار :

وفى ذلك يسوق الشنقيطى دليله المتمثل فيما سبق أن ذكرناه من قول عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده : «سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفر لى» يتأول القرآن .

ب - أدلته على الاجتهاد :

• من القرآن :

يسوق الشنقيطى دليله القرآن على الاجتهاد من خلال تفسيره لثلاث آيات من كتاب الله تعالى نوردتها على النحو التالى :

١ - فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ الآية<sup>(١)</sup> نراه يقول ما نصه : أخذ بعض العلماء من هذه الآية الكريمة منع التقليد ، وقالوا : لأنه اتباع غير العلم .

قال مقيده عفا الله عنه : لا شك أن التقليد الأعمى الذى ذمَّ الله به الكفار فى آيات من كتابه تدل هذه الآية وغيرها من الآيات على منعه ، وكفر متبعه ، كقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> إلى غير ذلك من الآيات .

أما استدلال بعض الظاهرية كابن حزم ومن تبعه بهذه الآية التى نحن بصددتها وأمثالها على منع الاجتهاد فى الشرع مطلقاً ، وتضليل القائل به ، ومنع التقليد من أصله ؛ فهو من وضع القرآن فى غير موضعه ، وتفسيره بغير معناه ، كما هى حال كثير من الظاهرية .

لأن مشروعية سؤال الجاهل للعالم ، وعمله بفتياه ؛ أمر معلوم من الدين بالضرورة ، ومعلوم أنه كان العامى يسأل بعض أصحاب النبي ﷺ فيفتيه ؛ فيعمل فتياه ، ولم ينكر ذلك أحد من المسلمين<sup>(٣)</sup> .

(٢) البقرة : ١٧٠ .

(١) الإسراء : ٣٦ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٧٧/٣ .





٢ - وفي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿ الآيتان<sup>(١)</sup> نراه يقول ما نصه : وفي الآية قرينة على أن حكمهما كان باجتهاد وليس بوحي ، وأن سليمان أصاب فاستحق الثناء باجتهاده وإصابته ، وأن داود مع أنه لم يُصِبْ إلا أنه لم يستوجب لومًا ولا ذمًا بعدم إصابته .

وقد أثنى على سليمان بالإصابة في قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ وأثنى عليهما بقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ فدلّ قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ ﴾ على أنهما حكما فيها معاً ، كل منهما بحكم مخالف لحكم الآخر ، ولو كان وحيًا لما ساغ هذا الخلاف .

كما أن قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ دلّ أيضًا على أنه لم يفهمها داود ، ولو كان حكمه فيها بوحي ؛ لكان مفهّمًا إياها كما ترى ، فقوله تعالى : ﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ ﴾ مع قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ قرينة على أن الحكم لم يكن بوحي بل كان باجتهاد ، وقد أصاب فيه سليمان دون داود بتفهم الله إياه ذلك .

والقرينة الثانية هي أن قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا ﴾ يدل على أنه فهمه إياها من نصوص ما كان عندهم من الشرع ؛ لا أنه أنزل فيها وحيًا جديدًا ناسخًا ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا ﴾ أليق بالأول من الثاني كما ترى<sup>(٢)</sup> .

٣ - وفي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> نراه يقول ما نصه : (الهمزة) في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ للإنكار ، والتقدير : أيعرضون عن كتاب الله فلا يتدبرون القرآن ، و (أَمْ) في قوله تعالى : ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ منقطعة بمعنى بل ؛ فقد أنكر الله تعالى عليهم إعراضهم عن تدبر القرآن بأداة الإنكار التي هي الهمزة ، وبين أن قلوبهم عليها أقفال لا تفتح للخير ، ولا تفتح لفهم القرآن .

كما أن ما تضمنته هذه الآية الكريمة من التوبيخ والإنكار على من أعرض عن تدبر كتاب الله تعالى قد جاء موضّحًا في آيات كثيرة كقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> وقد ذمّ الله جلّ

(١) الآيتان : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .

(٢) أضواء البيان : التفسير ٥٩٦/٤ .

(٣) سورة محمد ﷺ : ٢٤ .

(٤) النساء : ٨٢ .



وعلا المَعْرَضَ عن هذا القرآن العظيم في آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ الآية (١) .

ومعلوم أن كل مَنْ لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم ، أى تصفحها وتفهمها ، وإدراك معانيها ، والعمل بها ؛ فإنه مُعْرَضٌ عنها ، غير متدبر لها ؛ فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور في الآيات ، إن كان الله تعالى قد أعطاه فهماً يَقْدِرُ به على التدبر ، وقد شكى النبي ﷺ إلى ربه سبحانه من هجر قومه هذا القرآن كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ الآية (٢) .

وهذه الآيات المذكورة تدل على أن تدبر القرآن وتفهمه ، وتعلمه والعمل به ، هو أمر لا بد منه للمسلمين ؛ وقد بين النبي ﷺ أن المشتغلين بذلك هم خير الناس ، كما ثبت عنه ﷺ في (الصحيح) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال : «خيركم مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» الحديث (٣) وقال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ الآية (٤) .

فإعراض كثير من الأنظار عن النظر في كتاب الله تعالى ، وتفهمه والعمل به ، وكذا عن السنة الثابتة المبينة له ، لهُوَ من أعظم المناكر وأشنعها ، وإن ظن فاعلوه أنهم على هُدًى (٥) .

● من السنة :

استند الشنقيطى فى قوله بمشروعية الاجتهاد إلى حديثين من السنة المطهرة يتمثلان فى

كل من :

١ - الحديث الاول :

وهو قول رسول الله ﷺ : «إذا حكم أحدكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» الحديث (١) .

(٢) الفرقان : ٣٠ .

(١) الكهف : ٥٧ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٦٦) فضائل القرآن (باب ٢١) خيركم مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ - ٧٤/٩ حديث رقم (٥٠٢٧)

(ضع نسختي)

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٢٨/٧ .

(٤) آل عمران : ٧٩ .

(٦) أخرجه البخارى فى صحيحه من روايتى عمرو بن العاص وأبى هريرة رضي الله عنهما مرفوعاً إلى النبي ﷺ ثم مُعَلَّقاً بنسب لعقده من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن مُرْسَلاً عن النبي ﷺ دون ذكر أبى =



وفي مَعْرِضِ استدلال الشنقيطى بهذا الحديث يقول ما نصه : ومن النصوص الدالة على مشروعية الاجتهاد فى مسائل الشرع ، ما ثبت فى (الصحيح) عن النبىِّ ﷺ فى ذلك ، حيث قال مسلم بن الحجاج فى (صحيحه) : عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ قال : (الحديث) .

وبعد أن أورد الشنقيطى هذا الحديث بطرقه المختلفة فى (صحيح مسلم) قال ما نصه : فهذا نص صحيح من النبىِّ ﷺ صريح فى جواز الاجتهاد فى الأحكام الشرعية ، وحصول الأجر على ذلك وإن كان المجتهد مخطئاً فى اجتهاده ، وهذا يقطع دعوى الظاهرية المتمثلة فى قولهم بمنع الاجتهاد من أصله ، وتضليل فاعله والقائل به ، قطعاً باتاً كما ترى .

ثم يحكى الشنقيطى عن النووى إجماع العلماء واتفاقهم بشأن ما ذهب إليه فى فهم هذا الحديث قائلاً : قال النووى فى شرح هذا الحديث : قال العلماء : أجمع المسلمون على أن هذا الحديث فى حاكمٍ عالمٍ أهلٍ للحكم ، فإن أصاب فله أجران : أجر باجتهاده ، وأجر بإصابته ، وإن أخطأ فله أجر باجتهاده ، وفى الحديث محذوف تقديره : (إذا أراد الحاكم أن يحكم فاجتهد) .

قالوا : فأما مَنْ ليس بأهلٍ للحكم فلا يحلُّ له الحكم ؛ فإنَّ حكمَ فلا أجر له ، بل هو آثم ، ولا ينعدُّ حكمه ، سواء وافقَ الحكمَ أم لا ؛ لأنَّ إصابته اتفاقية ليست صادرة عن أصل شرعى ، فهو عاص فى جميع أحكامه ، سواء وافقَ الصواب أم لا ؛ ومن ثمَّ فهى مردودة كلها ، ولا يُعذرُ فى شىء من ذلك .

---

= هريرة رضي - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٩٦) الاعتصام بالكتاب والسنة (باب ٢١) أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ - ٣١٨/١٣ حديث رقم (٧٣٥٢) - (طبع السلفية) .

وأخرجه مسلم فى صحيحه من رواية عمرو بن العاص رضي ثم من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضي كلتا الروايتين مرفوعتان إلى رسول الله ﷺ - انظر صحيح مسلم (كتاب ٣٠) الأفضية (باب ٦) بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ - ١٣٤٢/٣ حديث رقم (١٧١٦) - (طبع الحلبي) .

كما أخرجه أحمد فى مسنده من رواية عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ انظر المسند : ١٩٨/٤ حديث رقم (١٧٨٠٩) - ومن رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ انظر المسند : ٢٠٤/٤ حديث رقم (١٧٨٥٤) - (طبع قرطبة) .

ويلاحظ أن كلا من (البخارى ومسلم وأحمد) قد أخرجوا هذا الحديث بلفظ : «إذا حكم الحاكم» وليس : «إذا حكم أحدكم» .



وقد جاء في (السُنن) من حديث رسول الله ﷺ : «القضاة ثلاثة : قاضٍ في الجنة ، واثان في النار ، قاضٍ عَرَفَ الحَقَّ فقضى به فهو في الجنة ، وقاضٍ عَرَفَ الحَقَّ فقضى بخلافه فهو في النار ، وقاضٍ قضى على جهل فهو في النار» الحديث<sup>(١)</sup> انتهى الغرض من كلام النووى .

وإضافة إلى رواية مسلم بطرقه المختلفة لحديث : «إذا حكم أحدكم فاجتهد» يورد الشنقيطى رواية البخارى لذات الحديث من طريقى أبى هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ثم يُعَقِّبُ على ذلك قائلاً : فهذا الحديث المتفق عليه يدل على بطلان قول مَنْ منع الاجتهاد من أصله فى الأحكام الشرعية ، ثم إن محاولة ابن حزم تضعيف هذا الحديث المتفق عليه الذى رأيت أنه فى أعلى درجات الصحيح لاتفاق الشيخين عليه ؛ لا نحتاج دليلاً إلى إبطالها لظهور سقوطها كما ترى ؛ لأنه حديث متفق عليه مروى بأسانيد صحيحة عن صحابيين جليلين من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبى ﷺ<sup>(٢)</sup> .

## ٢ - الحديث الثانى :

وهو قول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن قائلاً له : «فِيم تَحْكُمُ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ﷺ ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأى ؛ قال : ف ضرب رسول الله ﷺ فى صدره وقال :

(١) أخرجه الترمذى فى سننه من رواية بُرَيْدَةَ عن رسول الله ﷺ - انظر سنن الترمذى المعروفة بالجامع الصحيح : لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ الترمذى ت (٢٧٩هـ = ٨٩٣م) - (كتاب ١٣) الأحكام (باب ١) ما جاء عن رسول الله ﷺ فى القاضى - ٦١٣/٣ حديث رقم (١٣٢٢ مكرر) - تحقيق وتخريج وتعليق خادم الكتاب والسنة : محمد فؤاد عبد الباقي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - (د. ت) .

وأخرجه أبو داود فى سننه من رواية بُرَيْدَةَ عن رسول الله ﷺ - انظر سنن أبى داود : للإمام الحافظ ، المصنّف المتقن ، أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأردى ت (٢٧٥هـ = ٨٨٩م) - (كتاب) الأفضية (باب) فى القاضى يخطىء - ٢٩٧/٣ حديث رقم (٣٥٧٣) - دار الحديث - القاهرة - (د. ت) .

كما أخرجه ابن ماجه فى سننه من رواية بُرَيْدَةَ عن رسول الله ﷺ - انظر السنن : للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى المعروف بابن ماجه ت (٢٧٣هـ = ٨٨٧م) - (كتاب ١٣) الأحكام (باب ٣) الحاكم يجتهد فيصيب الحق - ٧٧٦/٢ حديث رقم (٢٣١٥) - حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلّق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي - طبع دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبي) - القاهرة - ١٣٧٣هـ = ١٩٥٣م .

(٢) راجع تفصيل استدلال الشنقيطى بهذا الحديث على مشروعية الاجتهاد فى (أضواء البيان) : ٦٨٣ - ٥٨١/٣ - وقد سبق تخريج الحديث المذكور ص من هذا البحث .





الحمد لله الذى وفق رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ « الحديث (١) .

(١) ونظراً لأهمية هذا الحديث ، وكثرة ما ورد عليه من كلام العلماء من قدامى ومحدثين ؛ فإننا نورد تفصيل أقوالهم بشأنه وحكمهم عليه على النحو التالى :

• **اولاً: تخريج الحديث:**

أخرج أصحاب السنن والمسائيد هذا الحديث عن شعبة موصولاً مرة ، وعنه مرسلاً مرة أخرى ، وذلك على النحو التالى :

١ - تخريجه موصولاً :

ونص إسناده : (قال شعبة : أخبرنى أبو عؤن الثقفى قال : سمعت الحارث بن عمرو يحدث عن أصحاب معاذ بن جبل من أهل حمص عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ) ومن أخرجه بهذا الإسناد نذكر كلاً من :

الترمذى فى سننه (كتاب ١٣) الأحكام (باب ٣) ما جاء فى القاضى كيف يقضى - ٦١٦/٣ حديث رقم (١٣٢٨) .

أبو داود فى سننه : ٣٠٢/٣ (كتاب) الأفضية (باب) اجتهاد الرأى فى القضاء .

أحمد فى مسنده : ٢٣٠/٥ حديث رقم (٢٢٠٦٠) - ٢٤٢/٥ حديث رقم (٢٢١٥٣) .

الدارمى فى سننه : ٦٠/١ (باب) الفتيا وما فيه من الشدة .

الطيلاسى فى مسنده : ٤٥٤/١ حديث رقم (٥٦٠) - انظر مسند أبى داود الطيالسى سليمان بن داود بن الجارود ت (٢٠٤هـ = ٨٢٠م) - الطبعة ١ - تحقيق : (د. محمد بن عبد المحسن التركى) بالتعاون مع (مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر) - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة - ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .

ابن سعد فى طبقاته : ٣٤٧/٢ - ٥٨٤/٣ - انظر الطبقات الكبرى : لابن سعد - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م - وجدير بالذكر أن تمام اسم طبقات ابن سعد هو : (الطبقات الكبرى فى ذكر معازى رسول الله ﷺ وسراياه ، وفى مرض النبى ﷺ ودفنه والمراثى ، وذكر من كان يفتى بالمدينة ، وجمع القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ على عهده ويعدده ، وذكر من كان يفتى بالمدينة بعد أصحاب الرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار) كما اختص المجلد الثالث بأن كتبت على غلافه الداخلى عبارة : (فى البدرين من المهاجرين والأنصار) .

الخطيب البغدادى : ٣٩٧/١ حديث رقم (٤١٣) - ٤٧٠/١ حديث رقم (٥١٢) -

٤٧١/١ حديث رقم (٥١٣) - ٤٧٢/١ حديث رقم (٥١٥) - انظر الفقيه والمتفقه : للحافظ

المؤرخ أبى بكر أحمد بن على بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادى ت (٤٦٣هـ = ١٠٧١م) -

الطبعة ١ - تحقيق : أبى عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازى - دار ابن الجوزى للنشر والتوزيع

- المملكة العربية السعودية - ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م .

٢ - تخريجه مرسلاً :

ونص إسناده : (قال شعبة : أخبرنى أبو عؤن الثقفى قال : سمعت الحارث بن عمرو

يحدث عن أصحاب معاذ بن جبل من أهل حمص أن رسول الله ﷺ قال) ومن أخرجه بهذا

الإسناد نذكر كلاً من :



الترمذى فى سننه (كتاب ١٣) الأحكام (باب ٣) ما جاء فى القاضى كيف يقضى - ٦١٦/٣  
 حديث رقم (١٣٢٧) .  
 أبو داود فى سننه (كتاب) الأفضية (باب) اجتهاد الرأى فى القضاء - ٣٠٢/٣ حديث رقم  
 (٣٥٩٢) .  
 أحمد فى مسنده : ٢٣٦/٥ حديث رقم (٢٢١١٤) .

### • ثانياً: درجة الحديث :

تناول عدد غير قليل من قدامى العلماء ومحدثيهم هذا الحديث ببيان درجته والحكم عليه ، سواء من ناحيته سنده ورجاله ، أو من ناحية مئته ومعناه ، ومن جملة هؤلاء العلماء نذكر كلا من :  
 ابن حجر العسقلانى عن ابن حزم قوله : لا يصح هذا الحديث ؛ لأن (الحارث) مجهول ، وشيوخه لا يُعرفون ، وقال ابن طاهر فى (تصنيف مفرد له فى الكلام على هذا الحديث) : اعلم أننى فحصت عن هذا الحديث فى المسانيد الكبار والصغار ، وسألت من لقيته عن أهل العلم بالنقل ؛ فلم أجد له غير طريقين وكلاهما لا يصح - انظر (تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير) : للحافظ أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن محمد بن حجر العسقلانى ت (٨٥٢هـ = ١٤٤٨م) - ١٨٢/٤ - عنى بتصحيحه وتنسيقه والتعليق عليه : السيد عبد الله هاشم اليمانى المدنى - المدينة المنورة - ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م (دون ذكر بيانات الطبع) .

وقال ابن الجوزى : هذا حديث لا يصح ، وإن كان الفقهاء كلهم يذكرونه فى كتبهم ويعتمدون عليه ، ولعمري إن كان معناه صحيحاً ؛ إنما ثبوته لا يُعرف ؛ لأن (الحارث بن عمرو) مجهول ، وأصحاب معاذ من أهل حمص لا يُعرفون ؛ وما هذا طريقه فلا وجه لثبوته - انظر (العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية) : للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن على المعروف بابن الجوزى ت (٥٩٧هـ = ١٢٠١م) - ٢٧٣/٢ - حققه وعلق عليه : الأستاذ إرشاد الحق الأثرى - نشر إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد - باكستان - (د.ت) .

وقال محقق مسند أبى داود الطيالسى : هذا الحديث إسناده ضعيف ؛ لجهالة أصحابه معاذ ، والاختلاف فى وصله وإرساله ، وفى (علل الدارقطنى) يقول الطيالسى : وأكثر ما كان يحدثنا شعبة عن أصحاب معاذ أن رسول الله ﷺ ثم يقول المحقق : وفى هذا الحديث كلام كثير ؛ فقد أعله البخارى والترمذى والعقلى والدارقطنى وابن حزم وابن الجوزى والذهبى والحافظ ابن حجر ، أعلوه بما سبق ذكره من الجهالة والإرسال ، كما قواه آخرون - انظر (مسند أبى داود الطيالسى) : ٤٥٥/١ بتحقيق : د. محمد بن عبد المحسن التركى - وانظر أيضاً (العلل الواردة فى الأحاديث النبوية) : تأليف الحافظ أبى الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى الدارقطنى ت (٣٨٥هـ = ٩٩٥م) - ٨٩/٦ - الطبعة ١ - تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله السلفى - دار طيبة - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

وقال الألبانى : وجملة القول أن هذا الحديث لا يصح إسناده لإرساله ، وجهالة راويه (الحارث بن عمرو) فمن كان عنده من المعرفة بهذا العلم الشريف ، وتبين له ذلك ؛ فيها ، وإلا فحسبه أن يستحضر أسماء الأئمة الذين صرحوا بتضعيفه ، فيزول الشك من قلبه ، وها أنا ذا أسردها وأقربها إلى القراء الكرام ، وهم : (البخارى - الترمذى - العقلى - الدارقطنى - ابن حزم -



وفى مَعْرِضِ استدلال الشنقيطى بهذا الحديث يقول ما نصه : ومن الأدلة الدالة على ذلك ما روى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن قال له : (الحديث) .

ويحصر الشنقيطى روايات هذا الحديث قائلاً : واعلم أن جميع روايات هذا الحديث المذكورة فى المسند والسنن كلها من طريق شعبة ، عن أبى عَون ، عن الحرث بن عمرو (وهو ابن أخى المغيرة بن شعبة) عن أناسٍ من أصحاب معاذ ، عن معاذ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

= ابن طاهر - ابن الجوزى - الذهبى - السبكى - ابن حجر) فكل هؤلاء وغيرهم ممن لا نستحضرهم قد ضعفوا هذا الحديث ؛ ولن يضل بإذن الله مَنْ اهتدى بهديهم ، كيف وهم أولئى الناس بالقول المأثور : (هم القوم لا يشقى جليسه) هذا ولما أنكر ابن الجوزى صحته أتبع ذلك بقوله : وإن كان معناه صحيحاً كما تقدم ؛ فأقول : هو صحيح المعنى فيما يتعلق بالاجتهاد عند فقدان النص ، وهذا مما لا خلاف فيه ، ولكنه ليس صحيح المعنى عندى فيما يتعلق بتصنيف السُّنة مع القرآن وإنزاله إياه معه منزلة الاجتهاد منهما ، فكما أنه لا يجوز الاجتهاد مع وجود النص فى الكتاب والسُّنة ؛ فكذلك لا يأخذ بالسُّنة إلا إذا لم يجد فى الكتاب ، وهذا التفريق بينهما مما لا يقول به مسلم ، بل الواجب النظر فى الكتاب والسُّنة معاً وعدم التفريق بينهما ؛ لِمَا عَلِمَ من أن السُّنة تُبَيِّنُ مُجْمَلِ القرآن ، وتُقَيِّدُ مطلقه ، وتُخَصِّصُ عمومه ، كما هو معلوم - انظر (سلسلة الأحاديث الضعيفة) : ٢٧٣/٢ حديث رقم (٨٨١) .

وفى موضع آخر يذكر الألبانى كلاماً قريباً من كلامه السابق إلا أنه يُصدِّره بقوله : وحسبى الآن أن أذكر أن أمير المؤمنين فى الحديث الإمام البخارى رحمه الله تعالى قال فيه : (حديث منكر) - انظر (منزلة السُّنة فى الإسلام ، وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن) : للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ص ١٦ - الطبعة ١ - طبع : المطبعة الفنية - توزيع : دار المسلم - القاهرة - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

أما (الحارث بن عمرو) الذى روى هذا الحديث عن أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه فقد قال عنه البخارى ما نصه : والحارث بن عمرو ، ابن أخى المغيرة بن شعبة الثقفى ، عن أصحاب معاذ ، عن معاذ ، قد روى عنه أبو عَون ، ولا يصح ، ولا يُعرَفُ إلا بهذا ، مُرْسَل - انظر (التاريخ الكبير) : للحافظ أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ت (٢٥٦هـ = ٨٧٠م) - ٢٧٧/٢ - طبع تحت مراقبة : د. محمد عبد المعيد خان - يطلب من : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - (د.ت) . كما أن (الحارث بن عمرو) المذكور هنا قد ترجمه العقيلى ضمن الضعفاء - انظر (كتاب الضعفاء الكبير) : للحافظ أبى جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حمّاد العقيلى المكى - ٢١٥/١ ترجمة رقم (٢٦٢) - الطبعة ١ - حققه ووثقه : د. عبد المعطى أمين قلعجى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

وبهذا يمكننا أن نلخص ما انتهت إليه أقوال العلماء من القدامى والمحدثين بشأن حكمهم على هذا الحديث فنقول : هذا الحديث وإن كان ليس صحيح الإسناد ؛ إلا أنه صحيح المعنى ، بل وعليه عمل الأمة سلفاً وخلفاً ، وهذا هو وجه شهرته التى تُعَصِّدُ قَبولَه والأخذ به ، والله تعالى أعلم .



ثم يورد الشنقيطى بعد ذلك جملة أقوال العلماء فى حكمهم على هذا الحديث من حيث الصحة والضعف ، وعلى رجاله من حيث الجرح والتعديل ، بادئاً ذلك بعرض أقوال كل من ابن قدامة فى كتابه : (رَوْضَةُ النَّاطِرِ) ثم أقوال ابن كثير فى كتابه : (تفسير القرآن العظيم) و (تاريخ ابن كثير) فيحلل هذه الأقوال ويعلق عليها ، وفى النهاية يحتكم إلى ما ذهب إليه ابن قسيم الجوزية فى كتابه : (إعلام الموقعين) بشأن حكمه على الحديث المذكور بالصحة والقبول<sup>(١)</sup> .

#### • من الآثار :

استند الشنقيطى إلى جملة غير قليلة من الآثار الصحيحة الثابتة عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فى إقامة الحجّة على مشروعية الاجتهاد والقول به ، وهذا ما نعرض له على النحو التالى :

#### ١ - من آثار الصحابة :

يحتج الشنقيطى فى ذلك بجملة من اجتهادات الصحابة رضي الله عنهم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ، والتي لم يلقوا إزاءها أدنى معارضة ، أو حتى أقل نكير ؛ ومن ثم يبدأ استدلاله بهذا قائلاً : اعلم أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يجتهدون فى مسائل الفقه فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهم ، وبعد وفاته من غير نكير ، ومن تلك الاجتهادات ما يلى :

#### ١ - صلاة العصر :

حيث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم أن يصلّوا العصر فى (بنى قريظة) فاجتهد بعضهم وصلّاها فى الطريق ؛ وقال : لم يرد منا صلى الله عليه وسلم تأخير العصر ، وإنما أراد منا سرعة النهوض ، فنظروا بذلك إلى المعنى ، واجتهد آخرون وأخروها إلى (بنى قريظة) فصلّوها ليلاً ؛ وقد نظروا بذلك إلى اللفظ ، وهؤلاء سلف أهل الظاهر ، وأولئك سلف أصحاب المعانى والقياس<sup>(٢)</sup> .

#### ٢ - غلام اليمن :

حيث كان على رضي الله عنه باليمن ؛ فاتاه ثلاثة نفرٍ يختصمون فى غلام ، فقال كل منهم : هو ابني ! فأقرع على رضي الله عنه بينهم ؛ فجعل الولد للقارع ، وجعل عليه للرجلين الآخرين

(١) انظر تفصيل استدلال الشنقيطى بهذا الحديث على مشروعية الاجتهاد فى (أضواء البيان) :

(٣/٥٨٣ - ٥٨٦) - (٤/٦٠٠ - ٦٢٥) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٢٥/٤ .





ثلثي الدية ؛ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه من قضاء عليّ ﷺ<sup>(١)</sup> .

### ٣ - مسألة الكلالة :

حيث اجتهد أبو بكر الصديق ﷺ في الكلالة قائلاً : أقول فيها برأى ، فإن يكن صواباً فمن الله تعالى ، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان : (أراه ما خلا الوالد والولد) فلما استخلف عمر بن الخطاب ﷺ قال : إني لأستحيى من الله تعالى أن أردد شيئاً قاله أبو بكر ﷺ<sup>(٢)</sup> .

### ب - من آثار التابعين :

يحتج الشنقيطي في ذلك بمسلك التابعين وتابعيهم ومن بعدهم إزاء اجتهاداتهم فيما لم يهتدوا فيه بنص يستندون إليه من الكتاب أو السنة أو آثار الصحابة قبلهم ﷺ ومن ثم ؛ نراه ينقل في ذلك ما أورده ابن القيم في كتابه : (إعلام الموقعين) بشأن كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ إلى الصحابي شريح ﷺ على لسان الشعبي التابعي ﷺ حيث يقول ما نصه : قال ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين) :

قال الشعبي عن شريح : قال لي عمر : أقض بما استبان لك من كتاب الله ، فإن لم تعلم كل كتاب الله ؛ فاقض بما استبان لك من قضاء رسول الله ﷺ فإن لم تعلم كل أقضية رسول ﷺ فاقض بما استبان لك من أئمة المهتدين ، فإن لم تعلم كل ما قضت به أئمة المهتدين ؛ فاجتهد رأيك ، واستشر أهل العلم والصلاح<sup>(٣)</sup> .

ومن الجدير بالملاحظة أن الشنقيطي قد استدل بغير ذلك من الآثار الكثيرة الثابتة عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ﷺ في القول بمشروعية الاجتهاد ، غير أن فيما ذكرناه منها تنبيهاً به على غيره مما في ثنايا تفسيره المختلفة .

### المطلب الثالث

### ضابطا الرأي

يحكم الرأي الشنقيطي ضابطان اثنان يتمثلان في كل من اللغة والأصول ، ونعرض

لهما كما يلي :

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤/٦٢٥-٦٢٦ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٤/٦٢٦ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٤/٦٢٨ .



### أ - الضابط الأول (اللغة) :

ونكتفى فى إشارة الشنقيطى إلى إعمال هذا الضابط اللغوى بما لا يفتأ أن يصرّح به بين الحين والآخر من احتكامه إلى ما تقضى به لغة العرب ، وما يجرى على قواعدها الثابتة ، ومن ذلك ما يذكره قائلاً : وأظهر الأقوال فى الآية عندى هو جريانها على اللغة الفصيحة من غير إشكال ولا تقدير<sup>(١)</sup> .

### ب - الضابط الثانى (الأصول) :

ونكتفى فى إشارة الشنقيطى إلى إعمال هذا الضابط الأصولى بذكر القاعدتين التاليتين تنبيهاً بهما على غيرهما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

#### ١ - قاعدة (الأخذ بظاهر القرآن) :

حيث يحتكم الشنقيطى فى تفسير الآية إلى ظاهر القرآن ما لم يصرّف عن ذلك الظاهر دليل آخر ؛ جرياً على ما يقرره علماء الأصول فى هذا الصدد ، وهو ذات ما ينقله عنهم الشنقيطى قائلاً ما نصه : والقاعدة المقررة فى علم الأصول : (أن ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه)<sup>(٢)</sup> .

#### ٢ - قاعدة (دلالة الإشارة) :

حيث يحتكم الشنقيطى أيضاً فى تفسير الآية إلى ضمها إلى غيرها من الآيات الأخرى ؛ ليتأدى عن ذلك إكتمال دلالتها ، وتمام معناها ، جرياً على ما يقرره علماء الأصول فى هذا الصدد ، وهو ذات ما ينقله الشنقيطى عنهم قائلاً ما نصه : لا تدل بعض الآيات على معناها إلا بضمها إلى بعض الآيات الأخرى ، وتلكم الدلالة هى المعروفة عند علماء الأصول بـ : (دلالة الإشارة)<sup>(٣)</sup> .

## المطلب الرابع

### شروط الرأى

ويتنازع تلك الشروط عند الشنقيطى محوران أولهما : (شروط المُجْتَهِد) وثانيهما : (شروط المُجْتَهِدِ فِيهِ) وهما ما نعرض لهما على النحو التالى :

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٦٣/٦ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٨٥/٤ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٨٥/٧ .



## ١ - شروط المجتهد :

يسوق الشنقيطى جملة هذه الشروط من خلال رَدِّه على متأخري الأصوليين الذين يوقفون العمل بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ على تحصيلها ، حيث يقول فى ذلك ما نصه : اعلم أن المتأخرين من أهل الأصول الذين يقولون بمنع العمل بالكتاب والسُّنة مطلقاً إلا للمجتهدين يقولون :

إن شروط الإجتهد هى : كون المجتهد بالغاً - عاقلاً (أى شديد الفهم) - عارفاً بالدليل العقلى (أى استصحاب عدم الأصلى حتى يردَّ نقل صارف عنه) - عارفاً باللغة العربية (من نحو وصرف وبلاغة) - وبعضهم يزيد المحتاج إليه من فن المنطق (حيث شرائط الحدود والرسوم والبرهان) - عارفاً بالأصول (حيث العلم بأدلة الأحكام من الكتاب والسُّنة) - عارفاً بالحديث (حيث العلم بشروط التواتر والآحاد والصحيح والضعيف) - عارفاً بعلوم القرآن (حيث أسباب النزول والناسخ والمنسوخ) - عارفاً بالسيرة والرجال (حيث أحوال الصحابة ورواة الحديث) - عارفاً بمدارك النصوص فى المصحف وكتب الحديث (ولا يشترط عندهم حفظه لها) - عارفاً بالحقائق الشرعية والعرفية - عارفاً بمواقع الإجماع والخلاف (مع خلافهم فى شرط عدم إنكاره القياس)<sup>(١)</sup> .

فتلكم اثنا عشر شرطاً أمكننا حصرها وتصنيفها من خلال ذكر الشنقيطى لها على لسان متأخري الأصوليين ، غير أنه يعتمد بعد فراغه منها إلى التعقيب عليها بقوله : واعلم أن الاجتهاد المطلق بشروطه المقررة عند متأخري علماء الأصول لا يستند اشتراط كثير منها إلى دليل من : كتاب ولا سُنَّة ولا إجماع ولا قياس جلي ولا أثر عن الصحابة<sup>(٢)</sup> .

أما رَدُّ الشنقيطى على متأخري الأصوليين بشأن ما ذهبوا إليه من قولهم بمنع تدبر القرآن والسُّنة وتفهمهما والعمل بهما إلا لمن بلغ درجة الاجتهاد المطلق بشروطه الاثنى عشر التى أسلفنا ذكرها ، فهو ما يتمثل فى إبطاله دعواهم هذه حيث يقول فى ذلك ما نصه : ولا يخفى أن قولهم هذا لا مستند له من دليل شرعى أصلاً ، بل الحق الذى لا شك فيه أن كل من له قدرة من المسلمين على التعلم والتفهم ، وإدراك معانى الكتاب والسُّنة ؛ فإنه يجب عليه تعلمهما ، والعمل بما علم منهما ، أما العمل بهما مع الجهل بما يعمل به منهما فممنوع إجماعاً ، وأما ما علمه منهما علماً صحيحاً ناشئاً عن تعلم صحيح ؛ فله أن يعمل به ولو كانت آية واحدة أو حديثاً واحداً .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٧٧/٧ (بتصرف) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٣٠/٧ .



وإيضاح ذلك هو أن كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين كلها دالٌّ على أن العمل بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ لا يشترط له إلا شرط واحد وهو العلم بحُكم ما يعمل به منهما ؛ فلا يشترط في العمل بالوحي شرط زائد على العلم بحكمه ألبته ، وهذا مما لا يكاد يَنازع فيه أحد ، وإنما مراد متأخري الأصوليين بجميع هذه الشروط التي اشترطوها (تحقيق المناط) لأن العلم بالوحي لما كان هو مناط العمل به ؛ لذا فقد أرادوا أن يحققوا هذا المناط ، أي يبينوا الطرق التي يتحقق بها حصول العلم الذي هو مناط العمل .

ومن ثم ؛ فقد اشترطوا جميع الشروط المذكورة ظناً منهم أنه لا يمكن تحقيق حصول العلم بالوحي بدونها ، غير أن ظنهم هذا فيه نظر ؛ لأن كل إنسان له فهمٌ ؛ إذا أراد العمل بنص من كتاب أو سُنَّة ، فلا يمتنع عليه ، ولا يستحيل أن يتعلم معناه ، ويبحث عنه هل هو منسوخ أو مُخصَّص أو مُقيد ، حتى يعلم ذلك فيعمل به<sup>(١)</sup> .

#### ب - شروط الاجتهاد فيه :

ويوجز الشنقيطي تلك الشروط من خلال عبارته المحددة التي يوجب بها الاتباع ويمنع الاجتهاد في كل ما نصت عليه آيات الكتاب وأحاديث السُّنة ، حيث يقول في ذلك ما نصه : والأمر المنصوصة في نصوص صحيحة من الكتاب والسُّنة لا يجوز الاجتهاد فيها لأحد ، بل ليس فيها إلا الاتباع ؛ ومن ثم فلا اجتهاد فيما دلَّ عليه نصٌّ من كتاب أو سُنَّة سأل من المعارض<sup>(٢)</sup> .

#### • لا اجتهاد مع النص :

وليس ثمة شك في أن ما ذهب إليه الشنقيطي إنما يتفق مع ما يقصده الأصوليون بقولهم : (لا اجتهاد مع النص) والحق أن هذا القول بحاجة في رأينا إلى توجيهه من خلال الجوانب الثلاثة التالية :

#### ١ - الاجتهاد الباطل :

نرى أن توجيه قول الأصوليين : (لا اجتهاد مع النص) إنما يعني أنه (لا اجتهاد باطلاً أو معارضاً أو مخالفاً) لما تدلَّ عليه نصوص أخرى من الكتاب والسُّنة ؛ ومن ثم فإنه يسوغ لنا أن نُوصِّفَ قول الأصوليين هذا ليصير : (لا اجتهاد إلا مع النص) أي لا اجتهاد إلا في ضوء ما تدلَّ عليه النصوص الأخرى ، وفي ظل ما تهدي إليه .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٧٨/٧ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٤٧/٧ .





## ٢ - افتقاد النص :

ونعنى بذلك تحديد مجال الاجتهاد ؛ حيث لا يكون الاجتهاد إلا عند افتقاد وغياب النص محلّ هذا الاجتهاد وموضعه ؛ ومن ثم فلا يعمد العالم إلى الاجتهاد إلا عندما يفتقد النص فى المسألة التى يريد أن يجتهد فيها ، غير أن ذلك لا يكون إلا مع وجود النصوص الأخرى التى يستضىء بدلالاتها ، ويستهدى بمعانيها ، إزاء ما يجتهد فيه بشأن هذه المسألة أو تلك .

## ٣ - محل الاستنباط :

أما إعمال العالم عقله ، وإنعام نظره ، فيما تحت يديه من نصوص الكتاب والسنة ؛ فهذا ما نُوصِّفه بـ : (الاستنباط) وليس بـ : (الاجتهاد) وذلك لما سبق أن فصلنا فيه القول بشأن مُستوى التأويل اللذين يتمثلان فى كل من : (الاستنباط) الذى يعمل داخل إطار النص الحقيقى أو المُشكّل ، فلا يتجاوز حدوده ، بل وينتهى بداخله ، ثم : (الاجتهاد) الذى يعمل عند غياب النص وافتقاده ؛ فلا يُحدُّ بحدٍّ ، ولا يُقيّد بإطار ، اللهم إلا استضاءته بالنصوص الأخرى واسترشاده بها ؛ وذلك ضمانًا لسلامته من التعارض والتناقض اللذين يتأدى عنهما بطلانه وعدم قبوله<sup>(١)</sup> .

وهو ذات القيد الذى يشير إليه الشنقيطى بقوله : واعلم أن كل اجتهاد يخالف النص ؛ فهو اجتهاد باطل ، لأن نصوص الكتاب والسنة حاكمة على كل المجتهدين ، فليس لأحد منهم مخالفتها كائنًا من كان<sup>(٢)</sup> .

## المطلب الخامس

## أنواع الرأى

وتتمثل أنواع الرأى عند الشنقيطى فى تلك الحالات الثلاث التى ساقها على لسان الأصوليين بشأن تقسيمهم للتأويل على النحو التالى :

## ١ - التأويل الصحيح :

وهو ما يُسمّى أيضًا عند أهل الأصول : (التأويل القريب) وذلك بأن يكون صرفُ اللفظ عن ظاهره بدليل صحيح فى نفس الأمر يدل على ذلك كقول رسول الله ﷺ

(١) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٤٧/٧ .



الثابت في (الصحيح) : «الجارُّ أَحَقُّ بِصَقْبِهِ» الحديث<sup>(١)</sup> فإن ظاهره المتبادر منه هو (ثبوت الشُّفْعَةِ للجار) غير أن حمل الجار في هذا الحديث على خصوص (الشريك المقاسم) حَمَلٌ له على محتمل مرجوح ، إلا أنه دَلَّ عليه الحديث المُصَرِّحُ بأنه : «إِذَا صُرِفَتْ الطَّرُقُ ، وَضُرِبَتْ الحُدُودُ ؛ فَلَا شُفْعَةَ» الحديث<sup>(٢)</sup> .

### ب - التَّأْوِيلُ الفاسد :

وهو ما يُسَمَّى أيضاً عند أهل الأصول بـ : (التأويل البعيد) وذلك بأن يكون صَرَفُ اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلاً ، غير أنه ليس بدليل في نفس الأمر ، وقد مثَّلَ له الشافعية والمالكية والحنابلة بحمل الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى المرأة في قوله ﷺ : «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَكَيْهَيَّا ؛ فَنَكَاحَهَا باطل باطل» الحديث<sup>(٣)</sup> على المكاتب والصغيرة ، ومنه حملة أيضاً رحمه الله تعالى المسكين في قول الله تعالى : ﴿سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ الآية<sup>(٤)</sup> على (المُدِّ) حيث أجاز إعطاء ستين مُدًّا لمسكين واحد<sup>(٥)</sup> .

### ج - التَّأْوِيلُ الباطل :

وهو ما يُسَمَّى أيضاً عند أهل الأصول بـ : (اللَّعِبُ) وذلك بأن يكون صَرَفُ اللفظ عن

(١) أخرجه البخارى في صحيحه (كتاب الحِيل (باب) احتيال العامل لِيُهْدَى إِلَيْهِ - (طبع بيروت) .  
والصَّقْبُ والصَّقَبُ : هو الطويل من كل شيء ، وقيل : هو العمود الطويل الذي يُعَمَدُ بِهِ البيت ويكون في وسطه ، وأما قولهم : (مكان صَقْبٍ وصَقْبٍ) أى قريب ، وفي الحديث : «الجارُّ أَحَقُّ بِصَقْبِهِ» قال ابن الأثير : أراد بالصَّقْبِ الملاصقة والقُرْبُ ؛ والمراد به : الشُّفْعَةُ ؛ فكأنه أراد به ما يليه أى ما يجاوره ويقترب منه - انظر مادة (صَقْبٍ) في لسان العرب : ٢٤٦٩/٤ .  
(٢) أخرجه البخارى في صحيحه (كتاب البيوع (باب) بيع الشريك من شريكه - (طبع بيروت) .  
(٣) أخرجه الترمذى في سننه (كتاب) النكاح (باب) ما جاء لا نكاح إلا بَوَكِيٍّ - (طبع بيروت) -  
وأخرجه أبو داود في سننه (كتاب) النكاح (باب) فى الوكِيٍّ - (طبع بيروت) - كما أخرجه أحمد في مسنده (باقى مسند الأنصار) - حديث رقم (٢٣٨٥١) - (طبع بيروت) .  
(٤) المجادلة : ٤ .

(٥) المُدُّ : هو نوع من المكايل يساوى ربع صاع ، وهو مقدار مُدِّ النَّبِيِّ ﷺ والصاع خمسة أرطال ؛ وعليه فَيُقَدَّرُ المُدُّ بِرِطْلٍ وربع الرُّطْلِ ، وقيل : الصاع أربعة أرطال ؛ وعليه فَيُقَدَّرُ المُدُّ بِرِطْلٍ واحد ، كما قيل : إن المد رطل وثلث عند الشافعى وأهل الحجاز ، ورطلان عند أبى حنيفة وأهل العراق .  
وفي حديث فضل الصحابة ﷺ : «ما أدركَ مُدُّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» وقيل : إن أصل المد مُقَدَّرُ بأن يَمُدَّ الرجل يديه فيملا كفيه بالطعام ، وإنما قُدِّرَ بربع الصاع لأنه كان أقل ما يتصدقون به فى العادة ، والمفرد (مُدٌّ) والجمع (أَمْدَادٌ ومِدَدٌ ومِدَدَةٌ ومِدَادٌ كثيرة) انظر مادة (مَدَدٌ) فى لسان العرب : ٤١٥٦/٥ .



ظاهره لا لدليل أصلاً كقول بعض الشيعة في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَحُوا بَقَرَةً ﴾ الآية<sup>(١)</sup> يعنى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

والى أنواع التاويل الثلاثة التى أوردها الشنقيطى يشير صاحب (مراقى السعود) بقوله :

حَمْلٌ لظَاهِرِ عَلَى الْمَرْجُوحِ	واقسمه للفساد والصحيح
صَحِيحُهُ وَهُوَ الْقَرِيبُ : مَا حُمِلَ	مع قوة الدليل عند المُستدل
وغيره : الفاسدُ والبعيدُ	وما خلا : ف (لعباً) يُفِيدُ

إلى أن قال :

فَجَعَلُ مُسْكِينٍ بِمَعْنَى (الْمُدَّ)	عليه لائحُ سَمَاتِ الْبُعْدِ
كَحَمَلِ مَرَأَةٍ عَلَى الصَّغِيرَةِ	وما يُنَافِي الْحُرَّةَ الْكَبِيرَةَ
وَحَمَلٍ مَا وُردَ فِي الصِّيَامِ	عَلَى الْقَضَاءِ مَعَ الْإِلْتِزَامِ <sup>(٢)</sup>

### • خلاصة موقف الشنقيطى :

وهكذا يتلخص موقف الشنقيطى من التفسير بالأى من خلال قوله بمشروعيته لمن اتفقت له وسائله وأدواته المعروفة ، وفى إطار ضوابطه وشروطه المعتبرة ، وهو ما يؤكد من خلال رده على دعوى متأخرى الأصوليين من (أن الاجتهاد قد انقرض ، وأن بابه قد اسند ، وأنه لا يمكن أن يكون هناك مجتهد قبل ظهور المهدي المنتظر) وعندئذ ينبرى للرد على هذه الدعوى مبطلاً إياها بقوله :

وهذا صريح فى أنهم حاكمون على الله العلىّ القدير الذى كل يوم هو فى شأن<sup>(٣)</sup> بأنه لا يَخْلُقُ مُجْتَهِدًا قَبْلَ الْمَهْدِيِّ مِنْ مَدَّةِ انْقِرَاضِ الْاجْتِهَادِ الْمَزْعُومِ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّكَ يَا أَخِي إِنْ لَمْ يُعْمِكَ التَّعَصُّبُ الْمَذْهَبِيُّ فَإِنَّكَ تَقْطَعُ بِأَنَّهُ لَا مُسْتَدَلَّ لَهُ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ ثَبَتَ عَنْهُ فِي (الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا) أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ ؛ لَا يَضُرُّهُمْ

(١) البقرة : ٦٧ .

(٢) راجع فى أنواع التاويل الثلاثة كلاً من :

• أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٢٩-٣٣١ .

• نشر البنود على مراقى السعود : عبد الله العلوى الشنقيطى ١/٢٦٩-٢٧٣ (حيث نص الأبيات

وشرحها الذى نقل عنه الشنقيطى) .

(٣) هذا اقتباس من قول الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾

الرحمن : ٢٩ .



مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرَ اللَّهِ» الحديث<sup>(١)</sup> وهو حديث مشهور متفق عليه ، ولا نزاع فى صحته .

ومن ثم ؛ فإن دعوى أن الأرض لم يبق فيها مجتهد ألبتة ، وأن ذلك مستمر إلى ظهور المهدي المنتظر ؛ مناقضة لهذا الحديث الثابت ثبوتاً لا مطعن فيه عن النبي ﷺ ومما لا نزاع فيه أن كل ما يناقض الحق فهو الضلال ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتِ تُصِرُّونَ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> والعلم عند الله تعالى<sup>(٣)</sup> .

### • رأى البحث :

إن الشنقيطى وإن كان قد ذهب إلى القول بمشروعية التفسير بالرأى وجوازه ؛ إلا أننا نرى القول بوجوبه ولزومه ، وذلك متى اقتضته الضرورة ، وكلما دعت إليه الحاجة ؛ لأن من أهم مقاصد المفسر الكشف عن مراد الله تعالى فى تنزيله الحكيم ؛ بما تنصلح به حياة الأمة ، وبما يتقوم به سلوك العباد ، وبكل ما يعترى ذلك من تغيرات ، وما يرد عليه من تطورات ، فى مختلف الأمصار ، وشتى الأعصار .

ومن ثم ؛ فليس ثمة شك فى أن الرأى مطلوب لمواكبة كل تغير ، ومسايرة كل تطور ، بل إن الرأى لابد وأن يكون مستمراً باقياً فى هذه الأمة استمرار وبقاء هذه الحياة ذاتها ، وهذا ما يوافقنا فيه المحققون من العلماء المعتبرين بشأن ما ذهبوا إليه من قولهم بوجوب الرأى ولزومه ، ونكتفى فى التمثيل لهم بذكر اثنين من جللتهم تنبيهاً بهما على غيرهما ، ألا وهما :

### ١ - شيخ الإسلام أحمد بن تيمية :

حيث يقول فى ذلك ما نصه : وهذا هو الواجب على كل أحد ؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه ؛ وذلك لقول الله تعالى : ﴿ لَتَبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> ولما جاء فى الحديث المروى من طرق :

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) فرض الخمس (باب) قول الله تعالى : ﴿ فَأَنْ لِّلَّ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ الأنفال : ٤١ - (طبع بيروت) - وأخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الإمارة (باب) قوله ﷺ : « لا تزال طائفة» - واللفظ لمسلم - (طبع بيروت) - كما أورده السيوطى فى جامع الأحاديث من رواية معاوية بن وهب : ١٩٦/٧ - حديث رقم (٢٥١١٣) .

(٢) يونس : ٣٢ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٨١/٧ (بتصرف يسير) .

(٤) آل عمران : ١٨٧ .





«مَنْ سئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ ؛ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ» الحديث<sup>(١)</sup> والله سبحانه وتعالى أعلم<sup>(٢)</sup> .

## ٢ - الشيخ محيي الدين الكافيجي :

حيث يقول في ذلك ما نصه : وأما التفسير بالرأى فيما يحتاج الناس إلى معرفة ما يتضمنه اللفظ من وجوب الاعتقاد والعمل ؛ فأمر ورد الشرع بإيجابه فضلاً عن الجواز<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

## ● ● حصيلة القول :

وهكذا نرى كيف أن تفسير القرآن بالرأى عند الشنقيطي يمثل المحور الثاني ، بل ويأتي في المرحلة التالية ، لتفسير القرآن بالمأثور ، وهذا ما نتفق معه فيه على وجه العموم من خلال احتكامنا إلى ما سبق أن فصلنا فيه القول بشأن رأينا في (مصطلح الرأى) من حيث اقترانه وتلازمه ، بل ترابطه وتكامله ، مع (مصطلح المأثور) واللذين يمثلان طرفي (معادلة التفسير) التي يشهد لها واقع التفسير ذاته ، بل ويؤيدها ما عليه عمل المفسرين أنفسهم ، وذلك من لدن عصر تابعي التابعين وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها<sup>(٤)</sup> وهو ما يتفق في ذات الوقت أيضاً مع ما ذهب إليه المحققون من العلماء المعتبرين ، بل ويبدو مترجماً بصورة فعلية عند الشنقيطي من خلال تطبيقه العملي على ذلك التععيد النظري .

(١) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

(٢) مقدمة في أصول التفسير : لابن تيمية ص ٥٥ .

(٣) التيسير في قواعد علم التفسير : محيي الدين الكافيجي - ورقة (٤) - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٧٠٧) - (تفسير) .

(٤) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .



## المبحث الثاني التطبيق العملي

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١ - المطلب الأول : أخذه برأى عالم واحد .
- ٢ - المطلب الثاني : أخذه بما اتفقت عليه آراء العلماء .
- ٣ - المطلب الثالث : أخذه بما تعددت فيه آراء العلماء .



ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تفسير القرآن بأراء العملاء ،  
والذى يُجسّدُ من خلاله تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تفسيده النظرى ، وقد تمثل  
هذا السلوك الفعلى فى طرقٍ ثلاثٍ نعرض لتفصيل شواهداها من خلال المطالب الثلاثة  
التالية :

### المطلب الاول

#### أخذه برأى عالم واحد

ومن ذلك أخذه برأى أبى عبد الله القرطبى فيما ذهب إليه من أن معنى (الحجة) فى  
قول الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ الآية<sup>(١)</sup> إنما يشمل جميع  
الاحتجاجات التى واجه بها نبيُّ الله إبراهيمُ على نبينا وعليه الصلاة والسلام قومه ، ذلك  
الشمول الذى يقول عنه الشنقيطى ما نصه :

وهذه الحجة هى قول الله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ  
أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> وقد صدقه الله  
تعالى وحكم له بالأمن والهداية فقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ  
أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> .

والظاهر : شمول هذه الحجة لجميع احتجاجاته عليهم كما جاء ذلك على لسانه فى  
قول الله تعالى : ﴿ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> لأن الأفلول الواقع فى كل من الكوكب  
والشمس والقمر هو أكبر دليل ، بل وأوضح حجة على انتفاء الربوبية عنها ، وقد استدل  
إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام بهذا الأفلول على انتفاء الربوبية فى قوله : ﴿ لَا  
أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ فعدم إدخال هذه الحجة فى قول الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ﴾ غير  
ظاهر ؛ وبما ذكرنا من شمول هذه الحجة لجميع احتجاجاته المذكورة صدر القرطبى ،  
والعلم عند الله تعالى<sup>(٥)</sup> .

### المطلب الثانى

#### أخذه بما اتفقت عليه آراء العلماء

ومن ذلك أخذه بما اتفق عليه العلماء من رفع الحرج على الحاج إذا أراد أن يحصل

(٢) الأنعام : ٨١ .

(٤) الأنعام : ٧٦ .

(١) الأنعام : ٨٣ .

(٣) الأنعام : ٨٢ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٠٢/٢ .



ربحاً عن طريق تجارة أو نحوها شريطة ألا ينشغل بذلك عن أداء المناسك ؛ حيث أخذ الشنقيطى بذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية<sup>(١)</sup> فيقول ما نصه : وقد أطبق علماء التفسير على أن معنى قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أنه ليس على الحاج إثم ولا حرج إذا ابتغى ربحاً بتجارة فى أيام الحج ؛ إن كان ذلك لا يشغله عن شىء من أداء مناسكه<sup>(٢)</sup> .

وإذا كان الشنقيطى قد أخذ فى ذلك بما أجمع عليه علماء التفسير ، إلا أنه يأخذ فى أحيان أخرى بما اتفق عليه بعض العلماء ، حيث يعبر عن ذلك بقوله : (قال بعض العلماء) أو : (قال بعض أهل العلم) ومن ذلك ما صرح به الشنقيطى فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ (٨) ثانياً عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴿ الآيتان<sup>(٣)</sup> حيث يقول ما نصه :

قال بعض أهل العلم : الآية الأولى التى هى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> نازلة فى الأتباع الجهلة الذين يجادلون بغير علم ؛ اتباعاً لرؤسائهم ، من شياطين الإنس والجن ، وهذه الآية الأخيرة فى الرؤساء الدعاة إلى الضلال المتبوعين فى ذلك ، ويدل لهذا أنه قال فى الأولى : ﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ ﴾ وقال فى هذه : ﴿ ثانياً عطفه ليضل عن سبيل الله ﴾ فتبين أنه مضل لغيره ، متبوع فى الكفر والضلال .

كما قال بعض العلماء فى قول الله تعالى فى هذه الآية الكريمة : ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أى بدون علم ضرورى حاصل لهم بما يجادلون به ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا هُدًى ﴾ أى استدلال ونظر عقلى يهتدى به العقل للصواب ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ أى وحى نير واضح يعلم به ما يجادل به ، فليس عنده علم ضرورى ، ولا علم مكتسب بالنظر الصحيح العقلى ، ولا علم من وحى ، فهو جاهل محض من جميع الجهات ، وقوله تعالى : ﴿ ثانياً عطفه ﴾ حال من ضمير الفاعل المستكن فى ﴿ يُجَادِلُ ﴾ أى يخاصم بالباطل فى حال كونه ﴿ ثانياً عطفه ﴾ أى لاوى عنقه عن قبول الحق استكباراً وإعراضاً<sup>(٥)</sup> .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٨٩/٥ .

(٤) الحج : ٣ .

(١) البقرة : ١٩٨ .

(٣) الحج : ٨-٩ (آيتان) .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٠-٣٩/٥ .





### المطلب الثالث

#### أخذه بما تعددت فيه آراء العلماء

ومن ذلك أخذه بما تعددت فيه آراء العلماء فيما ذهبوا إليه بشأن معنى (سُرَادِق) من أنه السور أو الدخان أو البحر المحيط ، حيث يَرُدُّهَا جميعها فى النهاية إلى شىء واحد وهو (إِحْدَاق النار بالكفار من كل جانب) وهذا ما صرَّح به فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ الآية<sup>(١)</sup> حيث يقول ما نصه :

وأما المراد بـ (السُرَادِق) فى الآية الكريمة ففيه للعلماء أقوال مرجعها إلى شىء واحد وهو (إِحْدَاق النار بهم من كل جانب) فمن العلماء مَنْ يقول : ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ أى سورها كما قاله ابن الأعرابى وغيره ، ومنهم مَنْ يقول : ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ أى عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة كما قال الكلبي ، ومنهم مَنْ يقول : ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ أى دخان يحيط بهم وهو المذكور فى قول الله تعالى : ﴿ انظلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب ﴾ (٣٠) لا ظليل ولا يغني من اللهب ﴿ الآيتان<sup>(٢)</sup> وفى قوله تعالى : ﴿ وظل من يحموم ﴾ (٤٣) لا بارد ولا كريم ﴿ الآيتان<sup>(٣)</sup> ومنهم مَنْ يقول : ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ أى البحر الذى يحيط بالدنيا<sup>(٤)</sup> .

(١) الكهف : ٢٩ .

(٢) الواقعة : ٤٣-٤٤ (آيتان) .

(٣) المرسلات : ٣٠-٣١ (آيتان) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٩٤/٤ .



## المبحث الثالث

### التعقيب

وينتظم الملاحظات الخمس التالية :

- ١ - الملاحظة الأولى : تخصيص الرأى .
- ٢ - الملاحظة الثانية : قسماً الرأى .
- ٣ - الملاحظة الثالثة : الخلط فى الرأى .
- ٤ - الملاحظة الرابعة : ألفاظ الرأى .
- ٥ - الملاحظة الخامسة : غياب بعض أدلة الرأى .



وبعد أن عرضنا لمنهج الشنقيطى فى تفسير القرآن بأراء غيره من العلماء ؛ فإنه يمكننا أن نرصد من خلال هذا التعقيب الملاحظات الخمس التى تردُّ على ذلك فيما يلى :

### الملاحظة الأولى

#### تخصيص الرأى

وجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أن ما تناولناه من تفسير الشنقيطى للقرآن بالرأى إنما يختص بأراء غيره من العلماء المحققين ، وسالفيه من المفسرين المعتبرين ، الذين عرَّضوا لمثل ما يعرِّض له من الآيات بالتفسير ؛ ومن ثم فقد اعتمد آراءهم ، وأخذ بأقوالهم ، بشروط الرأى المعروفة ، وضوابطه المعتبرة ، وذلك على امتداد عصور التفسير المتتابعة ، وعبر مراحل تطوره المختلفة ، بدءً بعصر تابعى التابعين ، وإنهاءً بعصره الذى كان يعيش فيه .

أما رأيه هو فيما يعرِّض له من الآيات بالتفسير ؛ فذلكم ما سوف نتناوله من خلال (استنباطاته) و (اجتهاداته) فى موضعهما من البحث .

### الملاحظة الثانية

#### قسمة الرأى

ومن البدهى أن يشتمل ما يحشده المفسرُّ من الرأى فى تفسيره على كل من القسمين التاليين :

#### ١ - آراء السابقين عامة :

وتتمثل فى آراء السالفين ، من العلماء المعتبرين ، والتى يعتمدها المفسرُّ ، ويأخذ بها فى معرِّض ما يتناوله من الآيات بالتفسير ، وذلك من لدن عصر تابعى التابعين ، وحتى عصره الذى يعيش فيه .

لأن آراء أولئك العلماء السابقين ، وإن كانت تُعدُّ من المأثور (بمعناه اللغوى) الذى يدل على (مجرد النقل) إلا أنها تختلف عن المأثور (بمعناه الاصطلاحى) والذى ينحصر فى المحاور الثلاثة المحددة بكل من (الكتاب) و (السنة) و (آثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم) ومن ثم فإنه ينبغى التفريق بين المأثور (بمعناه الاصطلاحى) والتفسير بأراء السابقين (بمعناه اللغوى) .



## ب - رأى المفسر خاصة :

ويتمثل فيما يُنتجُه المفسر نفسه من جملة الآراء التفسيرية ، والتي تعبر في المقام الأول عن رأيه الخاص ، وتُبلور نظرتَه الذاتية ، فيما يتناوله من قضايا التفسير ، وفيما يعرض له من مسائله المختلفة ، لأنه من البداهة بمكان أن يعمد هذا المفسر أو ذاك إلى ما أنتجَه من رأى خاص ، وما بلوره من نظرة ذاتية ؛ ليضيفهما بصورة طبيعية ، وسلوك تلقائي ، إلى رصيد ما قبله من آراء السابقين الخاصة ، ونظراتهم الذاتية كذلك .

ومن ثم ؛ فإن رأيه هذا سيعدُّ بدوره بمثابة تفسيراً بالرأى لغيره من اللاحقين ، فيما يتعلق بهذه المسألة ، أو تلك القضية ، وهكذا دواليك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، وهذا ما طبَّقه الشنقيطى بصورة عملية في تفسيره ، فكما أنه أخذ بآراء السالفين عليه من العلماء المعبرين من خلال (التفسير بالرأى) كما سبق أن عرَضنا له ؛ فإننا نجدَه يعمد كذلك إلى رأيه الخاص ، ويعتبر نظرتَه الذاتية ، فيما يتناوله من الآيات ، وما يعرض له بالتفسير ، وذلك من خلال (استنباطاته) و (اجتهاداته) كما سيأتى ذكرهما في موضعهما من البحث .

### الملاحظة الثالثة

#### الخلط فى الرأى

رأينا فيما سبق كيف أن الرأى عند الشنقيطى يتنازعه محوران رئيسان تمثلا في موقفه من كل من : (التأويل) و (الاجتهاد) بأدلتهمَا المعبرة من الكتاب والسنة والآثار ، فضلاً عن المعروف عنده من ضوابطهما وشروطهما وأنواعهما .

والحق أننا نختلف مع الشنقيطى بشأن هذين المحورين اللذين يمشلان الرأى عنده ؛ وذلك لما نراه من الخلط الحادث عنده بين (التأويل) كأصل ، و (الاجتهاد) كفرع ؛ وذلك لأن (التأويل) إنما يمثل فى رأينا الأساس الذى ينطلق منه (التفسير بالرأى) بل ويعتمد عليه ، فيما يتوصل إليه من آراء ، أو يتمخض عنه من نتائج ، من خلال محورى التأويل التاليين :

#### 1 - المحور الاول (الاستنباط) :

ونعنى به حقيقة ما يمكن أن ينتهى إليه معنى كل من اللفظ القرآنى المفرد ، وكذا الجملة القرآنية المركبة ، وذلك من خلال أقصى ما يحتملانه من مدلول غير مباشر ، وأبعد ما يعطيانه من إحياء غير منظور ؛ وعليه فإن (التأويل) إنما يتوجه من خلال محوره هذا إلى استنطاق النص بأقصى ما يمكن الوصول إليه من مدلول ، وأبعد ما يعطيه من إحياء .





## ب - المحور الثاني (الاجتهاد) :

وهو أعلى من الاستنباط في الرتبة ، وتآل له في الترتيب ؛ لأن الاستنباط وإن كان يتوجه إلى النص الموجود وينحصر فيه ؛ إلا أن الاجتهاد يتعدى حدود النص ليقبس عليه آراء غير مطروقة ، ويتمخض بذلك عن نتائج غير معروفة .

وبهذا يتأكد علو الاجتهاد على الاستنباط ؛ من حيث إن الاستنباط يبدأ بالنص وينتهي إليه ، أما الاجتهاد فيتجاوز النص ولا ينتهى إلا فيما هو أبعد من حدوده ، وأوسع من مقتضاه .

### الملاحظة الرابعة

#### الفاظ الراى

تختلف أفاظ الشنقيطى التى يعبر بها عن مشروعية الراى من موطن إلى آخر ، غير أنها تنتهى جميعها إلى قوله بجوازه وعدم منعه ، وفيما يلى نسوق بعض هذه الألفاظ المعبرة عن ذلك تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، والتى تشمل كلاً من :

قوله : (واجتهاد العالم حينئذ لا وجه لمنعه) وقوله : (وكان جارياً بين أصحاب رسول الله ﷺ ولم ينكره أحد من المسلمين) وقوله : (ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم ، فإنه معرض عنها ، غير متدبر لها ؛ ومن ثم فإنه يستحق الإنكار والتوبيخ إن كان الله تعالى قد أعطاه فهماً يقدر به على التدبر) وقوله : (وتدبر القرآن وتفهمه وتعلمه والعمل به ، أمر لا بد منه للمسلمين ، وقد بين النبي ﷺ أن المشتغلين بذلك هم خير الناس ؛ ولذا فإن الإعراض عن ذلك لهو من أعظم المناكر وأشنعها ، وإن ظن فاعلوه أنهم على هدى) .

وأخيراً فقد نراه يصرح بمشروعية الاجتهاد فيقول : (ومن الأدلة الدالة على مشروعية الاجتهاد) أو قد يبطل من يمنعه بقوله : (وهذا يدل على بطلان قول من منع الاجتهاد من أصله) .

فتلكم هى جملة الألفاظ التى عبر بها الشنقيطى عن مشروعية التفسير بالرأى من خلال دورانها وتكرارها فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ الآية<sup>(١)</sup> وذلك على مدار مائة وست وخمسين صفحة كاملة<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة محمد ﷺ : ٢٤ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٤٢٨-٥٨٣ .



### الملاحظة الخامسة

#### غياب بعض أدلة الرأى

ونعنى بذلك عدم ورود هذه الأدلة على لسان الشنقيطى فى معرّض استشهاده على قوله بمشروعية الرزى وجوازه ، وتمثل هذه الأدلة فى ثلاث آيات قرآنية أشار الشنقيطى إلى واحدة منها ، فى حين لم يُشِرْ إلى الآيتين الأخرين ، وذلك على النحو التالى :

#### ١ - الآية التى أشار إليها :

حيث أشار الشنقيطى إلى عزمه على تناول آية فى (سورة الحشر) توضح موقفه من الاجتهاد ورأيه فيه ، وفى ذلك يقول ما نصه : وسنوضح غاية الإيضاح إن شاء الله تعالى فى سورة (الحشر) مسألة الاجتهاد فى الشرع ، واستنباط حكم المسكوت عنه من المنطوق به بإلحاقه به ، قياساً كان الإلحاق أو غيره<sup>(١)</sup> .

غير أن الشنقيطى قد أختَرَمَتَه المنية بتفسير آخر آية من سورة (المجادلة) وقبل تفسير سورة (الحشر) التى بدأ بها تلميذه الشيخ عطية محمد سالم الجزء الأول من (تنمة الأضواء)<sup>(٢)</sup> .

ولعل الشنقيطى كان يقصد بذلك إحدى آيتين فى سورة (الحشر) أما أولاهما فهى قول الله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> وأما الثانية فقول الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> وهى أرجح من الآية الأولى .

ومما يقوى ما ذهبنا إليه أن الشيخ عطية محمد سالم قد عرّض لموضوع (الاجتهاد) من خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة ، وهو ذات الموضوع الذى عناه الشنقيطى من خلال تناوله لـ : (التفسير بالرأى)<sup>(٥)</sup> .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٧٨/٣ - ٥٩٩/٤ .

(٢) حيث ينتهى الجزء السابع من (أضواء البيان) بتفسير قوله الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة : ٢٢ - فى حين يبدأ الجزء الأول من (تنمة الأضواء) أو (الثامن من الأضواء) بتفسير قول الله تعالى : ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الحشر : ١ .

(٤) الحشر : ٢١ .

(٣) الحشر : ٢ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ١٠٦/٨ (الجزء الأول من التنمة) .



## ب - الآيتان اللتان لم يشر إليهما :

### ١ - الآية الأولى :

وهي قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ الآية (١) حيث أغفل الشنقيطي تناول هذه الآية من بين أدلته على مشروعية التفسير بالرأى ؛ ومن ثم فقد أسقطها في تفسيره (أضواء البيان) بين قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ ﴾ الآية (٢) وقوله تعالى : ﴿ وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية (٣) .

### ٢ - الآية الثانية :

وهي قول الله تعالى : ﴿ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ الآية (٤) حيث أغفل الشنقيطي تناول هذه الآية أيضاً من بين أدلته على مشروعية التفسير بالرأى ؛ ومن ثم فقد أسقطها في تفسيره (أضواء البيان) بين قول الله تعالى : ﴿ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ الآية (٥) وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ الآية (٦) .

(١) النساء : ٨٣ .

(٢) النساء : ٧٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٣٩٧/١ .

(٣) النساء : ٨٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٣٩٨/١ .

(٤) آل عمران : ١٨٧ .

(٥) آل عمران : ١٨٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٣٦٣/١ .

(٦) آل عمران : ١٩٠ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٣٦٤/١ .



## جماع القول فى هذا الباب

وفى ختام حديثنا عن هذا الباب بفصليه ، حيث الفصل الأول المتعلق بتفسير الشنقيطى بالمأثور الذى يشمل كلاً من : (القرآن - السنة - الآثار) ثم الفصل الثانى المتعلق بتفسير الشنقيطى بالرأى الذى يعنى (تفسيره للقرآن بأراء غيره من العلماء المحققين ، وسالفه من المفسرين الاعتبارين) فإنه يجدر بنا أن نشير إلى الأمرين التاليين :

### ١ - تمام المنهجية :

وهو ما يتمثل فى تمام منهجية هذه السُّمة الأولى التى جمع فيها الشنقيطى بين (التفسير بالمأثور) و (التفسير بالرأى) واللذين يمثلان (طرفى معادلة التفسير) من حيث اقترانهما وتلازمهما ، فضلاً عن ترابطهما وتكاملهما ، على امتداد عصور التفسير المتتابعة ، وعبر مراحل تطوره المختلفة ؛ وهو ما يشهد له واقع التفسير ذاته ، بل ويؤيده ما عليه عمل المفسرين أنفسهم .

وليس ثمة شك فى أن مَنْ جمع فى تفسيره للقرآن بين ( تفسيره بالمأثور ) و ( تفسيره بالرأى ) فقد تمت منهجيته ، واكتملت طريقته ؛ لأنه ليس بعد تفسير القرآن بالمأثور والرأى من شىء ، اللهم إلا رأيه الخاص ، ونظرته الذاتية ، وهو ما سوف نعرض له من خلال (استنباطاته) و (اجتهاداته) فى موضعهما من البحث .

### ٢ - أصالة التفكير :

وهى ما تتمثل فى امتداد هذا (الأصل الجمعى) الذى سبق أن أجمع عليه العلماء والمحققون ، وتَوَاضَعَ عليه المفسرون المعتبرون ، من أن أعظم وأجل ما يُفسَّر به القرآن إنما هو القرآن ذاته ، ثم يلى ذلك تفسير القرآن بسنة رسول الله ﷺ ثم يلى ذلك تفسير القرآن بآثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وهذه هى المحاور الثلاثة الرئيسة التى يدور عليها (التفسير بالمأثور) ثم يلى ذلك تفسير القرآن بـ (الرأى) بشروطه المعروفة ، وضوابطه المعتبرة .

وهو ذات ما سبق لنا تأصيله على لسان كل من شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، والشيخ محيى الدين الكافيجى ، من حيث نقلهما اتفاق العلماء المحققين ، وتَوَاضَعَ المفسرين المعتبرين ، على تفسير القرآن بالمأثور أولاً ، ثم تفسيره بالرأى ثانياً ؛ الأمر الذى تتأكد معه (أصالة تفكير الشنقيطى) فضلاً عن (تمام منهجيته) من خلال تناوله لهذا (الجمع بين المأثور والرأى) والذى يُعدُّ السُّمة الأولى من (سمات منهجه التفسيري) .

وبهذا ينتهى هذا الباب

